الحالة الاجتماعية بفاس
في القرن الثاني عشر الهجري
من خلال الحوالة الإسماعيلية

الجزء الأول

تأليف
د. عبد الحق ابن المجذوب الحسني

المملكة المغربية - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
1427هـ - 2006م

الحالة الاجتماعية بفاس

في القرن الثاني عشر الهجري
من خلال الحوالة الإسماعيلية

الحالة الاجتماعية بفاس
في القرن الثاني عشر الهجري
من خلال الحوالة الإسماعيلية

الجزء الأول

تأليف

د. عبد الحق ابن المجذوب الحسني

المملكة المغربية - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
1427هـ - 2006م

الكتاب : الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري
من خلال الحوالة الإسماعيلية
الجزء الأول
المؤلف :عبد الحق ابن المجدوب الحسني
الحقوق : جميع الحقوق محفوظة
رقم الإيداع القانوني : 2006/1694
ردمك : 6- 5073 - 0 - 9954

التصفيف والإخراج والطباعة
دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10، شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف : 83 75 20 037 - **الفاكس** : 89 75 20 037
البريد الإلكتروني : E- mail : editbouregreg@iam.net.ma

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإذا كانت الحوالات الحبسية – في الظاهر– سجلا لإحصاء الممتلكات الوقفية ودخلها، وما ينفق من هذه المداخيل على المشاريع المختلفة، وكذا على المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية... فضلا عما تزخر به من ظهائر سلطانية تعنى بالحبس وتبث في قضاياه، فإن الحوالات الحبسية – في حقيقة الأمر – تشكل مجتمعا قائماً بذاته، إذ تؤرخ فتاويها لبعض القضايا النادرة كالحالة المزرية التي عاشتها مدينة فاس إبان سيطرة الأتراك عليها أواخر دولة بني وطاس، والاعتداءات على الحبس أيام الفتن، وكذا قضية إدعاء الانتساب إلى آل البيت : وظاهرة العبيد وسوق النخاسين، وأهمية كرتي العلم الأرضية والسماوية التي تزدان بها غريفة التوقيت بجامع القرويين...

وهكذا فنصوص هذه الحوالات ورسومها وفتاويها تعكس – بما فيه الكفاية – الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للبلاد في فترة تاريخية محددة، يستطيع الباحث المتخصص والمتعمق في مضامين محتوياتها الوقوف عن كثب على جانب هام من تراث هذه الأمة وحضارتها. وما الحوالة الإسماعيلية المباركة إلا واحدة من أهم الحوالات، إذ يتضح من صك إنشائها الرغبة الأكيدة التي كانت تحذو المولى إسماعيل في جمع شتات الحبس وصيانته من العبث، وهو اهتمام واضح لملوك الدولة المغربية على مر الزمان وخاصة ملوك الدولة العلوية الشريفة، فإليهم يرجع فضل إنشاء معظم الحوالات أو تجديدها، وبهذا بقيت الأحباس مصونة، وأهداف المحبسين مطبقة، فهم كما هو الشأن فيهم، قد دلوا على الخير، وصانوا الأمة من كل ضير.

وإبرازاً لأهمية هذا التراث الفقهي الذي تركه العلماء المغاربة في مجال الفتوى بكل ما يتعلق بالأحداث السياسية والاقتصادية والتحولات الاجتماعية – على

الخصوص - والظروف التي شهدتها مدن المغرب وقراه، ومدينة فاس خصوصا خلال فترة حكم المولى إسماعيل. فقد وفق الله الأستاذ الباحث الدكتور عبد الحق ابن المجدوب الحسني إلى إعداد دراسة وافية، وشاملة عن أهمية هذا التراث، ووسمها بعنوان: «الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية» وقدمها أطروحة جامعية نال بها درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية. من دار الحديث الحسنية بالرباط.

وانطلاقاً من الرسالة العلمية الدينية التي تضطلع بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في مجال بعث وإحياء التراث الإسلامي المغربي الأصيل، يسعدها أن تقوم بطبع هذا العمل العلمي الهام، لتيسير تداوله، وتعميم الاستفادة والانتفاع بما احتواه في أبوابه وفصوله ومباحثه من إفادات علمية جديرة بالعناية والتحقيق والطبع والنشر، وجعلها في متناول العلماء والقراء المتخصصين، وتعميم النفع بها للأساتذة والباحثين المهتمين.

ونسأل العلي القدير أن يجعله في سجل الأعمال الصالحة، والمآثر الطيبة، والحسنات الخالدة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيّده، وأن يقر الله عين جلالته بولي عهده المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن، ويشد أزره بصنوه المجيد المولى الرشيد، وأن يحفظه في كافة أسرته الملكية الشريفة. إنه سبحانه سميع مجيب، ونعم المولى ونعم النصير .

أحمد التوفيق .

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

تـوطـئـة عـامــة

يـتـنـاول هـذا الـتـقـديـم نـقـطـتـين، تـتـحـدث أولاهـمـا عـن أهـمـيـة الموضوع وسبب اختياره، وتستعرض ثانيتهما المنهجية المتبعة فيه.

1- أهمية الموضوع وسبب اختياري له :

إن الدارس للحوالات الحبسية والكاشف لمداخراتها وخباياها يدرك إدراكا تاما أن الحوالة الحبسية تشكل عالما مستقلا بها، وتعكس بما فيه الكفاية الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... لعصر من العصور. فبالرغم من أن موضوعها الأساسي لا يخرج عن نطاق تسجيل النصوص الحبسية، وبالرغم كذلك من أن أغلب صفحاتها تتضمن جردا بالرباع المحبسة مصحوبة بلفظ التحبيس وأهداف المحبسين، فإن ما تزخر به، تلكم الظهائر الملكية التي تبت في كثير من القضايا المختلفة التي تهم المجتمع بكل طبقاته، وكذا فتاوى العلماء واجتهادات الفقهاء، فضلا عن ذكر بعض العادات والتقاليد والأعراف التي كانت شائعة في حقبة تاريخية محددة. فأين تجد موضوع الرجوع عن ادعاء الانتساب إلى آل البيت، وحالة العوائد في الأفراح والأتراح، واستعانة مؤقت القرويين بكرتي العلم الأرضية والسماوية، واعتداء رئيس الفتنة على الحبس ببيعه، والفتاوى المتعلقة بالجلسة وأخرى بالرق وكسب الإماء وغيرها من الموضوعات التي تستأثر بها الحوالات الحبسية وما زالت تحتفظ بها، وتعكس بجلاء الحالة العامة التي تعيشها مدينة فاس ـ مثلا ـ لولا الحوالات ؟

علما أن هذه الموضوعات كانت تشغل بال كل الفئات الاجتماعية على حد سواء، مما يستدعي استصدار ظهائر ملكية تعالج قضايا شائكة، وتأتي بحلول مناسبة، هدفها رتق الفتق وسد ثلمة الخرق، ومرادها الإصلاح وطمأنة المواطنين، من ذلك مثلا الظهير الملكي الذي حل أزمة معاصير الزيتون بفاس، والظهير الذي منع مصاهرة أهل فاس للشرفاء السجلماسيين، والظهير الخاص بتنظيم الاحتفالات العائلية التي طبعتها المباهاة والمغالاة وحب الظهور، وما صحبها من تبرج كان مدعاة لاستنكار فقهاء فاس وعلمائها، هذه الظهائر الملكية التي تفتقر إليها معظم البلاد الأخرى إن لم نقل كلها، والتي يقصد بها تلك القوانين التي يصدرها الملك سواء عرضت على مجلس النواب أو أصدرها

جلالته بمقتضى سلطات خولها له الدستور وهذه التسمية يستأثر بها المغرب، وهي غير معروفة في أي بلد آخر.

ولذلك تعتبر الحوالات بحق ذخيرة عزيزة يحق للمغرب أن يفتخر بها. فإذا أضفت إلى تنوع هذه الموضوعات خصوبتها وندرة المهتمين بها، وقصور البحوث المتعلقة بها رغم ما تكتسيه من أهمية عظمى، وغموض الأحداث والحوادث التي عاشتها فاس في القرن الثاني عشر الهجري باعتبارها متفرقة في كتب التاريخ والنوازل هنا وهناك، ولا تستنبط إلا من ثنايا بعض العبارات والسطور في الكثير من المصادر والمراجع ويصعب بالتالي تجميعها وجعلها موضوعا متكاملا يتحدث عن حالتها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، علمت - ولاشك - السبب الذي من أجله اخترت هذا الموضوع، والذي لم يكن في الواقع إلا إحياء لما هو من صميم المغرب، مرتكزا على مدى تطبيق الفقه الإسلامي، وأهميته وتأثيره في القوانين الوضعية وآثار المذهب المالكي التي تركها في الميادين الفقهية والقانونية وغيرها. والحقيقة أن الذي ساعدني على ذلك أكثر وعلى تناولي للموضوع هو وجودي بهذه المدينة نفسها بين دروبها وأزقتها ومؤسساتها الثقافية والدينية، أجوب أسواقها وأتردد على نظارات الأوقاف بها حيث أهم الحوالات الحبسية، فضلا عن صلتي ببعض الأسر الفاسية التي لها علاقة وطيدة بالحبس وبالظهائر الملكية خاصة منها أسرة آل الغرديس التي كان لأحد أجدادها كرسي بالقرويين، ويكفيها اعتبارا أن يكون القاضي عياض - رحمه الله - قد نزل بمنزلها بزنقة حجامة عند زيارته لمدينة فاس، ويتوفر بعض أفرادها على وثائق حبسية غاية في الأهمية مستخلصة من بعض الحوالات، وأغلبها ظهائر ملكية في موضوعات مختلفة.

2- المنهجية المتبعة :

وبعد إعطاء فكرة عن تاريخ هذا الموضوع وأهميته وسبب اختياري له، سأقدم تصميم دراسته التي تعطي فكرة موجزة عن هذه الأطروحة. فلقد قسمته إلى مقدمة وأربعة أقسام وتسعة أبواب وعدة فصول ومباحث ومطالب ونقاط، تليها خاتمة وملحق. ثم ذيلت هذه الدراسة بدليل لفهارس المصادر والمراجع، وآخر لمحتويات هذه الأطروحة.

- المقدمة :

تناولت في المقدمة الخطوط العريضة للموضوع، وذلك من خلال الإشارة إلى أهم الأحداث المختلفة التي عرفتها مدينة فاس، مع إيماءات خفيفة إلى ما تعكسه هذه

الأوضاع على الحوالات الحبسية، والتذكير بأهم ملوك الفترة وكذا الطابع الغالب على أعمال كل واحد منهم.

وهم على التوالي : المولى إسماعيل والمولى عبد الله بن إسماعيل والمولى محمد بن عبد الله وتركت تفصيل ذلك لصلب الموضوع.

أما القسم الأول فبحثت فيه مفهوم الحوالات الحبسية عن طريق التعريف بها لغة واصطلاحا من خلال جولة مع تعريفات الفقهاء عززتها بتعريف اجتهدت في ابتكاره بعد معاينتها والتعمق في محتوياتها، وعالجت في بابه الأول أهدافها وغاياتها، وتحدثت عما تحتفظ به الخزانة العامة بالرباط من حوالات عاينت بعض أشرطتها، وقمت في الباب الثاني بجرد لأهم الحوالات الموجودة بنظارات الأوقاف بفاس بعد التردد عليها وتسجيل معاناتي في التعامل مع هذه الحوالات ووصفها واستشفاف مضامينها وتجميع موضوعاتها وترتيبها، ولما كانت المراجع والمصادر لا تسعف في هذا المجال، ولا تفي بالمقصود لكونها لا تقدم في أحسن الظروف إلا جردا بأهم الحوالات مرتبة والتعليق عليها تعليقا لا يزيد في أفضل الحالات على السطرين أو الثلاثة، وكان رد بعض المشتغلين بهذا الميدان لا يكتسي أهمية ولا ترجى منه فائدة، كان لابد من الاعتماد على النفس والخوض في الموضوع بكل تأن وصبر، الشيء الذي حتم الاطلاع عن كثب على محتويات هذه الحوالات التي تجعل المهتم أمام عالم مستقل بنفسه في جهازه وموظفيه ومصانعه، مما يضطر معه بالتالي إلى التأني في القراءة والتريث عند إصدار الحكم، والوقوف الطويل عند استقراء النصوص وفك الرموز، وتقييم الوثائق تقييما واقعيا، باعتبارها الأساس الذي ترتكز عليه دراسة حالة المدنية.

وقد تناولت في فصول القسم الأول ما تمتاز به الحوالة الإسماعيلية الفاسية بعد التعريف بمنشئها، وأعماله القيمة في المجالات المختلفة، وأومأت إلى الظروف والملابسات التي صاحبت ميلاد هذه الحوالة وكانت نتيجة لها. وحيث كانت المصادر لا تسعف أيضا استقرأت صك إنشاء الحوالة نفسها ووقفت عند مراسلة أبي علي الحسن اليوسي إلى المولى إسماعيل الذي اعتنى بالميدان عناية خاصة، تتجلى خصوصا في جمع شتات الحبس صيانة له من العبث، وتحبيس الرباع المختلفة على المؤسسات الدينية والمرافق الاجتماعية وغيرها.

وتبين بعد البحث والتنقيب والتحري أن هذه الحوالة : ثلاث حوالات ـ خلافا لما

اعتقده بعض المهتمين بالميدان - وفي هذا الصدد، أبرزت خصائص كل منها، وبسطت محتوياتها ونقط تلاقيها واختلافها، بعد أن قمت بدراستها جميعها على مستوى كل من الشكل والمضمون، وكنت في مجريات هذا البحث أحاور وأناقش وأعلق وأدلي بالبراهين والحجج.

وأُفردت بابي القسم الثالث وفصوله للحديث عن الحياة الثقافية الفاسية وعن أهم القضايا الشائكة التي شغلت بال المثقفين، وهكذا تمت دراسة موضوع الجلسة لغنى الحوالات بالنصوص والفتاوى التي عالجتها، ووقف الكتب على الخزانات العلمية وعلى الذرية، مما وسع آفاق المعرفة التي تربعت عرشها جامعة القرويين وما يدور في فلكها من مدارس ومعاهد وزوايا وكتاتيب قرآنية نالت نصيب الأسد من مداخيل الوقف، كما نال فقهاء هذه الفترة والمهتمين بالميدان الثقافي التكريم والتمجيد والسعادة ورغد العيش بسبب وفرة الأحباس وكيف لا ؟ وقد تأكد أن مدينة فاس هي المدينة المغربية الوحيدة التي لفت أحباسها نظر ابن الخطيب مما يدل على أن هذه المدينة تحتل الصدارة في هذا الميدان على بقية جهات المغرب، الشيء الذي غمر خيره الكثير من بلدان المغرب وبعض الدول الإسلامية وفي مقدمتها بلاد في المشرق العربي كالحرمين الشريفين وبيت المقدس.

وعالجت في أبواب القسم الرابع وفصوله الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وأوضحت بالنسبة للأولى أن المغاربة كانوا سباقين ومنذ القرن الحادي عشر الهجري إلى الاعتناء بحقوق التجار ومصلحة تجارتهم وفقا للمذهب المالكي، وجبت مع التجار والصناع والحرفيين أسواقهم، وأبرزت دور كل من المحتسب وأمناء السوق... أما بالنسبة للثانية فقد وقفت طويلا عند خصوصيات الأسرة الفاسية وعاينت أدق ممارساتها اليومية، وهكذا جلت معها في الخطبة والزواج وحفل الزفاف وإحياء المواسم والأعياد، وتتبعت طريقة اللباس الذي لم يكن أحد الفاسيين يغامر ليخرج عن المعتاد فيه، وأومأت إلى كيفية الاستفادة من المرافق العامة، وأشرت في هذا الصدد إلى الظروف الأمنية والطبية والقضائية....

ومن خلال هذه النقطة أبرزت تأثر القضاء بالروح التنظيمية في عهد سيدي محمد بن عبد الله، إذ تم الالتفات إلى الفئات الضعيفة والفقيرة وإلى المرأة التي كانت تعيش في رهبة من زوجها القاسي وإلى اليتيم. ولم يفتني وأنا مع هذه الأسر أن أذكر بطريقة اكتسابها للعبيد والإماء وأن أشير إلى الويلات والمحن التي كانت الإماء يعانين منها ممثلة على الخصوص في العبث بهن وبشرفهن. ولما كان هذا الموضوع بدوره خصبا

نشطت معه الفتاوي لدرجة أصبح معها بعض الجهال من الناس يعتقدون أن اكتساب عبد أو أمة مأمور به شرعا، وما أردت أن أبرح هذه النقطة دون إبراز موقف الإسلام من الرق.

وأثناء مناقشة وثيقة الرجوع عن ادعاء الانتساب إلى آل البيت كان الحديث عن الأشراف ومكانتهم السامية في المجتمع وما يحظون به من تقدير وتكريم وإعفاءات جعل العوام أشد ميلا إليهم يستعملون بعض الحيل لينبثوا فيهم، كما أن الإقبال بكثرة على مصاهرة الأشراف السجلماسيين جعل سيدي محمد بن عبد الله يصدر ظهيرا بمنع هذه المصاهرة لما تجره من ويلات على أسر الشرفاء حفاظا على أنسابهم وصونا لأعراضهم، وردا لاعتبار زوجاتهم وأبنائهم.

- **الخاتمة** :

أما الخاتمة فكانت عبارة عن خلاصة لأهم الموضوعات التي تمحور حولها البحث. ورأيت إتماما للفائدة أن أضمن الملاحق بعدها بعض النماذج من صيغ التحبيس والرسائل والفتاوي، وكذا نسخا من الظهائر الملكية الموجهة إلى بعض الأسر الفاسية لتعطي للقارئ صورة واضحة عن قيمة الحوالات من ناحية، ويتعرف من ناحية أخرى على طريق تحرير الوثائق مبنى ومعنى، وجعلت ملحقا يتقدمها جميعها يتضمن نصوصا من الحوالة الإسماعيلية باعتبارها مصدر إبراز الحالة العامة في فاس، ولم يفتني أن التقطت صورا لبعض المآثر المحبس عليها، وما تزخر به غريفه التوقيت بجامع القرويين من نفائس قل نظيرها والتي تدل على الاهتمام الكبير بشؤون الرعية والعناية الفائقة لملوك الدولة العلوية الشريفة بالأوقاف في مغربنا العزيز.

وختمت هذه الأطروحة بدليل لفهارس المصادر والمراجع، وآخر لمحتوياتها .

والله ولي التوفيق.

المقدمة

باستقراء أولي وسريع لعنوان هذه الأطروحة يتضح الخطان الرئيسيان اللذان تتمحور حولهما، ويتعلق الأمر بالحوالات الحبسية عامة والحوالة الإسماعيلية خاصة وكذا الحالة الاجتماعية لمدينة فاس في القرن الثاني عشر الهجري، المستنبطة من هذه الأخيرة.

ولما كانت الحوالات بصفة عامة تعكس بما فيه الكفاية الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية لحقبة معينة من تاريخ المغرب فضلا عن الدور الأساسي الذي تطلع به، والذي يتجلى في حفظ الممتلكات الوقفية من خلال تسجيلها في هذه الكنانيش والسجلات، اقتضى الأمر الخوض في عالم هذه الحوالات قديمها وحديثها، وذلك لإبراز ما تشتمل عليه من موضوعات وخاصة الحوالة الإسماعيلية باعتبارها الأساس الذي يعكس واقع المدينة على مستويات مختلفة مع جرد لأهم موضوعاتها، واستشفاف مضامينها واستنباط ما تزخر به من ظهائر سلطانية لا تترك صغيرة أو كبيرة إلا نظمتها، واجتهادات فقهية وعلمية غاية في الأهمية أنارت طريق المهتمين بالميدان مما يجعلها تستحق كل عناية ودراسة.

أما عن المدينة فلا يمكن الحديث عن فاس بمعزل عن باقي المدن المغربية الكبرى ولا الكلام على الوضعية الاجتماعية دون الإشارة إلى الوضعية السياسية والاقتصادية والثقافية، لأن الوضعية الأولى تؤثر في الوضعيات اللاحقة وتتأثر بها، ومن هذا المنطلق فالحديث عن فاس هو حديث عن كثير من المدن المغربية، والكلام على الحالة الاجتماعية لها يحمل في طياته حديثا عن وضعيات اقتصادية وسياسية وثقافية، إذن فما الحالة التي عاشتها مدينة فاس في القرن الثاني عشر الهجري ؟

للجواب على هذا السؤال ينبغي، أولا الحديث عن أهمية المدينة وعن الجو السياسي السائد لأن هذا الجو يعكس ولا شك الحالة العامة لهذه المدينة.

لقد تعاقب على الحكم في الحقبة المومأ إليها ملوك من الدولة العلوية الشريفة أهمهم على التوالي : المولى إسماعيل، والمولى عبد الله بن إسماعيل، والمولى محمد بن عبد الله. وقد طبع حكم كل واحد منهم أحداثاً تكاد تكون مختلفة عن التي طبعت حكم الآخرين.

إذا كانت فترة حكم المولى إسماعيل قد امتازت بالأمن والعافية وتمام الضبط حتى لم يبق لأهل الدعارة والفساد مكان يأوون إليه ويعتصمون به[1]. ولم تسلم فترة حكمه من ثورات واضطرابات في كل بقاع المغرب[2]، فإن فترة المولى عبد الله بن إسماعيل طبعتها الاضطرابات، وسئم الناس الهرج والفتن وملوا الحرب وملتهم إذ كانت أيامه لاسيما أخرياتها كأيام الفترة التي ليس فيها سلطان[3]. غير أن أيام سيدي محمد بن عبد الله امتازت بإنفاقه السخي على المراكب الجهادية والآلات الحربية، وفي سبيل فكاك أسرى المسلمين[4]. لقد كان رحمه الله محبا للعلماء مقربا لهم لايغيبون عن مجلسه في أكثر الأوقات[5]، كما كان مصلحا عدوا للفساد والمفسدين، وفي هذا الصدد ولما كانت قبائل الحياينة طاغية قمع ثورتهم بشدة وقضى عليها[6].

إن المتصفح لتاريخ فاس في القرن الثاني عشر الهجري والباحث فيه والدارس له لتتملكه الرغبة والرهبة، والحسرة والسعادة عندما يقف أمام متناقضات غريبة، ذلك أن التاريخ حافل بأحداث وقعت لهذه المدينة العلمية، أقل مايقال عنها : إنها قاسية جدا، وكتب التاريخ حبلى بهذه الحوادث المضنية المزعجة القاتلة، ولو قدر الله لهذه المدينة أن تنمحي من خريطة المغرب لا نمحت، ولكن شاءت إرادته تعالى أن تستجيب لدعاء مؤسسها المولى إدريس الثاني رضي الله عنه، الذي دعا لها ولأهلها قائلا :"اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها، ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه، واكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق واغدد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق إنك على كل شيء قدير"[7].

---

(1) – انظر الناصري / الاستقصا. ج/.7 ص : 99.
(2)– انظر : اكنسوس / الجيش. ص : 64.
(3)– انظر الناصري / الاستقصا. ج : 8 . ص: 3.
(4)– انظر المرجع السابق. ج : 8. ص : 69 .
(5)– انظر المرجع السابق. ج : 8. ص : 66 .
(6)– انظر المرجع السابق. ج : 8. ص : 16–17 .
(7)– الناصري / الاستقصا 167/1 – ابن أبي زرع / الأنيس المطرب. ص : 49

أحداث لا يجد الباحث لها عزاء إلا عندما يرى تمسك أهلها بقيمهم ومبادئهم وتشبثهم بدينهم وإقبالهم على أعمال الخير والبر اقتداء بالسلف الصالح وتكافلهم الاجتماعي، واهتمامهم الكبير بالعلم ورجاله ونبوغ العلماء والفقهاء في مجالات مختلفة، ونشاطهم المكثف في ميادين شتى من الحياة. وما الحوالات الحبسية التي سأتطرق لها في القسم الأول والثاني من هذا البحث وما تزخر به من موضوعات غاية في الأهمية على مستوى الظهائر السلطانية والفتاوى العلمية والقضايا الفقهية والتبرعات والهبات على الحرمين الشريفين، وعلى الفقراء من الزمنى والعميان والغرباء الذين لا مأوى لهم إلا دليل على ما تعكسه هذه الحوالات من أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية لهذه المدينة وتوضح في نفس الوقت مكانتها وتقرب أكثر المهتم والباحث من الجو العام الذي يسود فيها.

فما المحزن في حوادث فاس ؟ وما المفرح فهيا ؟

إن الحديث ليطول إذا حاولنا رصد كل هذه الحوادث، ولكن في الإشارة إجمالا تذكير الدارسين والمهتمين وتقريب القارئين من وضعية فاس في القرن المذكور.

غير خاف على المهتمين بالميدان التاريخي أن السعديين حاصروا مدينة فاس عدة شهور من سنة 1549 م، فقاومهم العالم الونشريسي فقتلوه[1]. وبموت السلطان كان نذير الفوضى، فالمتنافسون على العرش تسابقوا إلى الوزيعة، يقول الافراني : "واقتحموا، (يقصد شراكة) على الناس ديارهم حتى إن امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيعا عندها، فاقتحم عليها الدار أحد شراكة فهربت المرأة وأغلقت عليها شرفة لها، فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول إليه فأبت المرأة وتمادت على الامتناع فرمى ولدها في الطنجير، فما إن رأته حتى صاحت صيحة عظيمة، وألقت بنفسها عليه فماتت[2].

وكان القتال على أشده بين العدوتين، يقول القادري في هذا الصدد: "ودام الشربين أهل العدوتين حتى كادت فاس أن تضمحل ويعفو اسمها إلى حد أنه حوالي 1640م انقطع الأذان من أعلى صومعة القرويين ردحا من الزمان"[3].

(1) – انظر في الحصار : تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول. ص : 9-15.

(2)– انظر الأفراني / نزهة الحادي. ص : 207

(3)– انظر القادري / نشر المثاني. ص : 389

ومع مرور الزمان، وبعد عدة محاولات استولى مولاي رشيد على فاس عام 1076هـ/ 1666 م فقتل أهم الفرق المتنازعة دون أن يثير أهل المدينة ضده... على أنه لم يلبث أن عامل الفاسيين معاملة حسنة، ولما تمت له البيعة أفاض المال على علمائها، وغمرهم بجزيل العطاء، وبسط على أهلها جناح الشفقة والرحمة، وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة فحل في قلوبهم بالمكان الأرفع وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة[1].

وبقدر ما استطاع مولاي إسماعيل نشر الأمن والطمأنينة... بقدر ما انقلب ذلك بمجرد وفاته عام 1139 هـ حيث استأنفت الاضطرابات "فقد ترك العاهل أولادا كثيرين لتكون سلسلة المطالبين بالعرش أطول من أن تنتهي"[2].

ولا يخفى ما تركه ذلك من قلاقل كان أثرها عميقا على الحياة العامة بفاس.

هذا ولقد ساهمت الكوارث الطبيعية والحرائق بدورها في إضعاف هذه المدينة وحرمان أهلها مما ينعم به غيرهم، ففي سنة 1167هـ ظهر جراد لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وأتى على النبات الأخضر... حتى أن الأشجار لم تثمر في العام وبعده بسبب سم ذالك الجراد[3] وفي سنة 1175هـ وقعت زلزلة بفاس[4]، وفي سنة 1194 انقطع الماء عن القرويين، وسنة بعدها وقعت حرائق بسوق العطارين وسقطت حيطانها وضاعت أموال بذلك[5]. وظهر الطاعون وكثر إلى أن بلغ الموتى في اليوم الواحد من أربعمائة إلى ثمانمائة إلى ألف وأزيد[6] وفي العام العاشر من العشرة التاسعة تفاقم الوباء وتوالى المطر، وتهدمت الدور به بفاس ومات به أقوام[7].

هذا وقد صور الناصري الحياة العامة بهذه المدينة سنة 1150هـ فقال :"هزم جيش الثائرين على مولاي عبد الله يعني العبيد هزيمة عظيمة بعد أن صدر منهم

---

(1)- انظر الناصري / الاستقصا. ج 7. ص : 41.

(2)- انظر : روجي لوطورنو / فاس قبل الحماية. ج : . ص : 126-127-128

(3)- انظر القادري / المرجع السابق . ج : 4. ص: 99 .

(4)- انظر القادري / المرجع السابق : ج 2. ص : 68.

(5)- انظر القادري / المرجع السابق : ج 2. ص : 209-216 .

(6)- انظر القادري / المرجع السابق : ج 2. ص : 252.

(7)- انظر القادري / المرجع السابق : ج 2. ص : 267.

فساد كبير، وذلك على يد البربر، وارتفعت الأسعار جدا، وجعل اللصوص يهجمون على الناس في دورهم ليلا ويقتلونهم وهم يستغيثون فلا يغاثون، وبلغ الخوف إلى أبواب الدور المتطرفة بفاس نهارا فلا يستطيع أحد أن يخرج عن باب مصمودة في العدوة، ولا عن باب القصبة القديمة في الطالعة، ولا عن حومة الحفارين بباب عجيسة، وكثر الهدم في الدور لأخذ خشبها وكثر الخراب وخلت الحارات، فتجد الدرب مشتملا على عشرين دارا وأكثرها أو كلها خالية" (1).

وباختصار فقد عاش أهل فاس حالة من الذعر والهلع والتشريد لم تعرفها المدينة قرونا من الزمان خاصة أثناء حكم كل من الإخوة المولى محمد بن عربية وأخيه المستضيء والمولى عبد الله بن إسماعيل لقد صور صاحب الاستقصا هذه الأزمة بقوله:"... وقدم المولى الوليد حضرة فاس وقبض على الحاج أبي جيدة برادة، وكان ثريا، فقتله وأخذ أمواله وباع أصوله، وقبض على الحاج عبد الخالق عديل فأخذ أمواله، ثم تسلط على أهل الزوايا وكل من ذكر له أنه من أهل اليسار إلى أن استوفى غرضه... هذا والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة، ونهب الدور بالليل بحيث كان أهل اليسار لا ينامون، وصار جل الناس لصوصا والوداية يعيشون في الجنات خارج المدينة ويغيرون على القاصرين بوادي فاس...."(2).

في خضم هذه الحوادث والأحداث نشطت الحياة الثقافية وبرزت شخصيات في الميدان الفقهي قل نظيرها فكانت الاجتهادات والاستنباطات والقياسات والفتاوي، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتصر منها على دراسة قضية تمليك الجلسة ومسألة حجية الحوالة، واحترام لفظ المحبس، وكذا الحديث عن الكثير من العادات السيئة والبدع الشنيعة التي تصدت لها الفتاوي والظهائر السلطانية، فكان زجر المفترين وإرغامهم على الرجوع عن ادعاء الانتساب إلى آل البيت، والضرب على يد الجهلة من تابعي الطوائف الشعبية نظرا لما يقومون به من بدع في المواسم الدينية والأعياد مما يخدش كرامة المواطنين وكان تحديد المدة الزمانية في الأفراح والأتراح منعا لما تفشى في المدينة من مباهاة ومغالاة وحب الظهور، وأملا في خلق مجتمع إسلامي سليم يسود أفراده الإخاء والمحبة والطمأنينة، وغير ذلك مما استأثرت به

---

(1)- الناصري / الاستقصا. ج 7 ص : 145 - 146 .

(2)- نفس المرجع . ص : 145.

الحوالات الحبسيا ، والتي لولاها لضاع الكثير من هذه الحقائق.

وهكذا ظل الامر على ما هو عليه حقبة طويلة من الزمان إلى أن اعتلى عرش المملكة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فانتعش الاقتصاد، وعمت الطمأنينة، وتحسنت الأوضاع، وتسلسل هذا الازدهار في عقبه من الملوك الذين حافظوا على سيادة المغرب وصيانة كرامته. غير أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فما فتئ أن تردى الوضع من جديد بسبب بسط نفوذ الدول الأوربية على المغرب ابتداء من أيام الحماية، ولم يظهر النور من جديد إلا برحيل الاستعمار والحصول على الاستقلال ورجوع الملك الشرعي للبلاد.

تقسيم البحث :

سبقت الإشارة في المقدمة إلى ما تعكسه الحوالة الحبسية من حياة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية لعصر من العصور، فضلا عن وظيفتها الأساسية. كما تضمنت ملخصا موجزا للحالة العامة بفاس والاجتماعية منها خاصة، خلال القرن الثاني عشر الهجري، وما امتاز به هذا القرن من قلاقل وفتن كان لها أكبر الأثر في حياة الأفراد والجماعات بهذه المدينة.

وهذا يقتضي أن نبدأ بحثنا بالتعريف بالحوالة، ثم ننتقل إلى أهدافها وتنوع موضوعاتها، وجرد أهمها، ثم نتبين بعد ذلك محتويات الحوالة الإسماعيلية فنعالج بالدرس والتحليل أهم فتاويها وأخصب موضوعاتها وانعكاس مضامين نصوصها على المجتمع الفاسي بصفة خاصة، وأخيرا نتعرف على الحالة الاجتماعية للمدينة في القرن المومأ إليه، ابتداء من وصف المدينة ومرورا بواقعها المعيش ومكانتها بين باقي المدن المغربية، ووقوفا عند الكوارث والفتن التي حلت بها، وانتهاء بتعليقات بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع.

ولهذا نقسم دراستنا لهذا الموضوع إلى أربعة أقسام :

- القسم الأول : الحوالات الحبسية عامة، والموجودة منها بمدينة فاس خاصة.
- القسم الثاني : الحوالة الإسماعيلية الفاسية.
- القسم الثالث: أوضاع مدينة فاس، وما تعكسه على الحوالة الإسماعيلية.
- القسم الرابع : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ودور الوقف فيهما.

القسم الأول : يتضمن هذا القسم بابين :

الباب الأول : في الحوالات الحبسية بصفة عامة.

الباب الثاني : في الحوالات الموجودة بنظارة أوقاف ولاية فاس باستثناء الحوالة الإسماعيلية.

الباب الأول : تقسيم :

نتناول في فصل أول من هذا الباب، الحوالات الحبسية بصفة عامة، فنتعرف في مبحثه الأول الحوالة الحبسية لغة واصطلاحا، وفي مبحث ثان، أهدافها وموضوعاتها المتنوعة وفي فصل ثان نلقي نظرة على أهم الحوالات الحبسية بالمغرب، ونتتبع في مبحثه الأول، الحوالات الحبسية عبر التاريخ، ونقوم في مبحثه الثاني بجرد لمختلف الحوالات التي ما زالت الخزانة العامة بالرباط تحتفظ بها.

ومن هذا يتضح لنا منهاج بحثنا لهذا الباب الأول والذي يتضمن :

- الفصل الأول : الحوالات بصفة عامة .

- الفصل الثاني : أهم الحوالات الحبسية المغربية.

القسم الأول :

في الحوالات الحبسية عامة ،
والموجودة منها بفاس خاصة

الباب الأول :

في الحوالات الحبسية .

الفصل الأول :

في معنى الحوالة لغة واصطلاحا وفي أهدافها وتنوع مواضيعها.

المبحث الأول :

أ- الحوالة لغة : اعتقد كثير من الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع أن الحوالة آتية من كلمة (حول)، فما هو الحول ؟

جاء في لسان العرب : "حول : الحول :سنة بأسرها، والجمع أحوال وحوول وحؤول، حكاها سيبويه. وحال عليه الحول حولا وحؤولا : أتى . وأحال الشيء واحتال : أتى عليه حول كامل"(1)

وقال رؤية :

أورق محتالا   دبيحا حمحمه

وأحالت الدار وأحولت وحالت وحيل بها أتى عليها أحوال، قال :

حالت وحيل بها، وغير آيها   صرف البلى تجري به الريحان"(2)

وقال الكميت :

أبكاك بالعرف المنزل ؟   وما أنت والطلل المحول(3)

وقال الجوهري : "حالت الدار وحال الغلام، أتى عليه حول، وكذلك دار محيلة، إذا أتت عليها أحوال وأحال الله عليه الحول أحالة، ودار محيلة : غاب عنها أهلها منذ حول، وأحولت أنا بالمكان وأحلت : أقمت حولا. وأحال الرجل بالمكان وأحول أي أقام به حولا، وأحول الصبي فهو محول : أتى عليه حول من مولده"(4).

وقال امرؤ القيس في هذا الصدد :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذي تمائم محول"(5)

---

(1) - ابن منظور / لسان العرب. 785/1.

(2)-رؤية بن الحجاج/ طبقات فحول الشعراء، ص : 579 نقلا عن الأغاني 152/10

(3)- الكميت بن معروف / الطبقات، 1

(4)- الجوهري/ الصحاح، 176/2.

(5)- امرؤ القيس / ديوانه، ص : 113/7. 361

يقال كذلك عن النبات : نبت حولي : أي أتى عليه حول، كما يقال فيه عامي، وجمل حولي كذلك، وقال أبو زيد :"سمعت أعرابيا يقول : جمل حولي إذا أتى عليه حول، وجمل حوالي - بغير تنوين - وحوالية، ومهر حولي، ومهارة حوليات : أي عليها حول. وأرض مستحالة : تركت حولا وأحوالا عن الزراعة[1]. وإذا كانت كلمة(حوالة) على المستوى اللغوي آتية من الحول أي السنة، فما المقصود بالحوالة اصطلاحا ؟

ب- ***الحوالة اصطلاحا :***

الحوالات في شكلها المادي عبارة عن دفاتر ذات حجم كبير، وصفحات متعددة، تسجل بها شؤون الأوقاف. فهي إحصاء مضبوط للممتلكات العقارية ودخلها، وما ينفق من هذه المداخيل على المشاريع الاجتماعية المختلفة، وكذا على المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية وغيرها، كما يوجد بها وثائق متنوعة المواضيع، فضلا عن نصوص بإثبات ملكيات المحبسين لموقوفاتهم، وكذا لفظ المحبس الذي يختلف مضمونه من محبس لآخر، والذي لا يمكن بحال من الأحوال تجاوزه، ولذلك يجد المتصفح لهذه النصوص، عبارة لاتكاد تبرح نصوص التحبيس هاته ويتعلق الأمر ب (ومن بدل أو غير فالله حسيبه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)، يقول الأستاذ المنوني :"وقد عرفت هذه السجلات بالمغرب منذ العصر المريني، غير أن أقدم الأصول الباقية منها إنما ترجع لأيام الوطاسيين[2] وقدم كمثال على ذلك : (حوالة أحباس المرستان بفاس حيث يرد بها تاريخ 905 هـ). وتتكاثر الحوالات الحبسية بعد هذا العصر وخاصة أيام العلويين[3].

يستنتج مما تقدم أن الحوالات تشكل عالما خاصا بها يدعو المهتمين إلى الغوص فيه لاستخراج خباياه. غير أنني وبعد معاينة مختلف الحوالات سواء المصورة منها بالخزانة العامة بقسم الحوالات، أو تلك الموجودة بنظارة أوقاف القرويين والمرستان بفاس ومشاهدتها والتمعن في صفحاتها واستشفاف مضامين نصوصها اتضح لي ما يلي :

---

(1)- ابن منظور / لسان العرب. ص : 758.

(2)- محمد المنوني . المصادر العربية لتاريخ المغرب. 1 / 8 .

(3)- محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب. 1 / 139 .

– ان الحوالات عبارة عن وعاء مادي، وضعت فيه معلومات حول الوقف من حيث الواقفون والموقوف عليهم، والصيغة، و ما يرمي إليه المحبسون من وقفهم مع شهادة الشهود وتوقيع العدول وإمضاء القاضي في بعض الأحيان.

– أن الحوالات عبارة عن ملفات من الورق المقوى العتيق، الصقت بها صفحات تميل إلى اللون الأصفر وقد شد بعضها إلى بعض بمادة لزجة لاصقة تارة وخيوط سميكة أو هما معا تارة أخرى خاصة تلك الحوالات التي خضعت للترميم.

– أن الحوالات عبارة عن دفاتر من الحجم الكبير المستطيل الشكل بعض صفحاتها مسطر، والبعض الآخر غير مسطر، ضمت جميعها معلومات حول الوقف والفتاوي وبعض الظهائر السلطانية فضلا عن عادات وتقاليد بعض الأسر خاصة فيما يخص الأفراح والأتراح وتجهيز العروس وغير ذلك.

– أما إطلاق لفظة (حوالات) على هذه الدفاتر والسجلات فإنني أعتقد أن الإسم الذي اشتقت منه وهو (حول) جاء كناية عن الدهر، لأن هذه الحوالات تحدته بصمودها وثباتها وتماسكها واستمرارها ولو بعد مضي قرون عديدة على بعضها، كما سيتضح ذلك عندما يتم جرد هذه الحوالات وإدراجها حسب تسلسلها التاريخي.

يذكر الأستاذ محمد المنوني في معرض حديثه عن الإفادات التاريخية غير المحددة ما يلي : ومن جهة أخرى : وثائق الحوالات الحبسية، ومجموعات المراسلات: ديوانية، وسواها. فضلا عن معطيات الوقفيات المسجلة بأوائل عدد من الكتب، ومن معطيات الكتابات على النقود والمباني وما إلى ذلك"[1]

وممن اهتموا كذلك بموضوع الحوالات، الدكتور عمر الجيدي الذي عرف الحوالة بقوله :"والمظنون أنها سميت بالحوالات لأنها حولت إلى وثائق فريدة، وضمت إلى ديوان شامل لها، أو لعلها آتية من الحول بمعنى العام، لملاحظة أنها تتجدد في كل سنة في أكثر الظروف التي مرت بها الأوقاف.

كما أنها تعرض باستمرار للمراجعات والمتابعات الأمر الذي يدل على اشتقاقها

---

(1)– محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب. 8/1 .

من الحلول أو من التحويل، لأن وثائق التحبيس حولت ونقلت إليها، أي إلى هذه السجلات، ويستشهد الدكتور الجيدي في هذا الصدد بما جاء على لسان الباحث سعيد أعراب في قوله :"وتعرف اليوم بالحوالات الحبسية لأن وثائق التحبيس حولت ونقلت إليها، وكان كلما تجمعت أملاك وأوقاف دونها القاضي بنفسه أو أمر بعض العدول البارزين لديه بتدوينها" وقد شاطر الدكتور الجيدي رأي الأستاذ المنوني في التأكيد على أن أقدم الحوالات يرتقي إلى أيام المرينيين، ثم تكاثر تدريجيا وتكثر مع العصر العلوي"[1].

والظاهر أن التعريفين معا مأخوذان من إحدى الحوالات لأنه نفس المعنى الوارد في الحوالة الإسماعيلية حيث نجد :"... وزمام تكسير الأحباس وهو المعبر عند اليوم بالحوالة لأنه نقل وحول من أصل تحبيسه إليها[2].

وفيما يخص إثبات النصوص في الحوالات يعتقد الأستاذ سعيد أعراب "أن تدوين المعلومات في الحوالات مر بمراحل تبتدئ المرحلة الأولى من نحو سنة 980هـ/1012 م على يد القاضيين أبي العباس ابن عرضون (992 هـ) وأخيه أبي عبد الله (1012 هـ) اللذين يرجع إليهما الفضل في تنظيم هذه الأوقاف والسهر عليها، بعد أن دوناها في كنانيش خاصة وجعلاها حجة أمام المحاكم تقضي بها الحقوق"[3] .

تلك هي أوصاف الحوالة أو تعريفاتها في شكلها المادي ولكن، ما هي أهمية هذه الحوالات ؟ وما قيمتها / ذلك ما نستعرضه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

(1)- مجلة دعوة الحق. ربيع الأول 1405 نونبر 242 .1985 ، ص : 50 و .51

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم .46 ص : 72 (وقد ورد هذا التعريف أثناء الإجابة عن سؤال، سنتطرق له عند بسط فتاوي هذه الحوالة ومناقشتها، والجدير بالإشارة أن ما يسمى بالحوالات في وقتنا هذا، كان يطلق عليه قديما أي قبل حكم المولى إسماعيل على الأقل : زمام تكسير (الأحباس) وهو لفظ ما عثرت عليه عند أي مهتم بالموضوع.

(3) المجلة السابقة . ص : 51

المبحث الثاني :

أهمية الحوالات وتنوع مواضيعها

لاشك أن أهمية الحوالات تكمن في أهمية الوقف والحفاظ عليه صيانة له من التلف والعبث، استمرارا لتعاليم ديننا الحنيف، جاء في جواب الونشريسي عن دور الحوالة (مثلا) في كيفية المحاسبة في الأحباس ما يلي : (المحاسبة أن يجلس الناظر والقباض والشهود وتنسخ الحوالة كلها من أول رجوع الناظر إلى آخر المحاسبة، وتقبل وتحقق ويرفع كل مشاهرة أو مسانهة أو كراء، أو صيف أو خريف، وجميع مستفادات الحبس حتى يصير ذلك كله نقطة واحدة، ثم يقسم على المواضع، لكل حقه، ويعتبر المرتبات وما قبض من تخلص ومن لا، وينظر في المصير، ولا يقبل ذلك إلا جميع شهود الأحباس وكذلك جميع الإجارات من لقط الزيتون وآلة ونفض، ويطلب كل واحد بخطته، ومن أفسد شيئا لزمه غرمه، ومن ضيع شيئا من ذلك من شهود الأحباس وجب القيام به عليهم، وتعجيل ذلك، وكذلك يجب على الناظر، وهو المطلوب به، وإلا فلا يجوز تركه، فإن تركه كان مضيعا)[1]

كما تحدث الشيخ محمد المكي الناصري رحمه الله بإسهاب عن أهميتها وتنوع مواضيعها فقال : تراث خالص للمسلمين تركه السلف ضمانة لاستمرار تعاليم الإسلام ونظرا كذلك ما للأوقاف من قدسية وحرمة دينية، وكلوا أمرها إلى من يكون أكبر حارس لها، وأحرس الناس على حفظها من عوادي الزمن، وعبث الأيدي الأثيمة من أن تمتد إليها، وهكذا وكلت إلى نظر القضاة الشرعيين، وأصبحت من اختصاصاتها وإليهم أسند أمر حفظها وصيانتها، وكان النظار يعتبرون بمثابة نواب عن القضاة يديرون الأوقاف تحت إشرافهم ومراقبتهم الفعلية، كانوا بذلك ملزمين أمامهم وأمام جماعة المسلمين بصرف مداخيله طبقا لرغبات الواقفين... ولما كثرت الأحباس وتعددت أنواعها من رباع وعقار وأموال وثمار وخيف عليها الضياع والنسيان، أمر النظار في كل جهة من الجهات بإحصاء الأوقاف وتسجيلها في دفاتر وكنانيش خاصة ورسمية تكون وثيقة قانونية وتاريخية بين أيدي الأجيال القادمة حتى يتعرفوا بواسطتها على أملاك الأوقاف ومقاصد الواقفين، وكان من ذلك ما

---

(1)– الونشريسي / المعيار المعرب والجامع المغرب، 7/302

يسمى بالحوالات الحبسية"[1].

وعن أهميتها في التعريف بتاريخ المغرب الحضاري، استعرض الأستاذ محمد المنوني محتويات بعض ما تزخر به هذه الحوالات فقال : "تكشف الحوالة عن أسماء الخطط والآثار والأشخاص والأسر، مع العلم بأن عددا من هذه صار غير معروف من بعد، كذلك تحتفظ هذه المستندات بمعلومات عن النظام الإداري بقطاع الأوقاف وأسماء القائمين بها ومرتباتهم، فضلا عن الأنظمة الدينية والتعليمية والاجتماعية للمساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية المندثرة، هذا إلا أن كثيرا من وثائق هذه الحوالات ينبث بها تسلسل عدد من العائلات المتعددة، مضافا لذلك بعض لوائح الكتب الموقوفة .على المؤسسات التعليمية، ومجموعات من الفتاوي مذيلة بأسماء المفتين، وقد كان أول اهتمام معاصر بهذا اللون من الوثائق : تناول حوالة أحباس طنجة فنشرت مصورة في نصها العربي بباريس سنة 1914 في 330 لوحة بعناية المستشرق الفرنسي "ميشوبللر" كما أن المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان استغل حوالات مكناس في تاريخه : أتحاف أعلام الناس"[2].

ولا شك أن السبب الرئيسي والمباشر الذي من أجله أنشئت هذه الحوالات يكمن في العزم القوي على الحفاظ على ما تضمنته من أحباس، والاعتناء بها، وتفقد أحوالها، وهو الهدف الذي كان يروم إليه كل من فكر في إنشاء اية حوالة، ولذلك جاء في صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية :"... توجهت وجهته" المقصود هنا المولى إسماعيل "وجهة حذر وتحر وتوخ وتبر للنظر في جملة الأحباس وما عسى أن يعرض فيها من التلف والاختلاس والالتباس بأملاك الناس سيما مع طول الزمان وضعف الأمان وخصوصا أوقاف مدينة فاس لكثرة أوقافها واختلاف أصنافها"[3].

ومما جاء كذلك في صك إنشاء الحوالة السليمانية :"وقد وجه أعلى الله معالج قدره" المقصود هنا المولى سليمان".. نحو الحبس وجهته، وصرف إليه همته، فتفقد أحواله، ... فاقتضى نظره السديد، ورأيه الموفق الرشيد، أن يأمر أيده الله نسخها

---

(1)– الشيخ محمد المكي الناصري / الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية. 1412 – 1992 طبع بأمر صاحب الجالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

(2)– محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب. 1/8 .

(3)– الحوالة رقم 47. ص : 4. أنظر النص كاملا بالباب الأول من القسم الثاني من هذا المبحث.

وتجديدها (يقصد الحوالة)، وتعيين رسومها، وحدودها حفاظا لها من التلف والالتباس والنهب والاختلاس... فعين لذلك من تشرف بخدمته وتعرف بعلاميته..."[1]

هذا وقد استخلص الدكتور الجيدي أن الغيرة على حقوق الغير هي التي دفعت ابن عرضون إلى تدوين هذه الأحباس، واعتبره بالتالي أول من نظم الأوقاف بشمال المغرب فضلا عن إحصائه لأملاك أوقاف مدينة شفشاون وما حولها، ولم يفته أن جعل لكل مسجد ناظرا يقوم على شؤونه، ويطوف على رباعه وأملاكه، الشيء الذي انعكس إيجابيا على الفقراء والمحتاجين وكان فيه غنى للعلماء والمتعلمين، وأدى إلى قيام نهضة فكرية، ثم استشهد بقول القاضي عبد الله مخشان الغماري" 1042 هـ" الذي أكد تدوين ابن عرضون لكل أوقاف عمالته حماية لها من الضياع. وفي ختام مقالته قدم جردا بمختلف الدواوين، وما اشتملت عليه من صفحات، والعبارات التي تذيل بها كل وثيقة[2].

وعن تنوع مواضيعها، يلاحظ أن الحوالات تضم فضلا عما ذكر، أسماء مغمورة للأفراد والأسر وبعض العادات، وصوراً للأخلاق الشعبية، يقول الأستاذ المنوني في معرض حديثه عنها : "بينما نستنتج - فيما نستفيد - من الحوالات الحبسية، ومن بعض مدونات النوازل عددا من الأسماء المغمورة للأفراد والأسر والخطط المندثرة : فضلا عن بعض العادات، وتوضح نقط تاريخية هامة. وتمتاز الحوالة الوقفية بما تقدمه من صور للأخلاق الشعبية في ميدان البر والإحسان : بواسطة مضمون تحبيسات الأفراد على مختلف المشاريع الإنسانية"[3].

ثم قام بجرد الأبواب والفصول التي تحدثت عن الرسائل والبطائق وإنشاء المدارس والمساجد والصوامع، وكذا إنشاء الزوايا وبناء المارستانات، وفي هذا الصدد يقول : "هذه هي الأبواب التي اختار منها الأستاذ المنوه به النخب التي نشرها من المسند الصحيح الحسن"[4] ثم اقتصر الأستاذ المنوني بعد تطرقه للفتاوي على مجموعة وثائق تؤلف ما اصطلح على تسميته بالحوالات، وكان قصده من ذلك:

---

(1)- الحوالة السليمانية. ص 38 –39 .

(2)- مجلة دعوة الحق. العدد .242 ص : 50 –51 .

(3) محمد المنوني / المصادر العربية لتاريخ المغرب . 8 / 1 .

(4)- نفس المرجع . ص : 114 .

التعريف بالأوقاف التي جمعها سجل حوالة أحباس تازة في جزئه السادس فقال: "ومن مجموعة الفتاوي ننتقل إلى مجموعة وثائقية من طراز الحوالات، وهذه الوثائق الوقفية التي حولت إلى دفتر يجمعها، فتسمى لذلك حوالة، والقصد هنا إلى (حوالة أحباس تازا) وبالضبط في جزئها السادس حيث يحتفظ بنسخ لوثائق وقفية فيها ما يرجع إلى العصر المريني بأقسامه الثلاثة ...."[1]

وعن دور الحوالات وأهميتها في شرح الحقائق والغايات التي أنشئت من أجلها، فضلا عن حفظ الأوقاف وصيانتها وتطبيق رغبة الواقف، يقول الأستاذ عبد السلام بن سودة في معرض حديثه عن الزوايا وعلاقتها بالأوقاف والناظر :"وقد كان لهذه الزوايا عدة أوقاف وناظر خاص وحسابات خاصة تصرف على مستحقيها ومصارفها الشرعية أيام كان الناظر ناظرا والدين متمكنا راسخا في القلوب فأين تجد الحديث عن هذه الزوايا لولا هذه الحوالات القديمة التي تشرح لنا كثيرا من حقائقها والغاية التي وضعت لأجلها. وقد بقي ماثلا من آثار هذه الزوايا بعض أطلال زاوية "تاحض.يت" بقرب مسجد الصابرين، وما يقال فيها يقال مثله في الحوالات المتعلقة بالمدارس العلمية المضافة للقرويين وبيان دخلها وصائرها وأوجه مصاريفها إلى غير ذلك من القضايا المهمة في تاريخنا العلمي والثقافي والاجتماعي مما يؤدي تتبعه إلى كتب عدة صفحات"[2].

---

(1)– نفس المرجع . ص : 114 .

(2)– عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى. ص : 14.

الفصل الثاني :

أهم الحوالات الحبسية في المغرب.

المبحث الأول :

الحوالات الحبسية عبر الحقب التاريخية.

تتبعا لتاريخ الحوالات يجد الباحث نفسه أمام حوالات هامة كالآتي :

– حوالة عام 904 – 905 هـ عندما كان الناظر أبا العباس أحمد محمد اللمطي، ومن جملة ما تضمنته الربع الخاص ريعه لمكة المعظمة،[1] علاوة على اشتمالها علي بعض حوانيت الموثقين وفندق الشماعين.

– ثم حوالة 907 – 908 هـ طولها 44 سنتم وعرضها 15، مسطرتها تتراوح من 10 سطور إلى 15 سطرا، والشاهدان فيها أحمد بن محمد غازي ومحمد بن رضوان.

– ثم حوالة 910، وكان الناظر الفقيه العدل عبد الله محمد بن الشيخ اللمطي، وهي تبتدئ بدكاكين سماط العدول، ابتداء من الخارج من سوق الشماعين "المنجانة" يسارا.

– ثم حوالة 918 والتي تحتوي على عقد أكرية الحبس على مؤذني[2] . الليل بصومعة القرويين بأواقي دراهم النقرة على يد مزوارهم[3] الفقيه الموقت محمد بن الشيخ التارجر بن عبد الله محمد المنافي الشهير بالمشاط أواسط ذي الحجة من السنة المذكورة[4].

– ثم حوالة 921 في عهد محمد البرتغالي وقد أثبتت في صدرها ما كان أوصى به العاهل المريني أبو فارس عبد العزيز، وكذلك عبد الحق على الأسرى، وتنص الوصية على رجوع المداخيل لجامع القرويين إذا لم يكن ثمة أسرى.

---

(1)– بحومة القطانين بفاس فندق فخم، كان يحمل تربيعة مكة.
(2)– بلغ عدد المؤذنين والقومة في عهد الجزنائي زهاء أربعين مؤذنا.
(3)– المزاور يعني باللغة المغربية النقيب، وكان الموقت نقيبا للمؤذنين. (المجلد الثاني/التازي).
(4)– من نماذج التزامات الكراء لبعض البقاع الوقفية " التزام كرائها لجميع عام تاريخه من أوله. سكنها عبد الرحمان بن قاسم الجناني بثلاثة دراهم في الشهر يدفع واجبه كل شهر عند تمامه وعقد له الناظر".

– ثم حوالة 922 التي تحتفظ بنص وصية الشيخ عبد الملك بن حيون المتوفى في نهاية القرن السادس الهجري(1).

– ثم حوالة 956، والتي تحمل عناصر جديدة إذ تتحدث بالإضافة إلى سماط العدول بالقرويين، عن سماط العدول قرب جامع الأندلس، وعن السماط المستحدث بالطالعة قرب المدرسة العنانية وتتحدث الحوالة على المؤذنين ومزاورهم محمد المواسي وعن المتعهدين(2).

– وحوالة 957، وهي تحتوي على زمام مبارك، ويتضمن الربع المخصص خراجه لمكة المعظمة.

– وحوالة 958، وفي جملة ما تتضمنه "محاصة" لمدرسة الخصة لثلاثة أشهر أولها ربيع الأول، وكانت العادة إجراء هذه المحاصة أربع مرات في السنة لسائر المدارس الباقية، ومنها مدرسة الوادي.

– وحوالة 959، وفي جملة ما تضمنته "تعويض" بعض الدور لمصلحة أوقاف القرويين وقد رددت صدى هذا التعويض بعد نحو من عشرين سنة حوالة 979.

– وتمتاز سنة 961، بعدد من الزمامات، نلاحظ في بعضها، اختفاء ذكر "المنجانة" عند ذكر التعويض للحوانيت التي على يسار الخارج من سوق الشماعين.

كما نقف في بعض، الزمامات على لائحة بما دفعه القباضة : علي بنيس من راس الشراطين، وأبو سعيد بن عيسون من الطالعة، والأمين محمد التازي من العطارين، والزهوني من الحمامات والفنادق، وعبد العزيز الكوهن من الأطرزة، محمد بن زكري من القيسارية، وأبو سويطة وعبد الحق بنونة وعمر البرادعي،

(1)– ابن أبي زرع / روض القرطاس. ص : 74 .

(2)– كانت هناك اعتمادات للمتعهدين في حفظ الجامع وإغلاق أبوابه وتفقده بعد انصراف الناس من صلاة العشاء الأخيرة وإخراج من يريد أن يقضي به ليله، وحمايته من دخول من لا يليق، وقد أدرك الدكتور عبد الهادي التازي كما أدرك من كانوا في سنه (في مدينة فاس) وسمعوا كما سمعت منذ صباي عن شخص كان يلقب ب (بوسويطة) لأنه كان يحمل سوطا يطرد به الفضوليين، وكان يضع على رأسه شاشية حمراء ويحتزم كرزية.

ويوعياد التازي، كل هؤلاء دفعوا المبالغ المستحقة للناظر مولاي مسعود ودفعها إلى مولاي أبي حسون آخر ملوك بني وطاس بفاس، وقد قبضها الرايس نائبا عن القبطان حيضر في براءته[1].

كما نقف في بعضها نحو قريب مما سبق، بإضافة بعض الزيادات التي تعطي بعض الشرح وتنير بعض الزوايا في التاريخ المغربي، قد نص هذا الزمام على (المدفوع للترك)[2]. يوم الأربعاء 21 جمادى الأخيرة، وفي يوم الجمعة للتوركي مصطفى، وفي يوم السبت 25 جمادى الأخير، المدفوع لمن يذكر من مال الأحباس، الالفي أوقية الذي وقع من الصلح في منتصف شهر رمضان 961 هـ : (الحمد لله قبض القائد يوسف سنان من مال للأحباس ألف أوقية وإحدى عشرة ممن ذكر أعلاه، ليسيرها في مرتب الترك) ثم توقيعات رائعة أغلب الظن أحدهما للمولى أبي حسون وثانيهما للناظر عبد الحميد بن الفقيه محمد بن الناصر العسكري، وقد كتب الحوالة أبو الفضل الرعيني.

- وحوالة 962، وفي جملة ما تضمه من وثائق مما ينبغي أن يقارن بالمعلومات التي قدمها ابن الوزان الفاسي : "بعد أن ألتزم القابض المؤتمن عبد العزيز ابن يحيى الكوهن، قبض ما لقبضه من أحباس بمدينة فاس على أن تعطاه على ذلك أجرة ربع عشر ما يقبضه، وذلك بحضور الناظر الأرفع عبد الحميد بن الفقيه محمد بن الناصر".

- وحوالة 963، وفي جملة ما تضمنته لائحة خاصة بقوام الليل بأشراف مزوارهم الفقيه أبي الطيب بن أبي عبد الله محمد الظريف التونسي .

- وحوالة 964، وقد أصبح مزوارا للمؤذنين، أبو محمد عبد الواحد بن الفقيه الموقت أحمد المواسي وهي تتضمن كذلك تفصيلات للأوقاف التي كانت على بعض

---

(1)– مما يؤكد سيطرة الأتراك المؤقتة على مدينة فاس أواخر دولة بني وطاس، ما وجد بوثيقةإسبانية بقلم (الكونت دال كونديت) سنة / 961 تقول : إن صالح الرايس باشا الجزائر الذياحتل فاس في نفس العام نادى بنفسه ملكا على المغرب باسم السلطان العثماني ونصب أبا حسون خليفة له، (الاستقصا. ج : 4. ص: 149)

(2)– تاريخ الدولة التاكمارية.ص : 19 .

المساجد القديمة، مثل مسجد الصابرين وطريانة[1].

- وحوالة 965، وتتضمن ذكر جامع باب الحبيسة الذي شيد منذ عهد بني مرين، كما تتضمن وصفا لبعض جهات المدينة.

- وحوالة 966، وقد تغير مزوار المؤذنين فيها، وأمسى محمد المدعو الصغير بن الحاج الذي كان يسكن في مصرية المفتي.

- وحوالة 967، وتتضمن زماما بالأرضين التي تمتلكها القرويين خارج المدينة.

- وحوالة 971، وتتضمن زماما لعقد الأكرية، وزماما للواجبات في الغلات الصيفية خارج باب الحديد والشريعة والمسافرين.

- وحوالة 975، وكان فيما اشتملت عليه زمام محاصة للزوايا بفاس، وكان منها زاوية تاحضريت، والحرة عربية، وزاوية العجم، وابن سيد الناس، والمومناني.

- وحوالة 978، وتحتوي على عدة زمامات كان منها "زمام مبارك" يشتمل على عقد أكرية ربع الأوقاف على يد الناظر أبي عبد الله محمد بن الناظر المرحوم عبد الحميد العسكري.

- وحوالة 979، وتحتوي على زمامات، فيها ما يؤكد التعويض الذي حصل منذ عشرين سنة وقد كان من الدور المعوضة، دار في أقصى السبع لولايات وفندق الرصاع الذي عوض بحانوت بالفخارين ونصف حانوت بالصفارين والقدماء مع سيدي محمد بن بكار، ومن الزمامات آخر يشتمل على بيع ورقة التوت بجنان الحبس خارج باب الحديد وباب المسافرين وباب المحروق وباب الفتوح.

- وحوالة 984، وقد أصبح الناظر الجديد محمد بن أبي القاسم المشاط، وفيها زمامات تحتوي على عقد أكرية، كان منها دور في السبع لويات حيث كان يسكن القاضي عبد الوحد الحميدي، ويرد الزمام ذكر دار المنجانة المجاورة لبرج الأنفار

(1)- مسجد الصابرين هو الذي كان مجاورا لمدرسة الصابرين عهد المرابطين، ومسجد طريانةهو الذي كان ابن تومرت ألقى درسه فيه في أواسط العهد المرابطي، ويعتبران من المساجد التي كانت بمثابة فروع القرويين.

(ومصرية الموقت) المحملة على باب الشماعين.

- وحوالة 987، وفيها زمامات ما كان خاصا بمحاسبة القاضي الحاج قاسم.

- حوالة 990، وفيها زمامات تحتوي على عقد أكرية لمدة عامين شمسيين، وتتضمن عدة أجنحة، وقد كان العدل فيها محمد الماواسي.

- وحوالة 991، وهي التي تتضمن المنشور الذي يدعو فيه القاضي العدول كافة لأداء جميع ما في ذمتهم من كراء الحوانيت، لإصلاح "القبة" لأن الناظر عزم على ذلك، وفيها صلاحهم وصلاح المسلمين[1] وقد كان القاضي في هذا الوقت عبد الواحد الحميدي، والناظر محمد بن أبي القاسم المشاط.

- وحوالة 994، وهذه هي الحوالة التي اعتمدتها الحوالة السليمانية، بعد أزيد من قرنين من الزمان، وهذه الأخيرة ستكون من جملة الحوالات التي ستتم دراستها على مستوى الشكل والمضمون[2].

- وحوالة 998، وتضم قوائم لغابات الزيتون بمنزل صاحب خارج باب الجيسة وبالحافة خارج باب المسافرين، وقد كان شيخا النظر في الموضوع حمو بن داود اللمطي، وزميله يوسف بن عمر الترعي، هما اللذان اعتمد عليهما قاضي الجماعة والشاهدان.

- وحوالة 1008، ومن جملة ما تحتوي عليه شهادة أهل النظر بما أصابته الحاجة من الأرضين التابعة للأوقاف (أوقاف القرويين) وهي موقعة من أصحاب النظر، وتدقق فيها أجيح منه الثلث، والذي أجيح نصفه، والذي أجيح منه ثلاثة أرباعه[3].

- وحوالة 1025، وتتضمن عدة زمامات فيها ما يتعلق بعقود أكرية الربع

---

(1)- من أبرز الاحتمالات أن القصد بالقبة قبة الخزانة الأحمدية لحفظ المخطوطات). أنظروا د. عبد الهادي التازي / جامع القرويين، ج 2، ما يتعلق بالحوالات.

(2)- الحوالة السليمانية من ضمن حوالات كثيرة وهامة تزخر بها خزانة نظارة القرويين والمرستان.

(3)- يدل ذلك على عدم تساهل المشرفين على الأوقاف في تقدير الكوارث التي قد تحل بأملاك الجامع

المحبس على المسجد الأعظم من فاس، وما أضيف إليه من المدارس والمساجد والزوايا وغير ذلك وقد كان الناظر على الأوقاف في هذا التاريخ الذي يصادف نهاية السعديين هو محمد بن محمد بن جلال.

- ثم حوالة 1052، على عهد سيدي محمد الأول، ويلاحظ أن التقييد كان يعتمد فيها على أواقي النقرة وكسورها، كما يلاحظ خلو دكاكين السماط من أسماء العدول وتعتبر هذه الحوالة أول حوالة مباركة على عهد الدولة العلوية الشريفة.

- ثم حوالة 1058، كانت مشتملة على زمام للأكرية أيضا عن إذن الناظر الفقيه أبي محمد عبد الوهاب بن الفقيه العربي الفاسي.

ثم حوالة 1059، كانت مكتوبة على رق الغزال وما يزال الناظر هو نفسه السنة السابقة ويلاحظ أن أسماء العدول أخذت تظهر إلى جانب دكاكين السماط، ويدل ذلك على أن المدينة أخذت تسترجع هدوءها وتنسى الفتنة التي تميزت بها أواخر أيام السعديين.

- وحوالة 1075، عهد المولى الرشيد وقد أمسى الناظر هو محمد بن العربي بن الشريف سيدي محمد الشفشاوني، وكاتب الحوالة هو مسعود بن عبد القادر الطليط الذي كان دكانه هو السادس على يمين الخارج من باب القرويين "الشماعين".

– وحوالة 1079، نلاحظ فيها أن الكتاب أخذوا يبتدئون في عدد حوانيت السماط من التي توجد يمين الخارج من باب القرويين المقابل لسوق الشماعين، وكانوا يبتدئون يسار الخارج من السوق، وقد ترك مكان اسم الناظر بياضا[1].

– وحوالة 1080، كان الناظر المشرف عليها هو أبا سالم أبراهيم ابن الحاج محمد مسامح الأندلسي المكناسي حيث مسطرتها ومن حيث ضبطها واتقانها، وقد كتبت لأول مرة في نسختين مكررتين زيادة في الاحتياط لما عساه يحدث[2].

---

(1)– الدكتور عبد الهادي التازي، ج : 3. ص : 705 .

(2)– د. عبد الهادي التازي، جامع القرويين . ج : 3. ص : 706 .

هذه الحوالة هي المستهدفة من الدراسة، ولذلك بعد التحري والتعمق في كل من النسختين تبين أنه خلافا لما اعتقده الدكتور عبد الهادي التازي، فإن الحوالة ليست في نسختين مكررتين . (انظر الفصل الخاص بالحوالة الإسماعيلية من هذا البحث).

– وحوالة 1115 كانت هي الحوالة الإسماعيلية التي تمتاز بما لم تسبقها أي حوالة قبل من حيث مسطرتها وفي حيث ضبطها وإتقانها، وقد كتبت لأول مرة في نسختين مكررتين زيادة في الاحتياط لما عساه يحدث.

– ثم حوالة 1124، أيام السلطان المولى عبد الله (الولاية الأولى) وقد كان الناظر هو السيد أحمد بن محمد قصارة الذي أمره المولى عبد الله بإحصاء شامل لما كان في المستودعات والمخازن بالقرويين : مخزن الزيت ومخزن الحصور. وتتضمن الحوالة العبدلاوية لائحة مهمة للمخطوطات التي أهداها للقرويين السلطان المولى عبد الله (في ولايته الرابعة) في 22 رجب 1156 هـ[1].

– أما حوالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) فقد كانت حوالة جده المولى إسماعيل احتفظ بها تبركا وتأدبا، وكان يضيف إليها ما تقضي الحاجة بإضافته، كالتزامه للحرمين وأهل الحجاز ومصر والاسكندرية، وللشيخ أحمد زروق بمصراته من ليبيا، ومن المعلوم أن هذا العاهل قدم للقرويين أيادي بيضا في مختلف المجالات[2].

– ثم حوالة 1219، السليمانية، وقد كان الناظر على عهد المولى سليمان السيد الحاج عبد النبي بنيس[3].

– ثم حوالة 1245، للسلطان المولى عبد الرحمن، وقد جمعها على يد قاضية مولاي عبد الهادي الحسني العلوي، وكان الناظر أنذاك هو السيد علال الشامي.

– ثم حوالة 1275 هـ على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي عين الفقيه أبا بكر عواد للنظر في أمرها. وكانت حوالة القرويين قدوة للسلطان المولى عبد العزيز فأمر عام 1315 بإنشاء حوالة لمدينة الدار البيضاء وكان لذلك معنى ومغزى فقد شعر العاهل بما تمليه ظروف (اختلط فيها الحابل بالنابل) أصبحت البلاد مهددة بالغزو الأجنبي الذي لا يعرف حاجزا في طريقه. وفي سنة 1332 كانت الحماية الفرنسية قد تمكنت من سيطرتها على البلاد. ولما كان السلطان

---

(1)– نفس المرجع ونفس الصفحة.

(2)– التاودي، النوازل ص : 77 .

(3)– والملاحظ أن هذه المرة الأولى التي تعتمد فيها الحوالات على استعمال الأرقام العربية.

المولى يوسف يستشعر القولة السائدة : (إذا رأيت مالك في خطر فأدرك بعضه) فقد اتجه إلى (البعض الأهم) ولم يكن (هذا البعض) في نظره إلا الحفاظ المطلق على عنصرين اثنين : الدين واللغة.

وبهذا تفسر عنايته بالحوالات السابقة وأمره بتجريدها وتجديدها، وبخاصة الحوالة السليمانية منها، وكان منه ذلك رحمه الله بمثابة إعلان عن تخوف لما يهدد نصيب ممتلكات جامع القرويين الحارس الأمين على اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف.

وبهذه الروح أصدر مرسوما يقضي بإعانة الأوقاف من ميزانية الدولة إذا ما عجزت عن أداء متطلباتها، فإن كل شيء يمس القرويين غدا مهددا، كما أصدر ظهيرا بإدماج حبس ضريح الإمام ابن العربي في أحباس القرويين حتى لا يتلاشى من بين المقابر الأخرى هناك(1).

المبحث الثاني :

ما بالخزانة العامة من حوالات.

هذا وإن الخزانة العامة بالرباط(2) لتتوفر على مجموعة كبيرة من أصول هذه الحوالات وصورها، يجد فيها الباحث - في ميدان الحوالات خاصة والمهتم بقضايا الوقف عامة - ما يشفي غليله ويروي ظمأه. الشيء الذي يؤكد من ناحية أخرى على محافظة المغرب على آثاره الأصيلة واعتنائه بهذا التراث العظيم الذي يبرز مدى اهتمام المغرب عبر عصوره بمواطنيه بكل طبقاتهم وفي جميع قضاياه وفي مقدمة ذلك، المجال الديني والاجتماعي، وهذا جرد بالحوالات الحبسية التي مازالت الخزانة العامة بالرباط تحتفظ بها.

---

(1)- مجلة اللقاء، مارس 1968 . ص : 40 .

(2)- الخزانة العامة - قسم المخطوطات والحوالات. "الرباط".

المكرر فيلم	رقم الحوالة خ . ع	أسماء الحوالات الحبسية	عدد الصفحات
118	9	حوالة الأحباس العباسية بمراكش ج 1	
119	10	حوالة أحباس كبرى بمراكش	70
120	11	حوالة أحباس العباسية بمراكش ج 1	158
125	12	حوالة سيدي محمد بن سليمان الجزولي	223
126	13	حوالة أحباس زرهون حسب الترتيب 13	84
127	14	حوالة أحباس زرهون رقم 14	195
137	25	حوالة المارستان بفاس رقم 6	23
138	26	حوالة مولاي بوشعيب أزمور ومعها التلخيص	272
		رقم الجزء : 2	93
139	27	حوالة الجديدة رقم 41 ج 2	
140	28	حوالة الجديدة رقم 41 ج 2	67
141	29	حوالة الجديدة رقم 42 ج 4	25
142	30	حوالة الجديدة رقم 42 ج 5	27
143	31	حوالة الكبرى للأحباس أزمور رقم 38	140
144	32	حوالة أحباس دكالة رقم 32	234
145	33	حوالة تارودانت ج : 1 رقم 34	20
146	34	حوالة تارودانت ج : 1 رقم 35	252
147	35	حوالة وزان ج : 1 رقم 35	60
148	36	حوالة وزان ج : 2 رقم 37	166
149	37	حوالة وزان ج : 2 رقم 37	162
150	38	حوالة صفرو رقم 38	110
151	39	حوالة دمنات رقم 56	155
152	40	حوالة سلا رقم 47	54
153	41	حوالة الرباط رقم 46	252
154	42	حوالة آسفي رقم 3	93
155	43	حوالة آسفي رقم 4	20
156	44	حوالة الرباط بدون رقم	111
157	45	حوالة الجديدة لأحباس فاس	240
158	46	حوالة المدارس القديمة بفاس	367
113	22	حوالة أحباس القرويين فاس رقم 2	53
114	23	حوالة أحباس القرويين بفاس رقم 3	287
115	1	حوالة أحباس الزاوية العلمية بمكناس ج: 2 رقم 19	300

116	3	حوالة كبرى أحباس مكناس ج : 2 رقم 11	576
117	4	حوالة الزاوية الشبيلية مكناس ج : 2 رقم 18	292
121	4	حوالة مكناس ج : 4	226
122	5	حوالة أحباس مكناس ج : 5	480
123	7	حوالة أحباس مكناس ج : 6 رقم 14	39
124	8	حوالة الشبيلية مكناس ج : 1 رقم 8	43
128	15	أحباس تازة ج : 1 رقم 48	330
129	16	أحباس تازة ج : 2 رقم 48	431
130	17	أحباس تازة ج 3 رقم 48	372
131	18	أحباس تازة ج : 4 رقم 48	284
132	2	كبرى مكناس ج : 1 رقم 9	354
133	19	أحباس تازة ج : 5 رقم 52	300
134	20	أحباس تازة ج : 6 رقم 53	330
135	12	أحباس القرويين بفاس ج 1 رقم 1	330
136	22	فاس العليا رقم 5	165
158	46	الحوالة الإسماعيلية بفاس	433
159	47	الحوالة الإسماعيلية بفاس	470
161	49	الحوالة الإسماعيلية بفاس	358
162	50	الحوالة السليمانية بفاس	350
163	51	الحوالة العبد ا لرحمانية بفاس	332
178	60	حوالة الحرم الإدريسي بفاس	142
179	61	حوالة المنار الإدريسي بفاس	147
180	62	ا حوالة المارستانية بفاس	383
182	64	الحوالة المارستانية بفاس	187
161	53	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	335
166	54	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	750
173	55	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	805
174	56	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	207
175	57	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	822
176	58	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	797
177	59	حوالة الأحباس المارستانية بفاس	721
181	63	الأحباس المارستانية بفاس	101(1)

خلاصة :

هذا وأثناء زيارته لقسم المخطوات بالخزانة العامة بالرباط استنتج الأستاذ المنوني أن : "أربع حوالات فاسية أعوام : 962، 963، 965، 967 وأربعتها يجمعها شريط مصور (خ. ع 113 من قسم الحوالات)، وثلاث حوالات فاسية أعوام 971 ، 975، 979، وثلاثتها، يجمعها شريط مصور (خ. ع 114 من قسم الحوالات)(2).

يتضح من الجرد السابق أن لمدينة فاس نصيب الأسد في هذه الحوالات وبما أن موضوع البحث منصب على الحوالة الإسماعيلية الموجودة بهذه المدينة، كان لابد من الحديث عن الحوالات الحبسية التي تزخر بها نظارة أوقاف القرويين والمارستان بمدينة فاس باعتبار أن الحوالة الإسماعيلية ليست إلا واحدة مما تملكه هذه النظارة من حوالات تعكس بما فيه الكفاية الحالة الاجتماعية للمدينة.

وهكذا سيتم الحديث في الباب الثاني من هذا البحث عن مختلف هذه الحوالات بإفراد فصل خاص لكل واحدة منها قصد الاطلاع عن كثب على شكلها المادي من ناحية أولى، وعلى معرفة محتوياتها من ناحية ثانية.

=(1)–ذكر الجرد نفسه الأستاذ سعيد بوركبة بمطبوع، ص : 47 مكرر ثلاث مرات.

بعدما استعرضت الشريطين بالخزانة العامة بالرباط. اتضح أن أولهما رقم 113 هو نسخة طبق الأصل من الحوالة العبد الرحمانية التي سيأتي الحديث عنها. بينما ثانيهما رقم 114 يتحدث عن أحباس القرويين والتواريخ المشار إليها تنحصر ما بين عام 1267 و 1281 هجرية. انظر الحديث مفصلا عنهما في دبلوم الدراسات العليا للباحث تحت عنوان : "الحوالات الحبسية ودورها في حفظ الممتلكات الوقفية في المغرب".

(2)– محمد المنوني ، المصادر العربية، 1 / 139 .

الباب الثاني :

الحوالات الحبسية الموجودة
بنظارة أوقاف القرويين والمارستان بفاس
باستثناء الحوالات الإسماعيلية

تقسيم

يتضمن هذا الباب ثمانية فصول، يعالج كل منها حوالة خاصة في مبحثين أولهما على مستوى وصف الحوالة وثانيهما على مستوى ما تجمعه من مواضيع، وذلك حسب الترتيب التالي :

- الحوالة المرينية، العبد الرحمانية، السليمانية، حوالة القرويين، حوالة المدارس، بعض الأملاك الخالصة للقرويين، الحوالة الجديدة، حوالة إحصاء رباع المدارس.

وقبل الخوض في هذه الفصول ارتأيت أن أجعل توطئة لهذا الباب نتعرف من خلالها على هذه النظارة.

توطئة :

قدر لي زيارة نظارة أوقاف القرويين والمارستان(1)، والاتصال ببعض موظفيها وعلى رأسهم السيد الناظر(2) الذي ما كدت أطرح عليه موضوع بحثي حتى أبدى استعدادا وتفهما كبيرين، الشيء الذي سهل مأموريتي فقام من فوره وأطلعني على عناوين الحوالات الموجودة في صندوق حديدي ضخم مقفل موجود بدوره في صدر خزانة في جدار مكتبه، فشعرت آنذاك بأن هذه الحوالات تشكل ثروة نفيسة وآثارا تاريخية عظيمة يجب المحافظة عليها الشيء الذي شدني إليها أكثر والهب في نفسي غريزة حب الاستطلاع.

وبعد ترددي على مقر النظارة الساعات الطوال ما شاء الله من الأيام والأسابيع والشهور قررت مستعينا بالله أن أتناول هذه الحوالات كل واحدة على حدة لدراستها والحديث عن شكلها، واستشفاف مضامينها والتعليق على بعض نصوصها.

---

(1)- بمقرها الجديد الكائن بعرصة المنجور، حومة باب الحديد بالبطحاء قرب ثانوية أم البنين، فاس.

(2)- الناظر الأول : السيد الحاج عبد اللطيف بنيس قبل انتقاله إلى النظارة بعمالة زواغة مولاي يعقوب. والناظر الثاني: السيد الحاج الغالي بلامين خلف الناظر السابق والثالث السيد عبد السلام البقالي. كما اتصلت بهذا الأخير بنظارة فاس الجديد، ويخلفه بعده عليها السيد عبد النبي موح.

ولم أكن أعلم أن البحث في مثل هذه القضايا مضن، يتطلب الصبر الجميل، والنفس الطويل والجهد الكبير، الشيء الذي جعلني لا أبرح مقر النظارة - لمدة ثلاث سنوات تقريبا - إلا لحاجة الأكل أو النوم أو أيام العطل، وذلك لندرة المصادر والمراجع من جهة، ولطبيعة البحث من جهة أخرى ذلك أن موضوع الحوالات ليس من المواضيع التي تعتمد أساسا على ما ألف حوله، والانكباب على ما له علاقة به من قريب أو من بعيد فحسب، بل يعتمد فضلا عن ذلك على دقة الملاحظة والتأني في القراءة والتريث عند إصدار الحكم، والوقوف الطويل عند استقراء النصوص وفك الرموز، واستخلاص المضامين والتعمق فيما توحي به كل وثيقة من مشتملات الحوالة، وتقييمها تقييما واقعيا باعتبارها من الأهداف الأساسية في البحث.

وإذا كانت المصادر والمراجع لا تسعف في هذا المجال لكونها لا تقدم في أحسن الظروف إلا جردا لأهم الحوالات وترتيبها، والتعليق عليها تعليقا لا يزيد في غالب الأحيان على السطرين أو الثلاثة وكانت درايتي بالموضوع لا تصل إلى درجة الخبير بالأمور(1)، وكان رد بعض المشتغلين بهذا الميدان ليس له كبير فائدة، فإن الاعتماد على النفس فضيلة والخوض في الموضوع بكل تأن وصبر لا محالة يعطي نتيجة، وعلى كل، وبعد استعراض أهم هذه الحوالات والاطلاع على محتوياتها يجد الإنسان نفسه أمام عالم مستقل بنفسه، في جهازه وموظفيه ومصانعه. إن للأمة والخطباء والموقتين والمؤذنين والنظار والوكلاء والحراس والمتعهدين... بيتا يركن إليه كأنما هو ملكه الخاص، وأجراً معيناً يأتيه رغدا من كل مكان : عطايا، وصايا من كل جانب من الذكور والإناث ...

هذا وقد عينت الحوالات فيما عنيت، بتوزيع المياه الفاضلة عن القرويين وعن مدارسها وعن بعض السقايات العمومية على عدد من الدور مقابل تعويض تستفيد منه مصالح جامع القرويين(2).

يستنتج مما تقدم أن كل حوالة من هذه الحوالات تشتمل على ذخائر تاريخية

---

(1)- كانت درايتي بالموضوع لا تستحق الذكر عندما كنت أخوض في جانب من نفس الموضوع لتهيىء رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية في موضوع الحوالات الحبسية ودورها في حفظ الممتلكات الوقفية في المغرب" والتي تمت مناقشتها بدار الحديث الحسنية بتاريخ 6 - 7 - 92.

(2)- سيتم الحديث عن ذلك بتفصيل، عند تناول مضامين الحوالات، وخاصة عند الكلام على فيوضات ماء السقايات.

نفيسة، ومواضيع فقهية هامة ونماذج باهرة من التعاون الإنساني والتكافل الاجتماعي والتضامن الديني مما يؤكد أن أسلافنا رحمهم الله كانوا سباقين إلى تثبيت الحضارة المغربية المثالية المستمدة من روح الإسلام ونظمه الرائدة، كما يستنتج الباحث فضلا عما تقدم، وبشكل واضح مدى اهتمام الملوك المغاربة وخاصة منهم ملوك الدولة العلوية الشريفة بشؤون رعياهم عموما، وشؤون الأحباس خصوصا فإليهم يرجع الفضل في إنشاء الحوالات وتنظيم الحالات الاجتماعية لرعياهم فبقيت بسبب الحوالات الأحباس مصونة وأهداف المحبسين مطبقة دون تبديل أو تغيير، فهم كما هو الشأن فيهم قد دلوا على الخير فيهم وصانوا الأمة من كل ضير، وبوأوها مكانا رفيعا، وها هي ذي دار الحديث الحسنية التي هي يد بيضاء من أيادي حفيد أولائك الأمجاد جلالة الحسن الثاني نصره الله تكشف بالرسائل والأطروحات عن الكثير من جوانب التقدم العلمي الذي عرفه أسلافنا والرعاية الكبرى التي قام بها ملوك دولتنا العلوية الشريفة، ومن بين الأبحاث التي تخدم جانبا من جوانب حضارتنا المغربية، وتبرز شكلا من أشكال نظامها البديع هذه الأطروحة.

الفصل الأول :

الحوالة المرينية

المبحث الأول:

وصف الحوالة المرينية.

تقع هذه الحوالة المباركة في 596 صفحة مرقمة، غير أن هذه الأرقام خاصة بالصفحات المكتوبة التي يعتريها اضطراب في بعض الأحيان فتضم رقمين عوض رقم واحد[1]. مقياسها 5,44 سنتم على 17 عرضا و8 سنتم ارتفاعا. خضعت هذه الحوالة - نظرا لقدمها - للترميم، ولا إخالها قبله إلا مجموعة أوراق تميل إلى اللون الأصفر، متآكلة في معظمها، مبعثرة، خطها غير واضح، يكتنفه الغموض والضبابية في كثير من الصفحات.

وضعت كل ورقة على حدة داخل ظرف مطاطي دقيق وشفاف للحفاظ عليها، فكان مجموع هذه الأظرفة التي بداخلها 298، ووضعت جميعها بين دفتين مستطيلتين من الورق المقوى السميك، البني اللون، كتب على جانبه الأيمن "الحوالة المرينية"بينما الصقت قطعة ورق صدر الدفة اليمنى من الداخل كتب عليها العنوان التالي "حوالة أحباس القرويين بفاس رقم 21". شدت الأوراق إلى بعضها بواسطة مادة لاصق، وشدت الأوراق في مجموعها إلى الدفتين عن طريق خيوط جد سميكة فضلا عن المادة اللاصقة.

بعد الدفة اليمنى ثلاث صفحات بيضاء خالية من آية كتابة، دخيلة على الحوالة، وعدد آخر مماثل له من الجهة اليسرى. أما غالبية صفحاتها فمتآكلة ويعظم هذا التآكل في الصفحات الأولى والوسطى من الحوالة، وتكاد تخلو الوريقات الأخيرة من هذا التآكل، ونظرا لكثرة الخروم والتآكل الذي يصيب بعض الصفحات بكاملها فإن المتصفح لهذه الحوالة لا يستطيع الخروج بفكرة واضحة عن مضمون هذه الصفحات والأمثلة على ذلك كثيرة[2].

---

(1)- الحوالة المرينية، راجعوا في هذا الصدد الصفحات التي بها رقمان (63-66)، (67-77)، (71-74)، (75-78)، (79-82) و (80-81).

(2)- الحوالة المرينية. ص: 3, 36, 39, 38, 91, 95, 92, 93, 94, 108, 113, 115, 113.

أغلب الصفحات في مقياس الدفتين، وأقلها دون مقياسهما إذ يبلغ طول هذه الأخيرة 35 سنتم وعرضها 15[1]. ومن الملاحظ أن بها صفحات ملطخة بالمادة السائلة السوداء التي استعملت لكتابة بعض النصوص الشيء الذي يحول دون قراءتها[2].

إن المتصفح لهذه الحوالة ليجد صعوبة أثناء لمس أوراقها أو قلبها، فهي من ناحية تحدث صوتا كالذي تحدثه الأوراق عند انكماشها في اليد ورميها، ومن ناحية ثانية يتعذر على المتصفح لها في كثير من الأحيان قراءة نصوصها أو فهم محتوياتها فهي من جهة مكتوبة بخط دقيق جدا غير واضح، ومن جهة أخرى بأسلوب تواضع الأقدمون عليه وشق على المتأخرين فهم أبعاده، هذا فضلا عن وجود أرقام غير مفهومة ولا قبل لي بها، قيل إنها بالقلم الفاسي.

خطت هذه الحوالة بأقلام مختلفة فبها الكتابة الجيدة الجميلة المتقنة، وبها الكتابة المتوسطة، وكذا المتواضعة جدا، سجلت الكتابة الجميلة في الصفحات الأولى وغيرها، غير أنها دقيقة جدا، وغير واضحة الشيء الذي يتعب النظر.

أقدم تاريخ عثرت عليه بها هو عام ثلاث وستين[3]. وأحدث تاريخ بها يرجع إلى عام 6101[4]، هذا ويتخلل هذه التواريخ وفي صفحات عديدة تواريخ أخرى بأرقام كتبت بالقلم الفاسي.

وخلاصة القول، تعتبر الحوالة المرينية أقدم الحوالات التي أمكنني الوقوف عليها وتصفحها بنظارة أوقاف القرويين بفاس، وأثقلها وزنا وأغزرها نصوصا ومعلومات، وأكثرها صفحات.

ومن الملاحظات التي تسترعي الانتباه أن المعاملات في عهدها كانت بالنقرة وكسورها، وأن الأسماء الواضحة فيها : اسم القابضين السيد الكبير بن زكري والسيد

(1)- نفس المرجع. انظروا الصفحات المتسلسلة من رقم 146 إلى 256، وكذلك من 495 إلى 586، وكذلك الشأن بالنسبة لرقمي 34 و36 .

(2)- نفس المرجع . الصفحات (364، 285، 286، 287، 289، 291، 459، 458، 465، 466، 467، 473).

(3)- الحوالة المرينية : صدر الصفحة الأولى رغم أن هذه الورقة سالمة من الخروم والتاريخ واضح جدا فالتاريخ ينقصه رقم المآت.

(4)- نفس المرجع ص : 465.

الحاج علي بنيس والسيد الحاج قاسم... والسيد محمد بن عبد الكريم، والناظر السيد أبو عبد الله بن محمد بن محمد المنافي الشهير بالمشاط والسيد محمد بن عبد الحميد.

كما يلاحظ أن ورقتين من هذه الحوالة وضعتا في غير محلهما، وأعتقد أن هذا الاضطراب كان أثناء ترميمها[1].

ومن شكل هذه الحوالة ووصفها إلى محتواها ومضمونها وهو ما يشكل المبحث الثاني في هذا الفصل.

المبحث الثاني :

مضامين الحوالة المرينية.

موضوعات هذه الحوالة كثيرة ومتنوعة ومتباينة ومع ذلك يمكن تصنيفها حسب العناوين التالية التي يندرج تحت كل منها جرد بما يلائمه وينسب إليه.

الموضوع الأول : *محاسبة القبضة واستلام الأكرية*

- تقييد حساب المستدرك في ثلاثة أشهر متوالية وتفسير أرض المستدرك[2].

- زمام يشتمل على محاسبة ما قبضه القابض محمد بن عبد الكريم من خراج كراء الربع الذي لجانب أحباس القرويين، و عما وقع به الصلح من أهل أجنة وادي سبو في الجزاء، وما قبضه من الناظر السيد محمد بن عبد الحميد، وما صيره من المقبوض المذكور في العام الفارط[3].

- واجب القوام في ثلاثة أشهر آخرها الحجة[4]

---

(1)- الحوالة المرينية : يتعلق الأمر برقمي 141 و 138 حيث إن التاريخ بالأول 991 بينما يحمل الثاني تاريخ رمضان 1014 هـ.

(2)- الحوالة المرينية. الورقة الأولى : النص الأول بتاريخ الحجة سنة ثلاث وستين، والنص الثاني في الصفحة الثانية، يحمل تاريخ أوائل القعدة ثلاث وستين كذلك.

(3)- نفس المرجع. ص : 99 وقيد ذلك بأواقي النقرة وكسورها أوائل ربيع النبوي عام 985.

(4)- الحوالة المرينية : ص : 100 سجل الواجب بأرقام لا هي بالعربية ولا باللاتينية ولا بالرمية. قيل إنها بالقلم الفاسي.

-واجب القوام في ثلاثة أشهر أخرى[1]

- تسطير لبعض الشهور القمرية، تبتدئ بشهر صفر وتنتهي بجمادى[2].

- زمام يشتمل على محاسبة القابض الحاج علي بنيس عن ثلاثة أعوام وأربعة أشهر، وعما صيره، وذلك على عهد الناظر السيد أبي عبد الله محمد بن محمد المنافي الشهير بالمشاط[3].

- زمام على عقد أكرية ربع الأحباس لجانب جامع القرويين وما انضاف إليها في أحباس المساجد والمدارس والزوايا والوصايا[4].

- مجموع ما تسلمه القابض وهو الخمس لقاء أجرة القبض من الأجزية والغلات، وتبقى الأربعة أخماس لكل من الناظر والشهود والكاتب[5].

- محاسبة القابض الحاج قاسم[6].

- تتصدر الصفحة الخلاصة التالية : (الحمد لله هذا الزمام مبارك بحمد الله تعالى وقوته يشتمل على محاسبة ما تولى قبضه القابض الحاج قاسم من خراج كراء الربع من العام الفارط من تاريخه وعلى تصيير ما صيره في المدة المذكورة وقيد بأواقي النقرة وكسورها أواسط ربيع النبوي عام تسعة وثمانين وتسعمائة)[7].

- محاسبة القابض السيد الكبير بن زكري[8].

- تقييد ماجاء به القابض السيد الكبير بن زكري في شهور آخرها رجب[9].

---

(1)- نفس المرجع. ص : 102.

(2)- نفس المرجع . ص : 103.

(3)- نفس المرجع .ص : 105 تحمل الوثيقة تاريخ جمادى الأولى عام 984، وقيد المدخول والخراج بأواقي النقرة وكسورها، وقد ذيلت الوثيقة بمدخول كل عام على حدة، وكذا بمدخول الأربع أشهر.

(4)- نفس المرجع من 126 إلى 132 وقيد بأواقي النقرة وكسورها أواخر الحجة متم عام 995.

(5)- نفس المرجع. ص : 140.

(6)- نفس المرجع. ص : 358.

(7)- نفس المرجع. ص : 359 ويلي المقدمة جرد "بالمحاسبة وأهم مداخيل الشهور والصوائر

(8)- نفس المرجع. ص : 460

(9)- نفس المرجع. ص : . 524.

-محاسبة القبضة على المداخيل وخصم مبالغ الإصلاحات والصوائر[1].

الموضوع الثاني : بعض ما للمساجد والمدارس والزوايا.

– تعيين الحوانيت ومقدار ما بهامن أحباس المؤسسات الدينية[2].

– ما للزوايا[3].

– ما هو لجانب مسجد بن حاج ومسجد عشرين ومسجد المرنيسيين[4].

– ما هو لجانب القرويين وما انضاف إليها من أحباس المساجد والمدارس والزوايا[5].

– ماهو لجانب المساجد الآتية : ابن شلوش، تاعشت، المرنيسي، الفيجاطي، وسيدي جبل، العقبة الزرقا، ابن عطية، رحبة الزبيب، سيدي جعفر، سيدي سليمان، النارنجة، سيدي المزالي، شوارة، سيدي عبد العزيز القروي، رحبة التبن، والرغامرة والغريبة[6].

– جرد لمجموعة من المساجد، وما لكل منها من أحباس، وما هو مشترك، وأغلب هذه الأحباس عبارة عن حوانيت[7].

– الرباع التي لجانب القرويين وما انضاف إليها من المؤسسات الدينية[8].

---

(1)– نفس المرجع. ص : 524.

(2)– نفس المرجع. ص : 524.تنتمي هذه الصفحة إلى التي هي دون حجم أوراق الحوالة.

(3)– الحوالة المرينية. ص : 109 إلى 114.

(4)– نفس المرجع .ص : 116

(5)– نفس المرجع من 123 إلى 132 وقيد بأواقي النقرة وكسورها أواخر الحجة متم عام 995.

(6)– نفس المرجع. ص : 134. إلى ص : 137 . يلاحظ أن هناك مساجد أخرى تآكلت حروفها بسبب الخروم، كما يلاحظ أن المساجد التالية لم تعد موجودة، هذا ما أكده أحد المسؤولين بالناظرة، ويتعلق الأمر (مسجد الفيجاطي والغريبة وسيدي سليمان والقروي والرغامرة).

(7)– الحوالة المرينية . من ص : 365. إلى 367 .

(8)– نفس المرجع.يلاحظ أن عنوان الصفحة رقم 369 غير واضح . بينما يتصدر الصفحة الموالية(370) ما يلي "الحمد لله هذا زمام مبارك يشتمل بحول الله وقوته على عقد أكرية ريع الأحباس التي لجانب جامع القرويين شرفه الله بدام ذكره، و ما أضيف إليها من أحباس المساجد والمدارس والزوايا والوصايا وغير ذلك لمن يذكر ويما يذكر لجميع العام التالي لعام تاريخه، وقيد بأواقي النقرة وكسورها أواخر الحجة متم عام ثمانية وتسعين وتسعمائة.

- الأحباس التي لجانب القرويين وما أضيف إليها لحراثة عام[1].

- عقود الرباع التي لجانب القرويين في عام (أرقام بالقلم الفاسي)[2].

الموضوع الثالث : محاصة بعض المساجد.

محاصة بعض المساجد في ثلاثة أشهر متوالية، آخرها رمضان المعظم سنة 4101 هـ [3].

محاصة بعض المساجد الأخرى[4].

محاصة بعض المساجد لآخر شهر ربيع النبوي المعظم سنة 6101 هـ[5].

محاصة مدرسة العطارين، وما بقي لها بعد خصم الصوائر[6].

محاصة أهل المدرسة المتوكلية في ستة أشهر آخرها جمادى الثانية من عام[7].

محاصات وعقود والتزامات[8].

الموضوع الرابع : جرد بأهم الحوانيت المكراة ومكتريها ومدة كرئها[9].

- مجموعة من الالتزامات وعقود الأكرية[10].

---

(1)- نفس المرجع. ص :450 إل 458, ويتصدر الصفحة الأولى ما يلي : "الحمد لله زمام يشتمل بحول الله وقوته على عقد أكرية أرض للأحباس التي لجانب جامع القرويين شرفها الله بدوام ذكره وما أضيف إليها حراسة عام تاريخه لمن يذكر ويما يذكر وقد قيد بأواقي النقرة وكسورها في شهر المحرم تسعة وتسعين وتسعمائة" وذيل النص السابق بجرد لأهم هذه الأراضي وأمكنتها.

(2)- نفس المرجع .ص : 461 إلى 463 وبلغت هذه العقود 52 عقدا.

(3)- نفس المرجع. ص : 138.

(4)-نفس المرجع. ص : 143.

(5)- نفس المرجع من ص : 465 إلى 476 (وبها ذكر لهذه المساجد وتحت كل واحد منها ما يخصه من الرباع : من حوانيت ودور وأرحية، وما هو مشترك بينهما).

(6)- نفس المرجع من ص : 478 إلى ص : 480 .

(7)- نفس المرجع ص : 522, وبالنسبة للعام الذي وقعت فيه هذه المحاصة فإن أرقامه غيرمفهومة.

(8)- نفس المرجع ص : 530 إلى آخر الحوالة أي ص : 586, وكلها تتحدث عن المحاصة والعقود والالتزامات .

(9)- نفس المرجع . انظر في هذا الصدد جميع الأوراق التي هي دون حجم الحوالة.

(10)- نفس المرجع من ص : 144 إلى 150 (ويلاحظ أن الالتزامات كلا على حدة يشطب عليها بخط عمودي، كما يلاحظ أن هذه الالتزامات عبارة عن خلاصة صغيرة).

- مجموعات الالتزامات أخرى[1]

- الحديث عن الحمامات والفنادق[2]

- نصوص تتحدث عن حوانيت وخظوظ بها وعن مكترياتها والأماكن الموجودة به ومدة كرائها وهي مسطرة كالآتي :

حوانيت العوادين والنخالين، وباب السلسلة، والبردعيين والرصيف والقبابين، وحوانيت الصوافين والصفارين، وباب السلسلة، وباب النقبة، وحوانيت الرماحين والقطانين، وحوانيت تقابل المدرسة، وأخرى يسار المدرسة، وحوانيت بيمين المدرسة، وحوانيت سويقت(خروم)، وحوانيت الجيسة، وسوق الكتان، والجوطية والقصاصي والصياغة، وحوانيت قبيب الناقس، وعين علو، والفخارين والخضارين، والبلاجين والجزارين والسقاطين، وحوانيت النجارين والبلايغيين والملاحين، وحوانيت زنقة الشرفاء والقراقين، والسبطريين والحرارين، وحوانيت سوق الحولي وسوق الخم، والقبة البالية، وحوانيت العطارين، واللبارين وحارة قيس[3].

-عقود التزامات وأكرية[4].

الموضوع الخامس : الأرحية والأطرزة والأفران، ووصايا مختلفة :

- الحديث عن بياض جنان بعرصة بوجلود[5].

---

(1)- نفس المرجع من ص : 151 إلى 265 (ويلاحظ أن التشطيب على نصوص الالتزامات لم يعد بالخط العمودي، بل أصبح يرمز إليه بصفر موضوع على يمين النص في حالة وجوده على يمين الصفحة. وعلى يسارالنص عندما يكون الأمر متعلقا بنص على الجهة (اليسرى).

(2)- نفس المرجع .ص : 286.

(3)- الحوالة المرينية. من ص : 288 إلى 257, وقد سجلت تحت كل حانوت من الحوانيت السابقة عبارة :"في اعمار السيد فلان" كما سجل تحت بعضها فضلا عن العبارة السابقة : "الحمد لله التزمها معتمرها لجميع عام تاريخه بأوقيتين ونصف في الشهر. شهد به عليه أواسط المحرم عام (أرقام غير مفهومة)" ويذيل بإمضاءين في شكلهما المعقد. انظروا على سبيل المثال آخر صفحة 338 حيث الحديث عن حوانيت السقاطين. وهناك كذلك حوانيت تسلم من هذا التعليق وعددها 30, انظروا في هذا الصدد صفحتي 356 و 357. وأما العبارة المتداولة في كل حانوت فهي : (حانوت تليها) بخط جميل متقن وجد واضح.

(4)-نفس المرجع. من ص : 481 إلى 513 ويصل عدد هذه العقود إلى 450 عقد تقريبا.

(5)- نفس المرجع من ص :14تحمل هذه الوثيقة تاريخ رمضان عام ستة وأربعين وثمانمائة.

– وصية الشيخ ابن رحمون[1]

– وصية حبس ابن على مكة المكرمة[2].

– وصيـة تحبيس بـعض مختـلفات السيد أحـمد المساوي عـلـى الضـعفاء والمساكين، وجعل النظر في ذلك لخطيب القرويين كائنا من كان[3].

– جرد بأهم الأرحية والأطرزة المحبس بها وكذا الأماكن الموجودة بها[4].

– سائر المواضع من حوانيت وصهاريج بدار الدبغ وخزائن به وأفران وحظوظ بها[5].

---

(1)– نفس المرجع ص : 18 .
(2)– نفس ا لمرجع ص : 19 وتحمل الوثيقة تاريخ ستة وأربعين وثمانمائة.
(3)– نفس المرجع . ص : 16 وتحمل الوثيقة تاريخ 4 صفر عام 847 هـ.
(4)– نفس المرجع. من ص : 280 إلى 282 .
(5)– نفس المرجع ص : 285 إلى 286 .

الفصل الثاني :

الحوالة العبد الرحمانية

المبحث الأول :

وصف الحوالة العبد الرحمانية وفهرستها

1) تقع هذه الحوالة المباركة في إحدى وستين ومائة ورقة بعد فهرسة ضمت ثمان صفحات، وتشتمل على اثنتين وعشرين وثلاثمائة صفحة، وتحتوي على تسع وسبعين وستمائة وثيقة.

جمعت صفحاتها القديمة بين دفتين من الورق المقوى العتيق الأحمر المائل لونه إلى السواد بسبب القدم وكثرة التداول، أما مقياسها فهو 31 سنتم على 22، يعلو وجهها الأيمن والأيسر رسم بيضاوي الشكل، مزخرف مقرون من الأعلى والأسفل برسمين مصغرين على نفس الشكل، تشد أوراقها بخيوط لانت وتمزق أكثرها حتى صارت الأوراق مفككة وغير ثابتة في مكانها، وقد عولج بعضها بالترميم.

عدد السطور بالصفحة الواحدة 35، ومتوسط عدد كلمات السطر الكامل 24[1].

تنفرد هذه الحوالة بفهرسة منظمة غير مرقمة، بها جرد للأملاك الموقوفة على المساجد والجوامع والزوايا والأضرحة، والتي على المقابر والكتاتيب القرآنية، والكراسي التي بالمساجد، وتعين الصفحات التي بها كل وقف على حدة. وقد ذيلت هذه الفهرسة بما يلي :

"نسخة من تحبيس المراة الحاجة الطام بنت الحاج محمد بنونة لزينة الحانوت رقم 22 بالشرابليين، بل بالورقة الرابعة من هذه الحوالة على بنت فقيرة بمدرسة أم البنين بباب الحديد بقسم التدبير المنزلي...."[2].

تبتدئ الحوالة برقم 8 مراعاة لصفحات الفهرسة، وهذا الرقم تكرر في الصفحة الموالية. ولصفحاتها رقمان أحدهما بقلم الرصاص والآخر بالحبر الأحمر، غير أن هذا الأخير ليس متتابعا في جميع الصفحات، فضلا عن تكراره، ولذلك سأعمل على الإشارة إلى الأرقام التي بقلم الرصاص واعتمادها عند الحديث عن صفحات الحوالة

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية. انظروا على سبيل المثال ص : 13 .

(2)– نفس المرجع ص : 8 . عثرت على وثيقة التحبيس بالصفحة التي تلي الفهرسة مباشرة.

لتسلسلها وإخضاع جميع الصفحات لها باستثناء ذلك الاضطراب البسيط المتمثل في عدم ترقيم الوريقات الأولى وتكرار رقم 8 في الصفحة اليمنى واليسرى كتبت الحوالة في مجموعها بمادة (الصماق) الأسود والمائل في بعض الأحيان إلى اللون البني، بخط مغربي أصيل، جميل في كثير من الصفحات، متواضع في القليل منها، وقد شكلت بعض العبارات بالمداد الأحمر فأضفى عليها رونقا خاصا.

هذه الكتابة كانت في وثائق بطريقة أفقية تارة، عمودية تارة أخرى، دائرية بل وتتخذ أشكال مربعات ومستطيلات من الأشكال الهندسية المختلفة[1].

ومما يلاحظ كذلك أن وثائق هذه الحوالة منها ما هو طويل يستوعب عدة صفحات[2]، ومنها ما هو قصير لا يتعدى أسطرا قليلة في الصفحة الواحدة[3].

والكتابة فيها مختلفة، فمنها المنجز بحروف عادية، ومنها المنجز بحروف فخمة أو جد دقيقة[4].

أرخت أول وثيقة في الحوالة بيوم الخميس 1 صفر سنة 1378 الموافق لرابع شتنبر 1958[5] وأرخت آخر وثيقة منها بتاريخ 15 شوال 1283[6]، مما يدل على عدم احترام التسلسل التاريخي في تسجيل الوثائق بالحوالة.

وقد تم الصاق ورقة بالدفة اليمنى للحوالة تشمل أربع وثائق تتحدث كلها عن حيازة الحوالة من طرف السادة النظار من لدن ورثة النظار السابقين، إذ أن مجملها يثبت أولا حيازة من يد السيد محمد بن الحاج عبد القادر بناني والسيد الحاج العربي القباج النائبين عن الناظر المتوفى السيد الحاج عبد القادر بناني، وكان ذلك سنة 1281 هـ، كما تشير ثانيا إلى حيازتها من طرف السيد الحسن كنون والسيد

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية، ص : 10، 62، 167، 229.

(2)– نفس المرجع. ص : 47، ومن ص : 56 إلى 60.

(3)– نفس المرجع. ص : 188 و 189 – 228.

(4)– نفس المرجع. ص : 221، 222، 189، 256، حيث الوثائق المتنوعة وبها ما سطر بخط فخم أو متوسط أوجد دقيق.

(5)– نفس المرجع ص : 8.

(6)– نفس المرجع. ص : 325

الحاج محمد بالامين من يد السيد عمر الشامي الخزرجي والسيد محمد بن عبد الكبير بنيس في جمادى الأولى عام 1314 هـ. بينما تمت حيازتها في الأخير من طرف السيد محمد بنجلون والسيد عبد العزيز بنكيران من يد السيد الحسن كنون والسيد المفضل بالامين سنة 1318 هـ.

للحوالة ملحق صغير لا يتعدى أربع ورقات مشدودة إلى بعضها، أطلق عليه اسم الحوالة الصغرى الجامعة لأحباس الأضرحة والزوايا وخاصة تلك الموقوفة على زاوية سيدي عبد القادر الفاسي الكائنة[1] بحومة القلقليين بالمدينة العتيقة من فاس مؤرخة بسنة 1336هـ والملحق مخطوط بقلم واحد والوثائق التي يشتمل عليها غاية في الدقة والضبط في تعريف كل من الواقف والموقوف بوصفه التام والذي يبعد معه الخطا أو الإبهام.

وباستقراء هذه الحوالة من بدايتها إلى نهايتها يتضح أن أول وثيقة بها تحمل أبعد تاريخ يرجع إلى شهر صفر عام 1158 هـ وتتعلق بقائمة بأسماء الكتب الموجودة بخزانة زاوية سيدي أحمد بن عبد الله مع ما بيد الطلبة قصد الانتفاع، وأن أقرب تاريخ بها يرجع إلى 13 رمضان 1382 والمسجل بفاس بتاريخ 13 مارس 1963 وتحمله الوثيقة التي تتحدث عن تحبيس برطمة فوق فرن الشرابليين رقم 111 على مسجد القرويين من طرف المحبس السيد محمد الهريم[2].

2 - **الفهرسة** : تمتاز هذه الحوالة عما سواها بفهرسة منظمة تضم ثمان صفحات تبتدئ بأوقاف جامع الأندلس وتنتهي بذكر المساجد المهدمة والسوامر وأثناء جرد أوقاف المساجد وأمكنتها والأضرحة والزوايا كانت الفهرسة تشير إلى بعض هذه الأماكن الدينية التي لا حبس لها، مثل :

- مسجد درب اللخمي، وزاوية سيدي عزوز، وضريح سيدي عبد السلام التواتي وضريح سيدي احساين والمسجد المجاور لدار الشرقي بدرب الحرة، وزاوية الجوطية، وزاوية الجوطية البالي المعلق وزاوية درب حسان.

---

(1)- انظر الحديث بشيء من التفصيل عن هذه الزاوية في الفصل الخاص بالزوايا من هذا البحث.

(2)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 8 (الصفحة اليسرى والرقم مسجل بقلم الرصاص).

ومن استقراء أولي لهذه الفهرسة وما اشتملت عليه من أماكن محبسة عليها بمدينة فاس العتيقة وحدها، يلاحظ أنها استثنت عددا لا يستهان به من المؤسسات الدينية والأماكن المقدسة وعلى رأسها جامع القرويين وما يدور في فلكها، وكنت أعتقد في بداية الأمر أنها تشكل موضوع حوالات أخرى أبرزها الحوالة المرينية وحوالة القرويين، غير أنه وبالرجوع إلى الحوالة العبد الرحمانية نفسها وجدت أحباسا كثيرة لم تتضمنها الفهرسة(1).

ومن جهة أخرى فإن الحوالة تذكر 165 مسجدا و29 زاوية و10 من الأضرحة، و6 من الجوامع، و5 من المكاتب القرآنية، وقد حبس المحبسون رحمهم الله على كل ما ذكر فضلا عن تحبيسهم على الكراسي التي بالمساجد وكذا على السوامر. وبالنظر كذلك إلى الموضوعات التي اشتملت عليها فهرسة هذه الحوالة وما يقابلها من أرقام، فإن البحث عن الموضوع من خلال صفحات الحوالة يختلف مع الأرقام الموما إليها في بعض الأحيان، وقد يعزى هذا الاختلاف وعدم التطابق إلى الترميم الذي خضعت له كثير من صفحاتها.

هذا وقد لاحظت أن نصا كاملا الصقت الورقة التي أثبت عليها مقلوبة، فجاء رأسا على عقب وهو في نفس الوقت مسجل بخط جد متواضع(2)، وقد أعيدت كتابته بطريقة عادية وبخط جميل جدا(3) يحمل تاريخ النص الأول نفسه.

المبحث الثاني :

مضامين الحوالة العبد الرحمانية.

سبق أن ذكرت عند تناولي لوصف هذه الحوالة أنها اشتملت على 679 وثيقة، وهذه الوثائق مقسمة حسب موضوعاتها إلى ما يلي :

الموضوع الأول : *تسليم الحوالة.*

شهادة حيازة الناظر السيد الحاج محمد الزمراني للحوالة العبد الرحمانية من

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 37 ، 8، 43، 28، 32، 317.
(2)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 321
(3)– نفس المرجع . ص : 323.

يد نظار سابقين[1].

– شهادة حيازة الناظر السيد الحسن بناني للحوالة نفسها من يد سلفه السيد محمد الشامي[2]، وكان عدد أوراقها وقتئذ 156 ورقة.

– وثيقة تثبت وجهة أمير المؤمنين المولى عبد الرحمان بن هشام للنظر في الأحباس وجمعها تفاديا للضياع والإتلاف وكانت هذه الحوالة المباركة جامعة مانعة على عهد الناظر السيد علال بن إدريس الشامي، والقاضي السيد عبد الهادي بن عبد الله الحسني العلوي السجلماسي[3].

الموضوع الثاني : ما هو محبس على المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والمقابر :

– الحرم الإدريسي[4].

– قراء الحزب بمحراب القرويين[5].

– محراب جامع الأندلس[6].

– الزاوية الحراقية بحومة المخفية[7].

– مسجد جامع الأندلس ماهو للإمام والمؤذن والحزابين[8]

---

(1)– نفس المرجع ص : 9 بقلم الرصاص، 1 بالحبر الأحمر، بتاريخ 2 محرم 1331 هـ .

(2)– نفس المرجع. ص : 10 تشمل ستة نصوص، ذات موضوع واحد ومضمونه حيازة الحوالة وتسليمها.

(3)– الحوالة العبد الرحمانية، من 56 إلى 60، و 22 بالحبر الأحمر. تحمل الوثيقة تاريخ أوائل رجب 1245 هـ

(4)– الحوالة العبد الرحمانية ص. 35 و 36، بالأولى تحبيس المولى عبد الرحمان لستة عشر فلسا شائعة بمنزل لحومة درب أهل تادلة، أرخ بسادس محرم 1335، وكذا تحبيس على ضريح المولى إدريس ممن اقتفى أثر المولى عبد الرحمان من المتطوعين.

(5)– نفس المرجع . ص : 37 بقلم الرصاص، 12 بالحبر الأحمر.

(6)– نفس المرجع. ص 41 الوثيقة بتاريخ 25 شوال 1289 هـ

(7)– نفس المرجع ص : 20، 52، 53، وعدد الأملاك الموقوفة 25.

(8)– نفس المرجع . ص : 61، 62، 64، 65، 66، الصفحة الأولى تتعلق بالإمام وتضم 26 من الأملاك الموقوفة عليه، والثانية عدد الموقوفات بها 33 وبها شهادة على بعض المؤذنين ومضمونها أن خراج الأماكن المذكورةإعانة لهم على الأذان بمنار جامع الأندلس، والقيام به ليلا ونهارا، أرخت ب 22 رجب 1245. أما الصفحات الثلاث التالية فبها 77 من المحبسات تتنوع بين أفرنة وأجزية وحوانيت وبقع أرضية.

- مسجد الفخارين وسيدي علي بوغالب، والأنوار وسيدي علي الحجام(1).

- المقابر بضريح سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين (2)

- جامع النارنجة بالكدان(3).

- مسجد النارنجة، ماهو للإمام والمؤذن ولشراء زيت المسجد المذكور(4)

- مسجد ساباط الكدان، ما هو لامامه(5).

- زاوية سيدي أبي مدين بالرميلة، ما هو للإمام، وما هو مرصود على إصلاح زاوية سيدي محمد بن عطية بالرميلة وسيدي علي الحارثي(6).

- زاوية سيدي يحيى بالرميلة ومسجد الشوك بين المدن، ما هو للمؤذن ولامامي المسجد الزاوية(7).

- مسجد درب الغرابلي(8).

- زاويتا سيدي محمد بن يوسف وشيبونة(9).

- مساجد درب اللمطي وسيدي مغيث وسيبوس ومولاي عمر ودرب القليلي(10).

---

(1)- نفس المرجع. ص : 71 و 72 وعدد هذه الموقوفات 16 مابين خربة و واجبات في دور وحوانيت.
(2)- نفس المرجع. ص : 72 و 73 وجزء من 74, وعددها ما بين حوانيت وحظوظ ورباع.
(3)- نفس ا لمرجع. ص 74 و 75 وعددها 23 ما بين أورية ودويرة وحوانيت.
(4)- نفس المرجع . ص : 75 إلى 77 وعددها 25 ما بين جزاءات ودور وأروى.
(5)- نفس ا لمرجع. ص : 77 و 78 وعددها 20 ما بين دور وأروى وبقع أرضية.
(6)- الحوالة العبد الرحمانية، ص : 78 و 79 . وعددها 18 مابين واجبات في دور وحوانيت.
(7)- نفس المرجع . ص : 80 و 81 وأعلى ص : 82 وعددها 33 ما بين دور وأجنة وزيتون.
(8)- الحوالة العبد الرّحمانية . ص : 82 وعددها 13 ما بين دور وأجنة وزينون.
(9)- نفس المرجع. ص : 83 وعددها 14 ما بين دور وحظوظ حوانيت وأروى.
(10)- نفس المرجع من ص : 84 إلى 92 وكل الأوقاف خاصة بالأئمة والمؤذنين والحزابين، وبصفحة 90 خاصة بكرسي مسجد مولاي عمر بالصفاح، وعدد هذه الأوقاف 9 بالصفحة 84 و 11 بصفحة 85 و 37 بصفحات 86 و 87و 88 و 37 كذلك بصفحات 88 و 89 و 90و 26 بصفحات 90 و 91 و 92, وكلها تتنوع ما بين دور وحوانيت ومصاري ودار عمل وعرصة. وقد علق في نهاية ص : 85 باعتراف أمام مسجد درب سيدي محمد الخمسي أن الأماكن التي بيده لاشيء له فيها سوى الانتفاع مقابل مهمته وذلك بتاريخ 23 رجب 1245.
هذا وقد أثير في هذه الصفحة أن المسجد المذكور لا مؤذن له، وبنهاية الصفحة إشارة إلى أن زاوية سيدي حنين الفاسي بالصفاح لا جسر لها.

مساجد الحدادين وسيدي الدارس وابن كعبلة ودرب السعود وسيدي عبد الرحمان المليلي(1).

– مساجد حومة درب الشيخ وعددها ستة، ومساجد سيد العواد، ومساجد حومة المخفية(2).

– زاوية سيدي يوسف الفاسي ومسجد سيدي حبيب وسيدي محمد المخفي، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله وضريح سيدي الهزميري، ومساجد حومة القلقليين، ومسجد دار دباغة الرصيف، ومسجد الزليج وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي(3).

مسجد واد الشرفاء والنارنجة والشبربي وسيدي الخيضر، وضريح سيدي حم الراموش بالقلاقليين ومساجد حومة راس الجنان ومسجد جزاء بن عامر ومسجد الحياة به، وزاوية سيدي مَحمد بن الفقيه ما هو للأئمة والمؤذنين والحزابين(4).

– مساجد درب بن عدس وبن شلوش وبن البياض ورحبة الزبيب المعلق(5).

– مسجد الرصيف وطلوقة وابن سمعون وتخريشت، وابن عباد وسيدي علي أبي الذياب ومسجد الصلب المعلق والمحسنين، وزنقة الرطل ما هو لائمة هذه المساجد ومؤذنيها وقراء الحزب بها(6).

---

(1)– نفس المرجع من ص : 92 إلى 100 وعددها 109 من الموقوفات أغلبها لفائدة الأئمة المؤذنين وبها ماهو مشترك بين كرسي الوراق بمسجد درب السعود وكذا لإصلاح هذا المسجد وقد السامرة به.

(2)– نفس المرجع. ص 101 إلى 114 وعددها 236 للأئمة والمؤذنين وللحزابين وأغلب هذه الأحباس، دور وحوانيت ومصاري.

(3)– نفس المرجع. ص : من ص 116 إلى 135 وعدد هذه الأمكنة 301 تتنوع ما بين دور وحوانيت وأفرنة وأطرزة وأروية و فنادق، وبالصفحة 129 إشهاد نصه :"الحمد لله وحده حضر مؤذن المسجد المذكور أعلاه (مسجد الزليج) وهو السيد محمد بن رحو الحمادي وسلم الأماكن للمسجد المذكور ولا شيء له عدا الانتفاع بخراجه على قيامه بواظائفه به فقط، عرف قدره شهد به عليه بأكمله وعرف ثامن وعشري صفر عام 1249"وذيل ذلك بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(4)– نفس المرجع. من ص : 136 إلى 146 وعدد هذه الأمكنة 161 ما بين دويرات ومصاري وأطرزة ومصرية واحدة ونصف أخرى.

(5)– نفس المرجع. من ص : 147 إلى 150, وعدد هذه الموقوفات 49 ما بين حظوظ في أطرزة وأجنة ودور ومصاري وأروي ، وكلها لفائدة الأئمة والمؤذنين والحزابين.

(6)– الحوالة العبد الرحمانية. من ص : 150 إلى ص : 161 وعدد هذه الأحباس 122 مل بين رباع وحظوظ وحمامات وأطرزة وأجنة وزيتون....

– مسجـد مـاسـان بـدرب سيـدي أحـمـد الشـاوي وضريـحـه، مـا هـو لـلإمـامين والمؤذنين والحزابة، وقراءة رسالة أبي زيد القيرواني[1].

– مسجد المزلجة، ومساجد حومة القطانين : سيدي عبد الرحمان النالي، ومسجد ابن عمران، وزاوية سيدي التاودي ابن سودة، ومسجد درب القاضي، ومسجد الفحصي، ومسجد حمام القلعة برأس القطانين، ومسجد جعفر بأعلى العقبة الزرقاء، ومسجد الحي، ما هو للأئمة والمؤذنين والحزابين وما هو معه لشراء الزيت والحصور وغيرها وكذلك الرسالة[2].

– زاويتا الغازيين ومساء الخير ومسجد الرايس وسيدي الحضري[3].

– مساجد حومة كرنيز : فرن الشطاء ودرب ا لبواق وسيدي تميم، وسيدي موسى، بما في ذلك ما هو على قراءة الرسالة بالمسجد السابق، كذلك مسجد سيدي خالد ومسجد فندق النجارين[4].

– مساجد حومة الطالعة : مسجد القصبة، ضريح سيدي أبي بكر بن العربي، أبي الحسن اللزاز، درب اللميقي، طريانة، صاباط المهدي، أبي الحسن، سيدي يونس، سيدي قجاح، سيدي يعلى، درب ابن عتيق، مسجد الغزلان، ماهو للأئمة والمؤذنين والحزابين ولقراءة السمر قندي بمسجد ابن عتيق[5].

---

(1)– نفس المرجع من ص 161 إلى 164, وعدد هذه الموقوفات 88 ما بين مصاري وحوانيت ودور ورباع فضلا عن 14 من الكتب النفيسة ومن جملتها (نسخة من صحيح البخاري في خمسة أسفار، كتاب الشفا للقاضي عياض، كتاب الأمر بالطاعة للإمام الغزالي، دلائل الخيرات وما معه، كتاب العسقلاني شرح الإمام الخرشي على الشيخ خليل.

(2)– نفس المرجع. ص 165 إلى 179 وعددها 223ما بين أطرزة وأروية وحوانيت وأعواد من الزيتون.

(3)– الحوالة العبد الرحمانية . من ص : 179 إلى 181 وهذه الموقوفات عددها 36 ما بين رباع ودور ومصاري وجلس حوانيت، وقد سجلت العبارة التالية تحت العنوان المكتوب باللون الأحمر :"هذه الترجمة برمتها كلها حادثة الدخول في الحبس".

(4)– نفس المرجع. من ص : 181 إلى 191 وعدد هذه الأوقاف 155 ما بين رباع ومصاري وحوانيت ودور وحظوظ و كثير من الكتب من جملتها "سفر من الحلية". سفر من الشعراني لأبي نعيم، سفر لابن الجوزي، سفر من الأجاد الغزالي، السمر قندي في سفر، هذا فضلا عن خزائن برار الدبغ.

(5)– نفس المرجع. من ص : 191 إلى 202 وعدد هذه الأحباس 137 ما من رباع ودور وحوانيت وحظوظ وقد علق على كل من مسجد الشاطة وزاوية سيدي عزوز، وضريح سيدي عبد السلام التواتي والمسجد المجاور لدار الشرقي بعبارة :"لا حبس لها".

- مساجد حوامة الشرابليين : مسجد صاباط درب بوحاج، سيدي محمد زرق، عين اصليتين، زاوية سيدي الحسن السفياني، جامع الحمرة زاوية سيدي عبد السلام الركال، زاوية الشرشور المدفون بها سيدي الحاج الخياط الرقعي، مسجد سيدي الأبار.

ما لأئمتها والمؤذنين بها، وكذا الكتب التي هي على كرسي سيدي الحسن السفياني[1].

- مسجد الأنوار باعلى سقاية الدمناتي، مسجد فرن كويشة، مسجد باب المنية، مسجد سيدي بورمضان، مسجد سيدي جبل بزقاق الماء، مسجد سيدي خيار، مسجد الوسعة، مسجد تعياشت، مسجد الشرابليين[2].

- مساجد حومة زقاق الحجر : بوعلي، زاوية سيدي أحمد بن ناصر، مسجد سويقة ابن صافي، دريبة البشارة، زقاق الماء، المحاج، زاوية سيدي قاسم ابن رحمون، مسجد مدين، ضريح سيدي عبد الوارث، مسجد سيدي البدوي الشعراني، ما هو للأئمة والموذنين والحزابين، وللتوريق والتدريس وشراء الزيت[3].

- مسجد السياج، ومساجد حومة زقاق الرمان : الفيجاطي، المرنيسي، درب اللبن، بوعقدة، درب قسانة، زاوية مولاي عبد القادر الجيلاني، مسجد السانية، الارانين، القفاصين، النواعريين، ضريح سيدي المطرفي، ومسجد عين الخيل، ومساجد الصاغة، ومسجد الجوطية، وباب النقبة، وزاوية الصادقيين[4].

- زاوية مولاي أحمد الصقلي، ومسجد الابارين، (ما هو لقراءة صحيح البخاري

---

(1)- الحوالة العبد الرحمانية. من 202 إلى 210, وعدد هذه الموقوفات 128 ما بين دور وأجنة ومصاري وحوانيت وغابة وربع عرصة... والزاوية سيدي الحسن السفياني كتب 19 من جملتها : (الموطأ لمالك، الشفا للقاضي عياض في سفرين : ثلاثة أسفار من الحلية لأبي نعيم، سفر للتعلبي في أسماء الكتب، الكشف والبيان في تفسير القرآن..)

(2)- نفس المرجع. من ص 211 إلى 218, وعددها 89 ما بين دور وحوانيت وأروى وزيتون وأعواد وقطع أرضية، وقد علق على مسجد سيدي رمضان بأن لا حبس له.

(3)- نفس المرجع. ص : من ص 219 إلى 237 وعدد ها 287 ما بين أراض ورباع وأروية وحظوظ مختلفة ومصاري و أرحية ويلاد للحرث وكتب منها : (سفران من حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب الحريفشي، وكل منهما مبتور).

(4)- الحوالة العبد الرحمانية : من ص 237 إلى 252, وعددها 257 ما بين حوانيت ودور وأرضين وعرصات وكتب من بينها (المناهج للغزالي، السمر قندي، الحريفيشي، النصف الواحد من الكساني) وقد سجل هذا الإشهاد في آخر ص : 252 : "حضر مؤذن الزاوية المذكورة يمنته هو الحاج أحمد بن ج محمد التازي والحاج حمادي جسوس وتسلما الأماكن المرسومة أعلاه ويمنته للمسجد المذكور ولا شيء لهما منهما، عرف قدهما شهد به عليهما بأكمله وعرفهما 6 شعبان 1244 " توقيعان معقدان.

به)، ومسجد جنيارة، والديوان (ما هو لمدرس رسالة الشيخ أبي زيد به)، وزاوية ضريح العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني التي بالديوان[1].

– مسجد سيدي عياض، وسيدي بوعياد، ومساجد فندق اليهودي، وزاوية سيدي أحمد بن يحيى، وكذا ما هو لجانب الكرسي بهذه الأخيرة، ومسجد درب سلمى وزاوية عساوة، ومسجد سيدي المكودي.

ورحيبة وادي الزحول، والنارنجة، وسيدي عبد العزيز القروي[2].

– مسجد زيدان بباب عجيسة، وسيدي منصور، والكدية، ومساجد البليدة، بما في ذلك الزاوية التجانية، ومسجد زياد بالجياد، سيدي رضوان والنارنجة، وسيدي سليم الغماري، وسيدي مسعود الفلالي، ومسجد أبي يعزى، ودار الدبغ بشوارة، ودرب الطويل بما فيه من زاوية ضريح العلامة سيدي محمد ميارة، والفقيه محمد بناني، ودرب حسان بالبليدة، وضريح سيدي عبد الله التاودي، وضريح سيدي محمد ابن الحسن وسيدي أحمد البرنوسي، والقرويين وحرم المولى إدريس الأزهر وسيدي أحمد الشاوي[3].

الموضوع الثالث : *جرد بالأحباس على الكراسي العلمية والخزانات.*

– كراسي جامع الأندلس : كرسي الوراق لقراءة التفسير غدوة، وسيرة الكلاعي عشية، كرسي المستودع لقراءة سيدي عبد العظيم، خزانة القرآن التي عن يسار الداخل بالمحراب كرسي الوراق لقراءة الرصاع بعد صلاة الجمعة كرسي باب مصرية

(1)– الحوالة العبد الرحمانية من 253 إلى 263, وعددها 185 أغلبها حظوظ في حوانيت وواجبات في عقارات مختلفة وكتب، ويلاحظ فضلا على الإشهاد على الأئمة والمؤذنين على نمط ما سبق ذكره في الصفحات المتقدمة، جاء في آخر صفحة 261 : "الحمد لله حضر الطالب الحاج قاسم بن المكي بل اقصبي ناظر أوقاف حزب المسجد أعلاه وحوله (مسجد الديوان) والحاج التهامي ابن زكري وسلما للمسجد جميع أوقافه أعلاه "وكل الإشهادات كانت بتاريخ شعبان 1249.

(2)– الحوالة العبد الرحمانية، من ص : 263 إلى 278, وعددها 235 ما بين حوانيت ودور وأطرزة ومصاري ويقع أرضية وبوسط ص : 270 إشهاد على إمام علي نحو ما تقدم مؤرخ شعبان 1249, وبعض الكتب منها (سفران من القسطلاني، وبيعة من مصاحف، وسفران من ابن حجر)، وبعقب ص : 273 اعتراف كل من الإمام والمؤذن أن ليس لهما الانتفاع مما هو مذكور من المحلات يحمل هذا الاعتراف التاريخ السابق.

(3)– الحوالة العبد الرحمانية من ص : 279 إلى 317 وعدد هذه الموقوفات على ما تقدم من المساجد والزوايا 251 أغلبها تتحدث فيما تتحدث عن تحبيس طراز بالقطانين نصفه على إمام القرويين والنصف الآخر يتقاسمه كل من حرم مولانا إدريس الأزهر وحرم الولي سيدي أحمد الشاوي وسجلت الوثيقة بتاريخ 27 شوال 1334 هـ.

الخطيب التي فوق ظهر مستودع النساء(1).

– كرسي الرسالة بالجدار الغربي من البلاط الثاني عن يمين الداخل إلى جامع الأندلس(2).

– كرسي التفسير بنفس الجامع، وكرسي قراءة الرسالة بظهر العنزة، وما هو محبس كذلك على الخزانة العلمية بمستودع المسجد الذي عن يمين الداخل(3).

– كرسي مسجد أبي عمران لقراءة البخاري في الأشهر الثلاث (رجب، شعبان، رمضان)، وقراءة الشمائل للترمذي، وقراءة رسالة أبي زيد(4).

– كرسي مسجد بوعقدة، وكرسي زاوية سيدي أحمد بن يحيى(5).

– قائمة بالكتب بزاوية الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام بناني بالديوان حسبما ذلك بالحوالة الجديدة الكبرى الجامعة لأحباس القرويين وغيرها وذلك بتاريخ أوائل محرم 1249 هـ(6).

– قائمة بأسماء الكتب الموجودة بخزانة زاوية العارف الكبير سيدي أحمد بن عبد الله بتاريخ صفر 1158, وكذا ما بيد الطلبة قصد الانتفاع(7).

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية. ص : 67 إلى 69, وعدد الأحباس 32 ما بين حوانيت وحظوظ في عقارات مختلفة ورحى. هذا وقد أشير في الصفحات الآتية إلى بعض المساجد والأضرحة والمدارس التي لا حبس لها، انظروا على سبيل المثال :"136, 138, 251, 300.

(2)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 69 وبدية 70. وعدد هذه الأحباس خمسة.

(3)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 70 وهذه الأحباس عبارة عن جنان وثلاثة حوانيت بالعطارين، وعقب هذا الجرد شهادة مؤرخة ب 22 رجب 1249 تثبت أن الحانوتين بيد السيد عبد الواحد بنسودة لا شيء له في واحدة منهما عدا الانتفاع.

(4)– الحوالة العبد الرحمانية من ص : 166 إلى 167 وعددها 168 ما بين رباع وأعواد من الزيتون وحوانت ودور.

(5)– الحوالة العبد الرحمانية . ص : 253 بالنسبة للمسجد، وص : 270 بالنسبة للزاوية.

(6)– الحوالة العبد الرحمانية.من ص : 307 إلى 309 وعددها 106, ويذيل النص بما يلي : "ما كان تحت يد التهامي بناني حفيد المحشي من كتب زاوية الديوان والتي كانت عند أبيه وجده باعترافه بذلك : سفران من البيضاوي، شرح الزناتي على العاصمية، تحفة الفضلاء الأعلام في التعريف بابن عبد السلام، ابن حجر علىالهمزية، والجوهري في اللغة".

(7)– الحوالة العبد الرحمانية من ص : 310 إلى 313, وعددها 221 مؤلفا، من بينها : "نسخة من صحيح البخاري بخط سيدي عبد القادر الفاسي في أربعة أسفار، المكودي وابن هشام في سفر واحد. الاستيعاب لابن عبد البر في سفرين، الثابت من المواهب اللدنية، شرح التحفة لابن ناظمها، المواهب اللدنية في سفرين، سفر منابن خلكان، شرح دلائل الخيرات العلقمي في أربعة أسفار، سفران من النووي..."

- ما للمكاتب المعدة لتعليم الصبيان وكذا للكراسي التي بمساجد فاس عدا القرويين(1).

عدد هذه المكاتب خمسة، أما عدد الكراسي العلمية فثلاثة وخمسون موزعة على المساجد والزوايا هنا وهناك.

الموضوع الرابع : *ما حبس على الخواص سواء ذكر مرجعه أو لم يذكر.*

- تحبيس الحاجة الطام بنونة لجميع مثقال زينة وغبطة ومفتاح وعرف الحانوت الشرابليين رقم 22 على تلميذة فقيرة بمدرسة أم البنين بفاس(2).

- تحبيس السيد الهريم محمد الشقة فوق فرن الشرابليين رقم 111 على مسجد القرويين(3).

- ثبوت الحبس على أولاد إخوان أحمد الجيسي الذكور دون الإناث وعلى أولاد عمه يرجع بعد انقراضهم لزاوية سيدي رضوان بزنقة الجياد(4).

- وصية السيد محمد بن حدو بثلث متخلفه بما في ذلك دار عمل الكائنة بالفخارين ليكون حبسا على الطلبة الذي يقرؤون الحزب بسيدي خليل بجزاء برقوقة(5).

- الأوقاف التي حبسها الشريف مولاي عبد الهادي العلوي ليصرف مستفاد كرائها في القيام بالوظائف الدينية أذانا وإمامة وقراءة حزب وشراء ز يت لمسجد سيدي خلوف وللمسجد الجديد بزنقة فواح، وكذا لوقد مصباح على قبر والده بزاوية العلامة سيدي التاودي بن سودة بحومة زقاق البغل وقبر والدته المرحومة بضريح مولاي عبد الله بفاس(6).

---

(1)- الحوالة العبد الرحمانية من ص : 296 إلى 299, ويلاحظ أن من جملة ما حبس معدة ماء السبيل بسوق السقاطين وأخرى يمنة خارج دار دبيبغ بالرصيف وتعرف بعقبة المكودي في القديم.

(2)- الحوالة العبد الرحمانية ص. 8 تحمل الوثيقة تاريخ 4 شتنبر 1985.

(3)- الحوالة العبد الرحمانية . ص : 8 تحمل الوثيقة تاريخ 13 رمضان 1382 هـ وسجلت بفاس 13 مارس 1963.

(4)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 17 تحمل الوثيقة 28 صفر 1280 هـ.

(5)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 18 تحمل الوثيقة 16 صفر 1333 هـ.

(6)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 23 تحمل الوثيقة تاريخ أواسط الحجة 1326 هـ.

- تحبيس جزء من دار بسيدي أحمد الشاوي لجانب سيدي القاضي عياض[1]

- تحبيس السيد عبد الوهاب بوهلال لثلث متخلفة على الطلبة الذين يقرؤون القران صباح مساء بمسجد درب البواق وسيدي تميم[2].

- تحبيس السيدة كنزة العلمي لواجبها في مصرية وواجبها في دار على بناتها وأعقابهن يرجع بعد انقراضهن على حزابي محراب مسجد القرويين[3].

- وقف على أولاد الصبار الأندلسي مرجعه بعد انقراضهم إلى جامع القرويين[4].

- تحبيس السيد الجامعي بعض الواجبات التي يملكها على زوجته وعلى ولده من غيرها مرجعه حبسا على زيت ضوء مصابيح القرويين[5].

- تحبيس النصف من المصرية، والفندق بالفخارين على زوجة وأبناء السيد عبد ا لمالك الحسني العلمي مرجعه بعد انقراض عقبهم إلى مسجد القرويين[6].

- تحبيس الحاج أحمد صفيرة لواجبه في مثقال فندق اصفيرة بالطالعة وفي الحوانيت العشر المتصلة به على من يقرأ القرآن العظيم دبر صلاتي الزوال والعصر بمحراب المسجد الجديد قرب ضريح المولى إدريس الأزهر[7].

- تحبيس السيد العمراني لأروى وطرازين على من يقرأ القرآن بمسجد الرصيف[8].

- تحبيس الحاج محمد بن موسى لدار سيدي العواد على ولديه[9].

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 24 تحمل الوثيقة تاريخ منتصف صفر 1298 هـ.
(2)– الحوالة العبد الرحمانية ص :27 تحمل الوثيقة تاريخ 23 ربيع الثاني 1201 هـ.
(3)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 28 تحمل الوثيقة تاريخ 3 رمضان 1269 هـ.
(4)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 32 تحمل الوثيقةتاريخ صفر 13300 هـ.
(5)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 33 تحمل الوثيقة تاريخ 4 رمضان 1319 هـ
(6)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 43 تحمل الوثيقة تاريخ 16 رجب 1319 هـ.
(7)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 46 تحمل الوثيقة تاريخ 1 ربيع 1329 هـ.
(8)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 46 تحمل الوثيقة تاريخ فاتح ذي الحجة 1309 هـ.
(9)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 49 تحمل الوثيقة تاريخ 11 محرم 1275 هـ.

- تحبيس السيدة عائشة الجامعي واجبا من بلاد عين البقر على ضريح سيدي بدر الدين الحمومي[1].

- تحبيس السيدة منانة الحمياني أوقية من دارها على الزاوية الناصرية بالزرباطنة[2].

- تحبيس ثمن مصرية على مسجد التوري وزاوية التهاميين بدرب الحرة[3].

- الموضوع الخامس : معاملات الناظر مع الخواص

- عقد كراء بين نائب ناظر أوقاف القرويين والسيد الشرقي السنوسي على أرض معدة للحراثة ببلاد فتشالة، بمزارع أولاد علال[4].

- شراء الناظر من السيد برادة ثمان موزنات في كافة الدار بالقلقليين[5].

- تقويم بعض العقارات من طرف أهل الخبرة والبصر[6].

- تعيين الحد الفاصل بين بلاد فريق بن جلون وبلاد مسجد أبي يعزى الكائن بلمطة[7].

- وقوف الخبراء على الضرر الحاصل لبعض الدور من جراء انقطاع ماء وادي سيد النالي الذي يقسم على جامع القرويين والمولى إدريس والمار بها والبت في ذلك[8].

الموضوع السادس : *مختلفات.*

- تحبيس المولى عبد الرحمان بن هشام لعرصة ذات ناعورة مع أروى مضافة لها ومصرية محملة على المسجد الجديد كل ذلك على الحزابين ومعدات المسجد المذكور(9).

---

(1)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 50 تحمل الوثيقةتاريخ 17 شعبان 1282 هـ.

(2)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 51 تحمل الوثيقةتاريخ 18 حجة 1334هـ.

(3)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 324 تحمل الوثيقةتاريخ 15 شوال 1283 هـ.

(4)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 16 تحمل الوثيقةتاريخ 5 حجة 1260 هـ.

(5)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 21 تحمل الوثيقةتاريخ منتصف 1316 هـ.

(6)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 29 تحمل الوثيقةتاريخ أواخر صفر 1250 هـ.

(7)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 42 تحمل الوثيقة أواخر جمادى الثانية 1267 هـ.

(8)- الحوالة العبد الرحمانية ص: 319 – 320 تحمل الوثيقةأواخر حجة الحرام 1298 هـ.
ويلاحظ أن هذه الوثيقة رغم أهميتها وطولها فليست ممضاة ولا مؤداة.

(9)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 25 تحمل الوثيقةتاريخ شعبان 1248 هـ.

- توسيع المولى عبد الرحمان لضريح المولى إدريس[1].

- ثبوت ملكية جنان بلمطة لجانب سيدي فضول الرامي[2].

- اعتراف السيد عمر بن المكي الفيلالي بتوبته إلى الله ورجوعه عن ادعائه أنه شريف علوي وذلك بمجلس الفقيه العلامة سيدي إدريس السراج[3].

- ثبوت ملكية السيد محمد الوزاني اليمليحي على جميع الجلسة مع ثلث الأصل من الأرحى والمصرية بدرب أبي حاج[4].

- تحبيس مولاي عبد الرحمان الحسني لبعض أملاكه على من يقرأ رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني في ستة أشهر وهي الشتاء والربيع، ويشتري منه كذلك الشمع والزيت لوقود مصباح واحد بالمسجد المجاور لدار سكناه بدرب القليلي[5].

- ثبوت كراء ربع دار برأس عقبة جرنيز لقراءة الحزب بمسجد ماشان بزقاق الحجر[6].

- سد خراجة منزل بسبب ما تحدثه من ضرر بمسجد رأس الشراطين، وذلك بأمر السيد وزير الأوقاف بعد امتناع صاحب المنزل عن الغلق حبيا وإظهاره تعصبا كليا[7].

<u>الموضوع السابع</u> : *ملحق الحوالة العبد الرحمانية :*

ملحق هذه الحوالة يتحدث عن أوقاف زاوية سيدي عبد القادر الفاسي، حيث يتصدر كل عنوان على حدة مجموعة من الأوقاف.

---

(1)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 30 تحمل الوثيقةتاريخ متم شوال 1241 هـ

(2)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 14- 15, الوثيقة طويلة مذيلة بختم قاضي فاس السيد الحسن العلوي تحمل تاريخ 22 ربيع الثاني 1350 هـ.

(3)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 19 تحمل الوثيقة تاريخ 23 ربيع الأول 1282 هـ

(4)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 31 تحمل الوثيقة تاريخ 10 رمضان 1325 هـ.

(5)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 34 تحمل الوثيقة تاريخ 7 جمادى الثانية 1211 هـ

(6)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 54.

(7)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 321, كما أعيد النص كاملا بصفحة 323 بتاريخ القعدة 1334 عندما كان وزير الأوقاف هو السيد أحمد الجاي.

فبالنسبة لما لهذه الزاوية من حوانيت فهناك 64 ما بين جلسات وحظوظ وواجبات، ومن الدور والمصاري والأطرزة والأفران والأروية فيوجد 54، ومن العرص والأجنة والزيتون والأراضي فيوجد 14.

وقد ذيل هذا الملحق بهذه الخلاصة : "الحمد لله فمن عاين التراجم المائة والثمانية والثلاثين المذكورة أعلاه يمنته بالحوالة الجديدة الجامعة أوقاف المساجد الصغار بهذه الحضرة الإدريسية تحت ترجمة ما هو من أوقاف زاوية الشيخ الإمام سيدي عبد القادر الفاسي التي بحومة القلقليين منها تراجيم 132 بأصل الحوالة، والباقي 6 منقول من طرتها قيدت منها في ثامن ربيع الثاني عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف" إمضاء في شكله المعقد.

الفصل الثالث

الحوالة السليمانية

المبحث الأول :

وصف الحوالة السليمانية

تقع هذه الحوالة المباركة في كتاب ضخم مخطوط مقياسه 40 على 28 وهو عبارة عن أوراق مشدودة بعضها إلى بعض، ذات لون يميل إلى الصفرة باستثناء ورقتين في آخرها لونهما أبيض يعتقد أنهما دخيلتان على الحوالة : يشد صفحاتها من الأسفل خيط قوي سميك أبيض.

قد جمعت الحوالة بين دفتين من الورق المقوى، به رسم تقليدي عادة ما يزين محافظ النقود، عتيق، متآكل بعضه لكثرة التداول والاستعمال من ناحية، وطول العهد من ناحية أخرى. والشيء الذي جعل بعض الصفحات متناثرة وزاغت عن مكانها لقدمها وشدة أحكام الخيط لها.

أما عنوانها (الحوالة السليمانية) فقد وضع بجانبها الأيمن، وبقية التعليق عليه غير واضحة. تضم هذه الحوالة الأحباس الخالصة والمشتركة، أو بعبارة أخرى فهي سجل للأملاك المحبسة على جامع القرويين في معظمها، عدد صفحاتها ست وثلاثون وخمسمائة.

والحوالة من ناحية أخرى وثيقة تاريخية يقل نظيرها. أما أسلوبها فمزيج ما بين المتناهي في الدقة إذا كان الأمر متعلقا بنقل المعلومات، وبالإطناب والإسهاب عند وصف الشخصيات أو الأشخاص من قضاة ومشهود عليهم وغيرهم، كذلك أسمائهم وأسماء أبائهم وأجدادهم ونسبهم، كذلك الشأن عند إثبات التواريخ هجرية كانت أو ميلادية(1).

والشيء المثير فعلا، تقنية الخط العربي الأصيل المطبوع بالطابع المغربي العتيق الذي يضفي على الكتابة رونقا، كذلك الطريقة المستقيمة والفنية التي خطت بها النصوص، فلا اعوجاج، ولا انحدار، ولا ارتفاع رغم طول الفقرات وعمق المحتويات وانعدام السطور التي تنير سبيل الكتاب، فالكتابة مستقيمة، خالية من

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 1, عند الحديث عن معاوضة :"... الشريف الجليل الماجد الأصيل التاجر النبيل سيدي الحسن بن ثابت أجمل الله خلصه ويسر أمره..."، ....في ثامن عشر رجب الفرد الحرام عام تسعة وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية والموافق ل...."

الأخطاء وواضحة إلا النادر منها مما ينم عن القدرة الفائقة والنفس الطويل الذي تمتع به أجدادنا رضوان الله عليهم، إذ تركوا ذخيرة هامة وثروة تاريخية تستطيع الأجيال الحاضرة والقادمة أن تفتخر بها على مدى العصور والأزمان.

هذا وقد يلاحظ الباحث في هذه الحوالة عدم احترام التسلسل التاريخي في بعض الوثائق كما سيتضح ذلك في الأمثلة الواردة في صفحاتها[1].

ومما يميز إحدى الصفحات عن سابقاتها ولا حقاتها[2] بالأحرى ما يعتبر فريدا من نوعه، ولا وجود لمثله في غيرها مما تصفحته ودرسته من الحوالات ووقع عليه نظري، وجود رسم بأعلاها مستطيل الشكل مقياسه 19 على 10 سنتم مزركش ذو ألوان عدة، يطغى عليها الأحمر والأخضر الناصعان، وهو شبيه بالرسم الموجود في المصحف الكريم، الذي يفصل عادة بين سورة وأخرى، يتضمن اسم السورة، وما إذا كانت مكية أو مدنية وعدد اياتها. أما هذا الذي بهذه الحوالة فقد سجل في وسطه البيضوي : "هذه نسخة جديدة من الحوالة الكبرى السليمانية الجامعة لأحباس القرويين وغيرها من المساجد والزوايا وأحباس المدارس والمقابر وما انضاف لها أخذت بالأمر المولوي اليوسفي بتاريخ عام 1332 هـ.

قد ستر هذا الرسم الجميل بورقة حمراء تأخذ شكله ملصقة من جانب واحد حتى يستطيع المتصفح للحوالة أن يراه بوضوح ودون عائق، وقد وضعت هذه الورقة ولا شك للحفاظ على الزخرف من ناحية وحتى لا تتسرب الألوان القاتمة إلى باقي الصفحات من ناحية أخرى.

وقد ورد تحت الرسم مقدمة طويلة، سأدرج ملخصا لها عند الحديث عن محتويات الحوالة كتبت بخط جميل وعبارات واضحة منمقة بحبر أحمر وأخضر مشكولة بالشكل التام.

كما يتميز الجزء الأسفل من إحدى الصفحات[3]. وبالضبط الجانب الأيسر منه بإلصاق وثيقة على ورق متنبر من فئة أربعين فرنكا (عرض هذه الورقة 12,5 سنتم

---

(1)- الحوالة السليمانية، ص 390، 404، 406 (يلاحظ تقديم وثيقة بتاريخ 1332 هـ على ثانية تحمل تاريخ 1239 وعلى ثالثة تحمل تاريخ 1245 هـ).

(2)- الحوالة السليمانية، ص : 37 و قد استهلت الوثيقة بالبسملة والتصلية.

(3)- الحوالة السليمانية، ص : 5.

وطولها 18 سنتم مختومة بطابع قاضي فاس السيد عبد الحفيظ السكوري تحمل تاريخ تاسع عشر رجب 1379 هـ)، في شأن معاوضة بين ناظر أحباس القرويين وبين السيد محمد بن بوشتى المنيعي في أصل وجلسة الحانوتين الكائنتين بالصفاح رقم 19 و21.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الصفحات لا تخلو من تعليق إلا النادر منها، والغريب، أن هذه التعليقات تسجل تارة على الهامش الأيمن، وتارة على الأيسر، وبخط دقيق تارة ومتوسط تارة أخرى، ويأخذ شكلا أفقيا أو عموديا أو حتى دائريا أو مائلا[1].

أما العناوين فتتصدر الصفحات وبخط بارز واضح، متقن وجميل. وبأعلى كل صفحة رقمان أحدهما ترتيبي، حديث العهد وضع بقلم الرصاص، وأخر بالحبر الأحمر، ويلاحظ في هذا الصدد أن هذه الأرقام متباينة[2]، ولذلك سأقتصر على إدراج الأرقام التي كتبت بقلم الرصاص نظرا لتتابعها، وأترك التي بالحبر الأحمر رغم أصالتها لاضطرابها.

وباستقراء وثائق هذه الحوالة يتضح أن أقدم وثيقة بها تحمل تاريخ ثامن ذي الحجة متم 1158 هـ، وأن أحدث وثيقة بها تعود إلى تاريخ 20 جمادى الأولى عام 1381 هـ فضلا عن ظهير شريف مسجل بتاريخ 23 جمادى الثانية عام 1385 هـ .

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها الحوالة السليمانية.

يمكن تصنيف ما اشتملت عليه هذه الحوالة إلى الموضوعات التالية :

الموضوع الأول : *ما هو وقف على الأماكن الدينية والعاملين بها.*

– رسوم كثيرة تثبت الموقوفات على بعض الأماكن الدينية في مقدمتها جامع

---

(1)– الحوالة السليمانية، ص : 51، 131، 260، 271، 296، 336، 346.

(2)– الحوالة السليمانية، انظروا على سبيل المثال ص : 9 بالحبر الأحمر يقابل رقمها بقلم الرصاص ص :52، ورقم 90 يقابله بقلم الرصاص رقم 213.

القرويين[1].

- أراضي محبسة على جامع القرويين[2].

- وصية بشراء موضع مما بقي من إرث سيدة بعد إجراءات الدفن وصوائره، يوقف على طالب يقرا حزب القرآن بالقرويين[3].

- وصية الشريفة الطاهرية على حزابي مسجد سيدي الدارس بمصمودة وكذا وصية مولاي عبد الهادي الطاهري وزوجته على مسجد إبن البياض وسيدي الدراس وعلى حزابي المسجدين معا[4].

- موقوفات على جامع القرويين وكرسي التفسير به[5].

الموضوع الثاني : *الظهائر والأوامر السلطانية*

- أمر أمير المومنين المولى الحسن الأول للنظار[6].

- ظهير شريف للمولى عبد الرحمان بن هشام بجعل أوقاف الزوايا المنسوبة لأولاد الولي الصالح سيدي محمد الشرقي للمسجد الذي فيه منفعة للمسلمين زاوية سيدي أحمد بن خضرا بمكناس والتي بالرباط والتي بمراكش والتي بفاس[7].

- ظهير المغفور له محمد الخامس في شأن معاوضة الثلث الواحد من دار بين السيد عبد العزيز وناظر أحباس القرويين السيد الحسين بن ثابت[8].

- أمر السلطان المولى عبد الرحمان لكل من العلامة القاضي أبي عبد الله وناظر الأوقاف والطالب المشاط المنافي بأن يحوزوا من التاجر الحاج بنيس كرتي

(1)- الحوالة السليمانية، ص :41 إلى 373, موقوفات كثيرة جدا، أغلبها على جامع القرويين، وفي مقدمة هذه الموقوفات : حوانيت سماط العدول.

(2)- الحوالة السليمانية ص : 407 – 408 . بعض هذه الأراضي باحواز فاس والبعض الآخر خارج باب عجيسة.

(3)- الحوالة السليمانية ص : 428 تحمل الوثيقة تاريخ 15 رمضان 1332 هـ.

(4)- الحوالة السليمانية ص : 430 تحمل الوثيقة تاريخ 15 رمضان 1332 هـ.

(5)- الحوالة السليمانية ص : 488, 492, 518 وثيقة بالصفحة الأولى تحمل منتصف جمادى 1241 هـ والصفحة الثانية تحمل تاريخ 24 رمضان 1340 هـ

(6)- الحوالة السليمانية . ص : 398 – 399 .

(7)- الحوالة السليمانية ص : 404 بأعلى الصفحة ويحمل الظهير الشريف تاريخ 19 رمضان 1239 هـ.

(8)- الحوالة السليمانية ص : 418 بأعلى الصفحة ويحمل الظهير الشريف تاريخ فاتح حجة الحرام 1353 هـ

العلم السماوية والأرضية لوضعهما بغريفة التوقيت بجامع القرويين[1].

– كتاب شريف من السلطان المولى يوسف إلى ناظر الأحباس الكبرى بالرباط، السيد محمد ملين في شأن تعويض قطعة أرضية دعت الحاجة إلى جعلها مستشفى للصبيان من أرض العرصة المحبسة على بيت الله الحرام، كما برسم محبسها الفقيه الوزير السابق السيد محمد الجامعي[2].

– ظهير شريف لسيدي محمد بن يوسف في شأن معاوضة[3]

– ظهير شريف للمولى يوسف في شأن حبس الشتيويين[4]

– ظهير شريف لسيدي محمد بن عبد الرحمان في شأن المدة الزمانية للأفراح والأتراح[5].

– ظهير شريف لسيدي يوسف في شأن الجزاء والاستئجار والجلسة والمفتاح والزينة والغبطة والعرف والحلاوة...[6].

– ظهير شريف للسلطان سيدي محمد بن يوسف في شأن إجراء سمسرة قصد معاوضة النصف الحبسي وغيره مع الطالب محمد ابن المليح بما قدره 8250 فرنكا[7].

–ظهير شريف للسلطان سيدي محمد بن يوسف في شأن معاوضة أصل وجلسة

---

(1)– الحوالة السليمانية ص 421 باعلى الصفحة ويحمل الظهير الشريف تاريخ حجة الحرام 1353 هـ.
غريفة التوقيت توجد يسار الداخل من باب الشماعين.

(2)– الحوالة السليمانية ص : 438 وهي ورقة خارجة على الحوالة الصقت بهذه الصفحة حررت بمراكش بتاريخ 21 محرم 1337, وقد سجل الظهير بالوزارة الكبرى بتاريخ 5 صفر عامة.

(3)– الحوالة السليمانية ص 451 تحمل الوثيقة تاريخ 20 جمادى الثانية 1349 والناظر هو السيد الحسين بن ثابت.

(4)– الحوالة السليمانية ص 459 تحمل الوثيقة تاريخ 23 جمادى الثانية 1385 هـ.

(5)– الحوالة السليمانية ص 466 والجزء الأعلى من ص : 467, والظهير يحدد مدة سبعة أيام لإقامة الولائم، واعتبر أن الزيادة على هذه المدة بدعة شنيعة ويلزم صاحبها العقوبة. وتحمل الوثيقة تاريخ 4 رجب عام 1278 هـ.

(6)– الحوالة السليمانية ص : 467 تاريخ فاتح ربيع الثاني 1349 هـ.

(7)– الحوالة السليمانية ص : 497 تاريخ 21 ربيع الثاني 1349 هـ.

الحانوتين بصباغي الصفارين[1].

– ظهائر شريفة للسلطان سيدي محمد بن يوسف تتحدث عن أشياء مختلفة أغلبها في شأن المعاوضات على عهد كل من الناظرين السيد العابد الإدريسي والسيد الحسن بن ثابت، وآخرها موجه إلى باشا مدينة فاس لتحديد الأشياء التي يجب الاقتصار عليها في الشورة والأعراس والأفراح والأتراح بالمدينة الإدريسية[2].

الموضوع الثالث : *أحباس على الخواص سواد ذكر مرجعها بعد الانقراض أو لم يذكر.*

– ثبوت الحبس بالسماع الفاشي على أولاد الغرديس مرجعه إلى جامع القرويين[3].

– حبس على العقب مرجعه إلى القرويين من الموصي السيد بوشتى الجامعي، وآخر من السيد أحمد بن حميمش، وثالث من الحاج محمد بن الموذن[4].

– جرد بأهم الكتب التي حبسها العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني على الذرية ترجع بعد انقراض العقب حبسا على خزانة جامع القرويين[5].

– وصية السيد محمد الرقعي اللمطي لحفيده تخرج من ثلث عرصة، ووصايا متعددة تتصدرها وصية زويتن لأولاده الذكور دون الإناث ما تناسلوا وامتدت فروعهم، وعند انقراضهم يرجع حبسا على ثلاثة من الطلبة الذين يقراون حزبا من

---

(1)– الحوالة السليمانية ص : 508 تحمل الوثيقة تاريخ أوائل شعبان 1349 هـ.

(2)– الحوالة السليمانية ص : 508, 513, 517 ن 519 إلى 533 وتتأرجح تواريخها ما بين عام 1349وعام 1361.

(3)– الحوالة السليمانية ص : 378 إلى 383 يحمل تاريخ 22 رمضان 1332 وهو أطول نص بالحوالة، انظر نماذج مختلفة من الظهائر الملكية في الملاحق ـ الملحق الخاص بالظهائر ـ والتي استفادت منها هذه العائلة الفاسية كنموذج عملي لما يوليه الملوك من رعاية كاملة لشؤون المواطنين عامة، وما يتعلق منها بشؤون الحبس خاصة.

(4)– الحوالة السليمانية ص : 398 إلى 420, وتواريخ نصوصها تتأرجح بين رمضان وذي القعدة 1332هـ.

(5)– الحوالة السليمانية ص : 445 تحمل الوثيقة تاريخ 17 جمادى الثانية 1246 هـ ومن أبرز عناوين هذه الكتب ما يلي نسخة سيدي البخاري بخط والد المحبس في ثمانية أسفار ـ ابن خلكان في سفر واحد ـ اختصار الحطاب في سفرين ـ شرح الزقاقية للشيخ ميارة ـ تذكرة القرطبي ـ ستة أسفار من ابن حجر على البخاري ـ شرح القسطلاني على البخاري ـ مجالس المكناسي ـ تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي في سفرين ـ مفتاح الشفا في ثلاثة أسفار...

وغير ذلك كثير. وتجدر الإشارة أن مجموع الكتب قد بلغ 136 كتابا.

القرآن الكريم باب محراب جامع الشرابليين[1].

– أحباس على العقب مرجعها بعد انقراضه إلى جامع القرويين[2]

– تحبيس دار الصقليين بجامع المزلجة على الضعفاء والمساكين[3]

– تحبيس بلاد بشراكة وربيعة كتب وكذا مجموعة رسوم تحبيس على الذرية مرجع معظمها لجامع القرويين بعد انقراض المحبس عليهم وأقلها لجامع الأندلس ولقراء الحزب[4]. حبس على العقب مرجع بعضه إلى بيت المال والبعض الآخر إلى جامع القرويين وروضة مولانا إدريس وحزابي القرويين[5].

– حبس السيد عبد الغني التازي على ضعفاء الشرفاء بالحضرة الإدريسية، وعلى الفقراء والمساكين من غير الشرفاء بنفس الحضرة، ووصية بتحرير أمتيه مباركة ومسعودة، وكذا شراء خبز يفرق على ضعفاء المساكين، وخبز آخر يفرق على الفقراء كل يوم بباب ضريح المولى إدريس[6].

– تحبيس على العقب بثبوت الملكية مرجعه بعد الانقراض إلى مسجد القرويين، وحزابي جامع الأبارين، وجامع إبن سمعون، وأمام مسجد الأندلس، وطالب يقرأ حزب القرآن العظيم بمسجد عقبة الزرقاء[7].

– أحباس معقبة مرجعها إلى جامع القرويين[8].

---

(1)– الحوالة السليمانية ص : 429 – 430 تحمل الوثيقة بالصفحة الأولى تاريخ 15 رمضان 1332 هـ.

(2)– الحوالة السليمانية ص : 431 إلى 433, تحمل الوثيقة الأولى من الصفحة الأولى تاريخ 19 شوال عام 1245 هـ بينما تحمل آخرها بالصفحة الآخيرة تاريخ 9 شوال 1332 هـ

(3)– الحوالة السليمانية ص 441 تحمل الوثيقة تاريخ 9 رجب الفرد عام 1249 هـ

(4)– الحوالة السليمانية ص 444 إلى 485 تاريخ أولاها 8 صفر 1280 هـ وآخرها بمنتصف ذي الحجة 1282 هـ ويلاحظ أن الوثيقة بصفحة 447 لا تحمل أي توقيع خلافا للوثائق السابقة واللاحقة.

(5)– الحوالة السليمانية من ص : 486 إلى 494 تحمل أول وثيقة تاريخ 3 شعبان الأبرك 1334 هـ وآخرها 28 شوال عام 1340 هـ.

(6)– الحوالة السليمانية ص 94, تحمل الوثيقة تاريخ 26 محرم عام 1340 هـ: (فيما يخص توزيع الخبز كل يوم بباب الضريح، يلاحظ أن وصية المحبس لا تطبق، لما يصحب التوزيع من ازدحام وشغب يخلقها المحتاجون... وقد افهمني أحد المسؤولين بالنظارة أن هذه الأخيرة تتوفر حاليا على مبلغ لا يستهان به من المال، والتفكير جاد في إيجاد طريقة مثلى لتوزيع هذه الأموال على المستحقين).

(7)– الحوالة السليمانية. من ص : 495 إلى 511, تحمل أول وثيقة تاريخ منتصف صفر عام 1319 هـ وآخرها ربيع الثاني عام 1343 هـ

(8)– الحوالة السليمانية ص : 516 و 535 وتحمل الوثيقة الأخيرة تاريخ 1 ربيع الأول عام 1362 هـ

الموضوع الرابع : *الفتاوى*

– تسع فتاوى ذات موضوع واحد يتعلق الأمر بتحبيس السيد أحمد بن أبي عبد الله العرصة بمائها الجاري وصهريجها وأشجارها[1].

– فتوى في شأن أضرار بعض الدور ناجمة عن مرور واد محاد لها. وكان السؤال كالآتي : "من سيقوم بالإصلاح هل الأسفل من الساكنين أم الأعلى منهم؟" وملخص الجواب هو : "الحمد لله ما انهدم من قنطرة أو بناء على الواد المذكور فبناؤه على مالكه فقط لا فرق فيه بين من لاصق الماء واتصل به، أو ارتفع عنه لأن الأسفل أساس له فلا يتمكن من البناء فوقه إلا ببنائه"[2].

– ملخص فتوى حول من أهمل جلسة فرن مدة أربعة عشر سنة وهي مهدمة، فكان الجواب : "أن لاجلسة لصاحبها الغافل عنها حسبما افتى به شيخ الشيوخ سيدي حمدون المزوار في حانوت بمقربة من باب السلسلة[3].

الموضوع الخامس : *المعاوضات ووقوف أهل الخبرة والنظر.*

– رسوم تحبيس ومعاوضات بين ناظر أوقاف القرويين والخواص[4].

– تقويم فائض ماء ساقية الحرم الإدريسي وجلسة حانوت وعقد معاوضة بين الناظر والحاج محمد بناني ومحمد القباج على أن يدفع هذا الأخير جميع الحظ من جلسة الحانوت المذكورة أعلاه مقابل استفادته بأربعة أخماس فيض ماء السقاية المذكورة[5].

– معاوضات بين الناظر والخواص[6].

– تحديد موقع وجيران الأرض الحبسية الكائنة بظهر الخميس[7]

---

(1)– الحوالة السليمانية ص : 407 – 408، وتحمل هذه الفتاوى تاريخ 22 رجب عام 1244 هـ.

(2)– الحوالة السليمانية ص : 437، تحمل هذه الفتوى تاريخ 26 رجب عام 1274 هـ.

(3)– الحوالة السليمانية ص : 452، تحمل هذه الفتوى تاريخ 11ذي الحجة عام 1332 هـ.

(4)– الحوالة السليمانية ص : 1 إلى 40 و374 ومن 384 وكلها لا تخرج عن سنة 1332 هـ.

(5)– الحوالة 459 وتحمل الوثيقة تاريخ 21 ذي الحجة عام 1332 هـ.

(6)– الحوالة السليمانية ص : 470 إلى 475، وتحمل الوثائق تاريخ عام 1333 هـ.

(7)– الحوالة السليمانية ص : 476 تحمل الوثيقة تاريخ 11 شوال 133 هـ.

- تحديد موقع ووقوف أهل الخبرة على عدد من الأراضي الفلاحية[1].

- **الموضوع السادس :** *قضايا مختلفة* .

- نسخة أحد عشر رسما تتعلق جميعها بشراء الناظر لبعض أجزاء العقارات التي كانت مشتركة بين الأحباس والخواص[2].

- نسخة رسم واحد تتضمن النزاع الذي وقع بين الفقيه السيد بلقاسم الزياني وبين ناظر أحباس القرويين حول حدود بلاد الحبس مع بلاد الفقيه المذكور والكائنة قرب سيدي حرازم[3].

- نسخة رسوم تتحدث عن بيع واجبات في عقارات بأحياء مختلفة من فاس وعن المشترين لها وورثة هؤلاء وبيع هذه المشتريات الآخرين[4].

- نسخة رسم تفيد ضمان السيدة فاطمة بنت بنزكري لزوجها في شرائه للدار والمصرية برأس الجنان على يد القاضي الفقيه سيدي العباس ابن سودة الذي كان وقت تاريخ الرسم متوليا خطة القضاء بمقصورة سماط الموثقين[5].

- وصية بدفن سيدي عبد السلام بناني بزاويته التي أحدث بناءها بحومة الصاغة، وبيع عدد من المقابر لتغطية ما تحتاج إليه[6].

- رسوم أربعة تتعلق بالاستغراق[7].

- شراء المعلم الفيلالي وصهرته لدار من البائعين لهما عبد الخالق بناني وولده

---

(1)-الحوالة السليمانية ص : 479, 480, 482, 488, 495, 512, الصفحات الثلاث (الأولى) مؤرخة بعام 1334 بينما الرابعة 1241 والخامسة بعام 1242, وهذه الأخيرة تتحدث عن معاينة الجزاء للطريق الموجودة خارج باب الفتح.

(2)- الحوالة السليمانية . من ص : 375 – 377 .

(3)- الحوالة السليمانية . من ص : 415 إلى 418, تحمل الوثيقة تاريخ 17 ذي القعدة 332 هـ.

(4)- الحوالة السليمانية . من ص : 423 تحمل الوثيقة تاريخ أواخر شوال 1231 هـ.

(5)- الحوالة السليمانية . من ص : 444 تحمل الوثيقة تاريخ متم ذي القعدة 1332 هـ.

(6)- الحوالة السليمانية . ص : 446 تحمل الوثيقة تاريخ 7 جمادي الثانية عام 1246 هـ.

(7)- الحوالة السليمانية . من ص : 447 (ويعني الاستغراق إسقاط الوجيبة الشهرية عن مكتري الأماكن المحبسة مقابل إصلاحها لمدة طويلة حتى يستوفي قيمة الإصلاح) أو أداء وجيبة شهرية زهيدة جدا.

محمد بثمن قدره أربعمائة مثقال وخمسون مثقالا دراهم، وكذا شراء الثمن الواحد من نفس الدار من طرف محمد المصمودي وأمه فاطمة بنت الحاج أحمد القصري[1]، وحضور الناظر ليشتري بعض الواجبات من المصمودي وأمه لفائدة أحباس القرويين.

– شهادة تثبت صحة معاوضة فضاء الحوانيت الكائنة بالقنانبيين لما في ذلك من مصلحة للحبس[2].

– نسخة رسم يتضمن سلف إحسان وتوسعه لفائدة السيدين الطيب الدويري وصهره الطاهر القيلالي من المقرض لهما السيد محمد بن عبد الواحد الدويري[3].

– نسخة رسم يتضمن النزاع الذي قام بين أقرباء الشتيوي وبت القضاء فيه بملخص الحكم التالي :"ليس للمحبس الحق في تحبيس جميع ما ذكر بالدعوى، وأن ما خلص للحبس هو أربعة أواق وعشرة أفلس وحبان"[4].

– ثبوت ملكية خاصة لنصف جلسة بعض الأماكن لصالح محمد الغلبي[5].

– ثلاثة عقود أكرية بين ناظر أحباس القرويين والخواص[6].

– نسخة عقد شركة المفاضلة والشياع بين الناظر والخواص[7]

– أربعة عقود أكرية بين الناظر والخواص[8].

– ثبوت حيازة السيد مصطفى العلوي لجميع الرسوم المتعلقة بشراء مثقال دور ثلاثة من السيد الفقيه الحجوجي[9].

---

(1)– الحوالة السليمانية ص : 435 ، 436 وتحمل الوثيقتان تاريخ أواسط المحرم 1234 هـ

(2)– الحوالة السليمانية. ص : 449 وتحمل الوثيقة تاريخ 12 جمادى الأولى 1310 هـ

(3)– الحوالة السليمانية ص : 455 وتحمل الوثيقة تاريخ 17 ذي الحجة متم 1285 هـ

(4)– الحوالة السليمانية ص : 460 وقد ذيل الحكم بظهير شريف يحمل 13 جمادى الثانية 1341 هـ

(5)– الحوالة السليمانية ص : 464

(6)– الحوالة السليمانية ص : 483 وكلها تحمل تاريخ عام 1335 هـ

(7)– الحوالة السليمانية ص : 490 تحمل تاريخ 28 ذي القعدة عام 1338 هـ

(8)– الحوالة السليمانية ص : 489 آخر هذه العقود يحمل تاريخ 13 صفر عام 1335 هـ

(9)– الحوالة السليمانية ص : 492 بالجزء الآخير من الصفحة نفسها.

- نسخة رسم يتضمن إثبات ملك الحبس في البلاد الكبرى بقبيلة الوادي على ضفة مكس[1].

- وثيقة تثبت توكيل الناظر للسيد محمد الكغاط بخصوص بعض الدور[2].

- إثبات صحة بعض الممتلكات، ومن جملتها دار متهدمة بعقبة الأندلس على ملك السيد مولاي المصطفى العلوي الحسني والمرأتين السيدة فروخ بنت الحاج محمد التازي والسيدة أم كلثوم القصياوي[3].

---

(1)- الحوالة السليمانية ص : 504 تحمل الوثيقة تاريخ 13 رجب عام 1335 هـ

(2)- الحوالة السليمانية ص : 514 .

(3)- الحوالة السليمانية ص : 515 .

الفصل الرابع :

حوالة القرويين

المبحث الأول:

وصف حوالة القرويين

تقع حوالة أحباس القرويين المباركة في ثلاثمائة وتسعين صفحة، فضلا عن ثلاث ورقات فارغة في الجهة اليمنى، ومثلها من الجهة اليسرى، وهي موجودة في سجل مقياسه 44 على 29. أوراقها تميل إلى الاصفرار، ببعضها تآكل خفيف وخروم، شدت الأوراق فيما بينها بمادة اللصاق وشدت جميعها ومن أسفلها إلى دفتين بنيتين سميكتين بخيوط دقيقة قوية الشيء الذي جعل بعض الصفحات تزيغ عن مكانها بسبب تلاشيها وكثرة تصفحها واستعمالها.

ألصقت بداخل دفتها اليمنى قطع مستطيلة من ورق أبيض كتب فيها : (رقم 23 حوالة أحباس القرويين) والدفتان، خاليتان من أي رسم أو زخرف أو أي شكل هندسي، أما أول صفحة مكتوبة بها فمتاكلة الشيء الذي جعل الساهرين على ترميم هذه الحوالة يلصقونها بورقة أخرى بيضاء في مجملها وقد تضمنت نصوصا ذات موضوع واحد يتعلق بتسليم وحيازة هذه الحوالة من ناظر إلى آخر. أول هذه النصوص يحمل تاريخ 21 جمادى الثانية لسنة 1281 هـ، بينما آخر نص يحمل تاريخ 2 محرم عام 1331 هـ بالصفحة الموالية. عدد السطور ببعض الصفحات المكتوبة يصل إلى الستين، ومعدل عدد الكلمات بالسطر الواحد ثمانية وعشرين[1]. كتبت صفحات الحوالة بخط جميل جدا تارة، وبخط متواضع تارة أخرى، وأكثرها جمالا عناوين الأماكن المحبسة، وكذا ما نقلت به المقدمة المتضمنة لعزم المولى سليمان إنشاء هذه الحوالة[2].

وهذه الحوالة في مجموعها تشكل ملخصا لبعض النصوص والوثائق المطولة الواردة في الحوالة السليمانية لا فرق في ذلك بين رسوم التحبس أو الظهائر السلطانية أو المعاوضات والأمثلة على ذلك كثيرة، أقتصر منها على وثيقة السماع الفاشي التي تثبت الحبس المعقب على ذرية الغرديس هي في الحوالة السليمانية

(1)- حوالة أحباس القرويين، ص : 4.

(2)- حوالة أحباس القرويين ، ص : 71 بقلم الرصاص، و 1 بالصماق، و ص : 37 من الحوالة السليمانية.

تستوعب أربع صفحات كاملة في حين أنها في حوالة أحباس القرويين لا تعدو أن تكون الإشارة إليها إلا فكرة عامة تقول : (الأوقاف التي حبسها أبو عبد الله محمد الغرديس على أعقابه وأعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم)[1]، وكذلك الشأن بالنسبة للظهير الشريف المتعلق بالعادات المتصلة بالأفراح والأتراح والمدة اللازمة لذلك، وتعيين الوسائل والمعدات[2].

وهكذا وبقدر ما كانت الحوالة السليمانية تهتم بنشر محتويات رسوم التحبيس والمعاوضات والظهائر السلطانية وغيرها بكل التفاصيل بقدر ما كانت حوالة أحباس القرويين تلخص ذلك وتسجل بعض هذه الوثائق المطولة وكان هذه الحوالة امتداد للحوالة السليمانية، وتذكير بمحتويات هذه الأخيرة، فما وجد بها لخصته حوالة القرويين وما لم يوجد بها سجل بكل تفصيلاته وجزئياته وفي كلتا الحالتين تقوم بجرد الأماكن المحبسة والجهات المحبس عليها وهذا الجرد الطويل هو ما استوعب أغلب صفحات الحوالة واستأثر بنصيب الأسد فيها.

في كثير من الأحيان تشتمل الصفحة الواحدة من الحوالة على رقمين أحدهما بالمداد التقليدي (الصماق) ذي اللون الأسود الذي خطت به أغلبية الوثائق وذي اللون المائل إلى الصفرة، واللون البني الذي سطرت به أقليتها، وثانيهما بقلم الرصاص، ولعل هذا الأخير يرقم الصفحات، في حين يعد السابق الأوراق، وسوف اعتمد أرقام قلم الرصاص نظرا لتتابعها وقد بلغت 316.

هذا ويلاحظ انعدام الترتيب في وضع النصوص والوثائق بالحوالة. إذ أن أقدم تاريخ بها يعود إلى رمضان سنة 1164هـ[3]. وأحدث تاريخ بها هو 16 صفر 1330 هـ[4]، مما يدل على عدم مراعاة التسلسل التاريخي الذي ينبغي أن يواكب النصوص من بداية الحوالة إلى نهايتها.

---

(1)- حوالة أحباس القرويين، ص : 260 بقلم الرصاص، و 130 بالصماق ومن ص : 378 إلى 381 الحوالة السليمانية

(2) – حوالة أحباس القرويين، ص : 316. والحوالة السليمانية ص : 534.

(3)- حوالة القرويين. ص : 26 .

(4)- حوالة القرويين. ص : 292 .

وبالحوالة نصوص تتأكد منها الرعاية الكبرى لشؤون الوقف من طرف السلطان مولاي سليمان، كما يتجلى فيها تدخله رحمه الله برأيه السديد في كل كبيرة وصغيرة تهم الجانب الحبسي، والأمثلة على ذلك كثيرة، اقتصر على ذكر بعضها[1].

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها حوالة القرويين

يمكن تصنيف ما اشتملت عليه هذه الحوالة إلى المواضيع التالية :

الموضوع الأول : *إنشاء الحوالة وتسليمها* :

– أحد عشر رسما تتحدث جميعها عن حيازة الحوالة من طرف النظار[2].

– رسم طويل جدا يشير إلى عزم السلطان المولى سليمان بنسخ الحوالة وتجديدها وتغيير رسومها حفظا للأحباس من التلف والالتباس والنهب والاختلاس، وتعيين، السيد الحاج عبد النبي بنيس ناظرا عليها[3].

الموضوع الثاني : *ظهائر الملوك وتبرعاتهم.*

– ظهير المولى محمد بن عبد الرحمان، ورسوم عددها عشرة، تتعلق جميعها بضيق زاوية الفقراء والعزم على توسعها بزيادة أروى لجانب الحبس ومناقلة هذه الأخيرة بغيرها[4].

– ظهير المولى عبد الرحمان بن هشام بإقامة فندق على انقاض الأطرزة المفتقرة للإصلاح لما في ذلك من مصلحة للحبس[5].

---

(1)– حوالة أحباس القرويين ، ص : 71 .

(2)– حوالة أحباس القرويين، انظروا الصفحتين الأولى والثانية لا رقم بهما، يحمل أول هذه الرسوم تاريخ 21 جمادى الثانية 1281 هـ وآخرها 2. محرم 1331, هذا وقد ذكر اسم الناظر سيدي محمد الزمراني في الرسم الأخير، ولم يثبت ذكر عدد أوراق الحوالة الذي كان في النص الأول 193 ورقة وقد تسلمها في ذلك الوقت الناظر الحاج محمد إبن شقرون وآخر اسمه تآكل.

(3)– حوالة القرويين ص : 71 .

(4)– حوالة القرويين. ص : 2و 3 تحمل الرسوم تاريخ 1281 وكان قاضي الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي الحسني.

(5) – حوالة القرويين، ص : 4 يحمل الظهير تاريخ 6 ربيع الثاني 1279 هـ وكان موجها إلى قاضي الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي الحسني.

تبرع سلطاني بثلاث فلا ميكات على كل من ضريح المولى إدريس، ومسجدي الرصيف والأندلس وقد تسلمها الموقت على يد الناظر السيد علال الشامي[1].

– ظهير المولى عبد الرحمان بن هشام بجعل جميع أوقاف الزوايا المنسوبة لأولاد الولي الصالح سيدي محمد الشريقي للمسجد بزاوية سيدي أحمد بن خضراء التي بمكناسة وبالرباط ومراكش وفاس[2].

– وصية السلطان أبي فارس عبد العزيز على الأساري[3].

– ظهير المولى عبد الرحمان بتحبيس العرصة والأروى المضافة لها والمصرية المحمل عليها على ضريح المولى إدريس[4].

– تبرع مولاي عبد الله بمكانة من عمل الأنجليز توضع بغريفة التوقيت بجامع القرويين[5]. أمر المولى عبد الرحمان لكل من القاضي والناظر بحيازة كرتي العلم الأرضية والسماوية[6].

– وصية السلطان بنصف حانوت وأروى متصلة بها[7].

– ظهير المولى محمد عبد الرحمان بتحبيس حانوت بسوق السباط على قراءة الشامل[8].

– أمر مولوي موجه للحاج عبد القادر صفيرة ببناء مقصورة بسماط الشهود، وأخذ ما تحتاجه من الماء لميضاتها من المعدة المقابلة لباب جامع القرويين[9].

---

(1)– حوالة أحباس القرويين، ص : 18 يحمل التبرع تاريخ أوائل شعبان 1240 هـ.

(2)– حوالة أحباس القرويين ، ص : 19 تحمل الظهير تاريخ 19 رمضان 1239 هـ.

(3)– حوالة أحباس القرويين، ص : 75 وعدد هذه الموقوفات 6 ما بين حوانيت وأرحية.

(4) – حوالة أحباس القرويين، ص : 168 يحمل الظهير تاريخ 24 شعبان 1248 هـ أما مدخول تلك الأوقاف فيصرف على من يقرأ القران في الضريح، وما فضل عنه يشتري به الزيت والحصر.

(5)– حوالة القرويين ص : 19 يحمل الظهير تاريخ 19 ذي القعدة 1287 هـ.

(6)– حوالة القرويين ص : 25 يحمل الظهير تاريخ 9 رمضان 1230 هـ وهذا الأمر المولوي. هذا هو المذكور بتفصيل في الحوالة السليمانية.

(7)– حوالة القرويين ص : 79.

(8)– حوالة القرويين ص : 289، تحمل الوثيقة تاريخ 23 ربيع الثاني 1289 هـ.

(9)– حوالة القرويين ص : 293، تحمل الوثيقة تاريخ 7 ذي القعدة 1227 هـ.

– ذكر ما وقع فيه الماشطات من تجاوز إحداهن أثناء الولائم والأعراس، ويعقبه ظهير المولى محمد بن عبد الرحمان بشرح الكيفية التي يكون عليه عملهن والاقتصار على سبعة أيام أثناء الأعراس(1).

الموضوع الثالث : *ما هو للمساجد والمدارس والزوايا حالا أو مآلا*

– وصية الشريف عبد القادر بن عبد الله بن المولى إسماعيل بإخراج الثلث من متخلفه ليكون حبسا على أولاده ذكورا وإناثا ما تناسلوا وامتدت فروعهم، يرجع بعد انقراضهم لجامع القرويين(2).

– تقييد بالأراضي التي لجانب مسجد الغرفة، ما هو فيها خارج باب الفتوح، وبوسلين وبغدوة وادي سبو، والمداشير وخارج باب عجيسة(3).

– تحبيس جزاء طراز الجياد المحمل على المعصرة على جامع القرويين، ووصية تحبيس الوزير السيد محمد بن العربي الجامعي العرصة المعروفة له برباط الفتح على بيت الله الحرام(4).

– تحبيس محمد البوري والحاج عبد الرحمان النسب على حفدتها، مرجعه بعد انقراضهم لجانب جامع القرويين(5).

– تحبيس العالم أبي العباس أحمد المحمودي الصنهاجي لربيعة كتب على ولده وعلى من تكون له أهلية لقراءة العلم من أبناء ولدية الحاج بدر الدين والسيد محمد ومرجعها بعد انقراضهم للقرويين(6).

---

(1)– حوالة القرويين، ص : 316.، تحمل الوثيقة تاريخ 4 رجب الفرد 1278 هـ.
هذا وبالهامش الأيمن من ص : 315 جرد بأسماء الحضارات والطبالات وما بقي من الصفحات بعد 316 فارغ.

(2)– حوالة أحباس القرويين ، من ص : 6 إلى ص : 12, تحمل وثيقه هذه الوصية تاريخ أواسط شوال 1259هـ وقد تمت الإشارة في يمين الصفحة إلى ذكر الأماكن المحبسة بتفصيل، وكذا الإشارة إلى وقوف أرباب البصر على بعض الأماكن وتقويمها.

(3)– حوالة أحباس القرويين، ص : 22و 23, تحمل الوثيقة تاريخ أوائل محرم عام 1244, وقد تضمنت تقويم كراء بعض ا لأراضي، وكانت بخط العدل أحمد بن محمد بن سليمان الأندلسي.

(4) – حوالة أحباس القرويين، ص : 47. تحمل الوثيقة تاريخ 28 قعدة عام 1303 هـ.

(5)– حوالة القرويين ص : 50 تحمل الوثيقة تاريخ أواخر محرم 1273 هـ.

(6)– حوالة القرويين ص : 53 تحمل الوثيقة تاريخ أواسط رمضان عام 1282 هـ.

-وصية الشريفة عشوة بنت مولاي عبد السلام النجار، على الفقيه مولاي عبد الرحمان النجار، وعقبه الذكور دون الإناث، مرجعها للقرويين(1).

- ثبوت الحبس على أولاد محمد بن داود الجامعي مرجعه للقرويين(2).

- ثبوت الملك والإراثة والتحبيس على الذرية مرجعه للقرويين(3).

- جرد بالحوانيت التي لجانب جامع القرويين(4).

- جرود كثيرة ومتعددة بالحوانيت التي لجانب جامع القرويين(5).

- جرود كثيرة بما للقرويين من دور ومصاري وفنادق وغيرها(6).

- الأوقاف المضافة لأوقاف جامع القرويين والوصايا المتعلقة بها، وفيها على الخصوص: وصية الفقيه الشيخ عبد الملك بن حيون الأندلسي التي تنص على أن يكون ثلثا الوصية للأسارى والثلث الباقي للمساكين وفي غلاء الأسعار(7).

- أوقاف المدارس بفاس الشاملة لرياعها وأراضي حراثتها حسبما يذكر بعد كل مدرسة(8).

- أحباس المدرسة المتوكلية، ومدرسة الخصة المعروفة بسيدي مصباح، وأحباس مدرسة العطارين، ومدرسة الحلفاويين، ومدرسة الوادي، وأحباس مدرسة الصهريج، والمدرسة الجديدة بالشراطين(9).

---

(1)- حوالة القرويين، ص : 54. تحمل الوثيقة تاريخ 7جمادى الأولى عام 1283 هـ.

(2)- حوالة أحباس القرويين، ص : 67 ، تحمل الوثيقة تاريخ أواسط رمضان عام 1309 هـ.

(3) - حوالة القرويين، ص : 68. تحمل الوثيقة تاريخ عام 1227 هـ.

(4)- حوالة القرويين ص : من 5 إلى 15, عدد هذه الحوانيت كثير يتقدم جرد بحوانيت سماط القرويين.

(5)- حوالة القرويين ص : من 11 إلى 48, ويحمل تاريخها أواسط ربيع الثاني 1220 هـ.

(6)- حوالة القرويين من 49 إلى 71, ويحمل تاريخها أواسط ربيع الثاني 1220 هـ.

(7)- حوالة القرويين ص : 73, وقد أشير إلى أن هذه الأوقاف وجد مجموعها بحوالة القرويين القديمة يحمل تاريخ ربيع الثاني سنة 994, وقيد بالحوالة أواسط ذي الحجة متم 1219 هـ.

(8)- حوالة القرويين ص : 83., وهو عنوان واضح وبخط جميل سطر تحته وفي الصفحات الموالية تلك أرباع بتفصيل (لا حاجة إلى ذكره).

(9)- حوالة القرويين من ص : 84 إلى 99, والملاحظ أن هذه الأوقاف كثيرة جدا ولا تذيل بأي تاريخ.

– ما للقرويين من الأوقاف المختلفة، وهي فضلا عن الحوانيت والأطرزة والأفرنة والمصاري، توجد كذلك فيوضات المياه الجارية بما في ذلك فيض غسل الأقدام بعدد من المساجد وكذا فيض برمة الحمام وفيض نقير[1]. وجنات لمطة والحبالات، وبقع عرصات أبي الجنود ووادي الفحالين وما هو خارج باب الحديد وباب الجديد، وما هو بالفخارين وداخل باب المسافرين، وبقع عرصات باب الشباك ووطا ابن عزوز.

–أحباس المسجد الذي أحدثه المولى عبد الرحمان بن هشام بالحرم الإدريسي إزاء القبة الشريفة[2].

الموضوع الرابع : ما هو لجانب أئمة المساجد ومؤذنيها وقراء الحزب بها.

– وصية السيدة فاطمة الفشتالي بإخراج الثلث من متخلفيها لشراء قبر لها، والباقي يشترى به موضع يوقف على طالب يقرأ القرآن بأحد مساجد فاس[3].

وصية مولاي الهادي الطاهري وزوجته على حزابي مسجدي سيدي البياض وسيدي الدراس[4].

– ثبوت أحباس على حزابي باب الروح بالقرويين الأعلى بين الخوختين اللتين بالصف الأول من جامع القرويين[5].

– تحبيس ربع دار على من يقرأ الحزب صباحا ومساء بمسجد القرويين[6].

– أحباس على إمام محراب ضريح المولى إدريس[7].

– أحباس على إمام مسجد الشرفاء[8].

(1)– حوالة القرويين، ص : 100. إلى 167, أما من 133 إلى 145 فكلها تتحدث عن منطقة خولان، وبصفحة 146 نسخة رسم تثبت التأكيد على أن جميع هذ ه الأراضي محسوب للجامع الأعظم جامع القرويين وقد ذيلت بتاريخ الحجة 1113 هـ.

(2)– حوالة القرويين ، من ص : 169 أما الصفحات الموالية 170, 171, 172 ففارغة سيأتي بعدها جرد طويل جدا بما للأئمة والمؤذنين وقراء الحزب من أوقاف.

(3)– حوالة القرويين، ص : 39 تحمل الوصية تاريخ 12 رمضان 1235 هـ.

(4) – حوالة القرويين، ص : 41 تحمل الوصية تاريخ ذي القعدة سنة 1213 هـ.

(5) – حوالة القرويين، ص : 59 تحمل الوصية تاريخ أوائل رمضان سنة 1245 هـ.

(6) – حوالة القرويين، ص : 61 تحمل الوصية تاريخ 29 ذي القعدة سنة 1286 هـ.

(7)– حوالة القرويين، ص : 173 يلاحظ أن الجرد بهذه الأماكن الموقوفة لم يذيل بأي تاريخ.

(8) – حوالة القرويين، ص : 174 يلاحظ أن الجرد بهذه الأماكن الموقوفة لم يذيل بأي تاريخ.

– ما بيد إمام مسجد الشرفاء من أحباس المقابر(1).

– أحباس المؤذنين بالمنار الأبرك بمسجد الضريح الأعظم(2).

– نسخة رسم على الذرية يعود إلى من يقرأ القرآن بباب محراب الضريح(3).

– ما بيد الأئمة والمؤذنين وقراء الحزب بعدد كبير من مساجد فاس اذكر من بينها : سيدي الهبطي وسبوس وإبن عتيق وأبي مدين وسيدي صافي، ودرب الأمانة والحرة والقلعة والقفصي والشعراني وسيدي النالي وسيد القاضي وزقاق البغل، ودرب السعود والصفارين، وابن البياض، والنارنجة واللبادين وشوارة وسيدي الزيتوني....(4).

– مسجد حومة القلقليين والغرابلي واللبارين، واغلن وسيدي اللزاز، وسيدي قجاج وما هو على حزابين ثمانية بجامع القرويين والصفيفح، ووادي الزحول ودرب ابن يعدس، ورأس الجنان وعقبة الفيران(5) وما هو معروف للطلبة الذين يقرأون الحزب بمسجد الأنوار بسيدي العواد.

– تقييد الرباع الموقوفة على الحزب الذي بين محراب القرويين ومقصورتها(6).

– تقييد الرباع الموقوفة على القرويين : قوام الليل بها والحزابين(7).

– تقييد الرباع الموقوفة على مسجد الشرفاء والقصبة والمدرسة المتوكلية والقاضي والمفتي بالقرويين وحزابي الأندلس وقوام الليل بها ومسجد جزاء ابن عامر(8).

---

(1)– حوالة القرويين، ص : 176 يلاحظ أن الجرد بهذه الأماكن الموقوفة لم يذيل بأي تاريخ.

(2)– حوالة القرويين، ص : 177 يلاحظ أن الجرد بهذه الأماكن الموقوفة لم يذيل بأي تاريخ.

(3)– حوالة القرويين، ص : 178 تحمل الوثيقة تاريخ 6 جمادى الثانية 1246 هـ.

(4)–حوالة القرويين، ص : 179إلى 196, هذه الموقوفات وصلت إلى مئات من مختلف الرباع.

(5)–حوالة القرويين، من : 197 إلى 226 وبأسفل هذه الصفحة لفظ تحبيس الحاج عبد القادر بناني حوانيت ثلاثة على أربعةعشر طالبا يقرؤون الحزب صباحا ومساء تحت الثريا الكبرى بجامع القرويين، في كل يوم بالصيغة الفيلالية ويعطى لكل طالب منهم أربع أوراق آخر كل شهر، وما يفضل عنها يبقى وفرا بيد الواقف على الحزب المذكور. إلى أن يحاسب عليه، على أن يتولى هو اكراء الحوانيت، فإذا قضى الله به شغل هذا المنصب إبن أخيه الحاج عبد الكريم، وقيد بتاريخ 25 محرم 1269. وعقبه إمضاء عدلين في شكلين معقدين.

(6)– حوالة القرويين، ص : 229 وتجدر الإشارة إلى أن كل ما هو محبس من طرف المحسن العربي الشامي.

(7)–حوالة القرويين، من 231 إلى 237 وهذه الموقوفات كثيرة جدا.

(8)–حوالة القرويين، من 238 إلى 300 تحمل الوصية في الصفحة الأخيرة تاريخ 29 محرم 1220 هـ.

- حبس من طرف الوزير السيد محمد الجامعي على من يقرأ الحزب بقية المولى إدريس الأكبر(1).

- تحبيس على العقب مرجعه إلى القرويين(2).

- ثبوت الحبس على أولاد المنجور ينتهي إلى مسجد القرويين(3)

الموضوع الخامس : ما هو لجانب الكراسي العلمية.

- ما بيد المدرس بمسجد الصفارين وقارئي صحيح البخاري والرسالة والكرسي بالأقواس(4). كراسي الوراق بالقرويين بنواحي مختلفة من الجامع المذكور(5).

كراسي التدريس بالقرويين : التفسير، الكلاعي، الرسالة، ومسجد الأبارين وعقبة الزرقاء(6).

- حبس على كرسي تدريس الشامل بالقرويين(7).

- حبس على كرسي تدريس الرسالة عند الظهر بقبة المولى إدريس الأكبر على يسار الخارج من القبة(8).

الموضوع السادس : *وقوف الناظر وأهل الخبرة والبصر*

- بناء أروى بعد طواف أهل الخبرة صحبة الناظر، على أن يكون للحبس نصف قيمة

---

(1)- حوالة القرويين، ص: 305 تحمل الوصية تاريخ 8 محرم 1298 هـ.

(2)- حوالة القرويين، ص : 306 إلى 311، يحمل التحبيس على العقب تاريخ 3 ربيع الثاني 1332، بينما تحمل وثيقة ثبوت السماع الفاشي على آل الفرديس تاريخ 11 رجب 1273 هـ.

(3)- حوالة القرويين، ص : 42 عدد الأصول 17 أغلبها حوانيت بالإضافة إلى عرصة وغابة، وتحمل الوثيقة تاريخ 19 شوال 1245 هـ وتحت الوثيقة إشهاد أن الأصول المذكورة هي أحباس على العقب مرجعه إلى القرويين بعد الإنقراض وقد ذيل هذا الإشهاد بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(4)-حوالة القرويين، ص 191، 195، 200 وتحت كل كرسي جرد بماله من أوقاف.

(5)-حوالة القرويين، من ص : 230 إلى 245.

(6)- حوالة القرويين، من ص :246 إلى 248.

(7)-حوالة القرويين، ص 288 تحمل الوثيقة تاريخ 6 رمضان 1248 هـ.

(8)- حوالة القرويين ، ص 305 تحمل الوثيقة تاريخ 8 محرم عام 1298هـ. وهذا الحبس عبارة عن واجب في حانوت حبس من طرف الوزير السيد محمد الجامعي.

كرائها شهريا، ويبقى النصف الآخر بيد الغير حتى يستوفي المبلغ[1].

– عقود معاوضة، ووقوف أهل الخبرة، وتبرئة الناظر السيد جنون بعد أدائه خمسين مثقالا للذي قام بإصلاح الأروى[2].

– وقوف عدلين وخبيرين صحبة ناظر الأحباس بالنيابة على بلاد الحرث بباب الفتوح وقرارهم بالنقص من قيمة الكراء لوقوع الجائحة بها[3].

– طواف خبيرين بفدان ظهر الجزارين وبلادات كرانطة ورفع تقرير يتضمن وجوب جميع الكراء على مكتريها دون نقصان[4].

– تقويم كراء بعض الأراضي الفلاحية[5].

– ثبوت انتهاء النزاع بين الفقيه الزياني والناظر في شأن بلاد قرب سيدي حرازم للمولى سليمان[6].

– التثبت من وجود بعض العقارات وصحة تملكها[7].

– إبراء ذمة القابض بعد الأداء وتقويم بحومة رأس الجنان بمحضر الناظرين السيدين محمد بنيس ومحمد بناني[8].

– طواف أرباب البصر والخبرة على الأحباس العائدة للقرويين[9].

---

(1)– حوالة القرويين، ص : 15 كان العقد بتاريخ 22 ذي الحجة 1256, هذا ويوجد بنفس الصفحة رسوم أخرى تصب في نفس المعنى.

(2)– حوالة القرويين، ص : 16. تحمل الوثيقة تاريخ 10 جمادى الثانية 1267 هـ.

(3)– حوالة القرويين، ص : 21. تحمل الوثيقة تاريخ 5 جمادى الأولى 1224 هـ.

(4)–حوالة القرويين ص : 21 تحمل الوثيقة تاريخ 9 جمادى الثانية 1244 هـ.

(5)– حوالة القرويين، ص : 22 / 23 تحمل الوثيقة تاريخ أوائل محرم 1244 هـ.

(6)–حوالة القرويين، ص : 29 تحمل الوثيقة تاريخ 13 شوال 1222 هـ.

(7)– حوالة القرويين، ص : 30 /31 تحمل الوثيقة تاريخ 12 رمضان 1235 هـ وقد ذيل الرسم على طوله بتثبيت المحتوى في صفحات متعددة (25, 27, 28, 29, 31, 33, 34, 35) في طرة الحوالة بطريقة عمودية، كما سجل مثله على يسار الحوالة بصفحتي 42, 43 بينما سجل على اليمين بصفحة 44.

(8)–حوالة القرويين، ص : 35 تحمل الوثيقة تاريخ 17 رجب 1235هـ.

(9)–حوالة القرويين، ص : 55 تحمل الوثيقة تاريخ 11 شعبان 1310 هـ.

- تقويم غلة نخلة وكرمة وتوت بجنان خارج باب المسافرين[1].

- وثيقة تثبت وقوف أرباب الخبرة والنظر وطوافهم على عرصة وأجنة وغيرها لتقويم استأجارها[2].

- وقوف الخبراء صحبة الناظر على قطعة أرضية قصد تمييز حدودها[3].

- تسليم الخبراء لمعاوضة ربع جنان بأصل داخل المدينة[4].

- طواف أصحاب الخبرة على البلادات التي لجانب الحبس والكائنة قرب قنطرة سبو وغيرها ووضع حدودها وتقويم كل منها على حدة[5].

الموضوع السابع : *وصايا ونصوص مختلفة تتضمن أيضا بعض المعاوضات.*

- إثبات براءة ذمة الناظر جنون، وشراء موضع بمصمودة لدفن الشرفاء[6].

- فتاوى تسع تتعلق بالتحبيس على العقب والإستشهاد بقول الإمام مالك وابن القاسم[7].

- إثبات تحبيس على ولد سيدي إدريس الكتاني، وإبراء المشتري ووصية بالثلث للحفدة[8]

- بسط الخلاف الذي وقع بين الشرفاء العراقيين والسيد ناظر الأوقاف في شأن بلاد ببوغزوان[9].

---

(1)- حوالة القرويين، ص : تحمل الوثيقة تاريخ رمضان 1251 هـ.

(2)- حوالة القرويين، ص : 167 تحمل الوثيقة تاريخ 27 ربيع الثاني 1227 هـ

(3)- حوالة القرويين، ص : 154 تحمل الوثيقة تاريخ 25 جمادى الثانية 1332 هـ.

(4)-حوالة القرويين، ص : 292 تحمل الوثيقة تاريخ 16 صفر 1333 هـ.

(5)-حوالة القرويين، من : 312 ، يلاحظ أن البلادات المذكورة قد عوضت بثلاثة عشر دارا ذكرت جميعها في الطرة اليمنى ووضعت قيمتها بجانبها.

(6)- حوالة القرويين، ص :13 و14, الوثيقة الأولى بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1267, والثانية بتاريخ 12 قعدة 1262 هـ.

(7)-حوالة القرويين، ص 24, تحمل الوثيقة تاريخ 22 رجب 1244 هـ مذيلة بإشهاد حياز رسم الفتاوى.

(8)-حوالة القرويين، ص : 26 /27, تحمل الوثيقة الأولى تاريخ رمضان 1164 والثانية عام 1222 والثالثة 1332 هـ.

(9)- حوالة القرويين : ص: 28 وقد تقدم هذه الوثيقة عقود تتعلق بنفس البلادات في عهد الناظر الحاج عبد المجيد التاودي ابن شقرون، تحمل تاريخ 9 جمادى الثانية عام 1245 هـ.

– وصية الحاج محمد بن العربي المدرع بجعل ولده العياشي وصيا[1].

– شراء الناظر لجانب الحبس بقعة بالزيات وجنان بباب الحديد[2].

– زمام بالكتب التي حبسها العلامة الحاج عبد السلام بناني عام 1140 هـ وجرد بها، واعتراف السيد التهامي بناني بحيازة هذا الرسم مع تراجم الكتب عام 1246 هـ [3].

– وصية شيخ الجماعة سيدي محمد بناني بدفنه بزاويته بالصاغة[4].

– إزالة الاستغراق عن مصرية لجانب الحبس بعد أداء الناظر لصاحب الاستغراق ما صيره عليها، كذلك الشأن بالنسبة لدار بالشرابليين[5].

– ثبوت حيازة حانوتين، ومعاوضة بين الناظرين والفقيه السلاوي، وفتاوي كلها متعلقة بتمكن ضرر الواد ببعض البنايات[6].

– وصية بإنفاق الثلث على زاوية الحمومي، ووصيته بتحبيس على الأحفاد، ووقف على الذرية بعد إثبات صحة ملك دار بحومة الكدان[7].

– فتوى مضمونها أن لا جلسة لمن أهمل جلسته لمدة أربعة عشر عاما كما في النازلة التي تتحدث عن فرن، كذلك ثبوت ملكية أخوين لواجب في حانوت بالنخالين وشراء الناظر كنون منهما لهذا الواجب[8].

---

(1)– حوالة القرويين، ص : 32 / 33 : حمل الوثيقة تاريخ 7 ربيع الأول عام 1224 هـ.

(2)– حوالة القرويين، ص : 33 / 34، ، حمل الوثيقة الأولى ربيع الثاني 1224 والثانية أواخر الحجة 1233 هـ.

(3)– حوالة القرويين، ص : 36 ومن جملة هذه الكتب : ابن حجر على الشمائل ـ شرح الزقاقية للشيخ ميارة ـ الزرقاني على المختصر في أربعة أسفار.....

(4)–حوالة القرويين، ص : 37.

(5)–حوالة القرويين، ص : 38 ، النص الأول بتاريخ قعدة 1226 والثاني بتاريخ محرم 1227 هـ.

(6)– حوالة القرويين، من ص : 43 إلى 46، الأول بتاريخ ربيع الثاني 1346، والثاني أوسط رجب 1229. أما الناظر أن فهما السيدان بنيس وبناني، والنص الثالث يحمل تاريخ أواسط المحرم 1234. كما يلاحظ أن فتاوي الضرر لا تحمل أي تاريخ، غير أن آخرها مذيل باسم محمد بن الحسن بناني،

(7)–حوالة القرويين، 50 / 57 والتواريخ هي كالآتي : سنة 1266 ـ 1303 ـ 1280 ـ 1283 هـ.

(8)–حوالة القرويين، ص : 58 و 62، الفتوى تحمل تاريخ 29 شعبان 1229، أما ثبوت الملكية وشراء الناظر فيحمل تاريخ ذي القعدة عام 1286 هـ انظر الفتوى كاملة في الملاحق (الملحق الخاص بالفتاوى).

- معاملات بين الناظر والخواص وكذا معاوضات عدة بما في ذلك عقود استئجار فيض الماء[1].

- وصية بتحبيس على الحفدة، وأعواد زيتون على سامرة سوق الفخارين، وسامرات أخر[2].

- تقييد بأهم الأصول وأثاث والكتب لفائدة ورثة الحاج عبد الرحمان الشفشاوني[3].

- تعريفات بالشكل المسجلة به بعض الرسوم المتقدمة[4].

- معاوضة بين القرويين والخواص[5]

- الإشهاد على اثنتي عشرة نسوة بعدم الركوب على الدابة وعدم لباس السلهام أو الجلابة[6].

- وثيقة تذكر ما وقع فيه الماشطات من تجاوز إحداهن أثناء الولائم والأعراس[7].

- الموضوع الثامن : الموقوفات على المقابر والمرضى والضعفاء.

تحبيس قمح يفرق على الفقراء والمساكين، وآخرعبارة عن دار عليهم كذلك، وثالث على الأسرى والمحتاجين[8] أيام غلاء السعر.

- وصايا متعددة على المساكين من طرف بعض المحسنين تارة يذكر إسم الموصي وتارات لا يذكر[9].

---

(1)- حوالة القرويين، ص : 64، 66، 70، 82، 133، تحمل تاريخ سنوات 1223، 1236، 1231 هـ.

(2)- حوالة القرويين، ص : 289، 259 تحمل وثيقة تحلبس أعواد الزيتون تاريخ أواسط شعبان 1250هـ.

(3)- حوالة القرويين، ص : 301 تحمل الوثيقة تحبيس تاريخ 5 شعبان 1228 هـ.

(4)-حوالة القرويين، ص : 302 تحمل وثيقة تحبيس تاريخ منتصف قعدة 1232 هـ.

(5)-حوالة القرويين، ص : 303 / 304 تحمل وثيقة تحبيس تاريخ 10 صفر عام 1333 هـ.

(6)- حوالة القرويين، ص :314 تحمل وثيقة تحبيس تاريخ منتصف جمادى الأولى 1323 هـ.

(7)-حوالة القرويين، ص 513 تحمل وثيقة تحبيس تاريخ 4 رجب عام 1278 هـ.

(8)-حوالة القرويين، ص : 53، 49، 73 لا تحمل التاريخ إلا الوثيقة الأولى وهو شعبان 1277 هـ.

(9)- حوالة القرويين ، ص : 77، 81 والوصايا عبارة عن جرد بهذه الأوقاف ولا تاريخ بها.

- أوقاف المرضى الجذماء القاطنين ببرج الكوكب[1].
- وصايا مختلفة بعضها على المساجد وعلى مقابر المسلمين والأضرحة[2].
- ما بيد المواسين من أوقاف المقابر[3].
- وصية الحاج الحسن ابن زاكور على ضعفاء قومه[4].
- أوقاف المقابر وغيرها[5]
- أوقاف المرضى الجذماء القاطنين ببرج الكوكب خارج باب عجيسة[6].

---

(1)- حوالة القرويين، ص : 249 لا تاريخ بها.
(2)- حوالة القرويين، ص : 250 / 256 لا تاريخ لها.
(3)- حوالة القرويين، ص : 257 وبه كذلك ما هو لجانب سيدي أحمد البرنوسي.
(4)-حوالة القرويين، ص : 261.
(5)-حوالة القرويين، من : 263 وقبل الجرد كتب ما يلي : "الحمد لله تقييد ما وقفنا عليه وألفيناه بأوراق متفرقة قديمة ممزقة متلاشية مشتملة على بعض من أوقاف المقابر وغيرها وما يقرأ عليها تاريخها عام (تاريخ بالقلم الفاسي) وقيد هذا في رجب. وقيد منها أواسط ربيع الأول (سنة بالقلم الفاسي).
(6)- حوالة القرويين، ص : 285.

الفصل الخامس

حـــوالـــة الـــمـــدارس

المبحث الأول :

وصف حوالة المدارس

وتقع هذه الحوالة المباركة في دفتر يضم مائة وثمانية وخمسين صفحة، المكتوب منها : اثنتان وثمانون.

مقياسها 28 سنتم على 22. دفتاها مصنوعتان من الورق المقوى البني المائل في بعضه إلى السواد، والمزخرف بشكل بيضوي يتوسط شكلين صغيرين يصلان إلى الجانبين العلوي والسفلي للدفتين، وبداخل هذه الأشكال زخارف رائعة تشبه النقوش التي تنحت على بعض الأكواب الخزفية، والدفتان متآكلتان، وبالخصوص أسفل ووسط اليمنى وأعلى اليسرى، ونفس التآكل بالنسبة للدفة اليسرى وخاصة الجزء الأعلى منها، وجانبها الأسفل.

ألصق بجانبها الأيمن ورقة سجل عليها حوالة المدارس وجلها خروم، كما ألصقت صفحة بالدفة اليمنى من الداخل تشتمل على نصين يتعلق أولهما بتسليم الحوالتين المتعلقتين بأحباس المدارس إلى الناظرين الجديدين الحاج محمد بنيس والحاج محمد بنشقرون من يد سلفهما الحاج عبد القادر بناني[1].

ومضمون ثانيهما حيازة الناظرين السيدين جنون وبالامين من سلفيهما السيدين عمر الشامي ومحمد بنيس للحوالة نفسها والتي كان عدد أوراقها آنئذ سبعا وسبعين ورقة مكتوبة جميعا[2].

وبأعلى الصفحة نفسها نص قصير تآكلت كتابته مع الجزء العلوي من الدفة اليمنى، ولم يعد يظهر فيه إلا الكلمات الآتية : (النبوي غام 1240 ـ على المدرسة المصباحية ـ عرف قدره، عبد ربه... وعرفه).

---

(1)– حوالة المدارس . انظروا الصفحة الملصقة بالدفة اليمنى. يحمل النص تاريخ 20 جمادى الثانية عام 1281 هـ.

(2)– حوالة المدارس. يحمل النص تاريخ 2 جمادى الأولى عام 1314 هـ.

أوراق هذه الحوالة من النوع السميك العتيق المشابه للمنشفات، ذات لون يميل إلى الأصفر، غير مسطرة بخطوط باستثناء ورقتين عاديتين في نفس مقياس الحوالة الصقتا بداخل الدفتين بعد ترميمها.

عدد السطور المكتوبة يختلف باختلاف نوع الوثيقة وطريقة كتابتها، فهي تتأرجح ما بين الواحد والثلاثين سطرا والعشرين[1].

أما الكتابة والخطوط فمتباينة، منها ما هو جيد ممتاز، ومنها ما هو متواضع، أغلب الكتابة بها أفقي، وأقلها عمودي ودائري[2].

وأما عن عدد النصوص بها، فثمانية وستون نصا، أرقام هذه الحوالة متتابعة، مرقمة الأوراق لا الصفحات، أوراقها الخالية من الكتابة ليست متتالية متتابعة، وإنما هي موجودة بين صفحات تضم نصوصا تشمل أملاكا موقوفة على المدارس[3].

صفحات هذه الحوالة بيضاء تميل إلى اللون الأصفر، ومعظمها ملطخ خاصة تلك الخالية من الكتابة[4].

أقدم تاريخ بها يعود إلى 23 ربيع الثاني 1224 هـ [5].

وأحدثه يعود إلى 21 شعبان عام 1348 هـ [6].

---

(1)– حوالة المدارس . الصفحة الأولى عدد السطور المكتوبة بهذه الوثيقة 31, بينما هذه السطور لا تتعدى العشرين في الصفحة الثانية.

(2)– حوالة المدارس.انظروا على سبيل المثال الورقة رقم 47 بوجهيها، حيث الكتابة عمودية، ورقم 49 حيث الكتابة دائرية.

(3)– حوالة المدارس فنجد مثلا الورقة رقم 20 والموالية لها مكتوبتين، بينما نجد خمس ورقات تابعة لها خالية من آية كتابة، كذلك الشأن بالنسبة لرقم 27, فصفحتها الأولى فارغة، وثانيتها تضمنت أحد النصوص، وتلتها صفحة فارغة وهكذا.

(4)– حوالة المدارس. انظروا على سبيل المثال الأوراق المتواجدة بين رقمين 9 و 17.

(5)– حوالة المدارس . ص 29 سجل التاريخ بأسفل الصفحة اليمنى من نفس الورقة.

(6)– حوالة المدارس ص 66, غير أن هناك رسما ملصقا بنفس الورقة يفيد التقييد بالوزارة بتاريخ 18 محرم 1349.

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها حوالة المدارس

يمكن تصنيف ما اشتملت عليه هذه الحوالة إلى المواضيع التالية :

الموضوع الأول : *الظهائر السلطانية وحيازة الحوالة.*

- ظهير المولى محمد بن عبد الرحمان في شأن بناء معاصر للزيتون بفاس من توفير أحباس مسجد الرصيف[1].

- ظهير المولى عبد الرحمان بن هشام في شأن تعويض الماء الجاري لدار ابن جلون بأصل يكون مستفاده لجانب الحبس[2].

- ظهير سيدي محمد بن يوسف في شأن معاوضة نتج عنها تشييد مدرسة بزقاق الرمان[3].

- ثبوت حيازة حوالة المدارسة من طرف الناظرين ابن جلون وابن كيران من يد سلفيهما جنون وبالامين، والتي بها سبع وسبعون ورقة منها : إحدى وثلاثون لا كتابة في واحدة منها، وكذا حيازتها من طرف الناظرين الجديدين الشامي والبدوي[4].

الموضوع الثاني : *وقوف أهل الخبرة وتقاريرهم.*

- وقوف أهل الخبرة وتقريرهم في تقويم جنان بباب الحديد، وكذا الفندق والأروى والكوشة بزنقة مسجد السانية، وتقويم الكراء لمدة عشرين سنة بمحضر الناظر السيد محمد بنيس[5].

---

(1)- حوالة المدارس. ورقة 63. تحمل الوثيقة تاريخ أواسط رجب عام 1252 هـ.

(2)- حوالة المدارس. الصقت نسخة الظهير بالورقة رقم 65 بالحوالة، وتحمل هذه النسخة تاريخ 21 شعبان عام 1348 هـ. ومما يلاحظ أن هذا الرسم الملصق هو أطول من ورقة الحوالة، ولذلك طوي جانبه الأسفل والأيمن، وقد ذيل بتاريخ 18 محرم عام 1349 هـ.

(3)- حوالة المدارس . ورقة 1 وتشتمل الصفحة على سبعة رسوم موضوعها واحد هو تسليم الحوالة، أولها مؤرخ بخامس شعبان 1318 هـ وآخرها يحمل تاريخ 23 جمادى الثانية 1326هـ.

(4)- حوالة المدارس . رقم 3 / 4 يحمل الرسم الأول أوائل ربيع الثاني 1229 ويحمل الثاني جمادى الثانية 1229 هـ.

(5)- حوالة المدارس . رقم 20 / 21 وثيقة طويلة جدا مؤرخة بتاريخ 11 جمادى الأولى 1251 هـ.

– نسخة رسوم ستة تتضمن سماع الشهود وسماعا فاشيا أن الزيتون المفترق في قبيلة رغيوة محبس على طلبة العلم الملازمين بمدرسة الصفارين[1].

– كراء جزاء ربع ماء الساقية لمدة عشرين سنة بعد وقوف أهل الخبرة[2].

– وثائق يتعلق بعضها بوقوف أهل الخبرة على بعض الأمكنة كالأروى بالمزدع وتقويمها، وجلسة حانوت بسوق التليس، وماء خصة فندق وتذيل كل خبرة برسم ثبوت ذلك لدى قاضي الجماعة الذي كان في أولها السيد أحمد بن محمد التاودي ابن سودة، وفي ثانيها السيد محمد بن عبد الرحمان العلوي الحسني، بينما أغفل رسم بثبوت ذلك لدى القاضي في ثالثها[3].

الموضوع الثالث : *الأحباس التي وقفت على المدارس.*

– أحباس المدرسة العنانية[4]

– أحباس مدرسة الخصة المعروفة بمدرسة سيدي مصباح[5]

– أحبانس مدرسة العطارين[6].

– أحباس مدرسة الحلفاويين[7]

– أحباس مدرسة الوادي[8].

– أحباس مدرسة الصهريج[9]:

– أحباس المدرسة الجديدة الرشيدية[10].

---

(1)– حوالة المدارس . رقم 27 تحمل الوثيقة تاريخ أواسط جمادى الأولى 1251 هـ

(2)– حوالة المدارس . رقم 27 تحمل الوثيقة تاريخ أواسط جمادى الأولى 1251 هـ

(3)– حوالة المدارس. رقم 28 تحمل الوثيقة تاريخ ربيع الأول عام 1227 هـ.
رقم 60 تحمل الوثيقة تاريخ أواخر رجب عام 1287 هـ.
رقم 70 تحمل الوثيقة تاريخ أواخر صفر عام 1239 هـ.

(4)– حوالة المدارس. من 29 إلى 38 خالية من أي تاريخ، وقد استهل الجرد بالبسملة والتصلية.

(5)– حوالة المدارس . من 2 إلى 35 (أوقاف متنوعة وكثيرة جدا).

(6)– حوالة المدارس .من 47 إلى 50 وعدد هذه العقارات يصل إلى 51 ما بين أصل وواجب.

(7)– حوالة المدارس . رقم 50 / 51 وعدد هذه العقارات 30 ما بين حوانيت ورحى وبقعة جنان.

(8)– حوالة المدارس . رقم 52/ 53 وعدد هذه العقارات 27, وبالورقة 53 إشارة إلى أن 7 دور تستفيد من فيض الماء.

(9)– حوالة المدارس . من 53 إلى 58 وعدد هذه العقارات 22 (حوانيت، فدادين، اطرزة...)

(10)– حوالة المدارس . من 58/ 59 وعدد هذه العقارات 20 (حوانيت، فدادين، أطرزة...)

– أحباس مدرسة عجيسة[1].

الموضوع الرابع : *ثبوت حيازة الناظر للأموال والعقارات*

– ثبوت وقوف الناظرين وموافقتهما على واجب كل من الورثة ومسجد درب جنيارة والمدرسة المصباحية والرشيدية وجامع القرويين من العقار الكائن بسوق البرنوص من العطارين[2].

– حيازة الناظر لجانب حبس المدرسة العنانية نصف الحانوتين أصلا وجلسة بإزاء رى المزدع[3].

– حيازة الناظرين عشرين ريالا من قبل استفادة نصف الماء الذي يموت بأروى حبس المدرسة العنانية الكائنة بأسفل المزدع من طالعة فاس[4].

الموضوع الخامس : *الأماكن الموقوفة على شراء الخبز*

– أوقاف على شراء الخبز لطلبة المدرسة المصباحية[5]

– أوقاف على شراء الخبز لطلبة المدرسة الرشيدية[6].

– أوقاف على شراء الخبز لطلبة المدرسة الرشيدية تصدق بها السيد أحمد بن محمد التاودي بنسودة وذلك من ثلث متخلفه[7]

– وصية الفقيه محمد بن الصادق الدكالي بإخراج ثلث متخلفة لشراء ريع يكون حبسا لشراء خبز يفرق على الطلبة الساكنين بمدرسة مولاي رشيد بالشراطين[8].

---

(1)– حوالة المدارس . من 64. وهذه الأوقاف عبارة عن عرصة وبقعة من أخرى، ومعصرة، وكوشة، وجبس، وزريبة

(2)– حوالة المدارس . ورقة 18 الناظران هما السيدان الطاهر السراج وعبد السلام ابن جلون وتحمل الوثيقة تاريخ 26 ذي القعدة عام 313 هـ .

(3)– حوالة المدارس. رقم 29 وتحمل الوثيقة تاريخ 26 ربيع الأول عام 1227 هـ.

(4)– نفس المرجع بأسفل رقم 29 وتحمل الوثيقة تاريخ 23 ربيع الثاني عام 1224 هـ.

(5)– حوالة المدارس . رقم 45 / 46 ، لا يرد بها أي تاريخ . أما هذه الأوقاف فعددها 43 متنوعة.

(6)– حوالة المدارس . رقم 60 / 61 ، لا يرد بها أي تاريخ. أما هذه الأوقاف فعددها 31 متنوعة.

(7)– حوالة المدارس . رقم 62 تحمل هذه الوثيقة إثبات قاضي فاس لمضمونها، وتحمل تاريخ 29 رمضان عام 1335 هـ.

(8)– حوالة المدارس . الصفحة الثانية من 62 تحمل الوصية تاريخ 7 شعبان 1244 هـ، وقد تضمنت فضلا عن الخبز للطلبة تحبيس جميع كتب الهالك على القرويين، عدا شرحه على المختصر فهو لمولاي الكبير الحسني وعقبه بعده، وابن حجر على البخاري الذي جعله حبسا على مكة المشرفة برواق سيدنا عثمان رضي الله عنه .

الموضوع السادس : *المعاوضات*

– عقد معاوضة بين ناظر الأوقاف وأحد ورثة الحاج إبراهيم السوسي تتعلق بجلسة حانوت بسوق التليس في مقابل قطعة أرضية بلمطة[1]

– إمضاء القاضي لمعوضة بين ماء يجري من المدرسة الرشيدية لدار ابن جلون وبين أصل حانوت[2].

– نسخة رسوم أربعة تتحدث في مجموعها عن ثبوت عريصة بدرب العامر على ملك السيد علال بن الحاج محمد الشليح، مع التعريف بهذا الأخير، وثبوت الرسم، وكذا شراء الناظرين لقطعة من عرصة كائنة بأعلى زقاق الرمان[3].

الموضوع السابع : *إبراء واستئجار ووصية*

– إبراء ذمة القابض المؤذن السيد الحاج العربي برادة مما قبضه من غلل أحباس المدارس، ومحاسبته[4].

– ثبوت استئجار فيض ماء سقاية باب حفاة المدرسة البوعنانية لمدة عشرين عاما[5].

واستئجار فضاء خمس حوانيت متصلة بالمزدع لمدة خمسة أعوام.

شهادة وصية أخ على ابن أخيه[6].

---

(1)– حوالة المدارس. ص : 60 تحمل وثيقة تاريخ أوائل شعبان 1287 هـ. هذه المعاوضة كانت بإذن قاضي الجماعة في حينه.

(2)– حوالة المدارس ص : 63 تحمل وثيقة تاريخ أواسط رجب عام 1252 هـ. امضى المعاوضة القاضي السيد مولاي عبد الهادي الحسيني استنادا إلى ظهير شريف للمولى عبد الرحمان بن هشام

(3)– حوالة المدارس ص : 63 / 64 تحمل وثيقة تاريخ أواخر قعدة الحرام عام 1281 هـ. والناظران هما: الحاج إدريس بنيس، ومحمد ابن شقرون.

(4)حوالة المدارس . الورقة الأولى، وقد ذيل هذا الإبراء بما يلي : "حوسب القابض على قبضه بجميع التراجم الست أعلاه حسبما بمحاسبة المدرسة العنانية، وقيد في 16 شوال عام 1229" وذيل بإمضاءين معقدين.

(5)– حوالة المدارس. الورقة رقم 38 يحمل النص الأول تاريخ 24 شوال 1294 ويحمل الثاني منتصف جمادى الأولى عام 1295 هـ.

(6)– حوالة المدارس . الورقة رقم 28 تحمل الوثيقة تاريخ أواخر شعبان 1225 هـ.

الفصل السادس

رسوم بعض الأملاك الخالصة

(كناش أملاك أحباس القرويين العامرة)

المبحث الأول:

وصف الكناش

يقع هذا الكناش في اثنتين وثلاثين ورقة، مسطرة أفقيا بلون رمادي خاقت، وعموديا بلون أحمر، عدد السطور الأفقية خمسة وثلاثون، وعدد العمودية سبعة.

مقياسه 33 سنتم على 22 .

صفحات هذا الكناش مرقمة، مرتبة من واحد إلى خمسة وعشرين، والبقية فارغة، بعض أوراقه تناثرت وزاغت عن مكانها لتفكك الأوراق من أسفل الكناش، وعدم أحكام الخيط لها بسبب التداول فيما يظهر.

دفتاه مصنوعتان من الورق المقوى، كتب على الصدر الأيمن من أولاهما رسوم بعض الأملاك الخالصة، في حين ألصق بوسط الجانب الأيمن منها قطعة من ورق سجل عليه عبارة : كناس أملاك أحباس القرويين العامرة وذلك بخط جميل، واضح.

للدفتين لون أبيض يميل إلى الاصفرار، خال من الزخرف إلا سطور خفت لونها الأصلي، وهما متآكلتان من الأسفل والأطراف.

صفحة الكناش المرقمة بواحد خالية من الكتابة، يحتوي هذا الكناش على واحد وعشرين رسما، أما متوسط الكلمات المكتوبة في كل سطر، فاثنتان وعشرون تقريبا. وكله مخطوط بخط متقن أنيق أصيل عدا أسفل الصفحة الثانية والعشرين وما يليها فبخط مغاير متواضع.

يلاحظ التسلسل المنطقي للتواريخ، إذ إن أول وثيقة بالكناش تحمل تاريخ 19 جمادى الثانية سنة 1340هـ .

بينما آخر وثيقة به مؤرخة بمنتصف قعدة الحرام سنة 1350 هـ.

أما العدلان الكاتبان للنصوص فلا يقرأ من شكلها المعقد سوى كلمة الحسني والحسيني التي تلي علامتهما، وهذان الإسمان يدلان على أنهما ينتميان إلى آل البيت.

خاتم السيد قاضي مقصورة الرصيف مثبت على تسعة من النصوص المدرجة بالكناش أولها كان بتاريخ 17 جمادى الثانية سنة 1343 هـ[1].

---

(1)– رسوم بعض الأملاك الخالصة . ص : 15.

ويحمل آخرها تاريخ منتصف ذي القعدة 1350هـ[1]. والباقي لا يذيل بهذا الخاتم[2]

وخاتم السيد القاضي هو عبارة عن طابع بيضوي الشكل ذي لون أحمر في الصفحتين الأخيرتين بداخله هذه العبارة: قاضي مقصورة الرصيف. محمد بن إدريس البدراوي سدده الله، بينما على الصفحات الأخرى نفس الطابع بلون أزرق، وبداخله هذه العبارة : "قاضي مقصورة الرصيف عبد الله تعالى محمد الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء.

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها رسوم بعض الأملاك الخالصة.

يمكن تصنيف ما اشتمل عليه هذا الكناش إلى المواضيع التالية :

الموضوع الأول : شراء الناظر بعض العقارات لجانب المؤسسات الدينية.

– شراء ناظر أحباس الصغرى أروى ومصرية محمولة عليها بدرب طلوقة لجانب مسجدي القرويين وطلوقة[3].

– شراء الناظر لدار بسيدي يعلى لحساب مجموعة من المؤسسات الدينية بفاس وكذا لجانب الحرمين الشريفين[4].

– شراء الناظر السيد المهدي ابن شقرون لحانوت بسوق البرنوس لفائدة عدد من المؤسسات الدينية، نذكر منها على الخصوص: زاوية شيبونة، والفاسية، ومسجد الديوان وسيدي أحمد الشاوي[5].

---

(1)– رسوم بعض الأملاك الخالصة . ص : 25.

(2)– يلاحظ الباحث في الحوالات المتقدمة جميعها أن صفحاتها خالية من هذا الخاتم وما يماثله، ويجزم أن هذا الكناش يمتاز على غيره، وينفرد دون سواه بخاتم السيد قاضي مقصورة الرصيف. ذلك أن ما مر معنا من الحوالات لا تتحدث نهاية نصوصها في الغالب إلا عن ثبوت السيد القاضي للرسم أعلاه، أو مقابلته لأصله، أو أدائه له، ويعزز كلامه بإمضائه في شكله المعقد.

(3) رسوم بعض الأملاك الخالصة. ص : 3 / 4 تحمل الوثيقة تاريخ 19 جمادى الثانية 1340 هـ.

(4)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 4 / 5 تحمل الوثيقة تاريخ 4 رمضان عام 1340 هـ. واجب الحرمين الشريفين في هذا المشترى يقدر بأوقية وخمسة اثمان الأوقية واحد عشر فلسا وستة أحبب وأربعة اسداس الحب وثلاثة أخماس من سدسه.

(5)– رسوم بعض الأملاك الخالصة . ص : 6 / 7 ، تحمل الوثيقة تاريخ 21 حجة الحرام عام 1340 هـ.

– شراء ناظري أحباس الصغرى والمارستان لدار وحانوت مخرجة منها بفاس العليا، على أن يكون لأحباس المرستان ثلاثة أرباع زينة كل من الدار والحانوت، بينما يبقى الربع لأحباس الصغرى(1).

– شراء الناظر لجميع زينة الحانوت رقم 23 بفندق مشماشة لفائدة القرويين والنارنجة وسيدي موسى(2).

– شراء ناظر أحباس الصغرى للدار الكائنة بحومة جرنيز لفائدة بعض الأماكن الدينية بفاس(3).

– شراء ناظري الأحباس لمثقال الدار رقم 26 بزنقة مقابلة لمسجد الديوان، من البائع لهما السيد عمر اللبار، وذلك لفائدة بعض الأماكن الدينية بمدينة فاس(4).

– شراء ناظر أحباس الصغرى لمصرية وأروى من الحبابي لحساب بعض الأماكن الدينية(5)

– شراء ناظر أحباس الصغرى دارا بالكدان من البائع له السيد مولاي علي العلوي لفائدة بعض الأماكن الدينية بفاس(6).

– شراء ناظري الحرم الإدريسي وأحباس الصغرى، الأول نائبا في ذلك عن جانب الضريح، والثاني عن حبس بعض المساجد منها سيدي عبد الله المكي والزاوية الصادقية لمثقال دار وأروى بشارع الحفارين، انصافا بينهما من البائع لهما السيد الحاج محمد بناني(7).

– شراء ناظر أحباس الصغرى السيد المهدي ابن شقرون أروى بوادي الشرفاء

---

1)– رسوم بعض الأملاك الخالصة. ص : 9 تحمل الوثيقة تاريخ 18 جمادى الثانية 1341 هـ

(2) رسوم بعض الأملاك الخالصة. ص : 10 / 11 تحمل الوثيقة تاريخ 15 رجب 1341 هـ

(3)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 11/ 12 تحمل الوثيقة تاريخ 3 ربيع الأول 1342 هـ

(4)– رسوم بعض الأملاك الخالصة . ص : 12/ 13 / 14 ، تحمل الوثيقة تاريخ متم جمادى الثانية عام 1342 هـ

(5)– رسوم بعض الأملاك الخالصة 14 /15 /16 تحمل الوثيقة تاريخ 27 جمادى الثانية 1343 هـ

(6)– رسوم بعض الأملاك الخالصة 16 /17 تحمل الوثيقة تاريخ 27 جمادى الثانية 1343 هـ

(7)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 18 تحمل الوثيقة تاريخ 24 ذي الحجة 1343 هـ

من البائع له السيد إدريس لحلو لجانب حبس الزاوية الناصرية[1].

– شراء السيد الحسن الإدريسي نيابة عن ناظر أحباس الصغرى السيد الحسين ابن ثابت عقارا لجانب حبس الزاوية الصادقية[2].

– شراء ناظر أحباس القرويين والصغرى السيد الحسين ابن ثابت نيابة عن الأحباس جميع مفتاح وزينة وعرف وغبطة الحانوت بالطالعة من البائع له السيد عمر الابار لفائدة حبس الزاوية القادرية براس التيالين[3].

– شراء ناظر الأحباس السيد الحسين بن ثابت جميع مثقال الدار بدرب العقيبة بواد الرشاشة رقم 12 من البائعين له السيد عبد الله ميكو وشقيقه السيد محمد[4].

الموضوع الثاني : *معاوضة وتصفية استغراق وأداء ثمن بعض المشتريات.*

– معاوضة بين بعض أحباس زاوية سيدي قاسم بن رحمون وأوقاف جامع القرويين[5].

–بعد أن تم استغراق الدار رقم 95 بحومة الأقواس من طرف السيد محمد بن أحمد اليازغي، وقع سداد بين هذا الأخير والسيد ناظر الأوقاف بموافقة وزارة الأوقاف، فأصبحت الدار نتيجة لذلك لجانب زاوية الشيخ مولاي أحمد الصقلي[6].

– نظرا لضالة مردود استغراق الدار بسويقة الذهبان، فقد تم السداد بين ناظر الأحباس وملاكي الدار المشار إليها أعلاه، وبموجبه يحتفظ هؤلاء بثلاثة أرباعها، ويخرج مسجد القاضي عياض وسيدي بوعياد بربعها[7].

---

(1)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 19 تحمل الوثيقة تاريخ 9 رمضان 1344 هـ
(2)– رسوم بعض الأملاك الخالصة. ص : 19/20 تحمل الوثيقة تاريخ 11 شعبان 1348 هـ
(3) رسوم بعض الأملاك الخالصة. ص : 21 تحمل الوثيقة تاريخ 20 محرم الحرام 1349 هـ
(4)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 21/ 22 تحمل الوثيقة تاريخ 9 ربيع الأول 1350 هـ
(5)– رسوم بعض الأملاك الخالصة . ص : 2/ 3 ، تحمل الوثيقة تاريخ 19 جمادى الثانية عام 1340 هـ
(6)– رسوم بعض الأملاك الخالصةص : 8 / 9 تحمل الوثيقة تاريخ 28 محرم الحرام 1341 هـ
(7)– رسوم بعض الأملاك الخالصة ص : 22 / 23/24 تحمل الوثيقة تاريخ 22 جمادى الثانية 1350 هـ

- بقي من مدة استغراق الدار رقم 22 بالكدان، 84 عاما وستة أشهر، ونظرا لضالة استفادة الحبس من نصف الدار المشار إليها أعلاه، فقد وقع سداد بين نائب أحباس الصغرى السيد مولاي الطايع القادري الحسني وملاكي نصفها الآخر السيد التهامي الصنهاجي وولده على أن يصير لهما ثلاثة أرباع الدار، في مقابل ربعها لجانب مسجد ابن كعبلة(1).

- أداء ثمن الربع في الدار والحانوت الكائنين ببوطويل عن طريق ما كان متوفرا لدى ناظر أحباس الصغرى من بعض المعاوضات(2).

---

1)- رسوم بعض الأملاك الخالصة ص: 24 / 25 تحمل الوثيقة تاريخ منتصف القعدة 1350 هـ

(2)- رسوم بعض الأملاك الخالصة ص: 10 تحمل الوثيقة تاريخ 19 جمادى الثانية 1341 هـ

الفصل السابع

الحوالة الجديدة

المبحث الأول :

وصف الحوالة الجديدة

تعتبر هذه الحوالة المباركة من أجمل وأنظف وأجد الحوالات التي تزخر بها خزانة نظارة أوقاف القرويين والمرستان، والتي قدر لي تصفحها ودراستها. فاسمها ينطبق عليها جملة وتفصيلا، ويظهر ذلك جليا في جدة أوراقها، ونظافة صفحاتها، وتتابع أرقامها، وتنميق كتابتها، ووضوح عباراتها، ولمعان عناوينها، وطريقة تسطير الكتابة فيها، إذ لا يجد الباحث فيها إلا نموذجا واحدا من أولها إلى آخرها باستثناء الخمس صفحات الموالية للرقم الأخير، والمشتملة على نصوص رسوم التحبيس فكتابتها متواضعة، مخالفة للكتابة السابقة، وغير مرقمة.

وقد خط الحوالة يراع واحد ذو نفس طويل، ودراية بفن الخط والكتابة فلا اعوجاج ولا اضطراب، وإنما تسير الكتابة على نمط واحد كأنها منبعثة من الآلة الكاتبة.

تقع هذه الحوالة في ست وأربعين وأربعمائة صفحة مكتوبة، فضلا عن سبع صفحات في بدايتها خالية من الكتابة وعشر آخر في آخرها كذلك.

مقياسها 5. 33 سنتم، و 22 عرضا، و 4 ارتفاعا.

دفتاها في الورق المقوى الملفوف بالجلد ذي اللون البني المزكرش برسم مذهب يوضع في غالب الأحيان على حافظات النقود وبعض ما يصنعه الصناع التقليديون من الأثاث الجلدية، الصق اسمها هذا : (الحوالة الجديدة) على جانبها الأيمن.

استهلت هذه الحوالة بالبسملة والتصلية وتوسط صفحتها الأولى العنوان التالي : (تقييد أوقاف القرويين عمرها الله بذكره) بخط ناصع واضح.

والحوالة في مجموعها تشكل سجلا لمختلف الأوقاف وكذا الأماكن المحبس عليها من مساجد ومدارس ومقابر وأضرحة وأئمة المساجد ومؤذنيها وقراء الحزب بها، وكذا التي على الكراسي العلمية والزوايا والمكاتب المعدة لتعليم الصبيان... وما تضمنته هذه الأوقاف على اختلاف أنواعها من حوانيت وأراض ودور وأرحية وأطرزة وآبار ماء، وأفران وفنادق وأروية وحمامات وكتب وغيرها.

هذا وتجدر الملاحظة أن هذه الأوقاف منقولة عن بعض الحوالات كحوالة

القرويين والحوالة العبد الرحمانية والإسماعيلية والسليمانية إن لم تكن إحصاء لما بهذه الحوالات.

وقد ذيلت آخر صفحاتها بما يلي : (كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما)[1].

أما ما تنفرد به هذه الحوالة عن غيرها من الحوالات فهو خلوها من أي تاريخ.

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الحوالة.

موضوعات الحوالة الجديدة تسجل في معظمها جردا بأهم الأماكن الموقوف عليها مفصلة كما سيأتي :

- أوقاف جامع القرويين[2].
- أوقاف المدرسة المتوكلية[3].
- أوقاف مدرسة الخصة المعروفة بسيدي مصباح[4].
- أوقاف على شراء الخبز لطلبة المدرسة المصباحية[5].
- أوقاف مدرسة العطارين[6].
- أوقاف مدرسة الحلفاويين المعروفة بمدرسة الصفارين[7].
- أوقاف مدرسة الوادي[8].

---

(1)–الحوالة الجديدة. ص : 446 .

(2)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 1 إلى 75

(3)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 75 إلى 82

(4)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 82 إلى 85

(5)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 86 إلى 87

(6)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 87 إلى 89

(7)– الحوالة الجديدة. انظروا ص : 89 – 90 .

(8)– الحوالة الجديدة. انظروا ص : 90 – 92 .

- أوقاف مدرسة الصهريج قرب الأندلس[1].

- أوقاف مدرسة الرشيدية[2].

- أوقاف مدرسة باب عجيسة[3].

- أوقاف جامع القرويين[4].

- أوقاف المسجد الجديد الذي أحدثه المولى عبد الرحمان بالحرم الإدريسي بإزاء القبة الشريفة من حضرة فاس مما امتن بتحبيسها عليه ومن اقتفى آثره من المتطوعين على المسجد والكراسي العلمية والمفتي وكل من الإمام والمؤذن[5].

- أوقاف حزابي محراب القرويين[6].

- أوقاف أبي عبد الله محمد الغرديس على أعقابه وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم مرجعها لجامع القرويين بعد انقراضهم[7].

- أوقاف أولاد المنجور مرجعها لجامع القرويين[8].

- أوقاف صارت لجانب القرويين زمن تولية الناظر الحاج عبد القادر بناني[9].

- أوقاف لجانب المجاهدين والمرابطين بالثغر التطاوني[10].

- أوقاف لجانب القرويين بعد انقراض عقب محبسها[11].

---

1)-الحوالة الجديدة. انظروا ص : 92 – 95 .

(2)- الحوالة الجديدة. انظروا ص 95 – 97

(3)- الحوالة الجديدة. انظروا ص : 97

(4)- الحوالة الجديدة. انظروا ص : من 98 إلى 178 وتشمل هذه الأوقاف بقعا أرضية وعرصات وأجزية وأجنة داخل فاس وخارجها.

(5)- الحوالة الجديدة. انظروا ص: م 179 إلى 193

(6)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من 193 إلى 225

(7)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 225 إلى 226.

(9)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 226إلى 227

(9)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 227إلى 230

(10)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 230 إلى 231

(11)- الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 231

– أوقاف المقابر المأخوذة من الحوالة الكفيلة بها وبغيرها والمجموع تقييدها زمن أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله[1].

– أوقاف ضريح الولي الصالح سيدي أبي زيد الهزميري[2].

– ما بيد سيدي عبد السلام بن أحمد الغمارتي من أحباس المقابر[3].

– ما هو لجانب سيدي أحمد البرنوصي[4]

– ما هو لجانب الولي الصالح سيدي أبي جيدة[5].

– أوقاف مسجد الأندلس[6].

– أوقاف المساجد والزوايا الآتية : الفخارين، سيدي علي بوغالب، سيدي علي الحجام، ساباط الكدان، سيدي علي الجمال، سيدي محمد بن عطية، سيدي يحيى بن أحمد، مسجد الشوك، درب الغرابلي، سيدي محمد بن يوسف، سيدي مغيث، درب اللمطي[7].

– أوقاف مسجد مولاي عمر بحومة الأقواس ودرب القليلي والحدادين(8).

– أوقاف مساجد الجزيرة : سيدي الدارس، وابن كعبلة، ودرب ا لسعود، وسيدي عبد الرحمان مليلي[9].

– أوقاف مساجد حومة درب الشيخ[10]

– أوقاف مساجد حومة سيدي العوادة[11].

---

(1)–الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 231 إلى 250.
(2)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 250 إلى 252
(3)–الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم :252 إلى 253
(4)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 253 إلى 255
(5)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم :254 إلى 252
(6)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 255 إلى 273
(7)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 273 إلى 277.
(9)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 277إلى 283.
(10)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من : 283إلى 288
(11)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 290 إلى 294

– أوقاف مساجد حومة المخفية[1].

– أوقاف مساجد القلقليين[2].

– أوقاف مساجد حومة رأس الجنان وجزاء ابن عامر، ودرب ابن عدس، ودرب ابن شلوش، وزاوية ابن البياض[3].

– أوقاف مسجد رحبة الزيت والمسجد الجديد بالرصيف[4].

– أوقاف مسجد طلوقة بحدادي باب السلسلة قرب الصفارين[5].

– أوقاف مساجد العيون وعقبة الفيران وزنقة الرطل[6].

بما في ذلك مسجد ماسان، وضريح سيدي أحمد الشاوي، ومسجد المزلجة، ومسجد يزناتن.

– أوقاف مساجد حومة القطانين وزقاق البغل وعقبة الزرقاء[7].

– أوقاف زاوية الغازيين برأس الشراطين، وزاوية سيدي مساء الخير ومسجد الحضري ومسجد الرايس[8].

– أوقاف مساجد حومة جرنيز وفرن الشطة والمسجد المعلق ومسجد درب البواق وسيدي تميم وسيدي موسى ومسجد دار دباغة جرنيز[9].

– أوقاف مساجد سيدي خالد بالنجارين ومسجد فندقه[10]

– أوقاف مساجد حومة الطالعة : القصبة الجديدة والبالية، ضريح سيدي أبي

---

1)–الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : : 302 إلى 315

(2)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 316 إلى 324.

(3)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 325 إلى 329

(4)–الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم :329 إلى 330

(5)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 330 إلى 339

(6)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم :340 إلى 351

(7)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 351 إلى 352

(8)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : : 353 إلى 361

(9)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : : 277إلى 283

(10)– الحوالة الجديدة. انظروا ص: 361

بكر ابن العربي، وسيدي اللزاز، طريانة، صاباط المهدي، أبو الحسين، الشاطة، زاوية سيدي عزوز، ومسجد سيدي يونس وسيدي أبي الرجاء[1].

– أوقاف مسجد سيدي قجاج، ضريح سيدي عبد السلام التواتي، مسجد ابن التومي، زاوية سيدي محمد بن علي التهامي، زاوية سيدي حمدون، سيدي محمد ابن محمد بن ابراهيم ، سيدي يعلى، مسجد درب ابن عتيق، ومسجد الغزلان[2].

– أوقاف مساجد حومة الشرابليين[3] بما في ذلك مسجد صاباط درب بوحاج، وسيدي أحمد زروق، وعين أصليتين، وزاوية سيدي الحسن السفياني وجامع الحمراء.

– أوقاف مساجد حومة فندق اليهودي : سيدي عبد الله المكي الزيتوني، ابن صماصم، زاوية سيدي أحمد بن يحيى، سيدي العربي بن المعطي، مسجد درب سلمى، زاوية عيساوة، مسجد سيدي المكودي وسيدي المصالي، مسجد رحبة واد الزحول، مسجد النارنجة، وسيدي عبد العزيز القوري، وابن زيدان، ومسجد باب عجيسة، وسيدي منصور والكدية[4].

– أوقاف مساجد حومة البليدة : مسجد زياد بالجياد وسيدي رضوان بالجياد، النارنجة، وسيدي بدر الدين، زاوية سيدي علي بن التهامي الحمومي، سيدي مسعود الفيلالي، سيدي أبي يعلى، مسجد دار الدبغ بشوارة، مسجد أغلى، زاوية ضريح سيدي محمد ميارة، مسجد الدرب الطويل، زاوية سيدي عزوز، ضريح سيدي عبد الله التاودي، ضريح سيدي محمد بن الحسن خارج باب الجيسة[5].

أوقاف المكاتب المعدة للصبيان[6].

1)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : : 361 إلى 364

(2)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : : 265 إلى 368

(3)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 368 إلى 372.

(4)– الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم : 421 إلى 434

(5)–الحوالة الجديدة. انظروا الصفحات من رقم :434 إلى 445

(6)– الحوالة الجديدة. انظروا ص : 445

الفصل الثامن :

حوالة إحصاء رباع المدارس رقم 5 ورقم 6

المبحث الأول :

وصف حوالتي إحصاء المدارس رقم 5 و 6

الأولى : عبارة عن كناش من الحجم الكبير، مقياسه 5. 34 سنتم على 22، ومسطرته 38. يضم هذا الكناش بين دفتيه الزرقاوين السميكتين صفحات مسطرة صفراء غير مرقمة. تلي الدفة اليمنى ورقة زرقاء قاتمة لا كتابة بها، وكذلك الشأن بالتي قبل الدفة اليسرى.

عدد أوراقه ثمانية وستون، والمكتوبة منه اثنتا عشرة فقط، وقد خطها جميعها يراع أنيق جميل، بصدر الدفة اليمنى لكل من الكناشين قطعة ورقة صغيرة تحمل الاسم الآتي :

إحصاء رباع المدارس رقم 5 "

"نسخة من إحصاء رباع المدارس رقم 6 "

يتصدر كل مجموعة من الإحصاءات عنوان واضح بارز أنيق، والكناش برمته إحصاء للأحباس التي هي على المدارس التالية :

- المدرسة المتوكلية – مدرسة الخصة – شراء الخبز لطلبة المدرسة المصباحية – مدرسة العطارين – مدرسة الحلفاويين – مدرسة الوادي – مدرسة الصهريج – المدرسة الجديدة الرشيدية – مدرسة عجيسة.

يلاحظ أثناء جرد الأحباس التي لكل مدرسة أن العقار واسم الشخص الذي يعتمره، يكتب على الجهة اليمنى من الصفحة وبوسطها رقم العقار أو نمرته، وبجانبها الأيسر مدخوله، وعند نهاية كل صفحة مجمل المحصول في كل شهر إذا كان الأمر يتعلق بالحوانيت، وفي العامين أو السنتين إذا كان الأمر يتعلق بالأراضي التي لم يذكر في الكناش الكثير من مدخولها.

تشير الورقة الثانية عشرة إلى استئجار السيد أحمد بن محمد صفيرة لأرض لمدة عشرين عاما بخمسين مثقالا من عام 1309، وكتب تحت ذلك بخط جميل غاية في الرونق العبارة التالية :

(انتهي ما وجد بالحوالة القروية من رباع المدارس).

الثانية :

بعد التصفح لهذا الكناش رقم 6 تبين أنه نسخة طبق الأصل من الكناش السابق مع فارق بسيط يتجلى فيما يلي :

- إهمال مدخول الكثير من العقارات المثبتة في الكناش رقم 6.

- كثير من العقارات المحبسة على المدارس وغيرها لا نجد مدخولا لها، فضلا عن عدم إحصاء المدخول الموجود في نهاية صفحات الكناش رقم 5.

- الكتابة بهذا الكناش رقم 6 ليست على الدرجة الرفيعة التي بالكناش رقم 5.

- لا وجود للعبارة التي انتهى بها الكناش رقم 5.

- الأوراق المكتوبة هي فقط إحدى عشرة ورقة. نظرا لكثافة الكتابة.

أما عدد الأوراق الخالية الباقية فثلاثة وثلاثون عوض ستة وخمسين التي بالكناش رقم 5.

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها حوالتا إحصاء رباع المدارس .

نظرا لوحدة المحتويات في كلا الكناشين، سأقتصر على ذكر مضمون أحدهما وليكن رقم 5.

- المدرسة المتوكلية[1].

- سائر الربع الذي هو لجانب المدرسة المتوكلية العنانية[2]

---

(1)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. وتحت العنوان جرد حوانيت الصف المقابل للمدرسة، وعدد هذه الحوانيت 41, ثم حوانيت الوشايين في القديم وعددها 14, حوانيت عن يسار المدرسة وعددها 10, حوانيت اللزازين وعددها 11 الأربعة الأولى منها قد صارت حانوتا واحدا، وقد كتب ما يفيد ذلك بجانب هذه الحوانيت الأربعة.

(2)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. عدد هذه الرباع 39 ما بين حوانيت وحظوظ وأرحية وحمام ومصاري وفيض ماء وفنادق.

- أوقاف مدرسة الخصة المعروفة بمدرسة سيدي مصباح[1]

- ماهو موقوف على شراء الخبز لطلبة المدرسة المصباحية[2]

- أحباس مدرسة العطارين[3]

- أحباس على الطلبة الستة الذين يقرأون الحزب صباحا ومساء بمدرسة العطارين[4].

- أحباس مدرسة الحلفاويين المعروفة الآن بمدرسة الصفارين[5].

- أحباس مدرسة الوادي[6]

- أحباس مدرسة الصهريج بالأندلس[7]

- أحباس مدرسة الجديدة الرشيدية[8].

- الأماكن الموقوفة على شراء الخبز لطلبة المدرسة الرشيدية[9]

- أحباس مدرسة عجيسة[10].

---

1)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. تحت ذلك العنوان جرد بحوانيت بين السواري وعددها 13 وحوانيت متفرقة وعددها 9, الأوضون والزيتون وعددها 13, أرض التيواز وعددها 25 بقعة أرضية، الوطا الكبير وعدد البقع 11, أرض الوطا الصغير وعدد البقع 14, سائر الأجزية 10 ما بين فيض ماء وبقع أروية ومصرية وطراز.

(2)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. وعدد هذه الأوقاف 26 ما بين أطرزة وحوانيت. وخزائن دار الدباغة بشوارة وعددها 16.

(3)- إحصاء رباع ا لمدارس رقم 5. حوانيت قنطرة باب ا لسلسلة وعددها 14, حوانيت عين علو والجوطية وعددها 12 21 ربعا بين حظوظ حوانيت وأرحية وخزانة بدار الدبغ وكوشة جير. 4 أجزية : ثلاثة منها فيوضات ماء والرابعة أرحى.

(4) – إحصاء رباع المدارس رقم 5. حظوظ ثلاث من حوانيت.

(5)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. 27 عقارا، أغلبه حوانيت و 3 بقع أرضية.

(6)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. 19 أغلبها حوانيت ومن بينها خزانة بدار الدبغ. 9 ما بين جنات وفيض ماء.

(7)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. 10 حوانيت بسويقة ابن صافي - 32 حانوتا بالرصيف الأكبر- 12 ربعا ما بين حوانيت وأرحية – 29 من الأجزية، ما بين حوانيت وعرصات وأرحية – فيض برمة حمام – ويلاحظ تحت هذا الفيض ذكر تسع دور تستفيد من هذا الفيض والمبلغ الذي تدفعه في المقابل.

(8)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. 11 ما بين حوانيت وأطرزة، فدان وولجة، الأرضون ثمانية أغلبها فدادين.

(9)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. عدد هذه الأماكن 32 ما بين مصاري وخزائن بدار الدبغ.

(10)- إحصاء رباع المدارس رقم 5. عددها 8 ما بين عرصات ومعصرة.

الخلاصة

بإلقاء نظرة سريعة على أبواب القسم الأول من هذه الأطروحة وفصولها ومباحثها، يتبين أننا قمنا بجولة في عالم الحوالات الحبسية، استعرضنا من خلالها تلك التي تزخر بها نظارة أوقاف القرويين والمرستان بفاس، وأثبتنا العدد الهائل الذي مازالت الخزانة العامة بالرباط تحتفظ به، وتطرقنا إلى معظم هذه الحوالات، فعرفنا بها، وتحدثنا عن أهميتها وعن أهدافها وغاياتها وسبب إنشائها. ووقفنا في هذا الصدد - وباختصار - على الحالة الاجتماعية السائدة في حقب تاريخية معينة، ولم يفتنا أن عرجنا على وصف هذه الحوالات، وتلخيص محتوياتها، فضلا عن جرد بأهم أقوال المهتمين بها والباحثين فيها.

وننتقل بعد ذلك إلى دراسة الحوالة الإسماعيلية جملة وتفصيلا – باعتبارها الأساس من هذا البحث – فنتحدث عنها، وعن منشئها، وما تعكس من أوضاع اجتماعية لفترة من فترات تاريخ المغرب، وما تطلعنا عليه من معلومات عن النظام الإداري، والأنظمة الدينية، وعادات بعض العائلات، وفحوى ما تزخر به فتاوى في ميادين شتى تخدم الفقه الإسلامي الذي تستمد منه قواعدها وأصولها.

ولكن، وقبل الكلام على الحوالة الإسماعلية والوقوف على شكلها، والتطرق لموضوعاتها، وبسط فحوى نصوصها (ظهائر – فتاوى – وقائع....) التي تعكس الوضعية الاجتماعية لفاس على الخصوص، ينبغي الحديث أولا عن انتسابها وظروف إنشائها.

القسم الثاني :

الحوالة الإسماعيلية

الباب الأول :

تسمية هذه الحوالة وظروف إنشائها

الفصل الأول :

انتساب الحوالة الإسماعيلية

تنتسب الحوالة الإسماعيلية إلى المولى إسماعيل أحد عظماء ملوك الدولة العلوية. فمن هو المولى إسماعيل ؟ وما هي أعماله ؟ وما نشاطه الثقافي والديني ؟ تلك أسئلة نحاول الإجابة عنها من خلال المباحث الآتية

المبحث الأول :

بيعة المولى إسماعيل

بويع المولى إسماعيل بعد وفاة أخيه المولى الرشيد في يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية بفاس[1]، وكانت وضعية المغرب قبل قيام الدولة العلوية أشبه ما تكون بها قبيل قيام النظام السعدي :

انشطار البلاد إلى رقع نفوذ عديدة تخضع للمد والجزر، وتدهور اقتصادي يذكيه انعدام الأمن والاستقرار، وقلق اجتماعي يسود المدن والأرياف ويعرقل نشاط السكان في مختلف مجالات الحياة[2] بويع المولى إسماعيل وكان عمره ستا وعشرين سنة، وكانت ثورة فاس القديم عليه عام ثلاثة وثمانين وألف، فلم تفدهم شيئا، ولجأوا إليه في نفس السنة فوجدوا فيه كل خير لم يظنوه.... فعفا عنهم وصفح ولم يمنن عليهم في ذلك، ورحل عنهم في ضحوة الثلاثاء 19 رجب 1084 هـ، وتمهد له ملك المغرب من أقصى الظهراء إلى أقصى وادي نون والساقية الحمراء، ومن البحر إلى أقصى الصحراء قبلة، فكثرت عمارته جدا، وجدد الناس لأيام العلوم عهدا، فكانت أسواق العلم في خلافته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة، وتوفي يوم السبت ثاني وعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف[3].

وكانت أيامه رحمه الله (من الأمن والعافية، وتمام الضبط حتى لم يبق لأهل الدعارة والفساد محل يأوون إليه، ويعتصمون به، ولم تقلهم أرض، ولا أظلتهم سماء سائر أيامه، فقد كان خليفة ونائبا عن أخيه المولى الرشيد سبع سنين، وسلطانا

---

(1)- القادري، نشر المثاني، ج : 3. ص : 290 .
(2)- انظر ابراهيم حركات ـ المغرب عبر التاريخ – ج : 3 . ص : 14.
(3)- انظر القادري – نشر المثاني – ج : 3 ص : 290.

وملكا مستقلا سبع وخمسين سنة، حتى كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه لن يموت، ويقال : أن البعض من أولاده كانوا يستبطئون موته، ويعبرون عنه الحي الدائم....)[1].

هذا ولما كانت سنة 1139 هـ. مرض مرض موته، قال في (البستان) : كان المولى إسماعيل قد عهد بالأمر إلى ولده المولى أحمد وكان يعبر عنه بولي العهد، وانكر (اكنسوس) أن يكون السلطان المذكور قد عهد لأحد من أولاده، قال : كم أخبرنا بذلك السلطان العالم المولى سليمان بن محمد رحمه الله مرارا وكان يحكى في ذلك خيرا[2].

وباختصار فقد (كان رحمه الله ابنا من أبناء الصحراء المغربية الاقحاح، مثله في ذلك مثل كبار أمراء المغرب ممن سبقه على العرش، وإن والدته كانت من بنات الودايا قبيلة الساقية الحمراء آنذاك، كان أبو حسون السملالي أهداها للمولى الشريف يوم كان مقيما لديه بالغلبة. ولقد نقل المؤرخون أنه ازداد سنة 1646 م وهي سنة معركة (الكاعة)[3] مما يستفاد منه أن سنه لم تكن تتجاوز السادسة والعشرين يوم انعقدت له البيعة[4].

المبحث الثاني :

سياسة المولى إسماعيل في الداخل والخارج

أولا: سياسته في الداخل :

لم تسلم فترة حكم المولى إسماعيل من اضطرابات وثورات في كل بقاع المغرب، فكانت ثورة مراكش التي دبرها مولاي أحمد بن محرز[5] سنة 1083 هـ. وكانت كذلك ثورة سوس بزعامة ابن محرز ضد ابن عمه مولاي إسماعيل سنة 1094، وقد قامت سوس باستماته إلى جانب ابن محرز، ثم حوصر هذا الأخير، وهلك في الحرب أزيد من الفين، وجرح كل من مولاي إسماعيل وابن محرز قبل إجراء الصلح[6].

---

(1)– الناصري ـ الاستقصا – ج : 7. ص : 99.

(2)– الناصري – الاستقصا – ج : 7 ص : 100

(3)– هذه المعركة هي التي دارت بين الدلائيين واتباع المولى محمد.

(4)– مذكرات من التراث المغربي. ص : 45.

(5)– اكنسوس ـ الجيش العرمرم. ص : 63.

(6)– الناصري – الاستقصا ا– ج : 7 ص : 65.

وكانت كذلك ثورة الصحراء بقيادة الأمير أبي النصر سنة 1114 هـ[1]، بعد أن تقدمتها ثورة أخرى سنة 1088 على يد الحران أخي السلطان[2]، وكانت ثورة الأطلس والشمال الشرقي وتجددت ثورات الأطلس المتوسط.

ومع كثرة هذه الاضطرابات والقلاقل، (تميز المولى إسماعيل بإحساس خاص بأمر وحده الدولة، فذهب به حرصه الشديد على ذلك إلى البطش الفظيع بكل من رام المس بالبلاد، ولقد قاتل في بداية عهده خمس عشرة سنة ابن أخيه المولى أحمد الدائب على الثورة....[3]، ولقد أمر بعدة حركات توغلت في ثنايا جبال الأطلس بقصد إشعار رؤوس الفتنة والعصيان أن لا مفر لهم من العقاب، فانطلقت الجيوش المخزنية من سايس وتادلا وتافيلالت ومن النجود الشرقية، وانهزمت عدة مرات أمام القبائل الصنهاجية، لكنها أرغمتها على السكوت والهدوء في النهاية وألزمتها بالإذعان، ولا شك أن المدفعية الحديثة ساعدت الفرق البخارية على الانتصار[4].

ومن المعلوم أن المولى إسماعيل بذل جهودا كبرى لإعادة تنظيم الجيش رغبة منه في تلافي المؤامرات والتنكيلات القبلية ذات الضغط السياسي، (فالف جيشا يكون عنصر البخاري أكبر أعداده[5]... فاستطاع هذا الأخير أن يضع حدا للمحاولات الانفصالية... واستطاع به أن يعمل على ضبط الأمن وتسهيل حركة مرور القوافل والمسافرين بفضل الشبكة الأمنية التي بثها في مختلف أرجاء البلاد والتي كان قوامها الحصون والأبراج والقلاع والقصبات، وكلها مجهزة بالرجال من الجيش النظامي أو من القبائل المستوطنة بنفس المنطقة)[6].

وفضلا عن هذه المشاكل والاضطرابات والقلاقل، واجه المولى إسماعيل مشكلة استيلاء بعض الدول على بعض الثغور المغربية فاتجهت جهوده (بعد تحريره المهدية، وطنجة والعرائش وأصيلا إلى محاولة فتح باقي المراكز الشاطئية المحتلة،

---

(1)- المرجع السابق ص : 90
(2)- اكنسوس – الجيش العرمرم – ص 67
(3)- مذكرات من التراث المغربي. ص : 60
(4)- مذكرات من الترات المغربي ص : 61
(5)- سيتم الحديث عن هذا الجيش بتفصيل.
(6)- انظر : ابراهيم حركات. المغرب عبر التاريخ . ج : 3. ص : 60.

والواقع، يقول الدكتور ابراهيم حركات[1] (أن مليلية كانت من الثغور الأولى التي شغل تحريرها اهتمام مولاي إسماعيل لأنها الثغر الرئيسي الوحيد في شمال شرق المغرب حينذاك... كذلك كانت رغبته قوية في تحرير سبتة... التي تواصل القتال حولها خلال سنة 1102 ثم سنة 1106. ... وكانت قيادة الجيش للباشا علي بن عبد الله الريفي إلى سنة 1125 حيث توفي وخلفه ابنه أحمد[2] الذي واصل قتال الجيش الإسباني حولها حتى وفاة مولاي إسماعيل سنة 1139 هـ / 1627 [3] وكان القتال لا ينقطع كامل الليل والنهار حسب اكنسوس وغيره، والمقاتلون يستبدل بهم غيرهم دوريا)[4].

ثانيا : *سياسته في الخارج.*

تلك كانت نظرة وجيزة عن أعمال المولى إسماعيل في الداخل، أما في الخارج فقد واجهته مشاكل استرداد الثغور المحتلة من يد الأجانب، فهناك استيلاء البرتغال على طنجة من جديد حتى سنة 1661م والتي يسلمونها إلى ملك انجلترا سنة 1662م حيث بدا الاحتلال الإنجليزي عمليا لها، واحتلال الإسبان للمهدية عام 1092هـ، والعرائش عام 1101هـ، وأصيلا عام بعد ذلك، وقد مر معنا أن هذا الاحتلال كان يشغل بال السلطان. جاء في كتاب (المغرب عبر التاريخ) عند الحديث عن ارتباطات المغرب بالخارج أما أهم الأطراف التي كانت لها علاقات تختلف شكلا ومضمونا في هذا العهد فهي فرنسا وبريطانيا وإسبانيا والأقاليم المتحدة(هولندا).

وهناك أطراف أخرى تطورت علاقتها مع المغرب على نطاق واسع بعد هذا العهد، وشملت العلاقات الخارجية قضايا الأسرى والشؤون السياسية والتجارية[5]. ويخصوص امبراطورية ملك المولى إسماعيل واتساعها يقول الدكتور ابراهيم حركات: (ولقد امتد نفوذ المولى إسماعيل إما عن طريق حملات عسكرية أو بصفة تلقائية من الكان إلى شنكيط وتخوم السودان المغربي، وما وراء النيجر، وبلغ تلمسان، وتوغل بالمغرب الأوسط، واستقبل وفودا من قبائل هذه المناطق المفتوحة أو التي قدمت

(1)– انظر : ابراهيم حركات. المغرب عبر التاريخ . ج : 3. ص : 49.
(2)– محمد داود – مختصر – ص : 66 – 69 .
(3)– محمد داود – مختصر – ص : 69 – 70.
(4)– اكنسوس – الجيش – ص : 75 – 76 .
(5)– ابراهيم حركات – المغرب عبر التاريخ . ج : 3. ص : 54.

بيعتها اختياريا خصوصا عرب معقل الذين تربطهم بمولاي إسماعيل رابطة الخؤولة والصهر، وأسهمت مجموعات كبيرة من هذه القبائل في الجيش الوطني النظامي وكان لها دور كبير في صنع الأحداث الداخلية، وكانت الصحراء الغربية ضمن المناطق الداخلة في بيعة مولاي إسماعيل)[1] ، قال اليفرني في (النزهة) : لم يزل أمير المؤمنين إسماعيل رحمه الله في مقارعة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها، واستولى على تخوم السودان، وانتهى منها إلى ما وراء النيل، وانتشرت دولته في عمائرها، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه المنصور السعدي، وامتدت مملكته في جهة الشرق إلى بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان)[2].

لقد كان رحمه الله (اكليل ملوك زمانه، وفريد عقده وأوانه، أقام الله به الجهاد، وأحيا به الدين بالمغرب بعد ما باد، واضمر به كل ظالم معتد، وقطع به دابر كل باغ ومعاند، وأعز الله به رسوم الدين بعد دروسه، واضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه، واخمد به الشرور بعد تأجيج نارها، واحيا به المعالي بعد الأخذ بثارها. وبسط الله له اليد على المغرب، فعلت أقداره، ولاحت في الآفاق شموسه وأقماره، وتكاملت في الحسن أنجاده وأغواره، وشمخ فيه ملكه، فدار بالنصر والتمكين فلكه، وانتعش به كل الأرامل والأيتام، ورسمت للدين فيه أئمة وأعلام. وولاه الدهر زمانه، وكمل السعد واليمن مرامه... ومن مفاخره وكريم مآثره، إن هد حصونا في المغرب للكفرة، وخرب ديارا لأهل الشرك والفجرة)[3].

ولم يكن هذا رأي أهله فيه بل رأي كل منصف من الناس عدوا كان أو صديقا، فقد كان رحمه الله ذا شخصية تكاد تكون فريدة من نوعها تضاهي أو تفوق العظماء من الرجال، (ولئن كان لويس الرابع عشر هو أشهر شخصيات الأمم المسيحية في النصف الثاني من القرن السابع عشر، فإن المولى إسماعيل كان هو أشهر رجالات دار الإسلام بحوض البحر الأبيض المتوسط في نفس الحقبة. ذلك أن سلاطين الدولة العثمانية كانوا قد تقلص ظلهم، وكان باشواتهم على الإيالات العربية التابعة لهم قباض

---

(1)– المرجع السابق ص : 60 . وحول الإمبراطورية الإسماعيلية يراجع : افرني، نزهة، ص : 505 – الزياني بستان، ص : 32 – اكنسوس، جيش، ص 69 الضعيف، تاريخ ص : 57 – الناصري، استقصا، ج : 7، ص : 57. 58 .

(2)– الناصري – استقصا – ج : 7 . ص : 101.

(3)– القادري – النشر – ج : 3 . ص 287.

جبايات أكثر مما كانوا رجال حكم ودراية، وكان المولى إسماعيل يعلو الجميع بكثير، بما كان يتجسد في شخصه من خصال الأمير المسلم وبما كان عليه من رفعة الهمة، أحسن أو أخطأ)[1]، وصفه (ذي سانتمان) سفير لويس الرابع عشر لديه سنة 1682 م قائلا : (... والكل يسلم بأنه أقوى وأعزم رجل في إيالته... وكان الإنجليزي (جون ويندس)[2] اخر من وصفه من الأوربيين حيث قال : (يناهز الإمبراطور السابعة والثمانين من العمر... لحيته دقيقة شديدة البياض، ويبدو أن عينيه كانتا متعودتين على إبراق النار، لكن شدة برقهما أصابهما الفتور من ثقل السنين.... أما لباسه فلم يكن بمخالف على العموم لما يلبسه باشواته في غير حضوره)[3].

تلك هي الصور المتلاحقة من أوصاف المولى إسماعيل في أطوار متباينة في عهده الطويل، يستشف منها المؤرخ هيأة رجل متوسط القائمة، بارق النظر، شديد الوثبة، عربي اللون، ولقد قال عنه الأب "بونسو" الكاهن النصراني : (إنه لايستشير إلا مع نفسه وإن كان محفوفا على سبيل العادة ببعض القواد ويرافقه باستمرار "طالبه" لمهات الأمور، لكنه لا ينطق بما يختلج في صدره إلا بصيغة الأحكام المقررة وعندئذ ينحصر رأي تلك الحاشية في كلمتين : نعم يا سيدي)[4].

المبحث الثالث :

الاهتمام بالعمران والميدان الثقافي والديني.

أولا : *آثاره في الميدان الثقافي والعمراني.*

يعد المولى إسماعيل من أكبر المعتنين بالتشييد والبناء، فلقد جدد الكثير من المنشآت في مكناس وفي سائر بلاد المغرب، وقوى جيشه بإنشاء عسكر عبيد البخاري، وربط العلاقات الودية مع أوربا والحكومة التركية بالجزائر .

---

(1)– مذكرات من التراث المغربي ص : 45 .
(2)– كاتب السفارة البريطانية إلى مكناس سنة 1721 م.
(3)– مذكرات من التراث المغربي ص : 45
(4)– مذكرات من التراث المغربي ص : 46.

قال صاحب (الاستقصا) : "أما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشيء فوق المعهود، بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحديثة... فلا يلحق ضخامة مصانعه ما شيده الأكاسرة بالمدائن، ولا الفراعنة بمصر، وملوك الروم برومة والقسطنطينية ولا المرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين بالمغرب..."[1].

وقال صاحب (البستان) : ولقد شاهدت الكثير من آثار الدول فما رأيت آثرا أعظم من آثاره، ولا بناء أضخم من بنائه، ولا أكثر عددا من قصوره... وكان في سجونه من الأسارى خمسة وعشرون ألف ونيفا، كانوا يعملون في بناء قصوره منهم الرخامون والنقاشون والنجارون والحدادون والمنجمون والمهندسون والأطباء، ولم تسمح نفسه قط بفداء أسير.... وكان في سجونه من أهل الجرائم كالقاتل والمحارب والسارق نحو الثلاثين ألف تظل في العمل مع أسرى الكفار، ويبيتون في السجون والاهراء تحت الأرض، ومن مات منهم دفن في البناء حتى لم يبق بالمغرب من أهل الفساد عرق ينبض[2].

وإذا حاولنا جرد كل أعمال المولى إسماعيل في ميدان البناء والتشييد لطال بنا الحديث. وأما عن اهتمامه بالثقافة، فلا غرو أنه بفضل الجهود التي بذلها كل من مولاي رشيد وأخيه مولاي إسماعيل من بعده في المضمار الثقافي، تمكنت حركة النهضة التي انبعثت مع قيام السعديين في أن تستمر طوال القرن الثاني عشر الهجري. لقد كانت هناك تخوفات بسبب هدم الزاوية الدلائية، ولكن ذلك عاد بالخير والبركة على العلم والثقافة.

ففي فاس التي نقل إليها كبار الدلاء مع الإمام أبي علي الحسن اليوسي لم يمض إلا وقت قصير حتى تصدر هؤلاء العلماء البدو كراسي التدريس، وأخذوا ينافسون منافسة قوية علماء الحاضرة الإدريسية فبعد أن استوحش الدلائيون فاس عندما نفوا إليها وكابدوا من الوضع المدمي مدة، أخذوا يألفون العيش فيها، وساعدهم السلطان مولاي رشيد على ذلك وشجعهم وتمت عملية الاندماج مع أبناء هؤلاء

---

(1)- الناصري – الاستقصا – ج : 7 ص : 102.

(2)- الناصري – الاستقصا – ج : 7 ص : 103 .

الواقدين في الوسط الفاسي الذي فتحوا أعينهم فيه، مكونين بذلك جيلا جديدا. واشتهر في النصف الثاني من هذا العهد - عهد السلطان مولاي إسماعيل - باستثناء التاريخ[1] الذي يعتبر الأفراني أهم شخصية بارزة فيه، فإن سائر العلوم قد تقدمت بكيفية تدريجية مناسبة.

والحقيقة أن المولى إسماعيل تابع الأعمال التي بداها أخوه في الميدان الثقافي، ونظرا لطول مدة حكمه، فإن منجزاته كانت أوفى وأهم بحيث إن العلوم والآداب ازدادت تطورا واتساعا[2]... (وإذا كان المولى الرشيد قد أطاح بأخطر تلك الزوايا (الزاوية الدلائية) على الدولة في القرن السابع عشر الميلادي، فإن المولى إسماعيل ترك زوايا أخرى جديدة تنمو وتترعرع في عهده وتحت أحضانه، مثل زاوية الوزانيين وزاوية الناصريين وزاوية الشرقاويين وزاوية الحنصاليين، كما أنه عفا عن الدلائيين بعد اعتلائه عرش المغرب ببعض سنوات وأذن لهم بالرجوع من تلمسان والاستقرار بفاس. لكنه أمر على النقيض من ذلك بدك رباط الحاج ابراهيم بن محمد شيخ زاوية تاسافت لمجرد امتناع هذا المرابط من تلبية دعوة المثول بين حضرة السلطان سنة 1715م، وكان للزوايا أدوار تأطيرية[3] ما كان الإمام ليتغافل عنها فكان حريصا على أن تشجع في هذا السبيل شريطة أن لا تزيغ عنه وكان في هذه الحالة يبدي لها ولشيوخها منتهى آيات الاحترام والتقدير. وأحسن مثال على ذلك معاملته للشيخ عبد القادر الفاسي وولده وخلفه على الزاوية الفاسية الشيخ محمد بن عبد القادر، وكانا كلاهما شيخ الجماعة في عصرهما، وكذلك عامل السلطان بتمام العناية والرعاية العالم والكاتب صاحب التآليف المتنوعة الشيخ الحسن اليوسي[4].

ومن جهة أخرى فقد كان رحمه الله يحب الاجتماع بالعلماء، وكبار رجال الدولة، فدعا علماء فاس خلال شهر جمادى الأولى عام 1100 هـ (فبراير ومارس 1688م) لحفل اقامه بمناسبة ختم (حزب) تفسير القرآن الكريم بإشراف الإمام القاضي

---

(1)- ليفي بروفنسال - مؤرخو الشرفاء - ص : 141 - 142 .

(2)- خلافا لما كان يدعيه اليوسي في رسالته، لأنه كان يحقد على مولاي إسماعيل لأسباب عدة. انظر جاك بيرك - اليوسي - ص : 91 - 93 .

(3)- انظر تفصيل ذلك عند الحديث عن الزوايا.

(4)- مذكرات من التراث المغربي. ص : 61

أبي عبد الله المجاصي المتوفى سنة 1103 هـ وتم هذا الحفل في بيت السلطان الخاص بالقصر حيث نصب منبر التدريس.

ولما انتهى الدرس شوهد السلطان نفسه يخدم ضيوفه أثناء تناولهم للطعام ويوزع عليهم عطاياه. وقد قال اليفراني في (ظل الوريف) :

حدثنا غير واحد من أشياخنا قال : كنا في زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله على صورتها ولا نلقى من تضلع به، بل كانت الأرجوزة المسماة بالسلم لعبد الرحمان الأخضري الجزائري من رجال القرن السادس عشر لا يعرفه غير رجل أو رجلين، فلما مهد الله لهذه الدولة الأكناف وأسمى قدرها، وأناف، تدفقت على الناس العلوم ودانت صعاب الفنون حتى عاد صغار الطلبة يعرفون فنونا عديدة، ويكون لهم عارضة مديدة، وقد تخرج من هذا الدولة السعيدة جماعة من الاعلام لهم القدم الراسخ في العلم، واليد الطولى في الإتقان والفوا تأليف حسنة[1].

ثانيا : *اهتمامه بالميدان الديني* :

أجمع المهتمون على انصراف جهود الملوك العلويين بادئ ذي بدء إلى الحفاظ المطلق على التراث العظيم الذي سلم من جامع القرويين منذ أيام المرابطين والموحدين وبني مرين والوطاسيين والسعديين، وتجلى هذا الحفاظ في ترميم الجهات المهددة بالانهيار، وفي تنمية بعض الأثاث والاستفادة من الساعات العصرية التي ظهرت في أوربا. وإذا كان هناك من يستحق فضل حماية تلك الآثار المجيدة الرفيعة من الضياع والزوال، فهم ذرية المولى علي الشريف وحفدته واسباطه الذين ظلت القرويين مثابتهم سواء أقاموا بفاس أم بمكناس أم بمراكش[2]. والحقيقة أن الاهتمام بالميدان الديني لا يتجلى واضحا أكثر إلا في مدينة فاس، هذه المدينة التي لا يمكن أن يحسب لها حسابها في هذا الميدان بمعزل عن القرويين، لأن هذه الأخيرة تعتبر القلب النابض للمدينة والتي ينعكس نورها على مدن المغرب وقراه، بل وعلى كثير من الدول، وبهذا المعنى، (كانت فاس قد عرفت أنها كرسي المملكة فلان جامع

(1)– ابن زيدان – إحياء العلوم، مجلة المغرب السنة الخامسة نونبر دسمبر 1936 ص : 8 نقلا عن الظل الوريف لليفرني.

(2)– انظر الدكتور عبد الهادي التازي – المسجد والجامعة . ج : 3 ص 654.

القرويين بما يتبعه من مئات الفروع المنبثة في إرجاء المدينة عاد يتوفر – في فترة من الفترات – على مائة وأربعين كرسيا علميا يغشاها الناس من مختلف الطبقات، وعاد من المألوف المعهود أن على الطلبة، من غير فاس أن يقصدوا القرويين إذا كانوا يريدون لصيتهم أن يعلو، ولعلمهم أن يذكر)[1].

وقد كان لعلماء القرويين طريق خاص بهم في التأليف غير ما كان معروفا لزملائهم في المشرق، وهذه ناحية أخرى تعطي فكرة عن تميز الشخصية المغربية على نحو ما تميزت به في اختيار المذهب المالكي واختيار تلاوة ورش ورواية ابن سعادة وابتكارهم للعمل الفاسي.

وقد شاع التنافس فيما بين علمائها على خلق حركة علمية كان لها جدوى على سوق الفكر بفاس بما ألهبته من حماس وأذكته من مشاعر وقد كثرت المدارس العتيقة بفاس، حيث نقف على مدرسة الشراطين والعطارين والبوعنانية وغيرها من الدور التي كان يحج إليها طلبة العلم والمعرفة من جل بقاع المملكة، وقد بنيت دور بالقرب من هذه المدارس لإيواء المهندسين بها. ونظرا لوعي الأسلاف وتمسكهم بالعقيدة والمعرفة التي شجع على طلبها والترغيب فيها كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد اشتهروا بوقف بعض أملاكهم على المساجد ودور العلم حيث ينفق مردود الأحباس على متطلبات الدلبة، والمدارس والمساجد[2]. وما محتويات الحوالات السابقة واللاحقة إلا خير دليل على هذا الإنفاق السخي الذي يقل نظيره في كثير من بقاع العالم.

هذا ولم يتجه اهتمام الـ لويين داخل الجامع فحسب، ولكنه تجاوز أيضا إلى الخزانة التي يتوفر عليها المسـ.د الجامعة.

ففي القرويين (نال البلاط الأوسط منهم التفاتة شاملة سواء في القبات أو السريات وازدانت كذلك (الغريفة)[3] غرفة الموقتين بمختلف أنواع الساعات الأربية

---

(1)– انظر الدكتور عبد الهادي التازي – المسجد والجامعة . ج : 3 ص : 654.

(2)– د. عبد الهادي التازي – المسجد والجامعة – ج : 3 ص : 654.

(3)– الغريفة هذه هي الموجودة بداخل المسجد من باب الشماعين على يسار الداخل وهي التي عاينت بها كرتي العلم الأرضية والسماوية، وقد تم الحديث عنهما بالقسم الأول من هذه الأطروحة.

وآلات الحساب التي استوردت خصيصا من الدول الصديقة. وشيدت المدارس الداخلية للطلاب، وبنيت محكمة خاصة للقاضي في صميم سماط العدول، ظلت إلى الأيام الأخيرة شامخة ثابتة، وعمدوا إلى الصحن فادخلوا عليه تحسينات زادت في جماله وبهائه بما نصبوا فيه من ساعات شمسية وفوارات، والتفتوا إلى الخزائن العلمية فرتبوا وفهرسوا وبنوا وشيدوا، كل واحد منهم كان يرى أن عليه تخليد اسمه في زاوية من زواياها أو في ركن من أركانها، كان أول أمر لفت نظر المولى إسماعيل إلى صيانته والعناية به، هو الثريا الكبرى التي ظلت منذ أيام الموحدين ثابتة تذكي الأمل في قلوب المومنين، فاصدر أمره بإنزالها وتنظيفها، وإعادة صنع القطع التي تهددت فيها بتلف أو ضياع، ثم إعادتها إلى مكانها بعد أن نقش عليها اسم هذا الملك العظيم)[1].

واعتبارا لتعرض العنزة لوهج الشمس وفعل الشتاء، أمر السلطان المولى إسماعيل بتجديدها في الوقت الذي كان فيه عماله يركبون عنزة الجامع الأعظم من فاس الجديد حوالي 1089 هـ[2].

وبعد المولى إسماعيل ظلت القرويين كذلك محل عناية من طرف اسباطه.

هذا ولم يكن الاهتمام منصبا على القرويين فحسب، بل شمل ما يخدم القرويين من مرافق ومصالح ومدارس لأن في ذلك اهتماما بالدين، وهكذا، فإن السلطان المولى الرشيد علاوة على إنشائه المدرسة الرشيدية جوار القرويين، وعلاوة على إنشائه خزانة علمية بفاس الجديد[3]، عمد إلى الخزانة القروية فأولاها من عنايته وعمل على تنظيمها.

ولما فاجأته المنية قام السلطان المولى إسماعيل بتتميم مشاريع أخيه، ناهتم

---

(1)– انظر د : عبد الهادي التازي. المسجد والجامعة. ج : 3 ص : 654.
أثبت على هذه الترية ما يلي : "تجددت هذه الثرية السعيدة عن أمر أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين، مولانا إسماعيل الشريف الحسني أيده الله ونصره سنة ل س م (يعني سنة عشرين ومائة وألف بالقلم الفاسي).

(2)– مفاخر العلويين بفاس ص 13 – مجلة البحث العلمي عدد مايو 1967 ص : 183 ومما كتب في هذه العنزة أبيات شعرية منسوبة إلى الشيخ عبد الرحمان الفاسي رحمه الله نقش :

أنواره تخطف الأبصار مشرقة   من أجل ذا (خطفت) تاريخ إنشائي.

(3)– أزهار العلوم والفنون على عهد العلويين، مجلة المغرب، نونبر 1963.

les inscriptions de Fés page 55.

بترتيب الخزانة وأهدى إليها الكتب التي يجمع الخطاطين لنسخها، وكان يحصل عليها بمختلف الطرق، ومن الظريف أن نجد المولى إسماعيل يستغل وقوع بعض الرهائن الأجانب تحت يديه ليطلب من دول الرهائن أن تعطيه في مقابل (الخمسين أسيرا نصرانيا) من المائة التي كانت عنده، خمسة آلاف كتاب : مائة كتاب عن كل نصراني يكون الكتاب من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المحجوزة من خزائنهم بإشبيليا وقرطبة وغرناطة، وما والاها من المدن والقرى[1].

وقد قيل في وصف الخزانة الإسماعيلية أنها جمعت من التصانيف وأنواع الدفاتر وأسماء التآليف ما لم تحوه خزانة بغداد، ولا علق بحفظ الأستاذ[2].

وقد وضع المولى إسماعيل للمخطوطات فهارس، منها ما كان خاصا بالمصاحف ومنها ما يتعلق بكتب التفسير والقراءات وكتب الحديث والتصوف، والفقه والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والأصول والتوقيت والحساب والطب[3].

وقد ورد بعد لائحة المخطوطات المسجلة في الفهرس الإسماعيلي هذه الوثيقة :"الحمد لله جملة ما سطر من الكتب العلمية على اختلاف فنونها بهذه الورقة، وبالإحدى وعشرين ورقة قبل هذه متوالية في ثمانمائة رسم وتسعة وثمانين رسما: أولها المصحف الكبير. وآخرها كتب ابن الخطيب في الطب، الكتب المعروفة والمنسوبة والمحوزة لجانب الخزانة العلمية الأحمدية بقبلي القرويين الموقوفة هنا للانتفاع بها بالمطالعة والمراجعة وردها لمحلها بعد قضاء الغرض منها حسب ما ألفي من ذلك بعد الاستقصاء والاستقراء ومراجعة الزمامات وتتبعها واستخلاص ما بها أوائل ذي الحجة الحرام من العام الخامس عشر بعد المائة والألف، وقد اقتدى المولى عبد الله ;بوالده، فشحن رفوف الخزانة في تاريخ 22 رجب 1156 هـ بعدد كبير من الكتب العلمية، كان منها كتاب الطب لسيدي محمد الصنهاجي[4].

---

(1)– فوضت الرسالة الملكية للسفير المغربي الوزير الغساني اختيار المناسب من المخطوطات الأتحاف. 2 / 64.

(2)– الخزانة العلمية بالمغرب. ص : 69 دعوة ا لحق، مارس 1969.

(3)– وقد استعرضت الكثير من هذه الكتب عند الحديث عن محتويات الحوالة في القسم الخاص بموضوعات الحوالات كما سأتطرق لمجموعة أخرى من هذه الكتب عند الحديث عن محتوى الحوالة الإسماعيلية وموضوعاتها انظر كذلك : د. عبد ا لهادي التازي . المسجد والجامعة – ج : 3. ص : 668.

(4)– الحوالة الحبسية.

أما أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) فقد شهدت علاوة على عنايته بها وفرة النساخين الذين كانوا ينسخون النادر منها ليحبسه العاهل على خزائن مصر القاهرة والاسكندرية، كما فعل بنسخ من تاريخ ابن خلدون، ووفيات الأعيان، وقلائد العقيان، والأغاني، ونفح الطيب وغيرها[1].

فقد كان (محمد الثالث) يجلب بدوره المزيد من المخطوطات الفريدة والنادرة من الشرق[2]. ونفس الرغبة كانت تحذو سائر الملوك العلويين، وبهذا نفسر بادرة مولاي علي بن محمد الثالث في ذي القعدة سنة 1183، وبادرة أخيه المولى اليزيد، أوائل شوال 1204[3].

تلكم كانت نبذة مختصرة جامعة لحياة المولى إسماعيل منشئ الحوالة الإسماعيلية، مع إشارات إلى بعض صفاته النبيلة ومزاياه الجليلة، وومضات عن جهاده، وبعض أعماله في الوطن وخارجه، وعن اهتمامه بالميادين العمرانية والثقافية والدينية.

فما سبب إنشاء هذه الحوالة ؟ وما هي الظروف والملابسات التي ساعدت على ذلك ؟ يجيبنا على هذا التساؤل الفصل الثاني من هذا الباب.

---

(1)- الاتحاف. 3 / 251 - دعوة الحق / دسمبر 1960

(2)- الناصري - الاستقصا - 8/66.

(3)- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

الفصل الثاني :

إنشاء الحوالة الإسماعيلية

بعد البحث في كثير من الوثائق، ومراجعة بعض المصادر والمراجع المختصة، واستفسار بعض المهتمين بميدان الحوالة، لم أعثر عما يطمئن إلى تحديد السبب الرئيسي والدافع الأساسي لإنشاء هذه الحوالة، اللهم إلا ما كان من مضمون رسالة الحسن اليوسي وصك إنشاء الحوالة نفسه.

ولهذا سيشمل هذا الفصل بدوره مبحثين، نقف في المبحث الأول منه على رسالة اليوسي، وفي المبحث الثاني على دراسة صك إنشائها الموجودة بين ثنايا الحوالة نفسها، بعد مقدمة نتناول فيها مناقشة إشكال يتعلق بتسميتها، وما إذا كانت حوالة واحدة أم أكثر.

توطئة : ***تسمية الحوالة الإسماعيلية*** .

سبقت الإشارة إلى أن هذه الحوالة تنتسب إلى منشئها المولى إسماعيل كما يتضح ذلك من اسمها.

يقول العلامة الدكتور عبد الهادي التازي في معرض حديثه عنها : (وحوالة 1115 هـ، كانت هي الحوالة الإسماعيلية التي تمتاز بما لم تسبقها أي حوالة قبل من حيث مسطرتها، ومن حيث ضبطها وإتقانها، وقد كتبت لأول مرة في نسختين مكررتين زيادة في الاحتياط لما عساه يحدث....)[1].

ولكن، وبعد البحث والتنقيب، والاطلاع على مختلف الحوالات بمدينة فاس وأغلبها بالرباط، ومراجعة أهم نصوصها ومشتملاتها، تبين أن هذه الحوالة ثلاث حوالات وليست واحدة، والأخرى نسخة لها. ذلك أن الواحدة منها تحمل رقم 46 بينما تحمل ثانيتها رقم 47 أما ثالثتها فتحمل رقم 49. وبعد عقد مقارنة بينها واستقراء متأن لمحتوياتها اتضح لي ما يلي : أن الحوالة التي تحمل رقم 47، تتضمن في معظمها أوقافا على المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة وأخرى على الأئمة والمؤذنين وثالثة على الكراسي العلمية ورابعة على المساكين والمحتاجين وخامسة على المرستان وسادسة على المجاهدين والمقابر والمكاتب القرآنية[2]. فضلا عن صك

(1)– د. عبد الهادي التازي – جامع القرويين . ج : 3. ص : 706.

(2)– انظر ذلك بتفصيل عند جرد موضوعات هذه الحوالة. في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا القسم.

إنشائها الذي يكلف من خلاله المولى إسماعيل قائده محمد بن عبد القادر الروسي لجمع شتات الأحباس. وبالنظر إلى الحوالة الإسماعيلية التي تحمل رقم 46 لا نجد كبير اختلاف في الموضوعات التي تشتمل عليها مقارنة بسابقتها غير أن الاختلاف البين بينهما يكمن في كون المكلف بالسهر على الأحباس في الحوالة رقم 46 هو الناظر السيد عبد الوهاب حجاج كما يوجد بها أحباس على مكة المكرمة والمدينة المنورة وانفرادها بظهار سلطانية كثيرة وفتاوي مختلفة فضلا عن اشتمالها على استئجارات وإبراءات ووقوف أهل الخبرة والمعرفة بقيم البناء وذلك قصد التقويم والمعاوضة، هذا وإذا كان أقدم تاريخ للحوالة رقم 47 يعود إلى سنة 1142 هـ وأجد تاريخ بها هو سنة 1285 هـ، فإن الحوالة رقم 46 يعود أقدم تاريخ بها إلى سنة 1052 هـ وأجد نص بها يحمل تاريخ سنتين 1321 و 1334، ومن حيث عدد صفحاتهما فالحوالة رقم 46 تقع في أربع وسبعين وخمسمائة صفحة بينما الحوالة رقم 47 فتقع في ثلاث وسبعين وثلاثمائة صفحة وما يزكي وجود ثلاث حوالات ولا يكون مدعاة لأي استغراب طول مدة ملك المولى إسماعيل.

أما الحوالة الإسماعيلية رقم 49 فإن أهم ما يميزها عن رقم 46 و 47 يمكن أن يجمل فيما يأتي.

– تواريخها منحصرة بين سنتي 1115 و 1375 هـ – القائم بأمرها هو السيد محمد الكاتب صك إنشائها يذكر بصريح العبارة أنها حوالة فاس الجديد.

– كثير من وثائقها تتحدث عن الذميين من ملاح فاس وصفرو وما صدر في شأنهم من ظهائر سلطانية الشيء الذي لاوجود له في الحوالتين السابقتي الذكر.

– اشتمالها على فتوى واحدة وهي المتعلقة بسرقة زيت المسجد الأعظم عام 1124 ومحاكمة الجاني.

– اخر نص بها يتضمن تصفية حبس معقب ولا إخال الدكتور التازي إلا متحدثا عن هذه الأخيرة.

المبحث الأول :

رسالة الحسن اليوسي

أولا : *التعريف باليوسي*

هو أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة اثنين ومائة وألف، نسبة إلي أيت يوسي قبيلة من برابر ملوية وأصله اليوسي. كان رضي الله عنه غزالي وقته علما وتحقيقا وزهدا وورعا قال في فهرسته : كانت قراءتي كلها أو جلها فتحا ربانيا، ورزقت ولله الحمد قريحة وقادة وكنت بأذني سماع ينفعني الله، فقد اسمع بعض الكتاب فيفتح الله علي في جميعه فتحا ظاهرا، وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه، ورب كتاب لم أسمعه أصلا غير أن سماع البعض في كل فن صار مبدأ للفتح، وتتميما لحكمة الله في سنة الأخذ من المشايخ ولا تستوحش مما ذكرناه ظنا منك أن الربح أبدا يكون على قدر رأس المال كلا فقد يبلغ الدرهم الواحد ألف مثقال وما ذلك على الله بعزيز.

وكان معظم قراءته بالزاوية الدلائية لم يزل مقيما بها عاكفا على بث العلم ونشره إلى أن استولى عليها المولى الرشيد بن الشريف فنقله إلى فاس، ثم خرج إلى البادية فاستوطن بقبيلته إلى أن مات رحمه الله.

وكان رضي الله عنه متضلعا في العلوم النقلية والعقلية حتى قال في تأليفه المسمى (بالقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل) إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد الجرجاني وإضرابهما وسأله يوما سائل بمجلس درسه فقال له :(اسمع ما لا تسمعه من إنسان ولا تجده محررا في ديوان ولا تراه مسطرا ببنان، وإنما هو من مواهب الرحمان). ولما دخل مراكش تصدر بها لإقراء علم التفسير بجامع الأشراف فمكث في تفسير الفاتحة قريبا من ثلاثة أشهر، وهو يبدي كل يوم أسلوبا غريبا، وتحقيقا عجيبا فعجب الناس من غزارة مادته مع أنه ربما بات في ضريح بعض الأولياء والناس معه فلا يطالع كتابا ولا يراجع مؤلفا، فإذا أصبح وجلس على الكرسي أطلق لسانه بما يبهر العقول.

وكان الشعر عنده أسهل من النفس وشعره كله حكم وأمثال كشعر العرب القدامى وقصيدته الدالية في شيخه ابن ناصر دالة على امتداد باعه ورسوخ قدمه في المعارف والفنون ولله در الإمام أبي سالم العياشي إذ قال :

من فاته الحسن البصري يصحبه   فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

وبالجملة فهو آخر العلماء الراسخين، بل خاتمة الفحول من الرجال المحققين، حتى كان بعض الشيوخ يقول : هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من

العلم والعمل حيث صار إمام وقته وعابد زمانه رحمه الله[1].

ثانيا : ***نص رسالة اليوسي إلى المولى إسماعيل*** :

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى خليفتنا أمير المؤمنين الإمام قطب المجد ومركزه فخار الفخار ومئزره وأساس الشرف الفادح ومنبعه ومناط الفضل الشامخ ومجمعه السلطان الأعظم الأجل الأفخم المولى إسماعيل.... هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال والدعاء له بصلاح الحال وذلك بعض ما أوجبته علينا يده المبسوطة بالبر والإحسان... مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي أوجبتها منزلته السلطانية ومثابتة العلوية الفاطمية فكتبنا هذه البطاقة وهي في الوقت منتهى الطاقة وكنا كثيرا ما نرى لسيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح والرغبة في افتتاح أبواب الربح والنجح، فأردنا أن نرسم لسيدنا بعض ما أن وفق للنهوض إليه رجونا له ربح الدنيا والآخرة والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة ورجونا وإن لم نكن أهلا لأن نعظ أن يكون سيدنا أهلا أن يتعظ وأن يحتمي في جميع المذام ويحتفظ. فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له والناس كلهم عبيد الله تعالى وإماء له والسلطان واحد من العبيد وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والانصاف والإصلاح فهو خليفة الله في الأرض وظل الله على عباده وله الدرجة العالية عند الله تعالى، وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته ومتسلط متبكر في الأرض بغير حق متعرض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه. ولا يخفى على سيدنا حال ما تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه كيف يفعل به يوم يتمكن منه ثم نقول إن على السلطان حقوقا كثيرة لا تفي بها البطاقة وتقتصر على ثلاثة هي أمهاتها:

الأول : *جمع المال من حق وتفريقه في حق*.

والثاني : *إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج*

---

(1)- الناصري – الاستقصا – ج : 7 ص : 108. – 109
انظر كذلك : الصفوة : 205 . 210 – الزاوية الدلائية ص : 97.

من عدد وعدة.

الثالث : *الانصاف للمظلوم من الظالم، وفي معناه كف كل يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم.*

وهذه الثلاثة وقد اختلت كلها في دولة سيدنا فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الإطلاع أو بالغفلة فإن تنبه وفعل فقد فاز وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة وإلا فقد أدينا الذي علينا. أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يجيء من الرعية فقد أعده الله تعالى للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة الأئمة والمؤذنين والمجاهدين والأجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح ... فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكلام من يزين له الوقت فإن أكثر الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله و لا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا، وذلك أنه لم يتأت في الوقت الآن عمارة الثغور وسيدنا قد غفل عنها فقد ضعفت اليوم غاية وقد حضرت بمدينة تطاون أيام مولانا الرشيد رحمه الله فكانوا إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع، وهذا وهن في الدين وغرر على المسلمين وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركة وإعطائهم العدة كسائر الناس.

فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القلعية إلى ماسة ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ويترك لهم خيلهم ورجالهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بيضة الإسلام، ويتحرى في من يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيرة على الإسلام وأهله ولا يولي فيها من مهمته ملء بطنه والاتكاء على أريكته .

وأما الأمر الثالث فقد اختل أيضا لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم وهم المشتغلون بظلم الناس فكيف يزيل الظلم من

يفعله ؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي. فليتق سيدنا دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب، وليجتهد في العدل فإنه قوام العدل وصلاح الدين والدنيا قال تعالى :"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"[1] وقال تعالى "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز"[2].

ثم ذكر المنصورين وشرائط النصر فقال : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[3] فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم الأمور الأربعة، فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يفسد عليه الدولة علموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور... نسأل الله أن يرزق سيدنا توفيقا وتسديدا وإرشادا وتأييدا وإن يصلح بوجوده العباد والبلاد، أن يحسم بسيفه أهل الزيغ والفساد آمين والحمد لله رب العالمين.

وكتب العبد الفقير الذليل الحسن بن مسعود اليوسي تاب الله عليه آمين انتهى[4].

تلكم كانت ترجمة مستفيضة للإمام الكبير المحقق الشهير الحسن بن محمد اليوسي أعجوبة الدهر ونادرة العصر والذي خص من أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي خليفة الوقت اعتناء به ومبالغة في نصحه ومحبته فيه راجيا منه أن يسير على نهج الخلفاء الراشدين حماية للرعية وحرصا على سنن المهتدين. ومن حسن حظ القادري، كما قال[5] إنه وقف على مراسلات ومحاورات مع السلطان مولاي إسماعيل، ونقل الرسالة السابقة مطولة، أثبتت معظم فقراتها نظرا لما تكتسيه من أهمية، ونظرا كذلك لقيمتها، إذ لا إخال هذه الرسالة إلا عنصرا من العناصر الأساسية التي جعلت السلطان يفكر في إنشاء حوالته. هذه الرسالة التي يستشف من فقراتها جملة أفكار نلخصها كالآتي :

---

(1)- سورة : النحل آية : 90

(2)- سورة : الحج آية : 40.

(3)- سورة : الحج آية : 41

(4)- القادري. نشر المثاني. ج : 3. ص : 31 إلى 37.

(5)- انظر القادري - نشر المثاني ج : 3 ص 25 -26.

- تقديم الطاعة والولاء لأمير المؤمنين وإظهار مكانته السامية.

- مقارنة بين المصلح والمنصف وبين المتسلط والمتنكر، وإظهار عاقبة كل منهما.

- الاقتصار على ثلاثة حقوق على السلطان هي :

1- جمع المال في حق وتفريقه في حق.

2- إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج من عدد وعدة. كف كل يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم.

3 - الإنصاف للمظلوم من الظالم وفي معناه.

افتقار الدولة إلى العناصر الثلاثة المشار إليها أعلاه والتي تتجلى بوضوح في:

1- ظلم الجباة الذين لم يتركوا للناس دينا ولا دنيا.

2- ضرورة تحريض حراس الثغور على الحراسة والجهاد، والإحسان إليهم، وإعفائهم مما يكلف به غيرهم، وإعطائهم ما يحتاجون إليه حتى لا تظل الثغور مطمعا للمعتدين.

3- اختلال الإنصاف بين الناس، لأن المكلفين به هم المشتغلون بظلم الناس فكيف يزيل الظلم من يفعله ؟

- التذكير بأن في العدل قوام الملك وصلاح الدين والدنيا.

- الدعاء لأمير المؤمنين بالتوفيق والرشاد، وبتطهير البلاد من أهل الزيغ والفساد.

المبحث الثاني :

صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية

أولا : *الحوالة الإسماعيلية* رقم 46 .

ويتلخص فحواها في اعتناء المولى إسماعيل بالأوقاف، وذلك بتفقده جباياتها وتنميته أموالها، وخاصة أوقاف جامع القرويين، وانتداب من يلم شعثها، ويضم متفرقها ممثلا في الناظر السيد عبد الوهاب حجاج[1] . وهذا نصها :

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 73 لم يذيل النص بأي تاريخ. أما الكتابة فجميلة متقنة لا تخلو من زخرف

تلك اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي أقام لهذه الأمة المحمدية من بيت النبوة ملكا هماما، وعصمة وإماما، والصلاة والسلام على يد الإرسال وقطب دائرة الكمال تامين دواما، نبي ابتعثه الله رحمة للعالمين، وجعله من سبطه الشريف الأعز المنيف سلطان الإسلام أوالمسلمين المؤيد بالنصر والتمكين، ذا القدر الجليل والشرف الأصيل سيدنا ومولانا إسماعيل الغالب بالله المتوكل على الله المعتمد عليه فيما منحه وولاه، أيده الله بعزيز نصر أمره، وأعز بتأييده نصره، وأبقى في مراقي المجد الأسمى فخره، أما بعد فلما كان من شيم مولانا المؤيد بالله وشجاياه، ومناقبه الهاشمية ومزاياه، شدة الاعتناء بالدين وغاية الحزم والعزم في كل وقت وحين بطوية صحيحة وعزيمة صريحة فهو المعني بحمد الله حقا بقوله صدقا :

فمن يقصد لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكانت همته دائما أبقاه الله وعماد الدين يسمو بسعادته، وجياد السبق تقاد تحت لواء إجادته تشييد مباني الديانة التي أسست على قواعد الرضوان قواعدها، وأقرب على متين الدين معاقدها، فاقتنى المساجد والجوامع، وشرف الأماكن الدينية والمواضع، فصارت دولته السعيدة ربعا للعفاة، واسما جامعا لجميل الصفات، فصرف وجه اعتنائه وجميل خصاله وكريم خلاله، إلى ترفيعها وتجبلها بتفقد جباياتها وتنمية أموالها، وخصوصا جامع القرويين شرفه بدوام الذكر فيه فرأى سدده الله وأرشده ووفقه وأيده أن يوجه إليها من يلم شعثها ويضم متفرقها من عرف بالصفا وسار في الأحباس بسيرة الوفافعين لذلك خديم المقام العالي بالله الناظر المبجل الذكي الأنبل السيد الحاج سيدي عبد الوهاب حجاج أجمل الله مقاصد مولانا بتمديد أوطانه وأقطاره، وتوطيد سلطانه وتسهيل أوطان وتزايد اتباعه وجنوده ونصر الويته وبنوده إنه سميع الدعاء لارب غيره).

هذا وبقدر ما كان هذا النص مقتضبا جامعا مانعا، بقدر ما كان صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية رقم 47 به أطناب وإسهاب، وملخص هذا الأخير أن المولى إسماعيل قام بإنشاء هذه الحوالة جلبا للمصالح ودرءا للمفاسد، وامتثالا للأوامر واجتنابا للنواهي، ورغبة في تصحيح المعاملات في البيع والشراء، ودفعا لما

يلحق أموال اليتامى وغيرها من اعتداء. وهذا نصه :

ثانيا : *صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية رقم 47*[1].

(بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. الحمد لله الملك الحق المبين المنفرد بتدبير الخلق من غير ظهير ولا معين الذي كف المعتدين وحاط البلاد والعباد بالولاة الممتدين فلله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المصطفى الآمين (كلمات غير واضحة) الحلال والحرام (كلمتان غير واضحتين) نبي ابتعثه الله رحمة للعالمين وجعل من سبطه الشريف الأغر المنيف سلطان الإسلام والمسلمين المؤيد بالنصر والتمكين والفتح المبين ذا القدر العالي الجليل والشرف الباذخ العريف الأصيل أب المكارم مولانا إسماعيل الغالب بالله المتوكل على الله المعتمد عليه فيما منحه وولاه (كلام غير واضح) لله تعالى بعزيز نصره (كلام غير واضح) وأعلى أعلامه وظفر عساكره ووصل له ملك الدنيا بنعيم الآخرة. أما بعد فإنه لما كان من شيم مولانا المؤيد وسجاياه ومناقبه الهاشمية ومزاياه شدة الاعتناء بالدين وغاية العزم والحزم فيما يضبط أمور المسلمين والاستباق إلى أسنى المحامد في تلك الميادين وما فيه رضى رب العالمين كيما يعود عليهم بالتكميل والتتميم وحرية التفضيل والتكريم وكانت سيرته الزكية وشنشنته الهامشية وهمته الرفيعة الملكية أبقاه الله تعالى وعماد الدين يسمو بسعادته وجياد السبق تقاد تحت لواء إجادته تأبى الأعراض عما هو مقلد به من أمور البرية ورعاية الرعية المرعية وما يعرض لها من الأمور الصادرة الباطنة والظاهرة مما قد يطالب به في الدنيا والآخرة من جلب المصالح ودرء المفسدات وامتثال الأوامر واجتناب المنهيات وموافقة السنة في الدنيات والعبادات والمحافظة على فرائض الصلوات الوقتيات وإيتاء الزكوات من الأموال الطيبات وتصحيح المعاملات في الشراء والبياعات في المقومات والمثليات في الحكرة والإدارّات وبيع العربان وتلق الرفاق والركبان واجتناب الخيانات ورفع الأيدي العاديات عن العواري والامان، وأموال اليتامى والايمات وربى الفضل والنسا والنجيس والمكس والبخس وبيعتين في بيعة والتلبيس والتدليس والتطفيف

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. الصفحات من 1 إلى 5. لم يتضمن النص أي تاريخ، وقد سجل بخط واضح فخم مغربي أصيل

والخدعة مما يؤول إلى تضيع البضائع المالية التي جعلها الله تعالى قواما لنسمة الإنسانية والبنية الأدمية وله أيده الله مزيد التفات إلى العمال والجبات والقباض والسعات وما يذهب من مال الله في هلك وهات فأحيى أعزه الله من ذلك ما كان مواتا وجميع من بضائعه ما كان شتاتا وصانه عن السرف والإضاعة وحاطه وفي مصالح المسلمين فجر أنهاره وحل رباطه ونشر بساطة فجند الجنود ورفع الأعلام والبنود واستعد لزرب الإسلام بالعدد والعدد والعزم النافذ المؤيد وادخر البواكر والصفاح والسمرهري والرماح والأسلحة المهندة والسهام المفوقة المسددة وسنا العوالي المحددة ورباط الصافنات الجياد والخيل المسومة ونجدة الأبطال المعممة، واختلط المصانع والحصون والمدائن والقرى ورفع سمك الأعمدة والذرى وسور الأسوار الحصينة العالية وعلم المعالم المتلاشية وعمر الرسوم الخالية وجدد الآثار العافية واستنبط الحياة الجارية وطمس عين الثغور المؤذية وجمع جمع الجوامع ورفع المنارات وشيد المأذن والصوامع وزخرف بيوت العبادة والمساجد وعمر المنازل والمعاهد ونور الضرائح والمزرات للقاصد وسبل السبايل وأعذب المناهل وأدرك ما لم يدركه الملوك الأوايل حماية لبيضة الإسلام ونكاية لعبادة الأصنام وحياطة لامة النبي عليه السلام ورهبة لأعداء الدي الكفرة الذين أكبادهم مفطورة من هيبة هذه الدولة الشامخة بلمنصورة جعلهم الله نهبا لجنوده وفريسة تقتنصها عقبان بنوده فاقتنى أيده الله من ذلك جميل الثناء والمحامد من الصادر والوارد ومن المعبود سبحانه والعابد ولما بنو نصره الله وغرس وقعد وأسس وسبل ووقف وحبس وأعطى ووهب بما وجب من النشب توجهت وجهته وجهة حذر وتحر وتوخ وتبر للنظر في جملة الأحباس وما عسى أن يعرض فيها من التلف والاختلاس والالتباس بأملاك الناس سيما مع طول الزمان وضعف الامان وخصوصا أوقاف مدينة فاس لكثرة أوقافها واختلاف أصنافها فصرف أيده الله وجه اعتنائه اليمن وقصد بكريم خصاله وجميل أفعاله وخلاله لتفقد أحوالها والبحث عن أموالها والنظر في ولاتها وجباتها فرءا أيده الله وأرشده وبارك فيه وأسعده ووفقه وسدده أن يوجه إليها شعثها وينظم مجنتها ويجمع مفرقها ويقيد مطلقها ممن عرف بالصفا وسار في الأحباس بسير الوفافعين لذلك خديمه وأمينه ومن ارتوى من تميز الصدق والصداقة معينة عبده أيده بولايته تشرف ويعلميته بعد التنكير تعرف العبد المتشرف بخدمته المستظل تحت سراه وحرمته الذي لا يعرف بابا غير بابه ولا نعمة غير نعمته المقوم المقدم الأنجد الأرجح الأفلح الأنجح الأصرح الأنصح

المغتبط بخدمة البساط المولوي المستمد من نفحات المقام الهاشمي العلوي المحب في آل البيت النبوي القائد أبو عبد الله الروسي فقام في أحباس هذا البلد وقعد واعتنى بأمرها واجتهد وجمعها من تفريق ونظمها في عقد وثيق واحتفل في جمعها على اختلاف أصنافها وتعدد أنواعها فمنها ما هو طعمة للضعفاء والمساكين وما هو لإعانة الفقهاء المدرسين وما هو للجدما المرضى المبتلين وما هو للنوكا المسلسلين وما هو للمرابطين بالثغور والمجاهدين وما هو لإصلاح المساجد المرفعين وما هو لائمتنا والمؤذنين وما هو على الخطباء الواعظين وما هو على خلاص المأسورين وما هو لإقامة ضرائح الصالحين وما هو على القراءة على مقابر المسلمين وما هو على قراءة الحزابين وما هو لتعليم الصبيان وتكتيب الابتدائيين وما هو لتنبيه المصلين لتعديل الصفوف بجامع القرويين وما هو للنداء على الصلاة على موتى المسلمين فلقد شمر المعين لذلك المذكور عن الساعد الأقوى وأخذ بقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولازال على ساق الجد قائم حتى جمعها الجمع الكامل السالم مع تهذيب وحسن ترتيب وقيد منها ما كان منها وترح وشرد وحجم وضمها في ديوان فحفظها وصوان بيد لها للعيان متخلطها فهي مأثورة من مآثر مولاه محبوسة وإلى أعماله الموفقة منسوبة فالشكر لله الذي أهدى إليها وأرشد ووفق وسدد ثم للمقام العالي الذي قلده من وظيفها ما تقلد فلقد بذل النفس العزيزة في صلاح المسلمين والإسلام وسلك مسالك الأسلاف الكرام وعامل الله من عامله فاز بريح التحر وظفر بالغنيمة المحفوفة بالثناء والأجر، فسح الله في مداه وعمر بالمكارم منتداه وأدام له في سماء المعالي ارتقاء وصعودا ولا يعدمه مسرة موصولة وسعودا سعدا لا يبلى وعزا تروى أتاح وثن ولازال تتراحم على موارد ثنائه الألسن وتروي الروات من أبنائه ما يصح ويحسن وجبر بمحبته القلوب وبلغها من أيامه السعيدة كل مطلوب ويطرح البركة في عمره (خروم) وعصره ولا يقطع عادة من عوائد خيره إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا إلاه غيره ولا خير إلا خيره وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما[1].

(1)– كتب بخط دقيق جدا تحت النص ما يلي : "الحق في على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير صح به" – أغفل في النص على طوله علامات ترقيم، فلا وجود للفقرات ولا النقطة ولا الفاصلة وغيرهما – بعض الكلمات بالنص غير مفهومة وأخرى غير واضحة وغير مقروءة فضلا عن بعض الخروم – لقد نقلت النص نقلا أمينا وبأخطائه وخاصة جموع التكسير حيث التاء مبسوطة وكلمة(فرءا).

ثالثا : *صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية رقم 49.*

(هذه حوالة حبس فاس العليا صانها الله)

(الله أحمد، وإليه سبحانه وتعالى في جميع الأمور أصمد، وهو في كل الشؤون والآمال المعتمد، وبالصلاة والسلام على نبي هو نور الهدى الأحمد، سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ننال الفوز بجميع الآمال ونسعد، فنصلي ونسلم عليه وعلى آله وأصحابه الألى سلكوا من آثاره الحميدة أقوم المناهج وأرشد، هذا وان من توفيق الله تعالى وتأييده، ورشده وتسديده، اقتفاء معالم التحقيق، وسلوك مناهج الحق الحقيق، ولما أن رأى مولانا المنصور المؤيد، الإمام المهام السلطان الأسعد، ذو الشرف الأثيل، والرشد والسؤدد، والفخر الأصيل، أبو السعادات والنصر العلي الجليل، مولانا إسماعيل، أسمى الله وجوده، وأسنى في أفق النصر والتأييد سعوده، أن أوقاف مساجد هذا الأفق قد عطلت مشاهدها ومعاهدها، وسدت عن القيام بحقوقها مصادرها ومواردها دعت مولانا المؤيد دواعي التوفيق واجتذبته العناية لأقوم طريق، أن قدم لجمع ماشرد منها وما نفر، وتقعيد أساس ما اندرس لها من الأثر وليه الأسد، وربى نعمه الأرشد، أمير ناديه، وحفيل أياديه، الفقيه الأريب، اللوذعي النجيب، الراقي في المعالم أسمى المراتب، السيد أبا عبد الله سيدي محمد بن سيدي محمد الكاتب، كتب الله سعادته، وأعز نجدته ومجادته، فقام لذلك مشمرا عن ساعد جده، باذلا في إقامة حدوده وإحياء نومه غاية جهده، وصرف أيده الله إلى ما قدم إليه وجه اهتمامه، وجد في صرف الشوائب عن كل وقف وأعلامه، متوجها بذلك إلى عنايته برم خلله، وحسم علله، وإقامة ميله وإنعاش رجله وخيله، حتى انجلت عن كل أوجه الأوقاف ظلماؤها، وتجلت بنجوم إقامة حقوقه سماؤها، واستقل أحسن استقلال، وأنظم به نظم اللئال، وإذ قد وجه أيده الله وأدام معونته وجهته نحو هذه البلدة السعيدة، حضرة الفئة الهاشمية فاس العليا الجديدة، وأحيا باسمه ربوع أوقافها، وأنار معالمها، وشيد أبنية ما خفى منها، وأقام مراسمها، أنشا لها أيده الله هذه الجامعة، حوالة مباركة إن الله شاء تعالى لما عسى أن يرد من الأوهام، أويعرض من دعا وفيها مدى الأيام دافعة، حاوية ما شملته هذه الحضرة العلية من الأوقاف، قاظمة اشتاتها نظم الجواهر من الأصداف. معينا منها كل جزء برسم مشهودا على عينه بحوزه، واستمرار التصرف فيه بأنواع التصرفات الوقفية من غير مدافعة مدافع أو لمزه، مع تحديده وتعيينه بماله من

وصف ووسم، حسبما يوقف على جميع ذلك إن شاء الله في أثنائها وقيد أواسط القعدة الحرام عام (115)[1]. والحقيقة أن الحوالة الإسماعيلية توضح إلى حد بعيد اهتمام الملوك العلويين الاهتمام البالغ بشؤون الرعية وفي مقدمتها الدفاع عن الثغور بكل ما يملكه المغرب من قوة وأن المتصفح لهذه الحوالات ليجد نفسه أمام عطاء ساخ من أجل الثغور وحمايتها، بل ويجزم أن هذه الثغور كانت تقريبا الشغل الشاغل للسلطان في ذلك الوقت والأمثلة كثيرة ومتنوعة نقتصر منها على ما يلي:

فقد كان جميع بيت المال الكائن برباط الفتح والذي بطنجة والعرائش وكذا مستفاد المراسي الثلاثة وأسواقها وما يستفاد من قوارب الرباط والعرائش خصيصا يصرف على جيش الإسلام المخيم على الثغور ومصالحها من بناء وغيره الشيء الذي يقوم دليلا على رغد العيش الذي كانت تزهو به هذه الثغور وحماتها، حتى إن هذا الثراء والغنى وإسناد أمر القيام عليها بشؤونها لمن هم دون مستوى المسؤولية جعل بعض حماة هذه الثغور من ذوي الضمائر الميتة يطمعون في خيراتها وأموالها التي نالتها من السلطة الحاكمة وما اعتراف أولاد معينينو عام 1119 هـ من أن الأموال الطائلة التي هي بأيديهم إنما هي مما نهبوه من أموال المراسي التي كانت بأيديهم إلا دليل على صحة ذلك[2]. ومن أجله كان الحسن اليوسي قد ضمن رسالته ما يفيد غيرته على هذه الثغور.

انظر كذلك إقرار أولاد معنينو واعترافهم بالحوالة الإسماعيلية رقم 46 بصفحة: 419.

التي يريد أن يكون حماتها والعاملون على حراستها رجالا أكفاء وأشرافا، قال رحمه الله وهو بصدد حديثه عن هذه الثغور والعاملين بها : (وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا وذلك أنه لم يتأت في الوقت لأن عمارة الثغور وسيدنا قد غفل عنها، فقد ضعفت اليوم غاية... وإنما جاءهم السواحل كلها... ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيرة على الإسلام وأهله ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته)[3].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص: 30 كتب النص بخط دقيق وجميل، وقد ضغط على الكلمات المسطرة تحتها، أما الفواصل فكانت باللون الذهبي.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص: 34 – 36 – 36– 419

الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص: 367 – 368 – 373.

(3)– القادري – نشر المثاني – ج: 3 ص: 34

والحوالات الإسماعيلية من بدايتها إلى نهايتها مواضيع مشوقة تعالج قضايا مختلفة على مستوياتها المتنوعة. فما شكل هذه الحوالات ؟ وما موضوعاتها ؟ . ذلك ما نخصص له الباب الثاني من هذا القسم حيث نعالج في فصوله الثلاثة الآتية تباعا الحوالات الإسماعيلية رقم 46و 47و 49 من حيث الشكل والمضمون.

الباب الثاني :

خصوصيات الحوالة الإسماعيلية وموضوعاتها

الفصل الأول :

الحوالة الإسماعيلية رقم 46

المبحث الأول :

وصفها

تقع هذه الحوالة المباركة في أربع وسبعين وخمسمائة صفحة مرقمة بقلم الرصاص ترقيما متتابعا يلي دفتها الأولى، أما أول صفحة بها فنظرا لكثرة خرومها فقد ألصقت على ورق مقوى وتتضمن ستة نصوص مكتوبة بخط دقيق جدا تتحدث جميعها عن حيازة الحوالة من طرف ناظري أحباس القرويين السيدين محمد الشامي ومحمد بنشقرون بمحضر الشهود ومعاينتهم، وهذا خاص بالنص الأول الذي يتصدر الصفحة الأولى(1)، وقد سجل بطريقة عادية أفقية، والثاني يحمل نفس المضمون بالنسبة للناظرين اللذين حلا محل المتقدمين. ثم هناك نصان مسجلان على الصفحة نفسها ولكن بطريقة عمودية على الهامش الأيمن، وكل النصوص مذيلة بتواريخ غالبيتها بالقرن الثالث والرابع عشر الهجريين، فأولها مثلا مؤرخ بالحادي عشر من جمادى الثانية سنة 1281 والثالث بسنة 1321، وباقي التواريخ غير واضحة بسبب الخروم والتآكل.

جمعت أوراق هذه الحوالة بين دفتين سميكتين من الورق المقوى، يغلب على جانبه الأيمن اللون الأسود وإليه تنتهي صفحات الحوالة وتشد إليها، بينما الدفتان اليمنى واليسرى فلونهما بني قاتم غير ملفوف ولا مزركش.

بعد الدفة اليمنى للحوالة توجد ثلاث ورقات بيضاء تميل إلى الصفرة خالية من أية كتابة عدا طابع النظارة الذي يتوسط كلا منها، دائري، ذو لون أزرق يحمل ما يلي:

(المملكة المغربية نظارة أحباس القرويين) تفصل بين عبارته نجمة خماسية، وتتوسط الطابع نفس النجمة بحجم أكبر، وما قيل عن هذه الصفحات يقال عن مثيلاتها الموجودة قبل الدفة اليسرى للحوالة.

لقد ألصقت بداخل الدفة السميكة اليمنى قطعة مستطيلة من الورق تحمل ما

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 1

يلي: (رقم 46، الحوالة الإسماعيلية بفاس). وتحت هذه العبارة طابع النظارة المشار إليه أعلاه. وبخارجها قطعة بيضاء من ورق تحمل اسمها، وهذا الإسم مكتوب بخط مضغوط رائع.

والحوالة ككل تشتمل فضلا عن الجرود الكثيرة للموقوفات على فتاو وأسئلة وأجوبة، وعلى ظهائر سلطانية، وأوقاف على مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتتضمن كذلك الإشهاد على كل مستفيد من الأماكن المحبسة التي بيده وكذا على المعاوضات وعقود الاستئجار ووقوف أهل الخبرة والمعرفة بقيم الأصول، وشراء عقارات وإبراء ذمة، وغير ذلك كثير.

ومن الملاحظ أن لجامع القرويين نصيب الأسد في هذه الأوقاف وكأنها أوقاف حوالة القرويين.

ونظرا للتآكل والخروم الكثيرة فقد خضعت الحوالة لترميم شامل آثره أحيطت كل ورقة على حدة بحاشية من جهاتها الأربع، حيث لم يعد أثر لهذا التآكل وأصبحت كل الأوراق في مقياس الدفتين، وقد شمل هذا الترميم أوراقا بكاملها حيث تلصق الورقة المتآكلة على ورقة أخرى فلا يظهر إلا وجه واحد لها، ولذلك فالترميم لا يسري إلا على الصفحة المكتوبة ليس إلا .

أما التاريخ الشائع في معظم نصوص الحوالة وفقراتها فيرجع إلى سنة 1115 هـ مما يؤكد أن هذه السنة عرفت نشاطا كبيرا في التدوين بها.

والحوالة في مجموعها ضبط وحصر للأوقاف الكثيرة التي كانت مسجلة في أوراق مبعثرة تحمل تواريخ قديمة وتسجل بهذه الحوالة في التاريخ المذكور أعلاه. ومثال ذلك ما وجد مقيدا في أوراق ممزقة متلاشية على بعض أوقاف المقابر وغيرها، ويقرأ عليها تاريخ (بالقلم الفاسي)، وقد سجل بهذه الحوالة في شهر رجب عام 1115 هـ[1].

ويلاحظ من خلال استقراء النص المنشئ لهذه الحوالة أن المولى إسماعيل رحمه الله[2] كلف الناظر السيد عبد الوهاب حجاج للقيام بهذه المهمة، وهذا النص لا يحمل أي تاريخ. تبتدئ الحوالة بتاريخ أواخر شوال من عام خمس وستين وألف[3]،

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 551 .

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص.: 73 .

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 2.

وتنتهي بثامن محرم الحرام فاتح عام أربعين ومائة وألف[1].

ويستنتج من ذلك عدم احترام التسلسل المنطقي لهذه التواريخ[2].

أما أقدم تاريخ بها فيرجع إلى سنة 1052 هـ[3]، واجد تاريخ فيرجع إلى أوائل جمادى الأولى سنة 1321[4]. وإلى 29 جمادى الأولى سنة 1334[5].

ولهذه الحوالة مصورة على الميكرو فيلم بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 158 وتقع في ثلاث وثلاثين وأربعمائة صفحة فقط[6].

المبحث الثاني :

موضوعات الحوالة الإسماعيلية رقم 46.

يمكن حصر موضوعات هذه الحوالة في عناوين كثيرة أبرزها :

الموضوع الأول : ما هو وقف على المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة

- أوقاف على الولي الصالح مولاي إدريس الأزهر[7].

- أوقاف على جامع القرويين وأخرى على الذرية مرجعها للقرويين بعد انقراض الذرية(8).

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص. : 573 .

(2)- انظروا الحوالة الإسماعيلية رقم 46. بالصفحة الأولى نجد سنة 1196, وبصفحة 419 نجد سنة 1119 وبصفحة 85 نجد سنة 1197, وبصفحة 26 نقد عام 1115 ....

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 535 .

(4)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 1 وهو التاريخ الذي ذيل به النص الأخير المتعلق بتسليم الحوالة إلى الناظر.

(5)- أنظروا الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 354.

(6)- انظر الجرد السابق لهذه الحوالات التي ما زالت تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : .4 تحمل الوثيقة أواسط رجب الفرد عام 1133 هـ

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 5 - 6- 17 ومن 74 إلى 80 - 84 - 86 -89 - 110 -168, ومن 171 إلى 182, تحمل الوثيقة الأولى تاريخ أوائل صفر الخير 1125 هـ، ومن 205 إلى 218 وهذه الأحباس كثيرة، من جملتها بقع من الأراضي والجنات والعرص وفيوضات المياه، فضلا عن عدد كبير من الدور والمصاري والافران وبصفحة 218 بآخرها، إشهاد يثبت صحة ما ذكر لجانب القرويين وذلك بحضور قاضي الجماعة بفاس السيد أحمد بن محمد بن ناجي.

- أوقاف على زاوية الشيخ سيدي الغازي براس الشراطين(1)
- أوقاف مدرسة الخصة(2).
- أوقاف على زاوية العطارين(3) وباب السلسلة وعين علو.
- أوقاف زاوية الحلفاويين ومدرسة الوادي(4).
- أوقاف على زاوية الصهريج(5).
- أوقاف على المدرسة الجديدة(6).
- أوقاف على مسجد الشرفاء(7)
- أوقاف على ضريح سيدي أبي زيد الهزمري(8)

= ومن صفحة 231 إلى 238, وتحمل الوثائق تاريخ 14 ذي القعدة عام 1155هـ ومن 244 إلى 248 رغم ما بها من خروم كثيرة فإن الإشارة إلى حبس بعض الأماكن يظهر عليها، وفيه إشارة إلى أن الجرد الطويل من الأماكن هي من جملة أحباس القرويين. ومن 249 إلى 252, وقد ذيلت الصفحة الأخيرة بما يلي : "الحمد لله الأرضون المذكورة في الرسوم السبعة والخمسين أعلاه وبوجهي الورقة التي قبل هذه متصلة بها يمنته مما هو تحت ترجمة الأرضين بعدوة وادي سبو هي من جملة أوقاف القرويين المرسومة والمنصوصة بحوالتها القديمة والجديدة وما هو محوز بحوزتها ومحترم بحرمتها وتحت ولاية ناظرها وتعرفه بأنواع التصرفات الوقفية، وسجل ذلك من أوائل الحجة متم عام خمسة عشر ومائة وألف " أما بصفحتي 347 – 348. فوصايا تتضمن وقفا على الذرية وبعض الفقراء مرجعه للقرويين. كذلك الشأن بصفحة 436 التي تذيل بتاريخ جمادى الثاني 1122.

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص. : 16, وتحمل الوثيقة تاريخ 13 جمادى الأولى عام 1198 هـ .

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 183 ومن 185 إلى 188 إلى 192 تحمل الوثيقة أوائل الحجة متم 1115 هـ

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 193 إلى 195 تحمل الوثيقة أوائل الحجة متم 1115 هـ.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 196 - 197 - 198 تحمل الوثيقة أوائل الحجة متم 1115 هـ.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. من 199 إلى 203 تحمل الوثيقة أوائل الحجة متم 1115 هـ.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 204 ومن جملة هذه الأحباس حوانيت وأرحية وفيض ماء برمة حمام الزليج.

(7)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 61 و 62 تحمل الوثيقة أواسط رجب الفرد عام 1131 وقد تضمنت الحوالة جردا بالرباع الكوقوفة على إصلاح ماء العين المجلوب من حومة الشرابليين لمسجد الشرفاء.

(8)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 351.

- أوقاف على روضة سيدي أبي جيدة[1].

- أوقاف على مسجد القصبة بأعلى طالعة فاس[2].

- أوقاف على روضة الزرقاء الأسفل[3]

الموضوع الثاني : ما هو وقف على الأئمة والمؤذنين والقاضي والمفتي.

- إمام ومؤذن مسجد روضة مولاي إدريس[4].

- إمام مسجد القرويين[5]

- إمام مسجد الشرفاء الذي به ضريح المولى إدريس[6].

- إمام مسجد محراب مولاي إدريس[7].

- إمام مسجد الشرفاء على شريطة[8] وإمام مسجد سيدي الهبطي.

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 353

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 371 وقد ذيل الجرد بإشهاد على مقدم المسجد السيد عبد الرحمان الفيلالي بقبض خراج الموقوفات وصرفها فيما يجب... بتاريخ أواخر رجب وبالصفحة الموالية أي ص : 372 نص يتضمن أن قاضي الجماعة يشهد أن الرسوم الثمانية المتضمنة زيتون الفريعي ببلاد وسيلن خارج باب الجديد والمسطرة تحته قد قابلها بأصولها فماثلتها.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص: 438 – 439 – 440 يحمل أخر هذه النصوص تاريخ 21 حجة 1115 هـ

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 437, وهذا الوقف عبارة عن أماكن أغلبها دور موقوفة أصلا على الذرية ترجع بعد انقراض الذرية لمسجد روضة مولاي إدريس، ثلثه للمؤذن والثلث الثاني للإمام والثالث للحزابين شريطة أن يصلي الإمام والمؤذن مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم إثر كل صلاة.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 441 (خمسة رسوم تتعلق بتحبيس خمسة أثمان دار بحومة الكدان على العقب مرجها بعد الانقراض لإمام القرويين) تحمل تاريخ منتصف الحجة متم 1115 هـ.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 444 إمامه هو الفقيه سيدي محمد بن مبارك المغراوي تحمل تاريخ 23 رجب عام 1115 هـ

(7)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص :444 في نهايتها، وعلى الهامش الأيمن من نفس الصفحة وبكتابة عمودية نص يتضمن تحبيس دار بالرميلة على الإمام يحمل تاريخ أوائل جمادى الأولى 1159.

(8) – الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص :445 – 446 – 447 وتحت هذا الجرد نص تضمن ما يلي : " الحمد لله الأماكن المذكورة في الروسم الستة عشر المسطرة أعلاه هي أحباس الإمام بمسجد الشرفاء على شريطة قراءة أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مما هو مبين في الرسوم أعلاه وهي التي اعترف أمامه في حينه الفقيه سيدي الحاج أحمد الجرندي بأنها بيده على الوجه الموصوف وأنها على قراءة والصلاة المرتبطة بالإمام شهد به عليه أوائل شعبان".

- مؤذنو مسجد الشرفاء[1].

- مؤذن مسجد أبي حجاج[2]، وإمام مسجد زقاق الحجر، ومؤذن مسجد سيدي الخياط، وإمام مسجد سبوس ومؤذنه.

- إمام مسجد درب ابن عتيق وبني شروال وابن أبي مدين ومؤذن مسجد سيدي صافي وإمام مسجد رياض جحا ومؤذنه، وإمام درب الأمانة وإمام مسجد أقصى المريج، وكل من أمامي النارنجة والسمارين وكذا مؤذن مسجد سيدي أبي الذياب وإمام مسجد الحمرة، وكذا كل من أمامي طلوقة والشحامين[3].

- مؤذن مسجد زرقاء الماء وإمام مسجد القلعة وإمام مسجد القفصي.

- وإمام مسجد جعدة، وما بأيديهم مع الإشهاد عليهم [4].

- إمام المدرسة المتوكلية ومؤذن مسجد عين الخيل[5].

- قاضي فاس ومفتيها[6].

الموضوع الثالث : *الكراسي العلمية والخزانات.*

- الكتب العلمية الوقفية بالخزانة الأحمدية الشريفة بقبلى جامع القرويين[7].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46.بآخر صفحة 445 والوقف عبارة عن دار بدرب المقوس على المؤذنين الثلاثة ليلا بمنار مسجد الشرفاء. وتحمل الوثيقة تاريخ 4 جمادى الثانية عام 1174 هـ.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 448 وبعد الأوقاف ثم الإشهاد على الأئمة والمؤذنين بأن ما بأيديهم مما هو مذكور من المحلات لاحق لهم فيها سوى الانتفاع بخراجها ما داموا يشغلون تلك المناصب، وهذا الإشهاد يحمل تاريخ أواسط رجب وبأعلى 449 نصيب المؤذن مع الإشهاد عليه.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. من ص : 449 إلى 454 ويلاحظ تحت كل جرد مما تقدم من الأوقاف إشهاد . كالذي تقدم – على كل من الأئمة والمؤذنين، وكلها تحمل تاريخ أواسط وأواخر رجب، ومضمن الإشهاد أن ليس للأئمة والمؤذنين حق فيما بأيديهم من العقارات سوى الانتفاع بخراجها ما داموا يقومون بالمهام الموكولة إليهم.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. من ص : 455 إلى وسط صفحة 519.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 537.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 573 ذكر الأوقاف التي لجانب القاضي والمفتي بمدينة فاس، وقد ذيل هذا الجرد بالإشهاد الذي يحمل تاريخ شوال عام 1205 هـ.

(7)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. من ص : 375 إلى 413. شملت الصفحات جردا طويلا بهذه الكتب ونظرا

– المصاحف الكريمة الموجودة بالخزانة الصغرى التي عن يمين الخارج من محراب جامع القرويين مع نسخة من تنبيه الأنام، ونسخ ثلاث من دلائل الخيرات، وكتب موقوفة للقراءة على كرسي التفسير والسير أمام محراب جامع القرويين، وكرسي الحلية بظهر الصومعة[1] وما هي حبس للقراءة على ضريح مولاي إدريس، وكذا الموقوفة على سيدي أبي زيد الهزميري.

– الكتب الموقوفة على الكرسي للوراق والمقابل لباب الرواح السفلى والمقابل للثرية الكبرى بجامع القرويين، وكذا الموقوفة على الكرسي للوراق بظهر حصة العين بالقرويين[2].

– الكتب الموقوفة للقراءة على الكرسي للوراق بمسجد الشرفاء الذي به ضريح المولى إدريس[3].

لأهميتها من ناحية وحمايتها من ناحية أخرى، فقد عثرت على نص بصفحة 414 يعلق على هذه الكتب القديمة ويوثقها ومحتواه : "الحمد لله جملة ما ذكر وسطر من الكتب العلمية على اختلاف فنونها بهذه المورقة وبالأحدى وعشرين ورقة قبل هذه متوالية في ثمانمائة رسم وتسعة وثمانين رسما التي أولها المصحف الأكبر في سفر واحد بربعة مرصعة وآخرها كتب ابن الخطيب في الطب، وفي ثمانية تراجم، ترجمة المصاحف الكريمة مشتملة على خمسة عشر رسما، وترجمة كتب التفسير على مائة رسم وثلاثة عشر رسما. وترجمة كتب الحديث على مائتي رسم وخمسة وثلاثين رسما، وترجمة كتب التصوف على أربعة وثلاثين رسما وترجمة كتب الحديث الحديث على مائتي رسم وخمسة وثلاثين رسما، وترجمة كتب التصوف على أربعة وثلاثين رسما وترجمة كتب الفقه على مائتي رسم واثنين وعشرين رسما، وترجمة كتب ا لنحو والبيان والأدب والتاريخ على مائة رسم وأربع وثمانين رسما، وترجمة علم الكلام والمنطق والأصول على ثلاثة وستين رسما، وترجمة كتب التوقيت والحساب والطب على ثلاثة وعشرين رسما هي الكتب المعروفة والمنسوبة والمحوزة لجانب الخزانة العلمية المباركة الأحمدية الشريفة بقبلى جامع القرويين زاده الله شرفا الموقوفة هناك للانتفاع بها بالمطالعة والمراجعة وردها لمحلها بعد انقضاء الغرض ممها على حسب ما ألفي من ذلك بعد الاستقصاء والاستقراء ومراجعة الأزمة وتتبعها واستحصال مابها، فمن وقف بالخزانة المذكورة واطلع على ما فيها من ذلك وأحصاه فكان جملته ما ذكر قيده مستوعى منه وفي أواسط الحجة الحرام من العام الخامس عشر بعد مائة وألف" ولم يذيل بأي توقيع.

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 415 بأعلى الهامش الأيمن وبخط دقيق جدا، إحصاء لهذه الكتب :"الحمد لله أجزاء من كتاب الله عز وجل عن سبعة وثلاثين جزءا بربعة من نسختين مختلفتين إحداهما ذات تراجم مذهبةعن ثمانية عشر جزءا من تجزية ثلاثين، هي حبس للقراءة على ضريح ولي الله مولانا إدريس نفعنا الله به، والأخرى محروسة بصبغ الزرنيخ موقوفة على ولي الله سيدي أبي زيد الهزميري عن تسعة عشر جزءا".

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 انظر صفحتي 416 و 417.

(3) الحوالة الإسماعيلية رقم 46 انظر ص : 418

– الكتب الموقوفة بالخزانة العلمية بجامع الأندلس والكتب الموجودة بالخزانة الصغرى عن يسار الداخل لمحراب الأندلس، والموقوفة للقراءة على الكرسي الكائن أمام محرابها[1].

– أوقاف القراء باسبوع المدرسة المتوكلية من طالعة فاس وقراء المحراب بها[2].

– أوقاف كرسي جامع الأندلس وكرسي المستودع بها[3].

– أوقاف كراسي جامع القرويين[4].

– الأوقاف التي بيد مقدم خزانة القرآن العظيم التي عن يسار الداخل لمحراب جامع الأندلس وكذا التي للكراسي بهذا الجامع[5].

– أوقاف كرسي بضريح سيدي أحمد الشاوي[6].

الموضوع الرابع : *المحتاجون والمرضى*

– وصية الحرة صفية على المساكين، وثانية يتعذر معرفة الوصي بها، وثالثة مجهول صاحبها[7].

– وصايا ستة من الخواص بعضها على الضعفاء وبعضها الآخر على الأضرحة[8].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 من ص : 422 إلى 432 بهذه الصفحات جرد طويل : 48 من كتب الحديث و9 من كتب التفسير، 93 من كتب الفقه، 26 من كتب سائر الفنون، و 12 من الكتب على الكرسي الكائن أمام المحراب.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 536 .

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 543 .

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 من ص : 543 إلى 549 وقد ذيلت الصفحة الأخيرة بإشهاد يحمل تاريخ رجب، ويلاحظ أن هذه الكراسي تعرف بأسماء أماكنها (كرسي الحلية، والعنزة، ومستودع باب الحفاة و....).

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 550 .

(6)– الحوالة الإسماعلية رقم 46 ص : 359 تحبيس ثلثي حانوت، وإشهاد بالحيازة من طرف محمد الدويب مقابل قراءته بكرسي الضريح المذكور، ويحمل الإشهاد تاريخ 2 شعبان الأبرك 1131 هـ.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 162 يلاحظ أنه ابتداء من ص : 153 إلى 161 عدم وضوح الكتابة وضياعها بسبب الخروم، كذلك الشأن من 163 إلى 167 حيث تكثر الثقب والكلمات الممحاة.

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 364 .

- وصايا على المرضى الجذماء القاطنين بباب عجيسة من مدينة فاس[1].

- أوقاف المرضى الجذماء القاطنين ببرج الكوكب[2].

الموضوع الخامس : *ماهو على المقابر والمجاهدين وقراء الحزب.*

- أوقاف على من يقرأ سورة يسن وسورة تبارك[3].

- أوقاف على من يقرأ الحزب بمسجد سيدي القاضي عياض من حومة الصاغة[4].

- أوقاف على من يقرأ بظهر عنزة القرويين[5].

- أوقاف على من يقرأ بظهر عنزة القرويين وحزابي مسجد اللبارين ومسجد درب الخضار[6].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 572 بها جرد بهذه الأوقاف. أما صفحتي 573 و 574 وهو آخر ما كتب بالحوالة حديث عن الأوقاف على المرضى المذكورين، وقد ذيل الجرد والنص بشهادة استئجار سجلت على يسار الصفحة الأخيرة بقلم قصب وبصماق بني يخلف عن الكتابات السابقة ويذكرنا بالكتابة على اللوح الخشبي في الكتاتيب القرآنية قديما ونصه : "بقعة بها كهف ومطامير خمسة في استئجار سيدي الحاج أحمد الباشا، بدرب سيدي جلون من أوقاف المرضى أعلاه على يد رسم استئجارها كاتبة ولازمه كل عام المخرج مسكي فمن عاين ذلك قيده هنا في المحرم عام"

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 346 وهي عبارة عن 9 من الرباع أغلبها حظوظ حوانيت.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 3 اشهاد على السيد أحمد بن عبد الرحمان الفاسي بإخراج ثلث مختلفة حبسا على من يقرأ عليه في كل صباح ومساء سورتي تبارك ويس، تحمل الوثيقة تاريخ 29 جمادى الثانية عام 1091 هـ.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 38 النص الرابع بها يحمل تاريخ أواخر ربيع الثاني 1199 هـ.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 53 بها جرد بهذه الأماكن المحبسة سنة 1216 وتحتد إشهاد علي بنيس أن الأماكن المذكور تبيده محوزة لجانب الحبس بتاريخ 17 جمادى الثانية 1218. ونحتاج هذه الصفحة تحبيس الحاج عبد الوهاب الشرايبي طرازا بالكدان على قارئ حزب القرآن بجامع القرويين صباحا ومساء يحمل تاريخ 16 ذي القعدة عام 1216.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 54 . 55 وبداية 56 حبس على العقب مرجعه بعد الانقراض على الحزابيين والمؤذنين بمولاي إدريس، أما الجزء الثاني من صفحته 56 فبه تحبيس على المورق بالقرويين، ويحمل النصان معا تاريخ جمادى الثانية عام 1241

- أوقاف على المقابر(1).

- أوقاف على حزابي جامع الأندلس(2).

- أوقاف على القرويين(3)

- أوقاف على حزابي ظهر عنزة القرويين وبظهر خصة العين بها(4).

- أوقاف الحزابين بالأسبوع الأسفل وبباب المحراب من جامع القرويين(5).

- أوقاف الحزابين لمحراب مسجد الشرفاء الذي به ضريح المولى إدريس(6).

الموضوع السادس : *ماهو لمكة المكرمة والمدينة المنورة والشرفاء بهما.*

- تصدق سيدي محمد بن عبد الله على أهل الحرمين الشريفين(7).

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 353 عدد هذه الموقوفات 30 أغلبها حوانيت، وقد تم الإشهاد أن الأوقاف بيد بين شقرون والعراقي وبوغلب ليس لهم فيها إلا الانتفاع بخراج بعضها وصرف البعض الأخر في مصالح روضة سيدي أبي جيدة. ومن 531 إلى 568 جرود طويلة وأخرى إلى ص : 571.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 541 وبعد الجرد إشهاد بالصفحة الموالية بتاريخ أواخر رجب.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 349 - ومن 355 إلى 358. عدد الأماكن بالصفحة الأولة 25, بالصفحة الثانية الإشهاد على السيد محمد الغريسي أن ما بيده من أحباس المقابر لاحق له فيها سوى الانتفاع بخراجها، كذلك الشأن ببعض هذه الأوقاف التي بيد كل من المجاصي وسيدي محمد برحمون، وأولاد ابن نعيم، وبالصفحات الأخيرة 356 إلى 358 جرد بأوقاف المقابر الأخرى والإشهاد على من بأيديهم أن ليس لهم فيها سوى الانتفاع بخراجها ما دامت منفذة بأيديهم.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 359, 365 يحمل الحبس بالصفحة الأولى تاريخ ربيع الثاني 1207هـ، بالصفحة الثانية رباع موقوفة على ضرابين ثمانية، أربعة بظهر صومعة القرويين. وأربعة بظهر خصة العين بها، بعضها يحمل تاريخ 1202 هـ.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 366 إلى 369, قيدت هذه الأوقاف بتاريخ 10 رجب 1115 هـ وتحته جرد طويل بحوانيت في أحياء متنوعة كالعطارين والصفارين والشماعين والسبيطريين والجوطية والصباغين، وذيل الكل بإشهاد على الحزابين الذين ينتفعون من الأماكن المطرة أعلاه أن ليس لهم فيها بيع ولا شراء مؤرخ بتاريخ أواسط رجب عام.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص :370 جرد بهذه الأوقاف وتحته إشهاد كالسابق مؤرخ بنفس التاريخ.

(7)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 33, تستهل الوثيقة بالحمدلة وتختتم بما يلي : "ليفرقه على المقعدين والعمي والأيامي الذين بالحرم الشريف على الوجه الذي أمره به سيدنا نصره الله... وفي ثامن وعشرين جمادى الثانية من عام واحد وتسعين ومائة وألف".

– تصدق سيدي محمد بن عبد الله على أهل الحرمين الشريفين بغابة زيتون[1].

– وصية لجانب الحرمين الشريفين من طرف المحسن سيدي التاودي مكوار[2].

– تصدق سيدي محمد بن عبد الله على أهل الحرمين الشريفين وأهل الحجاز ومصر وغيرها[3].

– حبس على العقب يرجع بعد الانقراض لمحراب المسجد النبوي[4].

– أوقاف الحرم الشريف المكي زاده الله شرفا وتعظيما[5].

الموضوع السابع : *تصدق السلاطين وظهائرهم* :

– ظهير سيدي محمد بن عبد الله بمنع ومصاهرة أهل فاس للشرفاء العلويين لانقطاعهم عم أهلهم بسجلماسة[6].

– ظهير سيدي محمد بن عبد الله بإفراغ دار محبسة على زاوية وإيجارها ليدفع كراؤها للحزابين[7].

– ظهير سيدي محمد بن عبد الله حول من يجوز له الاستفادة من ربيعة مولاي إدريس[8].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 33 وهذه الوثيقة سابقة على المتقدمة تحمل تاريخ 1188.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 35 وهذه الوثيقة تحمل تاريخ 24 جمادى الثانية 1189.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 13 وهذه الوثيقة تحمل تاريخ 5 رجب عام 1196 وتحت الن جرد طويل بأسماء الشرفاء وطائفاتهم، ومن بينهم أهل الينبوع وأهل بدر إلى نهاية ص : 14 التي ختمت بهذه الكلمة:"جملة المال الذي بعثه مولانا المنصور لمن ذكر أعلاه وحوله على حساب صرف الريال مائة ألف ريال وأربعمائة ريال وثلاث وستون ريالا".

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 421 سجلت الوثيقة بتاريخ أوائل محرم الحرام عام 1130 هـ.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 354 وتحت الأماكن إشهاد على من هي بيده أن لاحق له فيها على وجه القيام عليها والنظر في مصالحها بتاريخ أواسط رجب 1115 هـ. وعقب هذا الإشهاد، نص آخر يتضمن تحبيس النصف من أصل وجلسة الأرحى الكائنة بين المدن بفاس على مكة المكرمة، سجل بتاريخ 29 جمادى الأولى عام 1334، وقد اعتبر هذا النص أحدث نص بهذه الحوالة.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : ص 15 يحمل الظهير تاريخ 10 جمادى الثانية عام 1203 وقد أرسل إلى القائد العربي الصفار قصد تطبيقه وإطلاع الناس عليه وتسجيله في حوالة المسجد ليبقى تذكرة لمن يتذكر وتبصرة لمن يتبصر وقد ذيل بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 . ص : 22 يحمل الظهير تاريخ 2 شعبان عام 1193 هـ.

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 22 يحمل الظهير تاريخ عام 1201 هـ.

– ظهير سيدي محمد بن عبد الله يأذن فيه لأولاد شقشاق في الدراهم التي بحرم المولى إدريس[1].

– تحبيس سيدي محمد بن عبد الله الجنان لحساب المسجد الكائن بباب داره[2]

– ظهير سيدي محمد بن عبد الله بإحصاء وحصر عدد من أسر الأشراف[3].

– تحبيس سيدي محمد بن عبد الله بيوت مال الرباط وطنجة والعرائش ومستفاد المراسي على الجيش المقيم بالثغور المذكورة وكذا ما يستفاد ويتحصل من مرسى تطوان [4].

– تحبيس سيدي عبد الله بن إسماعيل لستمائة كتاب إلا أربعة على خزانة جامع القرويين[5].

– ظهر سيدي محمد بن عبد الله يتضمن أمره للقائد علال بن مسعود بحيازة البلادات المعروفة للمخزن والمنسوبة للجيش[6].

– نصوص تتضمن تجديد المولى إسماعيل للشريف الطاهري الاستفادة من مدخول حبس بعض الحوانيت[7].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 22 يحمل الظهير تاريخ 24 قعدة الحرام عام 1201.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 31 يحمل الظهير الشريف تاريخ عام 1197 هـ

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 34 يحمل الظهير الشريف تاريخ أواسط رمضان 1190 هـ.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 36 يحمل الظهير الشريف تاريخ 15 رمضان عام 1190 هـ. ويلي النص السابق نص أخر في نفس المعنى استهل ب (... وبعد فلما كان جند ثغر الرباط من أعظم ما يقام به فرض الجهاد في الوقت ويناط وراء مولانا الإمام فيه زيادة عدد....) واختتم ب (... فمن سمع من مولانا ما ذكر وبـو بأكمل الأحوال وأكرمها وأجلها... قيده في ثاني رجب الفرد عام 1191".

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 66 تحمل الوثيقة تاريخ 22 رجب عام 1156 هـ. وقد ذيلت بحرد طويل بهذه الكتب إلى ص : 69 كتب في مختلف الموالد، ثم هناك مجموعة أخرى من الكتب التي كان السلطان يبعث بها قبل هذا التاريخ للخزانة العلمية التي بشرقي جامع القرويين وذلك بقصد انتفاع طلبة العلم قراءة وطالعة ونسخا وغير ذلك.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 60 يحمل الظهير الشريف تاريخ 27 ربيع الثاني 1175هـ.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 219 عدد هذه النصوص أربعة، وجميعها مذيلة بتاريخ 4 ذي الحجة عام 1124, وتحتها براءة سلطانية إسماعيلية تحمل تاريخ 5 رمضان 1126 هـ.

- تحبيس المولى سليمان حانوتا بالحدادين(1).

- تحبيس المولى محمد بن عبد الله مكانة على جامع القرويين واسطرلاب(1).

الموضوع الثامن : *الفتاوى*

- فتوى في ضرورة احترام لفظ المحبس وعدم تحويله أو تغييره(2).

- ضرورة العمل بما في الحوالة وعدم الالتفات إلى ما يعارضها ما لم يكن أقوى منها(3)

- فتوى في عدم تمليك الجلسة للمكتري مهما طال عليه الأمد، وإن الأحباس تجاز ولا يحاز عليها(4).

الموضوع التاسع : *وصايا وإشهادات واعترافات ومعاملات مختلف*

- تحبيس وإشهاد على قبض، وإبراء ذمة(5).

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 369 تحمل هذه الوثيقة تاريخ أوائل ربيع الثاني عام 1219 هـ ونصها: "الحمد لله حبس مولانا أمير المؤمنين وعالم المسلمين أبي الربيع مولانا سليمان السجلماسي العلوي حانوتا بالحدادين علي الإمام الذي يصلي التراويح بالثلث في الليل من رمضان المعظم حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله، بلغ الله مولانا قصده وخلد في ا لصالحات ذكره...." .

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 5 رسم يتضمن سؤالا وأجوبة ثلاثة مؤرخ بعام 1125 هـ وملخصه أن امرة حبست دارا على إصلاح مسجد معين وجعلت النظر في ذلك لإمام المسجد ومؤذنه في مقابل، وبعد مضي اثنتي عشرة سنة قام أحد من قباض جامع القرويين وادعى أنه أحق بالتصرف. فكان الجواب أن لاحق له في ادعائه.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 72 هذه الفتوى لم تذيل بأي تاريخ وغالب الظن أنها كانت بين سنتي 1115 و 1175 لأن أكثر النصوص ذيلت بإحداهما، ونص الجواب الأول على السؤال كان :"... ان الحائز لما ثبت في حوالة الحبس أنه حبس على كذا، يكلف ببيان وجه حوزه له، ولا يكفيه قوله حوزي وملكي لأن الحوالة المذكورة يعمل بما فيها إذا لم يعارضه ما هو أقوى منه، ففي جواب لأبي إسحاق الشاطبي حسبما في المعيار أن العمل على ما في زمام تكسير الأحباس إلا أن يوجد ما هو أثبت منه..."

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 433 ذيلت هذه الفتاوى بتاريخ أواسط شعبان عام 1109 هـ والنص طويل جدا، استهل بالسؤال وطرح الأشكال، وانتهى بقوله : " وقد أفتى جماعة من المحققين أن الجلس بدعة باطلة وبلية متى أمكن التنصل عنها أزيلت...".

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 ص : 2 .استهلت هذه ا لصفحة بالنص الرابع عشر الذي يتضمن الإشهاد على السيدة صفية السوسي التي حازت واجبها من ثمن فندق برحبة الزرع، وقد تم هذا الإشهاد في أواخر شوال عام 1065 هـ.

- عقد استئجار ومعاوضة وجرد بمتروك[1]

- فريضة الهالكة فاطمة بنت الحاج محمد صفيرة[2]

- وصايا أوقاف وشراء خمس فندق وعرصة متصلة به بالصفارين[3].

- وصية بإخراج الثلث من تركة الطام الجامعي لفائدة ابن أختها[4]

- تحبيس وشراء جلسة حانوت وتعويضها بأروى بسيدي العواد[5].

- وقوف أهل البصر والمعرفة العارفين بقيم الأصول قصد تقويمها وتأجيرها[6].

- وقوف أهل البصر والمعرفة العارفين بأحوال الجدران وما هو على وشك السقوط منها[7].

---

(1) – الحوالة الإسماعيلية رقم 46. يحمل عقد الاستئجار تاريخ أواسط صفر الخير عام 1194 هـ والنص الأخير بالصفحة نفسها يتضمن معوضة، أما الجرد بالمتروك فهو بالصفحة التاسعة ويعني متروك مولاي عمر بن عبد ا لرحمان الحسني مع الإشارة إلى ورثته ووصيته سنة 1156 هـ.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 19 تحمل هذه الوثيقة تاريخ حجة الحرام سنة 1195 هـ.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 20. 21 تحمل هذه الوثيقة تاريخ عام 1192 هـ.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 29 تحمل هذه الوثيقة تاريخ عام 1215 هـ.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 32 و 37 نصوص التحبيس هذه بالصفحة الأولى وتحمل تاريخ عام 1204 هـ وعددها سبعة أخرها مذيل بتاريخ 24 محرم الحرام عام 1210 هـ أما الصفحة الثانية فتتضمن حبسا وتعويضا عنه بتاريخ أواسط جمادى الثانية عام 1226 هـ على عهد المولى سليمان.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : ومن 47 إلى 51 ص : 38 – 64 – 65 ومن 311 إلى 317, ثم 326 و329 و 436 و 437. تضمنت الصفحة الأولى أربعة نصوص، يشتمل أولها على وقوف أهل البصر العارفين بقيم أصول الأرحية والحزب لتقويمها، وذلك زمن قاضي الجماعة بالمدينة الإدريسية السيد عبد القادر بوخريص، يحمل هذا النص تاريخ 23 شوال 1182 هـ أما صفحات 317 – 326 – 329 وما بين هاتين الأخيرتين فتتضمن وقوفهم على جنات وبقع وعرصات وقد ذيلت بنص يفيد استئجارها لمدة عشرين عاما بقيمة في حدود ست أواقي لكل قطعة وكان ذلك سنة 1115, وانتهى النص بإثبات القاضي صحة ما تقدم. بينما الصفحة الأخيرة أي 437 فهي عبارة عن نسخة رسمين يتضمن أولهما وقوفهم على دويرة وتقويمها بتاريخ 1126 هـ. أما ثانيهما فعبارة عن شهادة قاضي الجماعة السيد عبد الواحد البوعناني بثبوت الرسم أعلاه مؤرخة بأواخر المحرم من السنة نفسها، هذا وأن الصفحات : من 47 إلى 51 عبارة عن روسم تتضمن البيع والشراء وإبراء الذمة، والجرد بمتروك، ووقوف أهل الخبرة وقد ذيل هذا الأخير بعام 1159 هـ في حين تحمل النصوص السابقة تاريخ 1194 هـ.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 60 ويتضمن النص فضلا عن وقوف أهل الخبرة معاوضة أروى بحانوت بباب السلسلة تحمل الوثيقة تاريخ 21 صفر سنة 1176 هـ.

- بناء الناظر الحاج عبد النبي بنيس لطراز من طابقين محمول على حوانيت بالقطانين[1].

- وقوف أهل الخبرة العارفين بقيم العقارات وجرد بهذه الأخيرة[2].

- إشهاد على أن ما بيد ا لشرفاء الطاهرين من أحباس هي الانتفاع به فقط[3].

- إشهاد على أن ما بيد الرسوم الثمانية المتضمنة زيتون الفريعي ببلاد ويسلن خارج باب الجديد قد قوبلت بأصولها فماثلتها[4].

الموضوع العاشر : فيوضات مياه العيون واستئجارها.

- تحبيس ماء مسجد الشرفاء والمدرسة وأجزاء من أصل أرحى على إصلاح ماء العين بالمسجد المذكور[5].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 147-148 عبارة عن أصول محبسة وبها خروم كثيرة أما صفحة 152 بهامشها ذكر للطراز يحمل تاريخ عام 1217 هـ.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 220 إلى 224, بالصفحة 222 جرد ببقع الأروية وعددها 31 وقد ذيل الجرد بنص يتضمن وقوف أهل المعرفة يحمل تاريخ 20 ذي الحجة عام 1115 هـ، وقد انهي بشهادة قاضي الجماعة بثبوت هذا الرسم. وبصفحة 223 جرد ببقع الافران والأرحية وتحته نص يتضمن وقوف أهل الخبرة وقد ذيل بإشهاد القاضي، وبصفحة 224 جرد طويل ببقع جزاء الحوانيت التي وصل عددها إلى 61, وقد تم استدراك بقعتين في الهامش الأيمن الصفحة 229, أما صفحة 230 فيها نسخة رسمين اثنتين يثبت أولهما وقوف أهل الخبرة واستئجار عقار لمدة عشرين عاما يحمل تاريخ متم الحجة عام 1110, ويشهد ثانيهما بثبوت الرسم أعلاه لا يحمل أي تاريخ. وما قيل في هذين الرسمين يقال بالنسبة لصفحات 239 إلى 242 حيث جرد لعرصات أي الجنود إلى وصل عددها إلى 35 مع وقوف أهل الخبرة لتقويمها وثبوت الرسم من طرف القاضيوكان ذلك بتاريخ عام 1115 هـ وهي نفس مضامين صفحة 243 مع تغيير في العقارات المقومة،

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 352, كان الإشهاد بعد جرد لهذه العقارات التي وصل عددها إلى 31 أغلبها حوانيت.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 372, بينما الصفحة الموالية وإلى 375 فيما تسيطر الرسوم الأربعة عشر والمتضمنة لشراء فندق بالنخالين من ورثة الآبار وقد ذيل بتاريخ رجب عام 1114 هـ.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 61, كان تحبيس ماء المسجد سنة 1126, والمدرسة أواسط قعدة 1127, والتحبيس الثالث أواسط رجب 1131. وبالنص الأخير ما يفيد توجه من ينوب عن الناظر بقصد الحيازة. وبالصفحة الموالية جرد طويل بالرباع الموقوفة على إصلاح ماء العين المجلوب من حومة الشرابليين، وعددها 17 أغلبها حوانيت فضلا عن خربة وبيت أروى، وقد ذيل ذلك باعتراف الناظر أن الأماكن محوز بيده لجانب الوقف زعلاه بتاريخ أواسط ربيع الثاني 1169, وبعد ذلك جرد برباع أخرى عددها 7 أغلبها جلسات حوانيت.

- استئجار فيوضات سقاية بعض المساجد[1].

- تصدق بثلث الماء المنحدر من العرصة على السجناء بسجن القلعة للانتفاع به[2].

الموضوع الحادي عشر : *مختلفات*

- اعتراف أولاد معينينو بأنهم أهل ظلم وفساد وجور، وأن ما بأيديهم من الأموال هي مما أخذوه من أموال الناس على وجه الظلم والتعدي[3].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 253إلى 273, وبها جرود طويلة جدا بهذه الفيوضات نذكر منها : مياه ميضات سيدي الهبطي، ومسجد العمران، وبرمة حمام الشراطين، وفيض سقاية ميضات فندق الشماعين، وساباط الحفارين، وغسل الأقدام من مسجد الصاغة، وكذا فيوضات برمات حمامات كثيرة وصهاريج إلى ص288, أما بالصفحة الموالية فعقود الاستئجار هذه الفيوضات وخاصة سقاية العين بالقرويين مع فيض الخصة، وهذا نموذج من ص : 273 :"الحمد لله جميع الفيض المذكور أعلاه هو في استئجار الحاج محمد بن حيون ويحيى بن عبد الرحمان والحج أحمد... أولها عام اثنين ومائة وألف بست أواقي والثاني والثالث بتسع أواقي لكل وحد حسبما استئجارهم، وهم نائبون عن أنفسهم... وقيد أواسط كسوال عام " وهذه الأرقام كما تقدمت الإشارة بالقلم الفاسي.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 535, بأعلى هذه الصفحة وثيقة تشير إلى ما تقدم ومنطوقها :"الحمد لله وقف كاتبه الواضع علامته آخره على رسم بقطعة كاغيد بشهادة عدلين لا أعرفهما لبعد تاريخهما نصه بعد الحمدلة... وهب المكرم المعلم عبد الله بن أحمد المكناسي جميع الثلث الواحد من جميع الماء المنحدر إلى عرصته الكائنة بالعقبة الزرقاء المار بسجن القلعة ينتفع به من هنالك من مساجن المسلمين بأنواع الإشاعات كلها، ،وذلك بعد أن يجمع الماء كله في معدة ومن هناك يقسم أثلاثا، الثلث الواحد يدخل للسجن المذكور بقصد الانتفاع به على الوجه الموصوف، والثلثان الآخران يمران به إلى أن ينحدروا لعرصته المذكورة من غير حق للسجن فيه هبة صحيحة تامة بتة... صرفها عن ملكه ويسط يد قيم السجن المذكور يحوزه متى شاء في جميع الأحوال، عرف قدره شهد عليه وهو بحال كمال الإشهاد وعرفه وفي موفى ثلاثين ربيع الأول عام اثنتين وخمسين وألف، فمن وقف على الرسم المذكور وعاينه وكتب جميع ما تضمنه وما اشتمل عليه هنا قيد به شهادته في الحادي عشر من شعبان عام سبعة وعشرين ومائة وألف". والملاحظ أن هذا النص من بين نصوص كثيرة، يكتنفها غموض في عباراتها، وخروم في صفحاتها، وكلمات ممحاة وغير واضحة ولا مقرءة كما هو الشأن الآن في المحلات التي وضعت بها نقط في النص السابق.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 419 وقد ذيل النص بتاريخ 29 جمادى الأولى عام 1119 ومما جاء في آخره "... ويشهدون معها بأن جميع ما بأيديهم من الأصول والأثاث... كل ذلك من مال بيت المسلمين عمره الله مما تحصل بأيديهم وما دخل بأيدي إلا ولا من متخلف أسلافهم إنما من مال المراسي لأنها كانت بأيديهم ومما أخذوه من أموال الناس على وجه الظلم والتعدي...".

– وصية سيدي على أبقوي على عقبه وإشهاد على أن ما بيد الورثة أن هو إلا على أساس الاستفادة ليس إلا[1].

– تقييد الأوقاف إلى حبسها أبو عبد الله محمد الغرديس على الأعقاب ما ناسلوا وامتدت فروعهم، مرجعها للقرويين بعد انقراض العقب[2].

– معوضة طراز بزقاق الحجر بحانوت بجوطية الحوت وربع أصل حانوت بسوق الشعير(3).

– جرد بحوانيت بسوق الخم وأخرى بسوق الحولي ذيل بشهادة معاوضة[4].

– حانوت صات لجانب حبس القرويين بمعاوضة من مالها[5].

– أحباس على الخواص وإشهاد وحيازة من طرف الناظر[6].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 360–361 وقد تم الإشهاد على ذلك بأواسط رجب بعد جرد طويل بالحوانيت والفنادق والأرحية والخزائن بدار الدبغ، وفي مجموعها 35 عقارا هي حمل الوصية. أما الإشهاد فكن على سيدي عبد الوهاب الشامي وخيه سيد محمد.

(2)– الحواليلة الإسماعيلية رقم 46. ص : 362 – 363 وقد ذيل الجرد بهذه الأوقاف البالغة (40 محلا) بإشهاد يحمل تاريخ أواسط رجب عام، وقد اطلعت في هذا الصدد على وثيقة السماع الفاسي التي تأكد صحة الاستفادة.انظر في ذلك الحوالة السليمانية : ص 378 – 379 – 380 – 381.
وانظر كذلك ص : 50 من رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا، حيث تفاصيل عن الموضوع عامة، والحبس المعقب خاصة. انظر كذلك الملحق الخاص بالظهائر السلطانية فستجر الكثير منها يتعلق بهذه الأسرة بفاس.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 18. تحمل الوثيقة تاريخ 12 جمادى الثانية عام 1199 هـ.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 85. تحمل الوثيقة تاريخ أوائل شوال عام 1179 هـ.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 89 . بعد المعاوضة بهذه الصفحة،، هناك جرد كبير ووتتأرجح تواريخه بين أواسط ذي القعدة 1115 ومتم ذي القعدة من نفس السنة. انظر صفحات 90 إلى 104 جيث الجرد بحوانيت أخرى ذيل بإشهاد على استئجار يذكر مايلي : "الحمد لله بعد أن خربت هذه الحانوت (يقصد الثالثة عن يميل الخارج من زنقة فطيمة (استأجرها السيد عبد ا لقادر بن كيران وأوقيتين قديمة لكل عام واخلها بداره المعروفة لأولاد بن كيران بأقصى زنقة الوادي من حرم مولانا إدريس نفعنا الله به.... أوائل شوال سنة 1168 "

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46 من ص : 105 إلى 109 و 118 ومن 143 إلى 146 و 169 و 170 كلها جرد بحوانيت في مختلف الأحياء بمدينة فاس تحمل تاريخ أوائل حجة 1115 غير أن ص : 143 تتسم بعدم موضوع لكثرة الخروم وكذلك الشأن بالنسبة لصفحتي 145 –146 أما الصفحة التي تتقدمهما فتتضمن جردا بالدور والمصاري، أما الصفحات من 290 إلى 304 فيها جرد كثير جدا ببقع جنات خولان وعددها يصل إلى 88 بقعة أرض في خولان لوحدها.

الفصل الثاني :

الحوالة الإسماعيلية رقم 47

المبحث الأول:

وصفها

تقع هذه الحوالة المباركة في ثلاث وسبعين وثلاثمائة صفحة مرقمة بقلم الرصاص ترقيما متتابعا، يلي دفتها اليمنى خمسة أوراق خالية من الكتابة، ومثيلاتها قبل الدفة اليسرى. مقياسها 38 سنتم على 27.

خضعت هذه الحوالة للترميم وهكذا أصبحت دفتاها من الورق المقوى الجيد الملفوف ب (البطانة) ذي اللون الوردي المزركش برسم مذهب عادة ما يكون على محافظ النقود به خطوط تتشكل منها مستطيلات ويمتد بالدفة اليسرى جزء يدخل صفحات الحوالة لتعيين الصفحة وإرشاد القارئ عند العودة إليها، وهو أيضا مزركش باللون الذهبي من جهة واحدة.

على جانبها الأيمن ورقة تحمل اسمها بخط غاية في الدقة والجمال، لم يعد يظهر منه إلا أقله، ويعلوه قطعة ورق صغير يحمل رقم 47، وهو الرقم الذي تعرف به هذه الحوالة وتحمله أول ورقة بها للدلالة على أنها الحوالة الإسماعيلية رقم 47.

جل صفحاتها تم الاعتناء به عن طريق الترميم والصاق قطع من الأوراق على غالبية الصفحات اليسرى للحوالة حفظا لها من التآكل، غير أن وسط هذه الصفحات أهمل فظل متآكلا وغير مقروء.

أما العناوين المصدرة لجرد الموقوفات من جنات وأراض وحوانيت ودور وغيرها فمتاكلة وغير واضحة، بل وبالكثير منها خروم[1]. والحوالة من بدايتها إلى نهايتها عبارة عن جرد للموقوفات، عقارات ومنقولات، يتصدر كل مجموعة منها عنوان رسم بخط غليظ متقن جميل، يسع في بعض الأحيان ثلاثة أو أربعة أسطر[2]. كما يلاحظ أن مجموعة لا يستهان بها من هذه الأوقاف قد نقلت عن حوالة عقد أكرية الربع الموقوف على مسجد الحصن الجديد مؤرخة بعام 1228 هـ[3].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. انظر على سبيل المثال الصفحات من 85 إلى 132 وكذلك صفحتين 194 و195.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. انظر الصفحات : 6- 55- 98-124-126-150.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 145

هذا وأن النصوص أو رسوم التحبيس تكاد تنعدم، كذلك الشأن بالنسبة للتواريخ، فبقدر ما كانت النصوص مذيلة بالتواريخ في حوالات أخرى كالإسماعيلية رقم 46 والحوالة السليمانية والحوالة العبد الرحمانية بقدر ما تنعدم التواريخ في هذه الحوالة ، إذ لا يوجد مثلا إلا رسم تحبيس السلطان المولى عبد العزيز على الأسارى[1]، وتحبيس علي بن سيدي محمد بن عبد الله وتحبيس علي بن سيدي محمد بن عبد الله لبعض الكتب القيمة[2]، ووثيقة تثبت تصدق سيدي محمد بن عبد الله بيوت المال على الجيش المخيم بالثغور[3]. كذلك رسم تحبيس الشيخ التاودي ابن سودة على مؤذن أحد المساجد تحمل تاريخ عام 1210 هـ.

الحوالة فضلا عن هذا وذاك تعد تحصيلا للأوقاف القديمة التي كانت مسجلة في أوراق ممزقة متلاشية[4]، وما كان مجموعا بحوالة من حوالات القرويين القديمة والشاملة للوصايا وللأوقاف المضافة لأوقاف القرويين التي كانت بتاريخ ربيع الثاني عام 1994[5].

والحوالة في مجموعها عبارة عن الأحباس المختلفة الأنواع والأشكال، فمنها ما هو لجانب القرويين[6]، ومنها ما هو لجانب الخزانات، وكذا الأحباس التي على المدارس، والتي على الأئمة والمؤذنين والحزابين، والتي على الكراسي والمجالس العلمية، والتي على الأضرحة والمقابر، والتي على الضعفاء والمساكين، وعلى الزوايا والأسارى والجذمى والعمى.

يتوسط الكثير من صفحاتها بتر وخروم وتآكل يستحيل معها معرفة المضمون أو التقاط الكلمات[7].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 176

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 133 تحمل الوثيقة تاريخ 15 جمادى الثانية عام 1285 هـ.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 373 وتوجد بالحوالة رقم 46 بصفحة 36. وتحمل تاريخ شوال عام 1191 هـ.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 219.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 174.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : انظر الصفحات المتتالية من ص 6 إلى 96.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : انظر الصفحات المتتالية من 261 إلى 320.

كذلك يلاحظ بعض الموقوفات تعيد نفسها في الحوالات كثيرة اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الأحباس المعقبة على أولاد الغرديس التي أدرجت في هذه الحوالة، تضمنتها كذلك كل من حوالة القرويين والحوالة السليمانية.

كما يلاحظ أن أقدم تاريخ بهذه الحوالة يعود إلى منتصف شهر جمادي الثانية من عام 1142[1]، وأن أقرب تاريخ بها يرجع إلى منتصف شهر جمادى الثانية من عام 1285[2]، والشيء الذي يدل دلالة واضحة على عدم احترام الترتيب وعدم وضع الصفحات في مكانها يكفي أن يلاحظ أن آخر وثيقة بالحوالة يحمل تاريخ 20 شوال سنة 1190[3].

هذا ويلاحظ بعد استقراء النص المنشئ لهذه الحوالة أن المولى إسماعيل رحمه الله هو الذي أمر القائد أبا محمد عبد الله الروسي بجمع شتات الأحباس في هذا السجل، ولم يحمل النص أي تاريخ[4].

ولهذه الحوالة مصورة على الميكرو فيلم بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 159 وتقع في سبعين وأربعمائة صفحة[5].

المبحث الثاني :

الموضوعات التي اشتملت عليها الحوالة الإسماعيلية رقم 47.

تعالج هذه الحوالة الموضوعات الآتية :

الموضوع الأول : *ما هو وقف على المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة*

- أحباس الجامع الأعظم جامع القرويين من حوانيت ودور ومصاري وأطرزة وأرحية وأروية وحمامات وأفران وأراضي وبقاع وفيوضات وأفضية وأجزية وخزائن

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 236.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 133 .

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 373

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص1 إلى ص : 5

(5)- انظر الجرد السابق لهذه الحوالات التي مازالت تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط.

دار الدبغ ومعاوينها[1].

– ما للقرويين أيضا من أراضي خارج أبواب مدينة فاس[2].

– ما لمسجد الحصن الجديد من حوانيت وخزائن بدار الدبغ[3].

– أحباس المدرسة المتوكلية[4].

– أحباس مدرسة العطارين والحلفاويين والوادي والصهريج من صفحة 160 إلى 164.

– أحباس الأسبوع الأسفل وزاوية الحجاج. ص : 166 و ص 353.

– أحباس ضريح سيدي زيد الهزميري ص : 238 .

الموضوع الثاني : ماهو للأئمة والمؤذنين.

– ما هو للمؤذنين بجامع الأندلس[5].

– ما هو لإمام جامع الأندلس[6].

– ماهو للمؤذنين قوام الليل بمنار جامع القرويين[7].

– ماهو لإمام مسجد سيدي بوشتى ومؤذنه[8].

– ماهو الإمام ومؤذن مسجد النارنجة وأئمة المساجد الآتية : الديوان دار دبغ شوارة، درب حسان، النواعريين، سيدي أحمد بن يحيى ومؤذنه، درب الحرة، سيدي

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. تلك الأوقاف تكتسح تقريبا جميع أحياء المدينة العتيقة بفاس. أما عددها فكثير جدا يبتدئ بحوانيت الموثقين بسماط العدل وتنتهي بما هو خارج باب الفتوح وباب الحمراء وعرصات أبي الجنود وودي الفجالين. انظر في ذلك في ص : 6 إلى 96

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من 134 إلى 142 من بين هذه الأراضي تلك التي بايصلن.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من 145 إلى 184 ويعود تاريخ تقييدها إلى عام 1128 هـ.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47.ص150 إلى 159 وهذه الأحباس عبارة عن حوانيت وأجزية وفيض برمة حمام.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. 171 ويعد هذه الموقوفات وجدتها 26 محلا أغلبها حوانيت.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 172 وعددها 17.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 239

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 259

أحمد الشاوي، زنقة الرطل ومؤذنه، ومسجد المهدي ومؤذنه[1]

– ما هو لائمة ومؤذني مساجد كثيرة تبتدئ بسيدي عتيق وتنتهي بسيبوس[2].

– ما هو لائمة كثير من مساجد المدينة القديمة بفاس تستهل بدرب الخضار والصفاح، وتختتم بمسجدي سيدي خليل والصاغة[3].

الموضوع الثالث : *ما هو وقف على الكراسي العلمية والخزانات.*

– الكتب الموقوفة على الخزانة الأحمدية بقبلى جامع القرويين[4].

– الكتب الموقوفة على الخزانة العلمية بجامع الأندلس من فقه وحديث[5].

– ما هو وقف على صاحب كرسي مسجد بسيبوس[6].

– الكتب الموقوفة على كرسي التفسير والسير أمام محراب جامع القرويين وكرسي الحلية بظهر الصومعة منه[7].

– الكتب الموقوفة على كرسي الوراق المقابل لباب الرواح السفلي[8].

– الكتب الموقوفة على الكرسي الذي يقابل الثريا الكبرى بالقرويين[9].

– الكتب الموقوفة على الكرسي بظهر الخصة وكرسي الوراق بمسجد الشرفاء الذي به ضريح المولى إدريس[10].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 260 إلى 265 .

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من 266 إلى 285 بلغ عدد هذه المساجد 29.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من 287 إلى 320 بلغ عدد هذه المساجد 28 .

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47.ص98 إلى 124 وهذه الكتب عبارة عن 15 مصحفا، وعدد كبير من كتب التفسير والفقه، وعلم الكلام والمنطق والأصول، والحساب والطب.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 126 إلى 132.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 286.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 124

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 125 ومن هذه الكتب نسخة من الشفا والنصف من أبي فتح الناظر.

(9)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 125 كتاب العمدة، نوادر الأصول، التغريب والترغيب، رسالة القشيري.

(10)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 125 تفسير الثعلبي، رياض الصالحين البغدادية ابن الجوزي ، حلية الأولياء .

- تقييد مشتمل على الكراسي والمجالس العلمية ومن جملتها :

كرسي عن يمين الداخل للقرويين من باب الشماعين لقراءة رسالة أبي زيد القيرواني، وكراسي تليه، ولقراءة تفسير الشفا وتفسير الثعالبي، وقراءة السرقندي وسيدي البخاري[1].

- تقييد الكراسي التي بمسجد الشرفاء بضريح المولى إدريس، كرسي لقراءة سيدي البخاري، ولقراءة الشفا وغيره، وكراسي بجامع الأندلس لقراءة العمدة والرسالة والتفسير[2].

- الخزانة العلمية بجامع الأندلس لقراءة سيدي عبد العظيم المندري وما حبس على كرسي الوراق بجامع باب عجيسة وكرسي الرسالة بها[3].

- كرسي بمسجد عقبة الزرقاء، وبمسجد سيدي خليل، ومسجد الصفارين وكرسي بجامع السمارين[4].

الموضوع الرابع : *ما هو وقف على الضعفاء والمساكين.*

- الوصية العبد الحقية لقضاء الديون والتي على المساكين.

- وصية أبي فارس عبد العزيز على الأسارى، ووصية أخرى على الأسارى مجهول الوصي بها، ووصية ابن كيسية على لمساكين، ووصية ابن اللب وأخته، ووصية عبد الرحمان بن الأشقر[5].

- وصية الحاج عبابو على المساكين والحكيم يوسف بن عمرة وكذا وصية كل من الديناري والقبابلي عليهم، وكذلك وصية الكناني وابن جار والوصية الجينارنية على المساكين كذلك[6].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 191 إلى ص : 210.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 211 .

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 214 ، 215, 216.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47.ص: 217.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 176 إلى 178.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 179. إلى 182

- وصية السلطان ابي محمد عبد الله بن إسماعيل على الفقراء والعميان والغرباء[1].

- الرباع الموقوفة على الضعفاء والمساكين بمدينة فاس والنظر فيها المتولي الفتيا بها[2].

- الرباع الموقوفة على الضعفاء والمساكين بمدينة فاس والنظر فيها لخطيب جامع الأندلس.[3].

الموضوع الخامس : *ما هو موقوف على المارستان.*

- الرباع الموقوفة على المرستان بفاس[4].

- تقييد الأراضي على المارستان البعلية والسوقية المتفرقة على أماكن شتى خارج أبواب مدينة فاس[5].

الموضوع السادس : *ما هو على المجاهدين والمقابر والمكاتب المعدة لتعليم الصبيان.*

- ما هو وقف على المكاتب القرآنية وجرد بهذه الأخيرة[6].

- ماهو وقف على مقابر المسلمين وعلى من يقرأ عليها[7].

- ماهو وقف سيدي أبي جيدة والمقابر[8].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 182 وتحمل الوثيقة تاريخ 23 جمادى الأولى ل عام 1171 هـ.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 321 إلى 339 ، هذه الأحباس كثيرة جدا وموجودة في أغلب أحياء مدينة فاس القديمة ويكفي للإشارة أن كل صفحة تتضمن ما يقرب من ثلاثين وقفا.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 340 إلى 344 وأغلب هذه الأوقاف حوانيت بالقيسارية وأجزية ودور وأجنة.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 345 إلى 351, وهي عبارة عن حوانيت كثيرة أغلبها بقبة القيسارية.

(5)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 359 إلى 366 وهي عبارة عن أراضي وفدادين وعرصات وفيوضات ماء.

(6)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47.ص: 186 بلغ عدد المكاتب 106 أما الموقوفات عليها فكثيرة جدا.

(7)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 319 إلى 236 وص : 242, عددها 43 موضعا وتحمل تاريخ 1115هـ.

(8)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 243. إلى 248, وعدد هذه الأوقاف 30 موضعا.

– ما هو وقف على المرابطين بالثغر التطواني وما لقراء حزب القرآن على صومعة القرويين، وما هو للجذماء القاطنين ببرج الكوكب(1).

– ما هو وقف على الحزابين بمحراب ضريح المولى إدريس(2).

– ما هو وقف على منبهي المصلين الداعين اثر الصلوات المفروضة(3).

<u>الموضوع السابع</u> : *وصايا خاصة وقضايا مختلفة.*

– إنشاء هذه الحوالة ناتج عن شدة عناية المولى إسماعيل بأمور البلاد والعباد(4).

– تحبيس المولى إسماعيل لقطعة أرض على من يقرأ سورة الكهف كل جمعة بسدي اللزاز(5).

– تحبيس أبي عبد الله محمد الغرديس على العقب مرجعه لجامع القرويين بعد انقراض العقب(6).

– تصدق سيدي محمد بن عبد الله بعض بيوت المال على الجيش المخيم بالثغور وعلى مصالحها من بناء وغيره(7).

– تحبيس الشيخ التاودي ابن سودة ربع أرحى على المؤذن بمسجد زقاق البغل(8).

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 367 و 368 .
(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 370
(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 185
(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 1 إلى 5, وقد سبقت الإشارة إلى أن القائد الروسي هو الذي اعتنى بأحباس فاس بأمير المولى إسماعيل.
(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 265
(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47.ص: 362 بالحوالة السليمانية من ص : 378 إلى 383 وبهذه الصفحات يثبت الشهود هذا الحبس على العقب عن طريق السماع الفاشي.
(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. من ص : 373 تحمل الوثيقة تاريخ 20 شوال عام 1190 هـ.
(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 372 تحمل الوثيقة تاريخ 19 شوال عام 1210 هـ.

– تحبيس الشيخ عبد الملك بن حيون الأندلسي حوانيت وغيرها[1] على القرويين.

– وصية سيدي الفضل الشامي على أحفاده وأعقابهم وأعقاب أعقابهم[2].

– تحبيس كتب على الخزانة الكبرى العلمية التي بشرقي القرويين من طرف أبي الحسن علي بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله[3].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 175 عدد هذه الموقوفات 50, وتحمل الوثيقة تاريخ عام 1115 هـ.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 148 عدد هذه الموقوفات 35 أغلبها حوانيت.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 133 تحمل الوثيقة تاريخ 15 جمادى الثانية 1285 هـ ومن بين هذه الكتب : 13 سفرا من تفسير الفخر الرازي ـ الرسالة ـ الموطأ ـ السيرة النبوية لسيدي المهدي الفاسي ـ 3 نسخ من المقامات الحريرية.

الفصل الثالث :

الحوالة الإسماعيلية رقم 49

المبحث الأول:

وصف الحوالة الإسماعيلية رقم 49 .

"أو الحوالة الفاسجديدية" (مقياسها 41 سنتم على 28).

تقع هذه الحوالة المباركة في سبع وخميس وثلاثمائة صفحة، مرقمة بقلم الرصاص، وجل نصوصها مخطوط بالصماق البني، وتحمل معظم صفحاتها زيادة على الرقم التسلسلي الموجود بالجانب الأعلى للورقة رقما آخر بوسطها من الجهة العليا وهو رقم غير متسلسل، ولذلك اعتمدت في الإحالات على الرقم الجانبي. والحوالة مشتملة على ظهائر سلطانية وأوامر وزارية ومعاوضات ومناقلات ومخارجات وتحديد بلادات بعد وقوف أهل الخبرة عليها وتقويمها وبيوعات واستئجار فيوضات ماء، وإثبات حقوق، وإصدار أحكام، وأحباس منها ما هو على الجامع الأعظم بفاس الجديد وضريح المولى عبد الله إلا أن معظمها راجع إلى الجامع الأعظم، ومنها ما هو معقب مرجعه في الغالب - بعد انقراض العقب - إلى الجامع الأعظم.

– بداخل دفتها اليمنى ورقة بيضاء ملصقة مكتوب عليها : رقم 49 حوالة أحباس فاس العيا.

خضعت هذه الحوالة كباقي أخواتها للترميم، غير أن ما بها من خروم ما زال باديا للعيان، إلا أنها تميزت عنها جميعها بكون الكتابة في صفحاتها توجد ضمن إطار مستطيل من خطوط ملونة باللونين الأحمر والأزرق، مما أضفى على هذه الصفحات نوعا من الجمال والرونق والتنظيم، وهو شيء تفتقر إليه صفحات أخرى في آخر الحوالة ابتداء من رقم 301 فهي صفحات عادية في حجم الحوالة وتميل إلى الصفرة نظرا لقدمها. وربما كانت مضافة إليها.

– ومن الملاحظ أن الصفحة الأخيرة افردت عن الترميم، وقد اختصت بتصفية حبس معقب بتاريخ 22 محرم 1401 هـ، وانفردت به عن سواها من الحوالات التي أمكنني الإطلاع عليها.

وليست كل أوراقها مكتوبة، بل وجدت ورقة بيضاء في بدايتها، وثلاث عشرة

ورقة في نهايتها، وأغلب صفحاتها من البداية قد تآكل أعلاه إلى غاية رقم خمسين وثلاثمائة. وقد رممت ترميما جعل بعض الحروف أو الكلمات تختفي من بعض الأوراق.

– شدت أوراقها إلى بعضها بخيوط دقيقة سميكة من الأسفل، كما ألصقت بعضها إلى البعض الآخر وبالدفتين القويتين بمادة لاصقة.

– خط معظم نصوص الحوالة يراع بديع، وأقلها يراع متواضع أو متوسط خاصة تلك التي بالصفحات الدخيلة عليها، وقد عاد الخط الجميل للظهور في بعض رسومها الأخيرة، وما قيل عن هذه يقال في وثيقة إنشاء هذه الحوالة حيث تعتبر الكتابة فيها أية في الحسن والجمال، يتصدر هذه الوثيقة رسم مزخرف جذاب مستطيل الشكل يتنازع جنابته ألوان مختلفة ومتعددة يظهر منها بكيفية واضحة جدا الأزرق والأخضر والأحمر وكذا الذهبي الذي زين وسطها بزخرف ورسوم غاية في الرونق والجمال خاصة عند كتابته لعبارة :"هذه حوالة حبس فاس العليا صانها الله". ويعلو هذا المستطيل البسملة والتصلية، وعلى هامشه الأيمن زخرف يبهر الناظر، وهو عبارة عن رسم كروي يتضمن أشكالا هندسية متعددة ومختلفة الألوان، وقد كتب تحت هذه الكرة وبخط دقيق جدا :"واقفرت رباعها ومراسمها وعفت أطلالها ومعالمها".

– لم يذيل صك إنشاء هذه الحوالة بتوقيع، وإنما كتبت في نهايته تاريخ بالقلم الفاسي المقابل في الهامش الأيمن بالتاريخ الذي هو 1115 هـ.

– وفي وسط الحوالة أربع صفحات أقل حجما من صفحاتها العادية، وهي مشدودة مع باقي أوراق الحوالة وحملت أرقام 217-218-219 ، ومضمونها : إحصاء أوقاف مولاي عبد الله داخل مدينة صفرو، مذيلة بوثيقة تثبت تمكن الناظر من هذه الأوقاف وتصرفه فيها، وتحمل تاريخ عام 1333, وهي مختومة بتوقيعين في شكلين معقدين، غير أن الكتابة فيها جد متواضعة خاصة الصفحة الأخيرة.

– كما ألصق بأعلى الصفحة 287 ورقة من حجم صغير تتضمن ظهيرا يوسفيا يؤمر من خلاله ناظر فاس الجديد في حينه السيد أحمد سكيرج بإصلاح عرصة أبي الجنود التي بها المسجد وكذا الأراضي المحيطة به، وقد نقل نفس الظهير في الصفحة المشار إليها امتثالا للأمر المولوي الذي يؤكد على ضرورة نقل هذا الظهير

إلى الحوالة، وكانت هذه النسخة مشفوعة بإمضاء السيد أحمد الجاي ومذيلة بتاريخ عام 1332هـ، وكتب بآخر الصفحة "استقل".

- هذا وقد حملت الصفحة رقم 300 طابعا رسميا، بيضوي الشكل، مدادي اللون، يحمل اسم : "قاضي فاس العليا محمد بن العربي العلوي وفقه الله"، ولم يكن هذا الطابع مسترسلا وإنما يظهر في بعض الصفحات ويختفي في أخرى. والختم به وجد لأول مرة عقب نسخة ظهير بمعاوضة تحمل عام 1333هـ.

- أما تواريخ الوثائق الموجودة بالحوالة فإنها لا تخضع لتسلسل الأزمنة المتلاحقة فقد توجد وثيقة متأخرة في الكتابة، تسبقها أخرى مؤرخة بعدها. والأمثلة في هذا الصدد كثيرة جدا، فالحوالة تستهل بظهير يوسفي يحمل تاريخ 1342هـ في شأن معاوضة، والصفحة الأخيرة منها تحمل تاريخ 1333 بينما نجد الصفحة رقم 30 والتي تحمل صك إنشاء هذه الحوالة يوجد بها تاريخ عام1115 هـ.

- وباستقراء تواريخ وثائق هذه الحوالة التي سميت تارة بحوالة أحباس فاس الجديد، وتارة بفاس العليا، وثالثة المدينة المرينية ورابعة المدينة البيضاء - يستنتج أن أقدم تاريخ بها يرجع إلى عام 1115، وأجده يرجع إلى عام 1375 فضلا عن تاريخ تصفية الحبس المعقب الذي يحمل تاريخ 22 محرم 30/1401 نونبر 1980.

وخلاصة القول، فإن هذه الحوالة - بالإضافة إلى ما تتميز به على مستوى المضمون من كونها تنفرد بموضوع تصفية حبس معقب، ومواضيع تتعلق بذميي ملاح فاس وصفرو، وتعامل النظار معهم، وكذا ما صدر في شأنهم من ظهائر سلطانية وأوامر وزارية، وموضوع سرقة زيت الجامع الأعظم، والفتوى الصادرة في هذا الشأن.... فإنها على مستوى الشكل تمتاز بنظامها وترتيبها وتبويبها - على طريق التبويب في الحوالات - ويتجلى ذلك خاصة في الصفحات الموالية لوثيقة إنشائها، إذ نجد مثلا جردا طويلا موقوفات معينة، يتصدره أولا عنوان عام، يليه عناوين فرعية، وختمت في بعض الأحيان بعلامة القاضي وتوقيع عدلين في شكلهما المعقد.

ولهذه الحوالة مصورة على الميكرو فيلم بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 161.

المبحث الثاني :

موضوعات الحوالة الإسماعيلية رقم 49.

يمكن تصنيف موضوعات هذه الحوالة إلى ما يلي :

1- الظهائر السلطانية والقرارات الوزارية.

2- أوقاف مختلفة.

3- معاملات النظار مع الخواص (شراء ـ مناقلة ـ معاوضة).

4- استئجارات (فيوضات ماء ـ قطع أرضية ـ رباع مختلفة).

5- وقوف أرباب البصر على بعض العقارات قصد تقويمها.

6- قضايا مختلفة.

الموضوع الأول : *الظهائر السلطانية والقرارات الوزارية* .

– نسخة ظهير يؤمر من خلاله الناظر بفتح باب الجبيل التي بوسط حوانيت باب السمارين[1].

– نسخة ظهير يؤمر من خلاله الناظر بالإبقاء على دار ولي الله أبي بكر بن العربي المعافري على حالها[2].

– نسخة ظهير يؤمر من خلاله الناظر بمساعدة الذمي يعقوب بن الليوي على رفع قيمة كراء ما بيده إلى عشرة مثاقيل شهرية ما لم يكن في ذلك مكر ولا دسيسة وفيه مصلحة للحبس[3].

– الأمر بتنفيذ قدر من فيض ماء سقاية العباسين بالجزاء[4].

– نسخة ظهير حسني يؤمر من خلاله الناظر صفيرة بالقيام بضرورات ما يحتاجه مسجد بوطويل من مؤذن وإمام وزيت وغير ذلك[5].

– نسخة ظهير يؤمر الناظر من خلاله بأن يزيد للفقيه علي الهواري في مرتبه على القضاء خمسين أوقية قديمة ليصبح جميع ما يقبضه من مستفاد الأحباس خمسين أوقية شرعية شهريا[6].

– نسخة ظهير يتضمن إيقاظ النظار للقيام بالأحباس وشد عضدها، وضبط متاعها وحراستها[7].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 2 تحمل الوثيقة تاريخ 12 ربيع النبوي 1294 مذيلة بتوقيع موسى بن أحمد أيام الناظر الهادي صفيرة.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 3 . تحمل الوثيقة تاريخ عام 1291 وليس بها أي توقيع.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 5 تحمل الوثيقة تاريخ 26 ربيع الثاني 1303 وليس بها أي توقيع.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 9 تحمل الوثيقة تاريخ 22 رمضان 1312 وليس بها أي توقيع.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 19 تحمل الوثيقة تاريخ 18ربيع الثاني 1291 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 21 تحمل الوثيقة تاريخ 11 ربيع النبوي 1286, ليس بها توقيع.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 21 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1291 مذيلة بتوقيعين معقدين.

– نسخة ظهير يؤمر من خلاله الناظر ببناء المتهدم من أسوار المدينة من وفر مداخيل الأحباس[1].

– الأمر بتنفيذ مرتب إمام ومؤذن زاوية مولاي علي الشريف بصفرو[2].

– نسخة ظهير يؤمر من خلاله الناظر بإضافة حبس ضريح سيدي أبي بن بكر العربي لأحباس المسجد الأعظم بفاس الجديد[3].

– نسخة ظهير يلزم ناظر فاس الجديد بإرجاع جنان بلمطة لصاحبه ابن خالد ليتصرف فيه تصرف المالك في ملكه[4].

– إنشاء الحوالة الإسماعيلية رقم 49 لفاس الجديد على يد المولى إسماعيل[5] وكلف بالسهر على جمع شتات أحباسها الفقيه محمد الكاتب[5].

– نسخة ظهير يطلع من خلاله الناظر على أن أملاك أولاد سيدي عمارة ليست كأملاك الحبس بل هي لهم[6].

– نسخة ظهير يؤمر الناظر في أولها بجعل محمد الكردودي من عدولها، وفي ثانيهما بزيادة عدلين بالمنجرة وتقرير أجرتهما[7].

– نسخة ظهير يرجع بموجبه أصل الفقيه المقداد المحوز عنه لجانب حبس المولى عبد الله مقابل أن يؤدي الفقيه المذكور ما قومه الخبراء لناظر الحبس[8].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 22 تحمل الوثيقة تاريخ 14 شوال 1281, والظهير هو لسيدي محمد بن عبد الرحمان، وبه إشارة إلى كون بيت المال بعين الأحباس في حالة ضعفها.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. تحمل الوثيقة تاريخ 21 صفر 1282 وليس بها توقيع.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 22 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1282 وليس بها توقيع.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 24 تحمل الوثيقة تاريخ محرم 1193 وقد ذيلت بتوقيعين معقدين.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 30 تحمل الوثيقة أواسط قعدة 1115 .

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 199 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1224 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 203 و 205, تحمل الوثيقة الأولى تاريخ عام 1293والثانية 1277,وكلتاهما مشنوعين بإمضاءين في شكلها المعقد.

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 215, تحمل الوثيقة تاريخ عام 1256وهي لسيدي عبد الرحمان بن هشام، ومذيلة بإمضاء في شكلهما المعقد.

– نسخة ظهير عبد الرحماني يؤمر من خلاله الناظر إدريس بناني دفع جزاء الأصل الذي بصفرو السيد محمد بن علي الجبلي[(1)].

– نسخة ظهير حسني بتنفيذ مصرية كبيرة ومصريتين صغيرتين لفندق القشلة[(2)].

– بطاقة الوزسر الصفار يأمر من خلالها الناظر بأن يقبل من المقداد الصفريوي الزيادة في الجزاء الذي بيده[(3)].

– نسخة ظهير عزيزي يؤمر من خلاله الناظر صفيرة بالإنعام على القايد عبد الكريم ابن لب بشيء من فيض ماء معدة[(4)].

– أمر المولى عبد العزيز الناظرين (صفيرة وجسوس) بتنفيذ قدر حرث زوجين من بلاد مسيكة بناحية عين قادوس على وجه الانتفاع للسيد التهامي الكتامي[(5)].

– أمر وزير الوقت عن الأمر الشريف بعقد معاوضة[(6)].

– نسخة ظهير عزيزي يطلب من خلاله نظار فاس الإدريسية والمرينة والمارستان ببناء قنطرة الرصيف[(7)].

– الأمر بتنفيذ نصف ريال لابن سعد التلمساني في اليوم من حبس فاس العليا[(8)].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 222، تحمل الوثيقة تاريخ عام 1253 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 226 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1293 ومذيلة بإمضاءين معقدين.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : تحمل الوثيقة تاريخ عام 1297 .

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 252 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1316 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد وقد ا شترط الظهير ضرورة عدم حصول احجاف لمن قبل اللب المستاجر الجديد.

(5)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 258 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1320 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(6)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 263 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1330 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(7)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 278 تحمل الوثيقة تاريخ 9 ربيع الثاني 1323 ، وقد أشار الظهير الشريف إلى أن تؤدي القرويين نصف المصاريف، في حين تساهم نظارة المارستان بالربع كما هو الشأن بالنسبة لنظارة فاس الجديد.

(8)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 279 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1323 مذيلة بإمضاءين معقدين.

- نسخة ظهير يوسفي في شأن الجامع المحدث بعرصة أبي الجنود[1].

- نسخة ظهير لسيدي محمد الخامس يؤمر الناظر ابن حيون من خلاله بإمضاء مناقلة بينه وبين بلدية فاس بعد تسلمه 1360 فرنكا مع غبطة مالية قدرها 1000 فرنك بسبب قيام البلدية بتهديم ثمانية حوانيت حبسية من أجل توسعة الطريق[2].

الموضوع الثاني : أوقاف مختلفة.

- وثيقة تفيد تحبيس خال السلطان (عبد النبي بن منصور العثماني الودي) نصف النصف الواحد شائعا في جميع دار الراعي التي بقرب ضريح سيدي محمد بن العربي[3].

- جرد بأحباس مختلفة، معظمها لفائدة المسجد الأعظم بفاس الجديد، وتحمل تاريخ صفر 1116 هـ (أي بعد ثلاثة أشهر من تكليف المولى إسماعيل السيد محمد الكاتب بجمع شتات هذه الأحباس[4].

- ما للمولى عبد الله بن إسماعيل بغريفة المسجد الأعظم من جنانات كبار وصغار على وجه الأمانة والحفظ[5].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 287 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1332 مذيلة بإمضاء بإمضاءين معقدين.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 349, تحمل الوثيقة تاريخ عام 1358مذيلة بإمضاءين معقدين.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 28 لاتحمل الوثيقة أي تاريخ وليس به أي توقيع .

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : من 31 إلى 58 ذكرت الوثيقة قبل التاريخ أسماء شهيرة منها على الخصوص : محمد بن عبد الكريم بن الحاج، ومحمد بن حمدون بن الحاج اللذان أمضيا هذه الوثيقة بعد أن أثبتت حضور كل من محمد بن محمد بن عبد السلام بناني، وعبد الرحمان الحارثي، والحسن بن رحال، واستهلت بعنوان تصدر الصفحة الأولى وكان غاية في الرونق والإتقان يقول : جرد بالأوقاف التي لجانب الجامع الأعظم وما انضاف إليها من المساجد بفاس العليا" وتحت هذه الأوقاف التي تقاسمتها مختلف أزقة وشوارع ودروب فاس الجديد وبلغ عددها 336 من الحوانيت وجلسها على الخصوص. يتم الإشهاد عقب كل عقار على حدة أنه للحبس يتصرف فيه بأنواع التصرفات ويعزز بإمضاء في شكله المعقد. حتى إذا ما انتهت هذه الإجراءات، ذيلت بنص يضبطها ويذكر بصريح العبارة : "..... جميع ما اشتملت عليه من الأوقاف المذكورة المعروفة لجانب حبس الجامع الأعظم... هي كلها لجانب ما ذكر ومتصرف فيها له بأنواع التصرفات الوقفية على يد متولي النظر في سائر الأحباس هنالك بجميع أوجه العمل الحبسي من عقد وكراء وقبض وخراج وإصلاح واستصلاح....." وذلك بعد حمد الله وتعداد هذه الأوقاف زيادة في احتياط. وأبعاد لكل التباس، وهنا تكمن شدة الاعتناء بالحبس وعدم التفريط فيه.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 59 . لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع. غريفة التوقيت هذه أحدثها المولى الرشيد.

- تحبيس مؤذن الجامع الأعظم العربي بن يوسف (النفير) الذي له على منار هذا الجامع وحيازة الناظر له[1].

- تحبيس المولى إسماعيل لحمام أخرج من دار المملكة، وقد كان هذا الحمام قبل ذلك ينتفع بدعامة المسلمين، وذلك على عهد المولى الرشيد[2].

- تحبيس القايد عياد بن العباس المدعو بوشفرة الودي الزعيمي رحى خارج باب الحديد[3].

- تحبيس لبعض الخواص على المسجد الأعظم[4].

- جرد بالأحباس التي إلى جانب أوقاف فاس الجديد[5].

وهي عبارة عن جرد طويل بالدور والمصاري والبيوتات بالإضافة إلى مكتب، وقد وصل عددها إلى 62 عقارا، يتصدر صفحتها الأولى عنوان متقن الخط يذكر بعد البسملة :"ذكر الدور التي إلى جانب أوقاف فاس الغليا المحوطة بالله تعالى".

- الافران والأطرزة والحمامات وغيرها ما هو معروف لجانب الجامع الأعظم[6].

- ذكر الأوقاف التي بفاس القرويين لجانب الجامع الأعظم بفاس الجديد[7].

- درد بالأوقاف التي بفاس القرويين لجانب الجامع الأعظم بفاس الجديد[8].

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 60 تحمل الوثيقة تاريخ 29 شوال عام 1144 ، وليس بها أي توقيع.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 62, تحمل الوثيقة تاريخ عام 1130وليس به أي توقيع.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 62 لاتحمل الوثيقةتاريخ عام 1214, مذيلة بإمضاءين معقدين.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 63 تحمل الوثيقة تاريخ 29 شوال 1223, ليس بها أي توقيع.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. من 64 إلى 67 . لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص: 68 لا يحمل الجرد أي تاريخ لا يذيل بأي توقيع وقد وصل عدد هذه الأحباس إلى 24 عقارا.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص 70 لا يحمل الجرد أي تاريخ ولا يذيل بأي توقيع، وهذ الموقوفات عبارة عن 11 حانوتا وثلث فرن، توجد الحوانيت بسويقة ابن صافي وباب السلسلة والقيسارية. وبالهامش الأيمن من نفس الصفحة كتب نص بطريقة عمودية يتحدث عن النزاع الذي وقع في شأن أحد الحوانيت وورد بصدد، كتاب الوزارة الذي يعطي الأحباس بفاس الجديد خمس الحانوت، وقد سجل النص بتاريخ 26 رجب عام 1340 هـ.

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص 71 يتضمن هذا الجرد محلات مختلفة منها : حمام الملاحين ومصرية وحوانيت بالجوطية وعقبة الجزارين وأروية وطرازان ودور، وجلسة حانوتين.

ما للمسجد الأعظم من الأصول خارج المدينتين[1].

– تحبيس عشرة حوانيت بباب السمارين على عشرة حزابين يقرؤون صباحا ومساء بعنزة جامع الحمراء[2].

– ذكر الفيوضات المائية الجزائية التي إلى جانب أحباس مساجد فاس الجديد[3].

– تحبيس لبعض الخواص على الجامع الأعظم[4].

– ذكر ما للجامع الأعظم من الجزاء داخل المدينتين وخارجها[5].

– تحبيس المولى أحمد لمجانات على الجامع الأعظم[6].

– تحبيس المولى إسماعيل لرحاب الخميس من المدينة البيضاء، وتطوف الناظر والشهود على هذه الرباع وتمكن الناظر من التصرف فيها لفائدة حبس فاس الجديد[7].

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 75 عنوان بارز بعد البسملة والتصلية، والأصول عبارة عن زيتون وأجنة. وعرصات وغابات.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 78, تحمل الوثيقة تاريخ عام 1136 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 80 جرد طويل بهذه الفيضات مسطرة في ثمانية وثلاثين رسما مذيلة بإشهاد يؤكد أن الفيوضات جميعها من جملة أوقاف الجامع الأعظم، سيصرف فيها بجميع أنواع التصرفات، ذيل هذا الإشهاد بتاريخ 1 صفر 1116 وبإمضاءين في شكلهما المعقد.

(4)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 86 تحمل الوثيقة تاريخ 1201, ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(5)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 4. 88–89 . وقد صدر الصفحة الثانية العنوان التالي :"أجزية المسيرة الموقوفة من الجانب العلي بالله تعالى التي بخارج المدينة البيضاء" وتحته جرد بهذه الجنات أعقبها إشهاد بصفحة 95 يؤكد أن ما ذكر في 914 رسما كله من جملة أوقاف الجامع الأعظم يتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات، ذيل بإمضاءين معقدين.

(6)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 97 تحمل الجرد الوثيقة تاريخ صفر 1141 وليس بها إمضاء.

(7)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص 98–99–100 تحمل الوثائق تاريخ عامي 1116 و 1118 وهذه الأوقاف عبارة عن حوانيت في أحياء مختلفة في فاس الجديد سطرت تحت عنوان بارز وسط الصفحة يذكر البسملة والتصلية" ذكر بقاع أوقاف الخمس الموقوفة من جانب مولانا الإمام...." وتجدر الإشارة أن بعضها خصص لإصلاح صلوقية ماء العين المنتفع به في مساجد المدينة كله. راجع في هذا الصدد الصفحة رقم 98 من نفس الحوالة.

- تحبيس الودي البريشي عقارات من ثلث مختلفة على الجامع الأعظم(1).

- ثبوت شراء حانوت وتحبيسها على الجامع الأعظم(2).

- تحبيس عقارات مختلفة على الجامع الأعظم(3).

- تحبيسات مختلفة على الجامع الأعظم(4).

- أوقاف جامع الرياض الكائنة بفاس العليا لتسخين الماء بها زمن الشتاء(5).

- أوقاف الجامع الأعظم، ومنها : جنان ببني زروال، كتب، فرن بالملاح، نصف دار بالشرابليين...(6).

- أوقاف المدرسة المتوكلية بفاس الجديد(7).

-تحبيس المولى إسماعيل المسرة على الجامع الأعظم(8).

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 122- 123 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1160 مذيلة بتوقيع واحد في شكله المعقد.

(2)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 128 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1134مذيلة بتوقيع واحد في شكله المعقد.

(3)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 129-130-131 تحمل الوثيقة تاريخ 1132-1141-1144-1145 وكل حبس منها مذيل بإمضاء في شكله المعقد. وهذه الأحباس عبارة عن نصف دار بالملاح وجلسه حانوت برحبة الزرع والجزارين والخياطين وحوانيت من طرف آمنة بنت القايد بوشفرة.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 132 إلى 144 تحمل الوثائق تواريخ أعوام 1134-1143-1145-1152،مذيل كل منها بإمضاءين ، وهذه الأحباس عبارة عن دور وحوانيت بعض هذه الأخيرة على روضة الشرفاء، وجنان الرمانة فهو على الجامع الأعظم من المحبس القاضي الودي.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص. 146 وبأعلى وسط الصفحة عنوان بارز بعد البسملة والتصلية وبنحته جرد بعشرة حوانيت ونصف جلسة، وقد ذيل بإشهاد يفيد أن ما ذكر من أوقاف الجامع الأعظم وتحت تصرف الناظر الذي له في ذلك تصرف المالك في ملكه.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 144 ومن 147 إلى 158 تحمل هذه الوثيقة تواريخ أعوام، 1214, 1142, 1148, 1163, 1164, 1173, بعضها مذيل بإمضاء والبعض الآخر ليس به إمضاء .

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص160 وتحت العنوان البارز وسط الصفحة، جرد بهذه الأوقاف ومنها 11 حانوتا و 5 فيوضات ماء، ليست مذيلة بأي تاريخ ولا تشتمل على أي توقيع.

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 162 تحمل الوثيقة تاريخ رجب 1118, مذيلة بتوقيعتين في شكلهما المعقد.

– تحبيس نصف جلسة حانوت بقبيب الناقص من فاس العليا[1].

– أوقاف عديدة من جملتها ما هو موقوف على حزابين أربعة بجامع رياض فاس العليا[2]

– أوقاف المسجد الأعظم من البلادات المعدة للحرث وتمييز بعضها من بعض ومعرفة حدود كل قطعة على حدتها داخل قبة السمن وخارجها وخارج باب الجياد[3].

– تحبيس تسعة أماكن من بلاد ظهر رمكة على أولاد العربي الودي مرجعها بعد انقراضهم لحبس فاس الجديد[4].

– الأوقاف الموجودة بمدينة صفرو ولجانب ضريح المولى عبد الله والتي هي من تحبيس المولى عبد الرحمان بن هشام[5].

– تحبيس سيدي محمد بن عبد الرحمان مجتنة سيارة إنجليزية على غريفة المسجد الأعظم[6].

–تحبيس اسطرلاب[7].

– قائمة بأسماء المعتمرين بحوانيت الحبس بسوق الجوطية[8].

– جرد بالقطع الأرضية التي لجانب حبس مولاي عبد الله[9].

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 165 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1161 مذيلة بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : من 167 إلى 174 وثائق تحمل تاريخ 1144, 1164, 1165 وغالبية هذه الأوقاف حوانيت، وقد ذيل بعض هذه الوثائق بإمضاء في شكله المعقد.

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 188 تحمل الوثيقة تاريخ 13 شوال 1250 وليس بها توقيع، وتحتها جرد بهذه الأراضي.

(4)- الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 208 تحمل الوثيقة تاريخ 1267 وقد ذيلت بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(5)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. 216 تحمل الوثيقة تاريخ صفر 1253, وقد وضع جرد بهذه الأمكنة بعد البسملة والتصلية وعنوان بارز، وهذه الأوقاف عبارة عن عراسي وفدادين وأجنة.

(6)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 213 تحمل هذه الوثيقة تاريخ عام1287, مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(7)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص236 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1288, وهذا الاسطرلاب مازال مثبتا وسط الجدار يزدان به مكتب السيد ناظر أوقاف فاس الجديد.

(8)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 263 تحمل الوثيقة تاريخ 1329, وتحت الجرد إشهاد على المعتمدين بأن ما بأيديهم هو من أملاك الحبس وقد ذيل كل نص على حدة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(9)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 274–275 تحمل الوثيقة تاريخ 20 رجب 1286 وعدد هذه القطع 17 وتح كل إشهاد وتوقيع في شكله.

-تحبيس بيت من دار هوارة بدرب النخلة قرب مولاي عبد الله[1]

- تحبيس عقارات متنوعة كفرن ومصرية ودار على مسجد للاغريبة من طرف عبد الله الطريقي[2].

- حبس على من يقرأ القرآن بعد صلاة الظهر والعصر بضريح مولاي عبد الله[3].

- جرد بما لكل من النظارات الثلاث من عقارات وذلك بناء على أمر الوزارة[4].

- إمضاء صفقة وتحبيس حانوت بعد ثبوت ملكية صاحبها[5]

- تحبيس البلغمي اليمني حانوتا مع مصرية محملة عليه، على من يقرأ القرآن بعد صلاة الظهر بمسجد البيضاء، وجعل النظر في ذلك للناظر ابن حيون[6].

<u>الموضوع الثالث</u> : *معاملات النظار مع الخواص : (شراء - مناقلة - معاوضة)*:

- رسوم خمسة تتحدث جميعها عن عرصة سيدي مجبر وساقيتها[7].

- رسوم أربعة تتحدث عن أرض حراثية خارج باب الساكمة (شراء وتحبيسا) ومنازعة الناظر مع من عمد لعرصة سيدي أبي نافع وبنى بها دارا إلى أن التزم هذا الأخير بدفع ما بذمته من كراء عن مدة سالفة واستأجار الأرض المذكورة أعلاه[8].

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 284 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1331 هـ

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 289 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1332 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد. ولأول مرة تشفع هذه الوثيقة بعلامة قاضي الجماعة وشكله المعقد.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 357 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1368 والملاحظ أن الموصي جعل النظر في حبسه لزوجه فطيمة بنت عبد السلام الكعلي، وهي حالة نادرة جدا.

(4)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 338 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1348 وقد تمت القسيمة في العقارات بعد إسقاط الصوائر التي أقيمت بها بنايات بباب الخصيصات.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 340 تحمل الوثيقة تاريخ 1353 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 353 تحمل الوثيقة تاريخ مذيلة بإمضاءين معقدين.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 8. تحمل الوثائق تاريخ عام 1301 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 15 تحمل الوثائق تاريخ عام 1301 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

– موجب يتحدث عن دار نصفها للحبس والنصف الآخر لبردلة الذي أصبح له حق استغراقها بسبب إصلاحها[1].

– شراء الناظر لفائدة حبس المسجد الأعظم ثلاثة حوانيت قرب قبيب الناقص من فاس الجديد[2].

– شراء الناظر لفائدة حبس المسجد الأعظم بيتا في الملاح، وجلسة حانوت بقبة السوق من ورثة البرنوصي[3].

– شراء الناظر لفائدة حبس المسجد الأعظم حانوتا بدرب سيدي الصواف[4].

– معوضة جنان الدرداء بجنان الخلادي[5].

– وثيقة شراء الناظر دويرة لفائدة أحباس فاس الجديد[6].

– معوضة دار بدرب البطراش من فاس القرويين بجلسة حانوت بسيدي اللزاز بالطالعة ودار تجاور قبور الشرفاء بثلث حانوت برأس الشراطين[7].

– معاوضات مختلفة ورد إحداها بأمر المولى إسماعيل اعتبارا للفظ المحبس[8].

---

(1)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 18 لاتحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(2)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 24. ص : 24 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1165 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(3)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 28 تحمل الوثيقة الأولى تاريخ أوائل صفر 1219 مذيلة بإمضاءين معقدين. غير أن بقية النصوص لا تحمل أي تاريخ وليس بها أي توقيع. أما الناظر فهو محمد عبد الواحد الحريشي.

(4)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 61 لاتحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(5)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 87 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1204 . مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(6)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 138 تحمل الوثيقة تاريخ 1147ومذيلة بتوقيع معقد.

(7)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 139–143 تحمل الوثيقة تاريخ 1156 ومذيلة بتوقيع معقد. وعلى الهامش الأيسر من الصفحة الأخيرة نص يثبت ترامي بنيس على الحانوت حيث ورد قرار وزارة الأوقاف بتقويم الحانوت ومراعاة الترامي والغبطة ما يساوي في الجميع خمسمائة ريال يؤديها بنيس المذطور وقيد ذلك بتاريخ عام 1332 هـ

(8)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :174–175–176, تحمل بعض الوثائق تاريخ 1295 في حين لا تحمل أخرى لا تاريخ ولا توقيع.

- تعويض دار بسقاية العباسين بأخرى بعد تقويم كل منهما(1).

- وثيقة تثبت شراء الحبس لسبع موزونات، وأخرى تحدد واجب ورثة السيد عمارة، وشراء الحبس من جناتهم موزونتين وفلس وحب وكسره(2).

- وثيقة تثبت تملك الحبس لبعض الحوانيت بعد ثبوت شرائها(3).

- عقود تتضمن شراء وإمضاء صفقة البيع الواقع على محجورة، وإذن مقدمها في قبض واجبها مع المبيع، وعقد معاوضة(4).

- معاوضة ومصالحة بين الناظر سكيرج والخواص أفضت - بعد أمر الوزارة - إلى أن يستلم هؤلاء من الناظر ثلاثمائة ريال مقابل تخليهم عن الدار التي هي بأيديهم(5).

- إشهاد على الاتفاق الذي تم بين أولاد الصوان والناظر، وأصبح بموجبه في ملك الحبس خمسا الدار وثلاثة أخماسها لهم(6).

- معوضة بأمر المولى يوسف بن الحسن(7).

- رسم يتضمن شركة تساو واعتدال بين اليهودي يعقوب بن شلمون الصراف

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 190-191 كان عقد المعاوضة مؤرخا بعام 1324 أما إتمامها فكان عام 1330 وتحدثت عنه وثيقة بالصفحة 191.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 200-201-202 تحمل الوثائق تواريخ 1265، 1220، 1256 وكلها مذيلة بإمضاءين معقدين.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 223 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1263

(4)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 269 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1300 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 290-291 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1330 . مذيلة بإمضاءين معقدين.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 293 إلى 295 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1332مذيلة بإمضاءين معقدين.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 300 تحمل الوثيقة تاريخ 1333 بعد أداء القاضي ذيلت بإمضاءين في شكلهما المعقد، وتحتهما طابع القاضي وبداخله (قاضي فاس العليا محمد بن العربي العلوي وفقه ا لله) أما الصفحات الموالية وإلى 356 فهي عبارة عن معاوضات وناقلات بعد إذن الوزارة وغالبيتها تدور بين عامي 1334 و 1375 . كما يلاحظ من خلالها أن ناظر فاس الجديد زمان سيدي محمد بن يوسف هو عبد السلام ابن حيون.

وبين اليهودي شمويال بن يوسف مرسيانو في زينة الحانوت رقم 56 بالبزازين، لكن وبعد أن توفي يعقوب حضر ورثته وشريك أبيهم وحضر معهم الناظر الذي اشترى منهم زينة الحانوت المذكورة بمالها من المنافع والمرافق وكافة الحقوق(1).

– شراء ناظر فاس الجديد من اليهودي دابيد بن حبيب كويهن الذهاب جميع زينة ومفتاح الحانوت رقم 30 بثمن ثلاث وعشرين مائة فرنك(2).

– مناقلة بين بلدية فاس ونظارة أحباس فاس الجديد(3).

– ثبوت ملكية، وشراء الناظر لزينة ومفتاح حوانيت في أحياء مختلفة(4).

–شراء الناظر الجديد (علي العلوي) حبسا معقبا كان مرجعه للمسجد الأعظم(5).

– معاوضات ومناقلات ومخارجة، وقد عقدت أغلب المعاوضات بناء على أمر الوزارة المستند على ظهير ملكي(6).

<u>الموضوع الرابع</u> : *استئجارات (فيوضات ماء – قطع أرضية – رباع مختلفة).*

– استئجار نصف ماء سقاية لأحباس فاس الجديد من أحباس القرويين(7).

---

(1)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :343, تحمل بعض الوثائق تاريخ 1353 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(2)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :343, تحمل الوثيقة تاريخ 1353 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(3)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :341, تحمل الوثيقة تاريخ 1354 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(4)–انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :342,–343–351 تحمل الوثيقة تاريخ 1358 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقدومن بين هذه لمعاملات شراء الناظر من ورثة الذمي الياه بن مسعود قادوش وتجدر الإشارة أن معاملات كثيرة من هذا القبيل تمت مع الذميين خاصة في بمدينة صفرو وملاح فاس.

(5)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 356 تحمل الوثائق تاريخ 1957 م.

(6)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 354, 355, 350, 345, 344 تحمل الوثائق تواريخ 1361, 1366 1358, كانت المعوضتان الأخيرتان تنفيذا لأمر الوزارة المستند على ظهير سيدي محمد بن يوسف.

(7)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 3 انعقد الإيجار بين ناظر أحباس القرويين السيد عمر بن أبي بكر الشامي، والسيد عبد الرحمان صفيرة نائبا عن ناظر فاس الجديد الحاج الهادي صفيرة يحمل العقد تاريخ رمضان عام 1300, وقد ترك ذيل بتوقيعين في شكلهما المعقد.

– استئجار ماء من المعدة المقابلة لرياض الصويري بحومة فرن ضويو بعد وقوف أهل الخبرة وتقويمهم لهذا الماء[1].

– عقود أربعة في شأن كراء محمد بن حميدة السوسي لحفر الغسالين وكذا بياض قطعتين متقابلتين على ضفة وادي فاس من المكري له الناظر السيد صفيرة[2].

– عقود متنوعة لكراء فيوضات الماء[3].

– عقد استئجار مرجعه بجوار وادي فاس قرب ناعورة الرياحي[4].

– إشهاد على جماعة قصاري وادي فاس برفع نزاعهم واعتراضهم، وإقرارهم أن ما بأيديهم من عقارات هو على سبيل الاستئجار وأنه حبس على الجامع الأعظم[5].

– استئجار القايد محمد بن يعيش ثلثي العريصة بفاس العليا من الناظر محمد الشاوي[6].

– استئجار الماء الآتي من صهريج سيدي الصواف[7].

– عقود لجزاء أماكن الحبس بملاح صفرو، وتجديده[8].

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :13, تحمل الوثيقة تاريخ 1332 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :22, تحمل الوثائق تاريخ 1290 وكلها مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :86, تحمل الوثيقة تاريخ 1201 وكلها مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقدين.

(4)-انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :97 لاتحمل الوثيقة أي تاريخ 1358 وكلها مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقدين .

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 122 تحمل الوثيقة تاريخ 1146 وكلها مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقدين.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 132 لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 183 تحمل الوثيقة تاريخ 1287وليس بها أي توقيع.

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 185–186–187 تحمل كل وثيقة تاريخا وإمضاءين في شكلهما المعقد وتواريخهما على التوالي : 1175–1271–1294, فضلا عن تجديد عقد آخر يحمل تاريخ 1303.

- عقود استئجار عين ساقية ميضة مسجد الحجر وقطعة أرض على ضفة وادي فاس وأخرى بالمسرة[1].

- عقود استئجار مختلفة أربعة منها لقطع أرضية في كل من صفرو وباب السفير وضفة وادي فاس، والخامسة لاستئجار غريف ماء من معدة سيدي أبي نافع[2].

- عقود استئجارات أخرى أغلبها ينصب على بلادات داخل مدينة صفرو وخارجها[3].

- عقود استئجار مختلفة ينصب معظمها على فيوضات ماء[4].

- عقود استئجار مختلفة ينصب معظمها على فيوضات ماء[5].

- عقود استئجار مختلفة ينصب معظمها على فيوضات ماء[6].

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص:194,-196-197 تحمل الوثائق تاريخ 1284, 1183, 1280 وكلها معززة بإمضاءين معقدين، والملاحظ أن هذه العقود لا يتم بعضها إلا بعد وقوف أهل الخبرة وبعض الشهود.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص:209-210-211-212-214 ، تحمل الوثائق تاريخ 1280 و1309 وكلها معززة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :220,-221-226-228-230 تحمل الوثائق تواريخ عام 1270 و1278 و1288 و1294 ولا يخلو أي منها من إمضاءين في شكلهما المعقد. انصبت عقود الاستئجار فضلا عما ذكر علي بلاد بظهر المحلة، فدان بالدشيرة، بقعة بباب المريع، ماء الملاح اليهود، تجديدا استئجار خارج باب الشريعة، قبض جزاء جنانين انظر ص : 230.

(4)-انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :239 إلى 250 تحمل هذه الوثائق تواريخ 1288 و1301 و1310 ولا تخلو أي واحدة من إمضاءين في شكلهما المعقد. ومن أبرز هذه الاستئجارات : استئجار ماء سقاية حمام، واستئجار ناظر فاس العليا من ناظر القرويين نصف ماء سقاية الكماخين بالسراجين من الطالعة، واستئجار مشرب من معدة، وفيوضات ماء كثيرة هنا وهناك.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 253 إلى 257 ، تحمل هذه الوثائق تواريخ 1318 و1320 و1323, مذيلة جميعها بإمضاءين في شكلهما المعقد ومن أهم هذه العقود: ما أبرم تنفيذا لأمر المولى عبد العزيز لصالح السيد حم وذلك بتعيين شكل من الماء الفاضل عن الميضات الملتصقة بالناعورة التي بقصبة البطاطحة، وكذا استئجار كأس في ثمانية من معدة جلسة حمام الزبالة للعرايشي.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 259, 266, 271, 277, 280, 281, تحمل هذه الوثائق أي تواريخ 1322, 1323, 1325, معززة جميعها بتوقيعين في شكلهما المعقد، وأبرزها يتحدث عن استئجار كأس عدل من غسالة حفاة الجامع الجديد وشرب بدار من سقاية سبيل مسجد سيدي الصواف، واستئجار فيوضات ماء منفاضل ماء الجامع الأزهر ومن معدة حيحو.

الموضوع الخامس : *وقوف أرباب البصر على بعض العقارات قصد تقويمها.*

– وقوف أهل الخبرة العارفين بمياه سقايات السبيل قصد تقويمها[1].

– وقوف أهل الخبرة العارفين بأحوال المياه وقسمتها، ويتعلق الأمر بمعدة ماء حمام الحرم وقسمتها[2].

– وقوف أهل الخبرة العارفين بأحوال المياه وقسمتها[3].

– رفع تقرير خبيرين عارفين بالبلادات والسواقي وقسمة مياهها إلى المسؤولين، وذلك بعدما وقفا على سواقي بدار ادبيبغ وبلاد صواغة المعروفة بعين الشقف ونظارها وتطوفا بها فألفياها فاسدة مفتقرة لتعشيبها وتخميلها[4].

– وقوف أهل الخبرة على حدود غابة الحبس المجاورة لغابة الطاهريين بجنان الوطا[5].

– وقوف أهل الخبرة العارفين بقيم الأسلاك على رحى[6].

– وقوف أهل الخبرة على تقويم المصرية التي بدرب عقيبة الجبيل وتعوضها بجلسة حانوت[7].

– رسوم أخرى تتضمن طواف أهل الخبرة على العقارات هي من جملة أوقاف الجامع الأعظم[8].

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :3 تحمل الوثيقة تاريخ رمضان 1300 مذيلة بإمضاءين معقدين.
(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :9, تحمل الوثيقة تاريخ رمضان 1307 مذيلة بإمضاءين معقدين.
(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :10, تحمل الوثيقة تاريخ رمضان 1312 وكلها مذيلة بإمضاءين معقدين.
(4)-انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :24 لاتحمل الوثيقة تاريخ 9 شوال 1300 مذيلة بإمضاءين معقدين
(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 61 تحمل الوثيقة تاريخ 1289 مذيلة بإمضاءين معقدين.
(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 63 تحمل الوثيقة تاريخ 1214 مذيلة بإمضاءين معقدين عند حديث كاتب الوثيقة عن الخبراء بعد ذكر أسمائهم وأوصافهم يستعمل مثل هذه البارات :"وقوف أهل الخبرة العارفين بقيم الأملاك وما في شرائه مصلحة وغبطة لجانب الأحباس...". انظر الصفحة المشار إليها أعلاه.
(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 77 تحمل الوثيقة تاريخ 1193ولا تذيل بأي توقيع.
(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 96 تحمل الوثيقة تاريخ 1123, مذيلة بإمضاءين معقدين.

– رسوم أخرى تتضمن طواف أهل الخبرة ببعض الأراضي المحبسة على الجامع الأعظم أيضا(1).

– وقوف أهل الخبرة على البقعة الصغرى التي بسوق الخميس وتقويمها بست موزونات لكل عام وإكراؤها للحاج عبد القادر الرعي من المكري له الناظر أحمد النجار(2).

– رسوم متعددة تتضمن معوضات مختلفة أهمها تلك التي كان طرفاها جامع القرويين والجامع الأعظم، وتبوث استغراق، ووقوف أهل الخبرة على ماء معدة حذاء سقاية الحرم الإدريسي، واستئجار جنانين خارج باب الشريعة بعد الوقوف عليهما وتحديد حدودها، وكذا تحديد كل من بلاد السهب وسبع رواضي(3).

– تحديد أرض الحبس التي بها كوشة الجير قرب سيدي كسكس بعد عقد صلح بين الناظر واحد الخواص في شأن هذه الأخيرة(4).

– موجب بفساد ساقية مضاف فاس الجديد والملاح وبناء جانبها الأعلى(5).

– عدة مواجب يتضمن أولها تضرر الحوانيت لعدم توفرها على واقية (كيب)، وثانيها بوقوف أهل الخبرة على ماء طران، وثالث بوقوفهم أيضا على حدود ساحل بوطاهر(6).

– موجب بوقوف أهل الخبرة على بلاد بظهر المحلة قصد تحديد أبعادها وتقويمها لاستئجارها(7).

---

(1)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :97, لاتحمل الوثيقة تاريخ 1123 مذيلة بإمضاءين معقدين.

(2)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :121, تحمل الوثيقة تاريخ 1118 و مذيلة بإمضاءينل معقدين.

(3)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :176,إلى 184 تحمل بعض التواريخ 1275–1276–1278–1295–1330, بعضها مذيل بتوقيع وبعضها الآخر بدون توقيع.

(4)–انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :195 تحمل الوثيقة تاريخ 1296 ومذيلة بتوقيعين معقدين.

(5)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 198 تحمل الوثيقة تاريخ 1280 ومذيلة بتوقيعين معقدين.

(6)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 204–207 تحمل الوثائق تواريخ، 1277, 1258 مذيلة كل منها بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(7)– انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 224–225 تحمل الوثائق تاريخ 1318ومذيلة بتوقيعين فيشكلهما المعقد

- تقويم بعض أماكن محبسة بملاح صفرو[1].

- موجب في شأن ساقية مضاف فاس الجديد والملاح، وتحديد بلاد الحبس المجاورة لابن شقرون[2].

- وقوف أهل الخبرة العارفين بأثمان الدور وما يصلح منها للمعاوضة على عقار لهذا الغرض[3].

- موجب بإثبات عيب حائط فندق برحبة صفرو والمجاور لفندق جسوس[4].

- موجب بفساد مادو من أبي نافع وتجديد إصلاحها[5].

- وقوف أهل الخبرة على بلادات قصد تقويمها وعقد معاوضة بشأنها[6].

الموضوع السادس : *قضايا مختلفة*.

- موجب بقسمة جرنة سيدي أبي نافع إلى جرنتين لما في ذلك من مصلحة للحبس[7].

- تنفيذ الأمر المولوي بمساعدة الذي يعقوب بن الليوي في قضية الرويين

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :227, لاتحمل الوثيقة تاريخ 1298وتحتها جرد بهذه الأماكن التي وصل عددها إلى 24 ، وقد ذيلت بإمضاءين معقدين.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :237,-238 تحمل الوثيقة تاريخ 1288 و بالهامش الأيمن للصفحة الأولى جرد بمن حضر من المعلمين أهل الخبرة وهم 17 مسلما و 5 من أهل الذمة.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :265 تحمل الوثيقة تاريخ 1330, وعلى الهامش الأيمن لهذه الوثيقة جرد بأسماء الخبراء الذين وصل عددهم إلى ثمانية .

(4)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :276 تحمل الوثيقة تاريخ 1323 وقد تضمنت نفس الوثيقة سدادا وصلحا بيد الناظر وجسوس.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 283. تحمل الوثيقتين تاريخي 1300 ، 1301 وليس بهما أي توقيع.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 285. تحمل الوثائق تاريخ، 1330 مذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد. وبالهامش الأيمن للوثيقة جرد بأسماء الخبراء الستة.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 4 تحمل الوثائق تاريخ 27محرم 1306, ليس بهما أي توقيع وقد تلاها مباشرة ظهير ملكي يؤكد هذه القسمة مشفوعا بتوقيعين في شكلهما المعقد، ومذيلا بتاريخ 16 صفر 1306 هـ.

بسيدي أبي نافع، وإشهاد بما تم الوصول إليه معه، وإثبات أدائه لما بذمته من كراء[1].

- بطاقة أمين الأمناء (محمد التازي) بتنفيذ مصرية لمولاي عرفة[2].

- أمر الوزير موسى بن أحمد الناظر عبد الهادي صفيرة بقبض الكراء من ساكني عرصة الحبس بسيدي أبي نافع[3].

- مغارسة بالنصف للجبيل الأكبر[4].

- عقود مغارسة في جنان بالوطا، معاوضة نصف ما به من زيتون بدويرة[5].

- موجب في شأن ماء سقاية ينبع من عين الشقف ويمر بأراضي زواغة وإشهاد بأن لا شيء لهذه الأخيرة في هذا الماء سوى مرور قادوسيين له[6].

- إثبات ملكية مصرية بحومة مولاي عبد الله وتحبيسها[7].

- موجب بإثبات منبع وأصل ماء سقاية أبي نافع[8].

- إشهاد على من بيده تسعة حوانيت بسوق الخميس المحبسة على المسجد الأعظم، وإلزامه بأداء أربع أواقي قديمة كوجيبة شهرية[9].

- نسخ تسعة رسوم تشتمل على : شراء وتقويم وعقد ومعاوضة[10]

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :6-7 ، تحمل الوثيقتان تاريخ 21 جمادى الثانية عام 1303 ومذيلتان بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :14, تحمل الوثيقة تاريخ 1302 و ليس بها أي توقيع.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :14 تحمل الوثيقة تاريخ 1291 وليس بها أي توقيع.

(4)-انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :16 لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 11-12 لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع .

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 23تحمل الوثيقة تاريخ 1252 وليس به أي توقيع.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص: 20 لا تحمل أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :23 لا تحمل الوثيقة أي تاريخ وليس بها أي توقيع.

(9)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :25 تحمل الوثيقة تاريخ 1136 أواخر رمضان وليس بها أي توقيع.

(10)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :25, 26 تحمل الوثيقة تاريخ 16 شعبان 1206 وليس بها أي توقيع.

- الحديث على ساقية المسرة[1].

- موجب مفاده أن المعتمرين بحوانيت بسوق البز لا جلس لهم فيها ولا أصل[2]

-ثبوت ملكية خاصة[3].

- حيازة الأرض التي بالدار البيضاء وإكرائها بعد رفع يد النزاع عنها[4].

- مجموع ما للحبس من نحاس (ستة قناطير غير ثمانية أرطال) ليصنع منه برمة حمام المولى الرشيد المسمى (السقيف) وذلك على يد الحاج الكبير الصفار[5].

- ما بيد جماعة الوداية من الأرض المحبسة على محراب الجامع الأعظم[6].

- نسخ رسوم سبعة تثبت تورط الناظر ابن أحمد النجار في سرقة زيت مخزن الجامع الأعظم ليلا بواسطة المؤذنين به حيث جمع في ذلك أربعة عشر مثقالا ونصف مثقال الشيء الذي أفقده جنانه بالمسرة بعد صدور الحكم عليه[7].

- وثيقة تثبت حق القايد بوشفرة في ضرورة تخلي الأحباس عن نصيبه في الجنان الذي كان في شركة الناظر النجار وذلك بعد صدور أمر القضاء بذلك[8].

- فتوى في موضوع سرقة الزيت تضمنت الحكم بضمان الناظر للمسروق نظرا لتفريطه من ناحية ولكون مخزن الزيت تحت إشرافه والمفاتيح بيده من ناحية أخرى[9].

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :27 ، تحمل الوثيقة تاريخ 11 قعدة 1136 وليس بها أي توقيع.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :60, تحمل الوثيقة تاريخ رجب 1118 وليس بها أي توقيع ويشهد اللفيف أن الحوانيت لجانب الحبس.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :61 تحمل الوثيقة تاريخ 1171 ومذيلة بإمضاءين في شكلهما المعقد.

(4)-انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :79 تحمل الوثيقة تاريخ 24 شعبان 1149, وليس به أي توقيع.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 121 تحمل الوثيقة تاريخ عام 1202 مذيلة بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 123 لاتحمل الوثيقة أي تاريخ ، وليس بها أي توقيع وتحت العنوان البارز الذي يتصدر الصفحة، جرد بأسماء المستفيدين، وما بأيديهم من رباع وصل عددها إلى عشرة.

(7)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 142 إلى 126. تحمل الوثائق تاريخ عام 1124, وقد أكد المؤذنان بعد استجوابهما من طرف القاضي أن الناظر هو الذي يسلمهما المفاتيح وأمرهما ببيع زيت الجامع وإتيانه بثمنه :(سيتم الحديث عن هذه القضية عند دراسة بعض نصوص الحوالة).

(8)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :126 تحمل الوثيقة تاريخ 1124 وليس بها أي توقيع.

(9)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :126 تحمل الوثيقة تاريخ 1124 وليس بها أي توقيع.

- وثيقة تثبت صلحا بين المتنازعين عبد الرحمان دادي والذمي داود بن ابراهيم ديروخ من يهود ملاح فاس، ويتضمن إشهادا تلزم بموجبه زوجة داود بضمان ما بذمة زوجها لصالح دادي(1).

- نسخة رسم يوضح معنى الجلسة حسبما شاع عند أهل المدينة الفاسية الإدريسية(2).

- حيازة الناظر صفيرة أجزية أماكن مختلفة خاصة تلك التي بباب السيفر وضفة وادي فاس(3).

- تقييد ما قبضه كل من الناظرين صفيرة وجسوس من جزاء المياه(4).

- تقييد ما قبضه كل من الناظر الحاج عبد الغني ابن زكري من جزاء الماء وإشهاد ببراءة ذمته(5).

- رسوم تتضمن تصفية الأحباس المعقبة التي كان حبسها القائد العربي الودي، وكانت هذه التصفية طبقا لمقتضيات الظهير الشريف الوارد في هذا الباب(6).

- هذا وأن المتتبع لمحتويات الحوالات الحبسية عامة يجد نفسه أمام عالم مستقل

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :128, تحمل الوثيقة تاريخ 1141 وليس بها أي توقيع.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :132, تحمل الوثيقة تاريخ 1134 و ليس بها أي توقيع.

(3)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :193-195 تحمل الوثيقتان تاريخ عامي1284 و 1301 مذيلتين بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(4)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص :251 تحمل الوثيقة الأولى تاريخ 1312 والثانية 1313, وتحت الوثيقة الأولى جرد بسعة عقود استئجار مذيلة جميعها بتوقيعين في شكلهما المعقد. والملاحظ أن الناظر محمد الحبيب جسوس أصبح إلى جانب الناظر الهادي صفيرة ابتداء من سنة 1313هـ.

(5)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. ص : 282 تحمل الوثيقة تاريخ 1325ومذيلة بتوقيعين في شكلهما المعقد.

(6)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 49. الوجه الآخر للصفحة التي تحمل رقم 357, وتعتبر آخر ما كتب بهذه الحوالة أما الوثائق فتحمل تاريخ 22 محرم 1401/30 نونبر 1980, وقد وقعت التصفية طبقا لمقتضيات الظهير الملكي المؤرخ بأكتوبر 1977 والقاضي بتصفية الأحباس المعقبة والمشتركة، وقد صار لجانب أحباس فاس الجديد بعد هذه التصفية حمامان بابن سليمان، ودار بسيدي صافي، وحانوت بالعوادين، وقطعة باللواجريين ، وأخرى بباب الجياف، فضلا عن الثلث من رصيد في البنك كان قد تجمع للمستفيدين من هذه التصفية قبل وقوعها. انظر بصدد التعرف على الأحباس المعقبة والمشتركة، وطريقة تصفيتها "رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا، الفصل الخاص بهذا الموضوع عند الحديث عن "قضية الغرديس كنموذج".

في جهازه وإدارته وطريقة تسييره. وإن المتمعن في الحوالات الإسماعيلية خاصة ليلاحظ فضلا عما تقدم مدى توسيع مجال هذه الأحباس، ومدى الاهتمام بها. فقد أعطى المولى إسماعيل أمره بإحصاء رباعها وجمعها وذكر أنواعها وأماكن وجودها وطريقة استغلالها وأسماء المحبسين والمحبس عليهم، وأمر بحمايتها وصيانتها من العبث والتلف، وجعلها تحت مسؤولية نظار ممن يتوفرون على ثقافة دينية واسعة ويتمتعون بثقة كبيرة. ولم يكتف رحمه الله بتنظيم الأحباس وضبطها والاعتناء بها، وتوفير من يسهر على خدمتها، بل أغناها بالكثير من تبرعاته وهباته، وكان عمله الاحساني هذا حافزا لكثير من المواطنين وفي مقدمتهم المحسنون من خلصائه ومعاونيه، فكثرت الرباع المحبسة، ونشطت الحركة الاقتصادية بفاس أيما نشاط.

الخلاصة :

في الباب الأول من هذا القسم، تم التعرض لحياة المولى إسماعيل منشئ الحوالة الإسماعيلية، وفي هذا الصدد تحدثت عن بيعته، وعن سياسته الداخلية والخارجية، وأشرت إلى اهتمامه البالغ بالعمران و بالميدان الثقافي والديني وأومات إلى معاملته الحسنة لأهل العلم، وما كان يكن لهم من احترام وتقدير، ثم وقفت على الظروف والملابسات التي واكبت إنشاء هذه الحوالة، وكانت نتيجة لها، كما اعتمدت في هذا الإطار على فحوى كل من صك إنشاء الحوالة نفسها ورسالة الحسن اليوسي بعدما عززت بالحجة والدليل وجهة نظري في اعتبار الحوالة الإسماعيلية ثلاث حوالات خلافا لما يعقتده بعض المؤرخين والمهتمين بهذا الميدان.

أما الباب الثاني فقد خصص لدراسة الحوالات الحبسية الإسماعيلية الثلاث على مستوى الشكل والمضمون – كل واحدة على حدة – وفي هذا الصدد، اخترت عناوين مناسبة، أدرجت تحت كل منها موضوعات متشابهة أو يكمل بعضها البعض الآخر، الشيء الذي يقرب المهتم أكثر من محتويات هذه الحوالة وما تضم بين دفاتها من موضوعات متنوعة جذابة من ناحية، بالغة الأهمية من ناحية أخرى. هذه الموضوعات التي يستشف منها الحياة العامة لمدينة فاس متجلية على الخصوص في الحالة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتي أخصص الحديث عنها في القسمين الثالث والرابع من هذا البحث.

القسم الثالث :

أوضاع مدينة فاس وما تعكسه على الحوالات الإسماعيلية

مدخل :

سبق في المقدمة العامة لهذا البحث الحديث عما شهدته مدينة فاس في القرن الثاني عشر الهجري من تطورات وأحداث أثرت إلى حد بعيد على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد استمر هذا التأثير إلى ما بعد القرن المشار إليه أعلاه بل وإلى ما قبل الحماية وربما بدأت بوادر هذه التطورات تظهر قبله، كما هو الشأن بالنسبة للحياة الثقافية التي تعتبر استمرارا لتلك التي عاشتها الدولة السعدية.

وهكذا فالحديث عن الأحداث المختلفة لهذا القرن لا يعني بالضرورة البداية من سنة 1100 هـ والنهاية في سنة 1200.

حقيقة فهذه الفترة غنية بالأعمال والرجال، وتستحق الوقوف عندها طويلا بالدرس والتحليل والاستنتاج، غير أن هذا الأمر وإن كان يبدو سهلا باعتبار تحديد تاريخ البداية والنهاية، فإن الصعوبة تكمن في تحديد بداية الأعمال ونهايتها وما تميزت به على جميع المستويات، فالذين نبغوا في هذا القرن قد امتد العمر ببعضهم إلى أوائل القرن الثالث عشر، ومنهم من ازداد وسط أو أواخر القرن الحادي عشر ولم يظهر عطاؤه الحقيقي إلا في بداية القرن الثاني عشر، ولذلك كان من اللازم وإن كانت سنة 1200 وهي نهاية القرن الثاني عشر تعني النهاية الحتمية لكل ما يرجى من هذا البحث حفاظا على الفترة المتعامل معها، فلا مناص من أن تنفتح ولو نسبيا على الحوادث التي كانت نتيجة للأعمال في هذا القرن، وبالتالي لابد من تتبع نشاط الرجال الذين كان لهم سابق إنتاج في هذه الحقبة وامتد بهم العمر إلى ما بعدها. ذلك أن الفتاوى التي تزخر بها الحوالة الإسماعيلية عم خيرها وكثر نفعها عندما استمر العمل بها لفترات متلاحقة من التاريخ، ودراسة كتب المذهب المالكي لم يكن القرن الثاني عشر إلا حلقة بين الحلقات التاريخية السابقة واللاحقة للعمل به ودراسته والاستفادة منه، كذلك الشأن بالنسبة للأحباس على الحرمين الشريفين في القرن المومأ إليه لم يكن إلا وصلا لأحباس أولى تقدمته وأخرى تلته كذلك الحياة في فاس وهو الشيء الذي يرمز إليه صاحب كتاب (فاس قبل الحماية) نقلا عن ليون الإفريقي ومرمول من أن الحياة الاقتصادية وغيرها في فاس ظلت في مجموعها تقريبا على ما هي عليه منذ العهد المريني والسعدي حتى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وهكذا، فالحالة الاجتماعية لفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة

الإسماعيلية تتطلب الوقوف عند مواضيع خاصة أهمها الحديث عن الجلسة والتي تتشكل منها أغلب فصول الباب الأول من هذا القسم على النحو الآتي :

توطئة : موقع فاس وتصميمها.

الباب الأول : الحياة الثقافية الفاسية: "الجلسة كنموذج أول"

الفصل الأول : تعريف الجلسة وباقي الحقوق العرفية الإسلامية الأخرى.

الفصل الثاني : موقف كل من الشرع والقانون من الجلسة.

الفصل الثالث : آراء حول كنه الجلسة ومفهومها.

الفصل الرابع : تراجم لبعض فقهاء وعلماء العصر.

الباب الأول

الحياة الثقافية الفاسية :
الجلسة كنموذج أول

توطئة :

موقع فاس وتصميمها.

تقع مدينة فاس وسط المغرب، يحدها من الشرق إقليم تازة، ومن الغرب إقليما مكناس ويفرن، ومن الشمال إقليم تاونات، ومن الجنوب إقليم بولمان، وقد اشتهرت منذ أن كانت بمعمارها وعادات وتقاليد سكانها، وحضارتها العريقة، حتى أصبحت محط اهتمام العلماء والتجار على حد سواء.

تصميمها : لقد تم تصميم فاس بطريقة يمكن أن تستجيب لمتطلبات الحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي لسكانها، وبكيفية كانت تضمن لها أمنها، وتسهل لها سبل الدفاع ضد الغزو الخارجي، لقد كان يحيط بها سور عظيم تتخلله ثمانية أبواب لابد من العبور من خلالها إلى داخل المدينة، وهذه الأبواب أقيمت على محيط السور بأبعاد تكاد تكون متساوية، كما تعلوه تحصينات ناتئة تزيده مهابة وجلالا، حيث أنشئت بزواياه أبراج عالية لتشرف من فتحاتها فوهات المدافع المسيطرة على المنظر العام الممتد أمامها على مدى الرؤية. وعلى مقربة من داخل الأبواب أقيمت من الناحية الشرقية معاصر للزيتون الذي يجلب من البساتين القريبة منها حيث يدخل عبر باب عجيسة وباب الفتوح، كما أقيمت مصانع للصابون.

وإذا تقدمنا قليلا نحو داخل المدينة انطلاقا من مختلف الأبواب، وجدنا أماكن عمومية واسعة أعدت لبيع الحبوب الآتية من النواحي بالجملة تعرف ب (الرحبات)، وقد أنشئت المعاصر قريبا من الأبواب لكون هذه الصناعة تخلف نفايات وتترك أوساخا ورائحة قوية. كما اقتربت رحبات الحبوب منها نسبيا حتى يسهل وصول الأحمال الثقيلة من حبوب المناطق المجاورة إليها لتجنب نقلها بكميات كبيرة عبر الشوارع الضيقة للمدينة، ولنفس السبب أقيمت مناشر الأخشاب قريبا من باب عجيسة كما أقيمت على امتداد ضفتي نهر فاس الذي يقسم المدينة إلى عدوتين عدة مطاحن[1].

---

(1)- انظر : فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية / المجلس البلدي 1979. خزانة خاصة.

خصائص المدينة ومميزاتها : عن فضائل المدينة، ومحاسنها وما امتاز به أهلها يقول صاحب كتاب (الأنيس المطرب) : " لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها.... وقد جمعت بين عذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب التربة، وحسن الثمرة، وسعة المحرث وعظيم بركته، وقرب المحطب وكثرة عدد وشجره، وبها منازل مؤنقة وبساتين مشرقة، ورياض مورقة، وأسواق مرتبة منسقة، وعيون منهمرة، وأنهار متدفقة منحدرة، وأشجار ملتفة، وجنات دائرة بها محتفة.... وماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها....:"[1] ثم استطرد يقول عن سكانها :"وسكان مدينة فاس أحد أذهان المغرب أذهانا، وأكثرهم فطنة، وأرجحهم عقلا، وألينهم قلوبا، وأكثرهم صدقة، وأعزهم نفوسا، وألطفهم شمائل، وأقلهم خلافا على الملوك، وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم، ... ومدينة فاس لم تزل في يوم أسست مأوى الغرباء، ومن دخلها استوطنها وصلح ماله بها، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم، فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذي يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، لم يزل ذلك على مر الزمان، وذلك ببركة بانيها مولاي إدريس رضي الله عنه، فإنه لما أراد الشروع في بنائها رفع يده وقال "اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها" ويكفي من فضلها وشرفها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصفها : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ستكون مدينة تسمى فاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة" .... ومما تفوق به مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها ماءين، ماء العيون وماء الأنهار، فمياه العيون باردة في الصف حين يراد ذلك منها لتبرد الحر، وتقطع الظما، وهي أيضا سخنة في الشتاء حين يحتاج إلى ذلك منها، ومياه الأنهار بالعكس في ذلك سخنة في الصيف باردة في الشتاء، فلا يزال الماء السخن والبارد موجودين بها في الشتاء والصيف، فهي بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والنظافة"[2].

---

(1)- علي بن أبي زرع الفاسي / الأنيس المطرب ... ص : 32 إلى 35.

(2)- علي بن أبي زرع/ الأنيس المطرب. من ص : 36/44.

ومن موقع المدينة وتصميمها والنظرة العابرة عن مائها وسكانها وقاطنيها إلى التجوال في بعض أزقتها وشوارعها مع الإشارة إلى بعض ما يزاول بها من نشاط تجاري وصناعي وحرفي خاصة تلك التي تنشط في المدينة القديمة وتحديدا حول ضريح مولاي إدريس وجامع القرويين نظرا للمركز الاستراتيجي لهذه المنطقة، ولكون الحديث سيطول بنا كثيرا إذا حاولنا ذكر بقية الأسواق وما أكثرها. جولة في بعض أسواق فاس العتيقة: فعند الوصول إلى مركز المدينة حول ضريح المولى إدريس وجامع القرويين يبلغ نشاط الحركة التجارية ذروته حيث تزدحم المارة بالزبناء، وتختلط أصوات الدلالين مع ضجيج مطارق وأدوات الصانعين وتنبيهات الحمالين. فبالقصارية اصطفت دكاكين بائعي الأثواب الخاصة بالنساء في جانب منها، وبالجانب الآخر مثلها لبيع ملابس الرجال، وخصصت زنقة منها لمختلف أنواع العطور والبخور، وبأخرى اصطفت دكاكين أصحاب الحلي والجواهر، ومنها نعبر إلى سوق الأحذية لننتقل إلى سوق العطارين المخصص لبيع مختلف أنواع التوابل بالجملة والتقسيط.

وننتقل من العطارين إلى سوق الطرافين الذي خصص لبيع الأحذية القديمة وإصلاحها، وتنزل منه إلى رأس التيالين الخاص بصناعة الغرابيل ومنافيخ المجامر وبيعها ثم نهبط منه إلى سوق (السطارميين) حيث تباع مختلف المنتوجات الجلدية ومن أهمها الحقائب المختلفة الأحجام[1]، ويليه مباشرة المكان المعروف بعين علو حيث تصنع وتباع الشبابيك والأدوات الحديدية التي يحتاجها أصحاب الحرف المختلفة، وكذا مختلف أنواع المسامير والسلاسل والأقفال وغيرها ونعرج جهة اليمين إلى سوق الفخارين لنطلع على ما أتقنته يد الفنان الخزفي، ولنجد هناك مختلف الأدوات المنزلية الزجاجية والمعدنية[2].

وندخل جهة اليسار إلى سوق الحناء التي تستعمل في تزيين أيدي وأرجل النساء خصوصا في مناسبات معينة كالزواج والولادة وبعض الاحتفالات الدينية والعائلية،

---

(1)- وخاصة (الشكارة) التي كان أهل المغرب يضعون بها نقودهم، وأوراقهم وأدواتهم الخاصة ويحملونها بواسطة حبل مدلى موضوع على كتفهم مصنوع من الحرير أو ما يشابهه، بل وما زال بعض الرجال المسنين يجعلون هذه (الشكارة) حافظة لما يتوفر عليه من وثائق هامة وأشياء نفيسة، وقد زرت بعض البيوت حيث هذه الشكارة معلقة بجدارها

(2)- أما المحل الرئيسي لصناعة هذه الأواني على اختلاف أنواعها فهو (واندو) جهة الأندلس.

كما نجد بنفس السوق مادة الغاسول الذي يستعمل كمنظف للشعر، وكذلك مختلف المواد المستعملة في تطهير وتكفين الميت[1]. كما يباع بنفس السوق الصابون المصنوع محليا، ومن هذا السوق ندخل إلى المكان المعروف بسيدي فرج الذي كان عبارة عن مستشفى للمجاذيب في عهد أبي الحسن المريني[2]. وفي الجهة المواجهة نجد سوقا خاصة اجتمع فيها خياطو الجلاليب، وندخل منه إلى سوق (التليس) وبه تباع التلاليس التي تستعمل لجمع الحبوب تسهيلا لنقلها فوق الدواب كما تباع به الأغطية الصوفية والملابس الخشنة التي فوق الدواب كما تباع به الأغطية الصوفية والملابس الخشنة التي يلبسها الفلاحون اتقاء لشدة البرد، ويجواره يوجد سوق الحايك المخصص لبيع ما تنتجه مصانع الحياكة. وبصفة عامة فقد كان لكل نوع من أنواع التجارة والصناعة سوق خاص بها، له تقاليد وأعراف تنظمه، وكان هناك ترابط وتعارف وثيق بين تجار كل سوق وتنظيم خاص بكل هيأة من الهيئات، فعلى رأس كل سوق وكل حرفة نصب (أمين) اختاره أهل السوق أو الحرفة من بين الفضلاء المتمسكين بتعاليم الدين الإسلامي المشهورين بالورع والاستقامة المتوفرين على دراية ومعرفة كبيرة بشؤون الحرفة بحيث يعتبر المرجع الموثوق به في معرفة تقاليد المهنة وقوانينها، وحكما يمكن الالتجاء إليه لفض المنازعات التي يمكن أن تقع بين أعضائها، أو بين أحدهم والغير، وكانت له سلطة معنوية كبيرة لما كان يتمتع به من ثقة وتقدير، وما عجز الأمين عن حله يمكن أن يرفع إلى "المحتسب"[3] الذي يتوفر بالإضافة إلى سلطته الأدبية على سلطة تنفيذية يمكنه بواسطتها إجبار الناس على تنفيذ تعليماته[4].

أما عن الحياة الثقافية بفاس : فلم تكن هذه مقصورة عما كان معهودا فيما سواها من المدن المغربية من تكوين تطبق عبر البلاد المغربية، ويظهر آثرها في الفتاوى، وفي التطبيقات على مستوى الأحباس وغيرها، كما يظهر أثر ذلك جليا فيما نقف عليه من الموضوعات العامة التي ترشدنا إليها الحوالات الحبسية بصفة عامة والحوالة الإسماعيلية بصفة خاصة، ولا غرابة في هذا السبق العلمي في الميدان الفقهي ما دمنا

---

(1)- ذلك أن حمالي الموتى والمتخصصين في تغسيلهم وحفر القبور ينتظرون زبناءهم بهذا السوق.

(2)- وبه كانت تستعمل الموسيقى الأندلسية كوسيلة لعلاج المصابين بخلل عقلي.

(3)- سيتم الحديث عنه وعن سلطاته الواسعة في الباب الثالث من هذا القسم حيث الكلام بشيء من التفصيل على التجار والصناع بفاس، وكيفية حل المشاكل بينهم وبين زملائهم وكذا عن المنازعات التي تنشأ بين المستخدمين والعمال.

(4)- انظر : فاس العاصمة العلمية/إعداد المجلس البلدي لسنة 1979.

في مدينة فاس العاصمة العلمية للمغرب والعاصمة الإدارية للمملكة في كثير من الحقب التاريخية، هذه المدينة التي تحتضن جامع القرويين بثقله ومميزاته بالإضافة إلى المجموعة الهائلة من المدارس التي يقل نظيرها في مدن المغرب وفي كثير من بلدان العالم، فضلا عن "ارتباط تاريخ المغرب الدبلوماسي والدولي بهذه الجامعة فلا نكاد نجد حركة فاصلة في ماضي المغرب دون أن نجد العلماء القرويين فيها اليد الطولى، ذلك أن استجابة المرابطين لنجدة الأندلس لم تكن إلا بعد فتوى صادرة عن رجال هذه القرويين، لأن السفارة من المغرب إلى المشرق إنما كانت برئاسة علم كبير من أعلامها تحدث إلى أقطاب بغداد وعلماء الاسكندرية..."[1]

وما الظهائر السلطانية ومحاورة الملوك للعلماء في أمور الدين والدنيا إلا دليل على تلك الرغبة الصادقة التي كان الجميع يطمح من ورائها إلى التفقه في الدين وإصلاح حال الأمة. وفي الإطار الأول حيث اجتهادات الملوك واعتناؤهم بهذا الجانب نجد العالم الجليل المولى سليمان رحمه الله، "وإن كان يتفق في كثير من المناهج التعليمية مع والده سيدي محمد بن عبد الله، يرى أن الاشتغال ببعض الشروح والحواشي من شأنه أن يشحذ الفكر، وينمي طاقة المناقشة في الطلاب، وفيما يتعلق بمختصر الشيخ خليل نجد أنه بمقدار ما كان الوالد يرى في أسلوبه عائقا عن الفائدة، كان الولد يرى أنه على العكس من ذلك أسلوب يساعد على اقتحام غوامض الأمور، بل إنه أضاف إليه العناية بمختصر ابن الحاجب[2]، ومع ذلك كانا يتفقان معا على أن الرجوع إلى السلفية هو الطريق الأقوم الأسلم. ويدل علي ذلك موقفه من (وفد الوهابية) الذي وصل إليه بمدينة فاس بعد توالي آل سعود على الحرمين الشريفين، وقد جمع علماء القرويين لمدارسة الأراء الواردة مع سفارة صاحب الحجان، وبعث ولده الأمير المولى ابراهيم على رأس وفد كان فيه من الفقهاء : ابن كيران، والساحلي، ومولاي الأمين، وطلب إليهم أن يستوضحوا عن بعض الأسئلة لأن الأصداء التي بلغت المغرب عن الحركة السلفية في نجد كانت تستدعي ذلك.

ويتأكد أن أجوبة آل سعود نالت استحسان المولى سليمان، كما تفسره رسالته

(1)– انظر : د. عبد الهادي التازي / جامع القرويين 1 / 11

(2)– الناصري/ الاستقصا 8 / 67 .

المشهورة التي يحذر فيها من التغالي في التصوف ومن التوسل بالأضرحة[1] وقد بلغت أصداء هذه الرسالة علماء الزيتونة في تونس الخضراء[2]، الأمر الذي يفسره كثير من الإصلاحات والبوادر التي ظهرت من السلطان المولى سليمان[3].

وقد كان مما ساعد على الحركة العلمية على الازدهار في عهده، تصديه هو – على نحو ما كان من والده – لمناقشة العلماء في أرائهم بالمذاكرة أحيانا، وبالتأليف تارة أخرى[4].

وقد تضمنت بطون كتب النوازل والتاريخ عددا لا يستهان به من استفتاءاته لهم في عدد من المسائل والمشكلات الوطنية التي تحدث، مما يفسر اعتزازه ببناء تشريعات البلاد على مشورة رجال العلم[5].

ومع ذلك لم يتردد العاهل المغربي في مصادرة بعض الفتاوي التي كان يظهر له أن القصد منها فسخ حق، أو مناصرة باطل، ولا يلبث إذا ما تأكد عن عودة الأمور أن يرفع الحظر عن حركة المفتين الذين كانوا يتوسلون دوما ليرفع عنهم الحرمان من حقهم في الإفتاء[6].

وفي الإطار الثاني حيث اجتهادات علماء القرويين وفقهاء فاس في الميادين الفقهية، فإن الحوالة الإسماعيلية تطلعنا على فتاوي متنوعة، تارة بعدم جواز تحويل لفظ المحبس، وتارة أخرى بعدم تمليك أي عقار من طرف حائزه طالما خالف ما تثبته

---

(1)– المرجع السابق 8/119.

(2)– ابن عاشور / مجلة المغرب، سنة 1965.

(3)– يدخل في هذا الإطار نهي المولى سليمان عن أذان المؤذنين دفعة واحدة، والاقتصار على المنادي في الأسواق لإنهاض الناس للصلاة، وإسقاطه المكس الذي كان فرضه والده ورفعه الحصانة عن بعض المرابطين المتلبسين (نوازل الوزاني 3/80 – المعيار الجديد 3/21).

(4)– يذكر من ذلك تأليفه في جواز التطيب بالعود في مجالس الحديث أيام رمضان الأمر الذي كان موضوع تأليفه المعروف (الوزاني 1/214 و215).

(5)– كان ذلك عند أخذ رأي العلماء في المقاييس والأوزان، وفي الأذن ببيع الخيل للأجنبي، وفي نفاذ حكم القاضي الذي عينه العدو المستولي على بلاد المسلمين، وفي استيراد المغرب لبعض المواد من الخارج، فقد أشيع في الناس أن سائر ما يجلب من بلاد الكفر مشكوك في طهارته، ومن أجل هذا وضع المولى سليمان أمام نظر العلماء أمر البث في قوالب السكر، وفي طيب الغالية، وفي (الاتاي) (الشاي والقهوة والشمع والوقيد والأدوية وكذلك حول السلف بالفائدة....) نوازل الشيخ التاودي ابن سودة ص : 358/395.

(6)– انظر . الدكتور عبد الهادي التازي / جامع القرويين 3/527.

الحوالة، وثالثة وهي الأكثر شيوعا تعالج حالات مختلفة تصب جميعها في مسألة الجلسة وقضية تمليكها سواء تعلق الأمر بجلسة الحوانيت أو الأرجية أو الأفرنة أو الحمامات، وما أسفرت عنه هذه الاجتهادات والفتاوي من اختلاف وجهات النظر بين الخائضين فيها فقها وقانونا وقضاء، حيث وقفوا منها مواقف متباينة، فمنهم من أنكرها أو حرمها، ومنهم من أباحها وأجازها ودافع عنها، ولكل فريق حججه وقناعته.

وبمراجعة النصوص – نصوص الحوالة الإسماعيلية – التي تتحدث عن الجلسة، تتضح هذه الأراء المتباينة، فمن شرط عدم التماطل في أداء الوجيبة عنها لمالك الرقبة، وضرورة تعهد المحل بالإصلاحات الضرورية إلى عدم تمليكها لمن تركها مهملة تتعرض للخراب[1]، إلى من اعتبرها بدعة باطلة ينبغي التخلص منها، إلى جوازها وإباحتها، بل وإلى إعطاء الحق لصاحبها بأن يؤجرها لغيره وهكذا....

ونظرا لأهمية هذا الموضوع – موضوع الجلسة – وعمقه وتفصيلاته، فسأعمل على تخصيص أغلب فصول الباب الأول من هذا القسم لموضوع الجلسة، بعد أن أفرد أولها للتعريف بها وبأنواع الحقوق الأخرى، على أن أضمن أخرها تراجم لبعض علماء وفقهاء هذه الحقبة من الزمان عامة، وخاصة أولئك الذين أدلوا بدلوهم في الموضوع.

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 46، ص : 433.

الفصل الأول :

الجلسة وبقية الحقوق العرفية الأخرى

تتكون ملكية كل عقار من عناصر هامة ومتعددة كالأصل أو الرقبة، والجزاء والجلسة وغيرها. فما تعريف الأصل ؟ وما هي الجلسة ؟ وما هو الجزاء ؟ وما هي أنواع الحقوق العرفية الأخرى ؟

أولا – الأصل : أصل الشيء أساسه وقاعدته.

جاء في "لسان العرب" عند الحديث عن كلمة "أصل" ما يلي : "أصل أصالة : كان له أصل، رسخ أصله، كان من أصل شريف فهو أصيل. أصله : جعله ذا أصل، بين أصله وأصالته، تأصل : صار ذا أصل.

استأصل الشيء : قلعه من أصله، واستأصلت الشجرة : ثبت أصلها.

الأصل جمع أصول : أسفل الشيء "أسفل الجبل" مايقابل الفرع.

يقال : لا أصل له ولا فصل. الأصل الوالد، والفصل الولد. أو الأصل الحسب، والفصل اللسان، الأصول : القوانين والقواعد التي ينبني عليها العلم : أصول الدين، أصول العلوم، الأصيل : الشريف الأصل(1)، الأصيل : من يتصرف عن نفسه دون وكيل(2).

ويطلق على مالك الأصل مالك الرقبة كذلك، فما الرقبة ؟ يعرف المنجد في اللغة والإعلام الرقبة بما يلي : رقب : حرس – انتظر – حاذر. الرقبة : جمع رقاب ورقبات ورقب وأرقب العنق أو مؤخره، وهو الجزاء العلوي من العود، العبد المملوك تسمية للكل بأشراف أجزائه... رقبة الطريق في اصطلاح أهل الشرع : هي الأرض التي تمر فيها الطريق... يقال (ملك رقبة الطريق) أي ملك أرضها.... ويقال (ملك رقبة الماء) أي مجراه. ومسيله... (3).

أما بقية الحقوق العرفية الإسلامية فهي : حق الهواء، وحق الجلسة، وحق الجزاء، وحق الزينة.

وقد جمع الدكتور الكزبري هذه الحقوق في قوله :"مختلف أنواع الحقوق العرفية

---

(1)– لسان العرب/ ابن منظور، المجلد 11. ص : 16 –18 .
(2)– المنجد في اللغة والإعلام، ص : 12ط : 30.
(3)– نفس المرجع السابق ص : 274.

الإسلامية : إن أهم الحقوق العرفية الإسلامية هي الهواء والجلسة والجزاء والزينة"(1).

ورغم اكتفاء المشرع المغربي في الفقرة العاشرة من الفصل الثامن من ظهير 19 رجب 1333 باعتبار الحقوق العرفية الإسلامية كالهواء والجلسة والجزاء والزينة عقارات بحسب المحل الذي تنسحب إليه، دون أن يعرف كلا من هذه الحقوق ودون أن يعرض لأحكامها، غير أنه قرر ربقاءها خاضعة للقواعد التي تحكمها والمستمدة من العرف، إذ الفصل 197 من ظهير 19 رجب ورد فيه (الحقوق الإسلامية المشار إليها في الفقرة العاشرة من الفصل الثامن تبقى خاضعة للقواعد التي تحكمها)(2)، فقد فصل فيه آخرون ومن ذلك:

ثانيا – بالنسبة لحق الجلسة : يسمى أيضا حق الخلو أو حق الحلاوة، يقع عادة على عقار مبني من العقارات المحبوسة أو من أملاك الدولة، وفي الغالب يكون محله بناء معدا لغرض صناعي أو تجاري كطاحون أو فرن أو حمام أودكان(3).

هذا وقد عرفت الجلسة بتعاريف عدة يدور معظمها في فلك واحد، وهكذا فقد قيل أن حق الجلسة يعرف (بأنه كراء التبقية، الأصل فيه أن صاحب الجلسة لا يخرج من العين إلا برضاه، أو إذا أخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها، ولا يلزم التصريح بلفظ الجلسة في العقد بل يكفي أن يشار إلى أنه كراء على التأبيد(4)، ويعقب "بول ديكرو" على حق الجلسة بقوله :"صورة الجلسة إذن هي عقد إيجار مقابل مبلغ معلوم، ويقع عادة على المحلات الصناعية والتجارية، لكي يقوم صاحب حق الجلسة بتجهيزه بالمعدات اللازمة لهذه الحرفة(5).

وقد عقد أبو زهرة مقارنة بين الجلسة وما يقوم مقامها في مصر فقال : "وتشبه الجلسة ما يسمى في مصر بالجدك أو الكدك وأصله ما يقوم به مستأجر الحوانيت من إصلاحات بزيادة أعيان قائمة فيها على وجه القرار وإن لم تكن متصلة بالأرض مثل ما

---

(1)– د. مامون الكزبري / الحقوق الأصيلة والتبعية ج : 2. فقرة 479.

(2)– المرجع السابق.

(3)– المرجع السابق ص : 621.

(4)– النوازل الكبرى أو المعيار الجديد / المهدي الوزاني. ج : 8 ص : 21.

(5)– بول ديكرو/ القانون العقاري المغربي. ص : 451 فقرة 708.

يركب في العقارات من أبواب، ورفوف، ومد أنابيب الماء وتوصيل التيار الكهربائي[1].

كما تحدثت محكمة الاستيناف بالرباط في قرارها عن عناصر الملكية، فأوضحت أن عناصر الملكية تتوزع بين المالك والوقف وصاحب الجلسة بأن هناك : ملكية شرفية وملكية نافعة أو فعلية، وهكذا ذكرت ما يلي :"في قانون الجلسة الملكية النافعة في حق حائز هذا الحق الذي يستغل العقار مباشرة لمصلحته الخاصة مقابل أداء دخل عقاري لمالك الأصل"[2].

ثالثا – أما الهواء فهو الحق المقرر لشخص في الإفادة من جزء محدد من الفضاء الطليق أو العلو المرتفع فوق بناء قائم يستطيع بمقتضاه إشادة بناء له فوق البناء القائم فعلا[3].

كما عرفه أبو زهرة بقوله (حق الهواء هو الحق المقرر على عمود الهواء فوق مبنى معين، ويقع في الغالب على الأملاك الخاصة في أحياء المدينة القديمة بالمدن المغربية الكبيرة، ويتمتع صاحب هذا الحق العيني بحق إقامة محل فوق المنزل أو فوق المحل المقرر عليه حق الهواء[4].

وقد نحا الدكتور الكزبري منحى أبي زهرة فيما سار إليه حيث ذكر أن حق الهواء كثير الشيوع في الأحياء القديمة في المدن لذلك هو يقع أكثر ما يقع على أملاك خاصة، وقد أشار في هذا الصدد أن المشرع المغربي عرض لحق الهواء في الفصل 483 من قانون الالتزامات والعقود حيث قال :

"يقع صحيحا بيع جزء محدد من الفضاء الطليق أو الهواء العمودي الذي يرتفع فوق بناء قائم فعلا ويسوغ للمشتري أن يبني فيه، بشرط تحديد طبيعة البناء وأبعاده، ولكن لا يسوغ للمشتري أن يبيع الهواء العمودي الذي يعلوه بغير رضى البائع الأصلي[5].

---

(1)– انظر. محمد أبو زهرة / محاضرات في الوقف ص : 116 والمادتين 806 و 808 من مرشد الحيران.

(2)– انظر سجل قرارات محكمة استئناف الرباط. ج : 7 ص : 299 قرار 17 ماي 1933.

(3)– الحقوق العينية الأصلية والتبعية. ج 2 ص: 619.

(4)– انظر. أبو زهرة/ محاضرات في الوقف ص : 118.

(5)– مامون الكزبري / الحقوق العينية الأصلية والتبعية . ج : 2 ص : 619–620.

رابعا – وأما حق الجزاء فقد عرفه "ديكرو" بقوله : "حق الجزاء حق عيني يقبل التصرف فيه بعوض أو بغير عوض بين الأحياء أو بسبب الوفاة ويسمى الجزاء أيضا بحق الاستئجار"(1).

وقد أشارت محكمة استيناف الرباط إلى أن (حق الجزاء يسقط بعدم أداء الأجرة مدة طويلة(2). كما عرف الدكتور الكزبري حق الجزاء بقوله :"أما حق الجزاء ويقال له حق الاستئجار فهو يشبه حق الجلسة مع فارق أساسي وهو أن الجزاء يقع على الأراضي الخلاء والحقول، في حين أن الجلسة مع فارق أساسي وهو أن الجزاء يقع على الأراضي الخلاء والحقول، في حين أن الجلسة تقع كما نعلم على محلات مبيئة(3).

خامسا – وحق الزينة حسب "ديكرو: (حق يرد على قطعة أرض مملوكة للدولة، ويمكن أن يرد على حق جلسة. بمقتضى حق الزينة يقوم صاحبه بتحسينات في العقار وبناء منشآت فيه أو إحاطته بأسوار لاستخدامه حظيرة للماشية فيسمى عندئذ "حق الزريبة" ويؤدي صاحب حق الزريبة أجرة إلى المالك أو إلى صاحب الجلسة بصفة دورية)(4).

في حين يرى الدكتور الكزبري أن حق الزينة (حق يقع على عقار من أملاك الدولة الخاصة – وهو بذلك يسير مع وجهة نظر ديكرو – يؤجر لشخص يلتزم بإشادة بناء أو بإجراء تحسينات فيه، ويخول هذا الحق صاحبه الإفادة إلى وجه الديمومة فما أحدثه في العقار من بناء أو تحسين، على أن تبقى ملكية الرقبة للدولة. ويلتزم طبعا صاحب الزينة بأداء نجوم دورية للدولة، وحق الزينة كالحقوق العرفية الإسلامية التي سبق ذكرها، قابل للتداول بعوض أو بغير عوض، وفيما بين الأحياء أو بسبب الموت"(5).

سادسا – التعريف بحق المفتاح أو الحلاوة :(حق المفتاح أو الحلاوة أو الساروت مؤداه أن يدفع شخص لمالك المنفعة مبلغا في مقابل أن يتخلى له عن تلك المنفعة، وهذه هي الصورة المعروفة في مصر بالخلو أو خلو الرجل).

---

(1)– بول ديكرو / القانون العقاري المغربي ص : 451 الفقرة 710.

(2)– انظر . سجل قرارات محكمة الاستيناف المؤرخ في 1930/1/15 ج : 629. 1930/1/15 R.A.C

(3)– الحقوق العينية الأصلية والتبعية. ج 2 ص: 621.

(4)– ديكرو. ص 451 فقرة 711, ص : 452 فقرة 714.

(5)–الحقوق العينية الأصلية والتبعية ج : 2. ص : 622.

سابعا – وأما الحسكة فهي حق خاص بطائفة اليهود أو الإسرائليين بالمغرب ولذلك تعتبر من الحقوق العرفية ولكن لا توصف هنا بالإسلامية، وقد اعتبرته بعض المحاكم من الحقوق العينية بينما ضنت عليه محاكم أخرى بهذا الوصف"[1].

– هذا وقد علق الأستاذ محمد بن عبد الله على بعض هذه الحقوق بقوله : الجلسة والجزاء والزينة ضرب من إجارة الوقف، وإجارة الوقف كإجارة الملك، فيما يشترط لانعقادها، وصحتها ونفاذها في العاقدين، وفي المعقود عليه، وفي الصيغة، وفيما يترتب عليها من الأحكام والحقوق بيد أن الاحتياط لجانب الوقف، ورعاية مصلحته اقتضى أحكاما خاصة بإجارة الوقف في عدة مواضع... والذي يملك استغلال الوقف بالإجارة ونحوها من مزارعة ومساقاة إنما هو ا لناظر دون الموقوف عليه"[2].

وفي معرض حديثه عن الجزاء، وعن المقصود منه ومن إنشائه في مدينة فاس يقول الدكتور عبد الهادي التازي :"الأجزية : جمع جزاء – تعويضات تعطى مقابل استفادة من بناء على مكان ليس لك، كأن تسمح الأوقاف بغرز قناطر من بيتك في ملك ما من أملاك الأوقاف. وقد ينطق به المغاربة جميعا معقدة، وفي فاس حومات كاملة كان الناس يؤدون للأوقاف الجزاء عنها، يعني عما فيها من دور وحوانيت ومصانع بنوها في تلك البقاع، مثل جزاء ابن عامر، وجزاء برقوقة، وجزاء بن زكون، ويقال أن الأصل في هذا يرجع إلى أيام الإمام إدريس لما قال : "كل من بنى موضعا واغترسه قبل تمام السور فهو له هبة لله تعالى"[3].

وقد نشأت هذه الحقوق من أعراف كثيرا ما تكون مخالفة للقواعد الفقهية الشرعية، ولكن أمكن الفقهاء كابن سراج وابن منظور من علماء الأندلس[4] والتسولي من علماء

---

(1)– لم تعتبره محكمة مراكش في حكم 30 نونبر 1930 حقا عينيا وقالت إنه لا يسجل في السجلات العقارية، بينما اعتبرته محكمة استئناف الرباط حقا عينيا في حكمها بتاريخ 7 يناير 1941 انظر "ديكرو" الفقرتان 720–721.

(2)– دعوة الحق عدد 267. ص : 58, (اكتوبر 1987).

(3)– الدكتور عبد الهادي التازي / جامع القرويين، المجلد 3. ص : 713 (في تعليقات الفصل الثالث). وقد علق د. عبد الهادي التازي على ذلك نقلا عن الجزنائي بقوله : "فيظهر من هذا أن من بنى شيئا بعد تمام السور، إنما يكون باستئجار الأرض، وهو سبب الجزاء في بعض جهات فاس، وفي الحوالات حديث عن جزاء الأفران والأرحية والحوانيت والفنادق والطرزات والجنات"

(4)– عبد الواحد العلوي / كتاب المواريث وكتاب الأموال ص : 146.

المغرب أن يبحثوا عن تخريج لها لما لمسوه من تحقيقها لبعض المصالح التي ينشدها الناس عادة في معاملاتهم، فالقاعدة مثلا في عقود الإيجار أن تعقد لمدة معلومة، فإذا انتهت أبرم تجديد لها، أما في الحقوق العرفية الإسلامية فإننا سنرى أن العقد الذي ينشئها قد لا يحدد مدة ويضمر الافراد بالتأبيد رغم المدة المحددة وهذا ما جاء في مخطوط التماق : "إزالة الدلسة عن وجه الجلسة" في شرح السجلماسي(1).

وقد أبرز العرف عديدا من صور الحقوق العرفية الإسلامية، وهي الجلسة والجزاء والاستئجار، والزينة والهواء، والحلاوة والمفتاح، والحسكة عند اليهود، وهذه الحقوق يمكن الآن رهنها رهنا رسميا، طبقا للفصل 158 من تشريع العقارات المحفظة المعدل بظهير 7 يناير 1936، كما أنها يمكن أن تكتسب بالتقادم المكسب في رأي بعض الفقهاء(2).

هذا وقد نظم الظهير الملكي هذه الحقوق وأعطى لأصحابها صلاحية التمتع بها مقابل التزامات، وهذا نصه :"الحمد لله نسخة ظهير شريف صدر في شأن الجزاء والاستئجار والجلسة والمفتاح والزينة. يعلم من هذا المنشور الكريم المتلقى أمره بالإجلال والتعظيم أننا لما رأينا ما عليه الأحباس العامة بمملكتنا الشريفة من الضياع والتفريط في هذه الأعوام المتأخرة خصوصا فيما يرجع للجزاء والاستئجار والجلسة والزينة وشبهها مما يسمى بالمفتاح والغبطة والعرف والحلاوة ونحو ذلك، اقتضى نظرنا الشريف عرض ذلك على لجنة من العلماء تنظر في حقيقة أمرها ينتج ما يتعين شرعا وعرفا في شأنها وتحفظ بذلك حقوق الأحباس وتراعي مصلحة من بيده من عامة الناس فاجتمعت اللجنة المذكورة وتفاوضت مع رجال دولتنا السعيدة فاتضح أن الحق والإنصاف زيادة واجب الأحباس لأنه مغبون بلا نزاع ولا خلاف كما أن بيع تلك المنافع جائز لأربابها حسبما جرى به العرف في مملكتنا السعيدة، لكن حيث كان الناس تسارعوا لشراء منافع أملاك الأحباس من غير علم منهم بما في ذلك من الغبن والالتباس وتهافتوا عليها متغافلين عما يلزمهم من درء عواقبها ، رأينا من المصلحة المتعينة والرفق والشفقة على الرعية أن نأمر بما لا يجحف بعامة الناس ولا يبقى فيه غير

---

(1)- السجلماسي/ العمل الفاسي. الجزء الأول من هذا الشرح ص : 353.

(2)- بول ديكرو/ القانون العقاري المغربي. فقرة 5. ص : 19.

يجحف على جانب الأحباس، فأصدرنا شريف أمرنا بالعمل بالفصول الآتية :

- **الأول** : إن منفعة الجزاء وما ذكر أعلاه باقية ثابتة على ما كانت عليه سابقا لمن بيده شيء منها على وجه مسلم في ذلك.

- **الثاني** : يسوغ لمن بيده ذلك أن يتصرف فيه بالبيع ونحوه على مقتضى ما تضمنته فصول هذا الظهير الشريف.

- **الثالث** : يقسم الكراء المتحصل من الأملاك التي فيها الجلسة وما عطف عليها على النسبة الآتية سبعون بالباء الموحدة في المائة لصاحب المنفعة والثلاثون الباقية لجانب الحبس على حسب التدريج الآتي في ا لفصل الخامس.

- **الرابع** : يعفى الناس من كل زيادة عما يؤدون الآن من جانب الحبس لمدة من عامين اثنين يأتيان من أول ربيع الثاني من عام تاريخه مراعاة للحالة الوقتية والمصلحة العمومية لما هو حاصل في غلاء الأسعار.

- **الخامس** : سيكون تدريج ما يأخذه الأحباس من الكراء الحقيقي على الكيفية الآتية فعند انصرام العامين المذكورين من أول ربيع الثاني عام 1332 إلى منتهى ستة أعوام يدفع أصحاب الجلسة وما عطف عليها خمسة عشر في المائة وعند تمامها يدفعون عشرين في المائة إلى ستة أعوام أخرى بعدها، وعند تمامها يدفعون خمسة وعشرين في المائة إلى ستة أعوام أخرى كذلك، وعند تمامها وعلى منتهى العشرين سنة، تكمل للأحباس الثلاثون في المائة المذكورة في الفصل الثالث.

- السادس : لا يزاد ولا ينقص في واجب الحبس على النسبة المتقدمة وسيتم العمل بذلك دائما بحيث تكون الثلاثون في المئة هي واجب الحبس من الكراء الحقيقي.

- السابع : من كان يدفع أكثر من خمسة عشر أو عشرين أو خمسة وعشرين أو ثلاثين في المائة في كل مدة من المدد المحدودة لذلك فإنه يستمر على دفع ما كان يدفعه سابقا إلا إذا زادت النسبة المذكورة على ما كان يدفعه فإنه تلزمه الزيادة.

- الثامن : تقدير الكراء في المدد المذكورة يكون بواسطة لجنة تعينها إدارة الأوقاف عند اقتضاء ذلك في كل ثلاثة أعوام فتقوم اللجنة في الجلسة وما أشبه ذلك في المفتاح والزينة الكراء الحقيقي وتقوم في الجزاء المعبر عنه أيضا بالاستئجار ثمن رقبة البقعة وبحسب ستة في المائة لكرائها كل سنة ويؤخذ منه واجب الأحباس الذي هو ثلاثون

في المائة قطعا للتشاح وحسما لمادة النزاع.

- **التاسع** : جميع ما يلزم من الصوائر للبناء والأصلاح في نفس الجلسة والمفتاح وشبهها بخلاف الجزاء والاستئجار فإنه يكون على الجانبين بحسب النسب المتقدمة كل في وقته بعد الموافقة مع جانب الأوقاف وكذلك الضرائب.

- **العاشر** : المكلف بتنفيذ ما تضمنه هذا الظهير الشريف فيما يرجع للنظار أو مراقبهم خديمنا الحازم الأرشد مدير عموم الأوقاف بمملكتنا السعيدة الطالب أحمد اللجائي سدده الله.

فنأمر جميع خدامنا من القضاة والعمال وولاة الأمر والأعمال أن يعلموا ذلك ويعملوا بمقتضاه ويشدوا العضد في إجرائه والسلام. صدر به أمرنا المعتز بالله في فاتح ربيع الثاني عام 1332"(1).

ومن تعريفات هذه الحقوق العرفية الإسلامية والتعليق عليها، إلى موقف الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي من الجلسة وممن أهملها وهو ما يشكل الفصل الثاني من هذا الباب.

---

(1)- الحوالة السليمانية ص : 467 في جزئها الثاني. وقد ذيل الظهير الشريف لسيدي محمد بن يوسف بما يلي : (نسخة مطابقة للأصل. الإمضاء أحمد الجاي لطف الله به وبصحة المقابلة والمماثلة يشهد به عبد ربه في 8 شوال عام 1381 موافق 14 مارس 1962).

الفصل الثاني

موقف الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

من الجلسة وممن أهملها.

المبحث الأول :

أصل الجلسة.

ليس للجلسة في الشرع أصل يعلم، وهذا ما أكده كثير من الفقهاء، ونقلته كثير من نصوص الحوالات، وفي مقدمة هؤلاء الفقهاء الشيخ عبد القادر الفاسي الذي أجاب بما يلي عندما سئل عنها : "أما مسألة الجلسة التي جعل الناس لها اصطلاحات وقوانين قلما يجري ذلك على أصول الشريعة، والأصل الذي يصح من ذلك أن يعقد الحانوت أو غيرها ويجعل فيها مواعينه إلى مدة معلومة معينة. فإذا انقضت المدة احتاج إلى العقد مرة أخرى. ومن ملك منفعة فله أن ينتفع فيها بنفسه أو يوليها غيره ما دامت جلسة الكراء باقية، فإذا لم يجدد فلايجوز له التحجير على صاحب الأصل ويمنعه من تصرفه فيها إذ ليس شريكا ولا مالكا معه. هذا صريح الفقه وقاعدة الشريعة[1].

ويستخلص الدكتور السنهوري أن أنواع الإيجار الدائم أو طويل المدة ليست من خصائص الحقوق العرفية الإسلامية المغربية وحدها، فالكثير من البلاد العربية كمصر والعراق وسوريا تعرف أنواعا من الإيجار طويل المدة أو الدائم تحت أسماء مختلفة خاصة في الأوقاف. ويقول في هذا الصدد :"وهذا الإيجار يسد حاجة اقتصادية وحاجة اجتماعية : أما الحاجة الاقتصادية فهي تعمير الأراضي والمباني الخربة التي لا يستطيع الملاك تصليحها فيؤجرونها إلى من يستطيع ذلك ويميل المستأجر في الغالب إلى أن يكون الإيجار دائميا أو لمدة طويلة حتى يطمئن إلى أن الأموال التي سيقفها في التصليح أن يبقوا ملاكا مع جعل حق الملكية تتجزأ بينهم وبين من هم أكثر صلاحية منهم لاستغلالها"[2].

ويذكر الوزاني فتوى للعربي بردلة بشأن جلس الحوانيت التي يتنافس الناس على شرائها والتي حاول الملاك الأصليون لها أن يفسخوا عقود كرائها ليؤجروها لآخرين بثمن أعلى، وكان من بين أصحاب هذه الجلس أيتام ومحاجير اشتريت هذه

---

(1)– السجلماسي/ نظم العمل الفاسي ص : 253. (شرح العمل الفاسي / محمد بن قاسم السجلماسي. طبعة حجرية).
(2)– السنهوري / الوسيط في القانون. ج : 6 فقرة 794 ص : 1422.

الأخيرة من أجلهم باعتبارها استثمارا مربحا لأموالهم، فقال : "لا ينزع من بين أيديهم ما داموا قائمين بالمصلحة التي أحدثت الجلسة من أجلها وهي حياطة الحوانيت والقيام بأحوالها والاعتناء بإصلاحها والتزام كراء منفعتها عمرت أو خلت. فما دام صاحب الجلسة قائما بتلك المصلحة فكراؤه على التبقية لا يخرج ولا ينزع من يده.... أن صاحب الجلس يسامح في الوجيبة (الأجرة) عن غيره وينقص على قدر مصلحته، ولا يكلف بجميع ما يعطيه غيره الذي يريد منفعته في وقت معين كعام مثلا، ويتركها لما جرت عليه العادة من التخفيف على الأول الذي يكون على البقاء فيها دائما لأنه يراعي مصالحها ويحوطها ولا يغفل عما تحتاج إليه من إصلاح وغيره، لأنه عنده بمثابة أصوله، فهو يناضل عنها ما أمكن، ويبذل جهده في عمارتها وذلك ذريعة إلى ما هو المطلوب من بقاء الحبس ودوامه وعدم تغييره[1].

المبحث الثاني :

مصير الجلسة

باستعراض أهم الفتاوي التي تطرقت لموضوع الجلسة تلك التي أدرجت في كتب النوازل أو في الحوالات الحبسية وخاصة الحوالات الإسماعيلية، يتضح أنه لا جلسة لمن أهملها أو تخلى عن أداء الوجيبة الكرائية عنها مدة طويلة، ذلك أن أهم ما يلتزم به صاحب حق الجلسة أداء الكراء عنها وعدم إهمالها أو تركها للخراب دون رعاية وصيانة مستمرة، وعليه فإذا اختل شرط من الشرطين السابقين أو هما معا لم يعد له حق في هذه الجلسة، وكأنما تنازل عنها بمحض إرادته. فما من شك أن من أهمل شيئا يرغب عنه، ومن اهتم به رغب فيه، ولذلك فكل المهتمين من الفقهاء أو المفتين الذين خاضوا في مسألة الجلسة جعلوا هذا المثل نصب أعينهم وحكموا بمضمونه.

وهكذا فأول ما يلتزم به صاحب حق الجلسة أداء وجيبة شهرية إلى مالك الرقبة[2]. وهو ما أكدت عليه الحوالة الإسماعيلية في أحد نصوصها بعد أن ذكرت ما يتوجب على صاحب الجلسة إزاء صاحب الرقبة سواء كان ناظرا أو مالكا ومما

---

(1)– المهدي الوزاني / النوازل الكبرى، ج : 8، ص : 108 (أو المعيار الجديد – طبعة حجرية).

(2)– استئناف الرباط في 17 مايو 1933، مجموعة أحكام محكمة استئناف الرباط . ج : 7، ص : 299.

جاء فيها :"ويكون مع ذلك متكلفا بوجيبتها للحبس على النصف من التمكين من الوجيبة غير مماطل ولا مسوف عمرت الحانوت أو خلت، نفعت أو كسدت، كانت مرغوبا فيها أو مرغوبا عنها، فلأجل ذلك إلى ما وصف من مراعاة مصلحة حياطتها والتكفل بواجبتها مطلقا كأن يتسامح في الكراء عن غيره الذي يكتريها مدة معينة لأن شأن هذا الاقتصار على استيفاء منفعته في تلك المدة ولا عليه فيما وراء ذلك"[1].

وهذه الأجرة قد تكون أجرة المثل، وقد تنقص عنها، ويراعي في ذلك أن الجلسة تكون لمدة طويلة بل وغير محددة، وأن صاحبها ملتزم بالإصلاحات فيها، وأنه ليس من مصلحة الوقف استبدال المستأجر على فترات قصيرة لأنه قد تمر شهور لا يعثر فيها على مستأجر خاصة في القرون الماضية والأجرة المتفق عليها هنا تكون مستحقة في جميع الأحوال (سواء عمرت الحانوت أو خلت، نفقت أو كسدت، كانت مرغوبا فيها أو مرغوبا عنها)[2]. دامت على السلامة أو غيرها، انتفع صاحب الجلسة بالعين أم لم ينتفع بها[3].

وإذا تبدلت الظروف وارتفعت أو انخفضت أجور العقارات عامة، فإن هذا يستوجب إعادة النظر في أجرة حق الجلسة، ولكن لا يعاد النظر أثناء مدة الإجارة الأصلية بل في نهايتها، ولا أثناء سريان فترة بتجديد لها، بل في نهاية فترة التجديد، وإذا اتفق المالك أو ناظر الوقف مع صاحب الجلسة على تقدير جديد للأجرة نفذ اتفاقهما، وإن تشاحا الزم ذو الجلسة بأجرة وسط على المعروف وقت التشاح من علو أو نزول أو توسط بقدر ما يشهد العرف أنه عدل[4].

وقد يرفض المالك الزيادة أو النقص المقدر ويطلب (تقويم الجلسة) أي إعادة تقدير محتويات المحل وعناصره، ووضع تقرير جديد لها بواسطة أهل الخبرة، باعتبار ما تساويه وهي قائمة متصلة بالأصل لا باعتبارها انقاضا منفصلة عنه، ومن حق صاحب الجلسة أن يرفض التقويم، ويتمسك بالأجرة الوسط المتعارف

---

(1)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 434 جاء ذلك عندما كان المفتي بصدد الرد بعدم تمليك الجلسة لمن لم يقم بأمرها ولم يؤد ثمن كرائها.

(2)– الوزاني / النوازل. ج : 8. ص : 120

(3)– السجلماسي/ نظم العمل الفاسي. ج : 1. ص : 350.

(4)– محمد بن سودة نقلا عن الوزاني. ج : 8. ص : 133–134.

عليها، ولكنه في هذه الحالة لا يملك أن يبقى في العين رغم أنف المالك، وإنما يكون عليه أن طلب المالك ذلك أن يرفع انقاضه في نهاية مدة الإجارة السارية من العين[1].

هذا ولم تكن الأجرة تثير مشكلة في الغالب بين الوقف أو الحكومة وبين أصحاب حق الجلسة، وإنما كان يقع الخلاف غالبا بين أصحاب الأملاك الخاصة و بين أصحاب حق الجلسة، والأساس المعتمد لحل المشكل بصفة عامة هو عدم انفراد المالك بتجديد الزيادة، بل يكون ذلك بالاتفاق أو بحكم القاضي، يقول الوزاني في هذا الصدد : "ولو كان الحكم أن يتحكم صاحب الأصل المحبس في الغرس ومالك المواعين في الجلس لأدى لخلاء الأسواق بسبب رفعهم الأجزية والأكرية فوق الغاية وإنما الناس يجرون على أعرافهم وعوائدهم والعادة محكمة"[2]، ثم يضيف معقبا على الغاية من تنافس مشتري حق الجلسة على الأملاك المخزنية، وعلى العقارات الموقوفة على غير معينين كالوقف على المساكين وعلى المساجد، ويشترون حق الجلسة أو حق الجزاء في هذه الحالات بأعلى الأثمان، ويزهدون في شراء هذه الحقوق على العقارات المملوكة ملكا خاصة أو الموقوفة على معينين[3].

ولكن ما العمل لو وقعت زيادة في كراء الجلسة، أو أهمل المكتري جلسته ؟ وما موقف المكتري صاحب هذه الجلسة من الزيادة في كرائها ؟ ذلك ما يشكل المبحث الثالث من هذا الفصل.

المبحث الثالث :

موقف المكتري من الزيادة في الكراء وموقف الفقه ممن أهمل جلسته.

لقد تصدى للجواب على التساؤل السابق صاحب كتاب (البهجة) إذ جعل لمكتري الجلسة الخيار وقال :"فإذا وقعت عليه زيادة في الكراء فإن شاء أخذه بتلك

(1)- الوزاني/ النوازل. ج : 8. ص : 134 – السجلماسي / العمل الفاسي ج : 1. ص : 351.
(2)- نفس المرجع ونفس الصفحة.
(3)- نفس المرجع ص : 135.

الزيادة (يعني حق الجلسة) وكان أحق به من الذي زاد عليه، وإن شاء أخذ انقاضه، أو رفع نزاعه إن امتنع ذو الأصل من إبقائه بكراء الأول. فتقديم المكتري على الغير بما أعطاه ذلك الغير من الكراء، وانعقاد ضمائرهم عليه عند العقد هو المعبر عنه في الاصطلاح بالكراء على التأبيد ولكن لما كان أحق به بتلك الزيادة لم يزد أحد في الغالب عليه لعدم الفائدة(1).

غير أن عدم أداء هذه الوجيبة الكرائية لمدة معينة، لاشك يفقد صاحب حق الجلسة حقه هذا، وهو ما أشار إليه محمد الفاسي أثناء إفتائه في الموضوع حيث أوضح أن التماطل في أداء الكراء لمدة طويلة يفقد المتماطل حقه فيها، وقال في هذا الصدد : "إن أهمل هذا المكتري أو من تنزل منزلته بإرث أو شراء الأصل وتركه للضياع ولم يستمر على أداء وجبيته في كل شهر، وتطاولت الأماد على ذلك بطل ما جعل له من التبقية لعدم القيام بشرطها... وبقي الأصل حراسا لما لريه لا جلسة فيه:"(2).

ومن الملاحظ أن هذه الفتوى لا تحدد مدة معينة يسقط بها حق الجلسة.

وإذا كان أول ما يلزم به صاحب الجلسة أداء كرائها على التبقية، فإن ثاني ما يلتزم به هو المحافظة على المكترى والقيام بجميع الإصلاحات الضرورية صيانة له ومحافظة عليه. جاء في الحوالة الإسماعيلية : "... يقوم بأمورها ويحوطها ويناضل على حقوقها ومرافقها ويسعى في عمارتها ويقف لإصلاحها وقوف المالك على ملكه العزيز عليه...."(3) وهو نفس الاتجاه الذي سار عليه الوزاني، إذ جعل صاحب الجلسة وكأنه ناظر عليها يهمه صلاحها، وفي ذلك يقول : ".... بمثابة الناظر عليها يقوم بأمورها ويحوطها ويناضل على حقوقها...."(4).

ولو أهمل المكتري جلسته وأصبحت مهددة بما يجعلها غير صالحة ولم يقم بالإصلاحات اللازمة للمحافظة على العين سقط حقه في هذه الجلسة، وإلى هذا

(1)– التسولي/ البهجة في شرح التحفة ج : 2. ص : 120.
(2)– الوزاني/ النوازل. ج : 8. ص : 131 انظر الفتوى كاملة في الملاحق (الملحق الخاص بالجلسة)
(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. النص الثالث من صفحة 433.
(4)– الوزاني / النوازل ج : 8 ص : 129–130 وهي نفس العبارات التي تضمنتها فتوى الحوالة.

المعنى تشير الحوالة نفسها فتقول : "... كما إذا تغافل صاحب الجلسة عن الحانوت وأهملها وتركها للخراب أو نحو ذلك فلم تبق له فيها جلسة...."[1] وهو نفس المنهج الذي نهجه الوزاني نقلا عن القاضي بن سودة الذي لم يتردد في الحكم على مهمل الجلسة بحرمانه منها، فقال : "فإن أهمل هذا المكتري (الأصل) وتركه للضياع فقد ارتفعت الجلسة وبطلت وبقي الأصل حرا سالما لربه لا جلسة فيه، فله أن يبيعه كذلك ولا يستأنف تمليك جلسته لأحد، وله أن يستأنف تمليك جلسته لمن يريد... وأما توهم أن الجلسة إذا لم تبق لصاحبها لإهمال الأصل وعدم القيام بأموره تبقى لغيره أي كالوارث مما لا معنى له لأنها كما تقدم عقد كراء على التبقية على شرط متعارف، فإن اختل الشرط اختل العقد، فلم تبق جلسة، فبقي الأصل لمالكه لا جلسة فيه يكريه لمن شاء بعد أن كان في يد صاحب الجلسة هو الذي يكريه منه لا غيره، إلى أن يخرج صاحب الجلسة ... فلا معنى لمنازعته في الجلسة بعد إبطالها لإبطال عقدها"[2].

ولم يفت الدكتور السنهوري أن أعطى أمثلة على إهمال الجلسة، وسبب كرائها بثمن بخس، وحاول في تعليقه على هذا الكراء أن يقف إلى جانب مكتري العين الذي يحافظ على جلسته من أي ضرر أو خراب ويؤدي كراءها، وهكذا وبعد أن تحدث عن مصر والبلاد الإسلامية التي عرفت الإيجار الطويل الأمد بسبب قيام نظام الوقف بها، قال : "فالأعيان الموقوفة وهي خارجة عن التداول تنتهي عادة إلى أن تكون أراضي بورا أو مباني مخربة دون أن يستطيع الوقف أن يصلحها. ولما كانت القيود على إيجار الوقف كثيرة ولا يمكن إيجار الوقف لمدة تزيد على ثلاث سنوات إلا بإذن القاضي وقل أن يوجد مستأجر يقبل هذه القيود ويغامر بالكثير من النفقات لإصلاح العين ثم يخرج منها دون طائل، ولما كان يندر أن يكون للوقف مال يصلح به أعيانه المخربة، ولا يستطيع أن يبيعها إلا عن طريق الاستبدال ولا يجد مشتريا إلا بأقل الأثمان، وتنقطع بذلك صلة الوقف بالعين نهائيا، ومن أجل ذلك نشأت فكرة إيجار العين الموقوفة المخربة إيجارا دائما أو لمدة طويلة فيأخذ الوقف أجرة زهيدة حتى لا تنقطع صلته بالعين من شخص يقوم على إصلاح العين ثم استغلالها بعد

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 334 (اخر الفتوى).

(2)- الوزاني / النوازل . ج : 8 ص : 131-132 . انظر الفتوى كاملة في الملاحق (الملحق الخاص بالجلسة).

ذلك فيسترد ما دفع من نفقات كبيرة على المدى الطويل...."[1].

كما تعرضت فتوى بالحوالة السليمانية لمسألة إهمال الجلسة، وأوضحت بما لا يدعو إلى شك أن من أهمل جلسته سقط حقه فيها، وفيما يلي نص الفتوى بعد إثبات نص السؤال "الحمد لله سيدي – رضي الله عنكم – جوابكم عن فرن كانت به جلسة لأحد الناس تهدم، واستمر مهدما، نحو أربعة عشر عاما، ومالك جلسته متغافل عنه لم يلتفت طول هذه المدة يوما إليه، فهل له والآن بعد المدة رام ربه بناءه وإصلاحه، فهل لصاحب الجلسة أن يبقى على جلسته الأولى ويكون له التلكم في ذلك والمقال أم لا متكلم له في ذلك؛ ولا مقال لإهماله الفرن المدة المذكورة، وفي علمكم ما افتى به الشيخ الإمام سيدي العربي بردلة[2].

من بطلان الجلسة بإهمال صاحبها للأصل حيث تهدم وبقي الآماد الطويلة كما في النازلة. أجيبوا مأجورين والسلام .

ونص الجواب الأول بعده الحمد لله الجواب والله الموفق بمنه للصواب أن الجلسة المسؤول عنها حيث تهدم أصلها وأهملها من كان يقوم بأمرها المدة المذكورة في السؤال معرضا عنها وعن كراء أصلها فلاجلسة له حسبما أفتى به شيخ شيوخنا سيدي حمدون المزوار[3]. في حانوت بمقربة باب السلسلة[4]، سقطت، باب الحانوت أنها سقطت لا تبقى فيها لصاحب الجلسة جلسة. وعلله شيخنا آخر المحققين سيدي العربي بن أحمد بردلة رحمه الله قائلا : وكان سقوط الحانوت مظنة لإهمالها وترك القيام بمصالحها،وذلك مناقض لما جعلت الجلسة له، وهذا إذا بقيت متهدمة، وأما إذا قام صاحب الجلسة ببناء الحانوت وحاطها وصانها فسيبقى حينئذ على جلسته لأن المعنى الذي جعلت الجلسة له قد قام به وأحسن القيام،

---

(1)– السنهوري/ الوسيط ج : 6. فقرة 795 ص : 1436 وما بعدها.

(2)– العربي بن أحمد بردلة (ت : 1333) : محقق، شيخ الجماعة بفاس وقاضيها. له أجوبة ورسائل مفيدة (شجرة... ص : 333).

(3)– حمدون المزوار : ابن محمد ابن موسى الإمام، حافظ المذهب، أخذ عن ابن عاشر وغيره، تولى خطابة جامع الأندلس، ووقعت بينه وبين الشيخ ميارة محاورة في مسألة علمية، وله فتاو حسنة، وحاشية على المختصر مشهورة توفي سنة 1066 هـ انظر: الشجرة ص: 309 عدد 1199.

(4)– باب السلسلة : شارع ضيق بفاس المدينة، يوجد بين قنطرة الطرافين جانب الصباغين، ورأس الشراطين، وهو عبارة عن ممر يكثر به ا لمارة وازدحام الراجلين إلى درجة أنك لا ترى في بعض الأوقات، أين تضع قدميك.

ثم قال :"والحاصل أن من لم يلتزم وجيبة الأصل فلا جلسة له إذ لا تدوم له الجلسة إلا إذا اكترى الأصل من متولي النظر عليه إلى آخر كلامه. وعليه فصاحب الجلسة المسؤول عنها إذا استمر على إهمالها بعد تهدمها المدة المذكورة في السؤال ولم يدفع كراءه فذلك إعراض عنها، فلا جلسة له لضياعه المعنى الذي جعلت له على غير أساس شرعي، وإنما حكمت به العوائد على القواعد وغلبت العامة على الخاصة. كما قال شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد المسناوي[1]. نفع الله بجميعهم، وإنما اقتصرنا على كلام هؤلاء الأئمة لعلمهم بأعراف البلد ومقاصد العوائد بهذه الحضرة الإدريسية صانها الله، فمن بعدهم في هذا وأمثاله عالة عليهم...."[2].

مناقشة واستنتاج :

بالنظر إلى مضمون الفتوى المسطرة أعلاه، يتضح شموليتها لموضوع الجلسة، وتفصيلها في إهمال صاحبها لها، وتماطله في أداء الوجيبة الكرائية عنها، وإصدار الحكم عليه.

غير أن الإشكال الذي يطرح نفسه بحدة، هو : ما هي مدة الإهمال المسقطة لحقه في هذه الجلسة ؟ وبكم تقدر مدة التماطل حتى يحرم من جلسته ؟

فالفتوى أعلاه تعالج سؤالا حول إهمالها لمدة أربعة عشر عاما، وبالنظر إلى الفتاوى السابقة التي تعرضت لمسألة التماطل، ظل هذا التماطل على إطلاقه، وبالتالي لم يحدد المفتون أية مدة يصبح صاحب حق الجلسة بمرورها قد أخل بشرط أداء الكراء، وينطبق عليه التماطل الذي يفقده حقه فيها. فكيف ينبغي تحديد هاتين المدتين ؟

الواقع أن الفقهاء لم يحددوا مدة معينة موجبة لإسقاط هذا الحق ولم يفرقوا كذلك بين الإصلاحات الجسيمة والإصلاحات الخفيفة التي هي على عاتق صاحب الجلسة.

---

(1)– أبو عبد الله محمد المسناوي (ت : 1136) : الإمام العلامة العمدة الفهامة أخذ العلم عن أبيه، وعنه إبنه والشريف الوزاني (شجرة 333).

(2)–الحوالة السليمانية . ص : 452.

وإذا كان هذا الأخير مثقل الكاهل بهذه الإصلاحات وبأداء الكراء الشيء الذي يخوله حقوقا لا تخول عادة إلا لمالك الشيء. ومن ذلك مثلا : له أن يستعمل العين بنفسه، وله أن يستغلها بتأجيرها لغيره، وله كذلك أن يتخلى عنها لغيره بعوض أو بغير عوض (وإذا مات ينتقل حقه فيها إلى ورثته)(1).

كما أن الفقهاء اختلفوا في جواز أو عدم جواز الشفعة فيها(2)، بينما ذهب البعض الآخر إلى جوازها(3).

أما الحوالة الإسماعيلية فأوضحت أن الشفعة لا تجوز إلا على البناء القائم. جاء في إحدى الفتاوى بها :"إن الجلسة والأجزية في الأحباس منزلة منزلة الملك وقائمة مقامه، ولذلك جرت الشفعة في البناء القائم على أرضه كما في التوضيح وغيره...." (4).

وهكذا يستشف أن هذه الفتوى وقفت موقفا وسطا بين القائلين بجواز الشفعة والمعارضين لها، فلم تحرم الشفعة، ولم تتركها على إطلاقها، وإنما قيدتها بشيء خاص هو تحديدها في البناء فقط.

هذا وقد ا ستخلص الأستاذ محمد بن عبد الله بعض ما يميز الجلسة ويدور في فلكها من جزاء وزينة حتى لا يقع خلط بينه وبين حقوق أخرى فقال : "الجلسة والجزاء والزينة ضرب من إجارة الوقف، وإجارة الوقف كإجارة الملك فيما يشترط لانعقادها وصحتها ونفاذها في العاقدين، وفي المعقود عليه وفي الصيغة وفيما يترتب عليه من الأحكام والحقوق ، بيد أن الاحتياط لجانب الوقف، ورعاية مصلحته اقتضى أحكاما خاصة بالإجارة ونحوها من مزارعة ومساقاة إنما هو الناظر دون الموقوف عليه"(5).

---

(1)– ديكرو / القانون. فقرة 708 . ص : 450 .

(2)– أبو الشتاء بن الحسن الغازي الشهير الصنهاجي/ مواهب الخلاق على شرح التاودي للامية الزقاق ج. 2. ص : 305. ط الرباط 1955.

(3)– نفس المرجع ونفس المصلحة.

(4) الحوالة الإسماعيلية رقم 46. بداية الفتوى . ص : 433.

(5)– محمد بن عبد الله / دعوة الحق، عدد 267 .ص : 58 (اكتوبر 1987).

وقد عبرت محكمة استئناف الرباط في بعض قراراتها عن توزيع عناصر الملكية بين المالك أو الوقف وصاحب الجلسة بأن هناك : ملكية شرفية وملكية نافعة أو فعلية فقالت في قرارها : "في قانون الجلسة الملكية النافعة من حق حائز هذا الحق الذي يستغل العقار مباشرة لمصلحته الخاصة مقابل أداء دخل عقاري لمالك الأصل"[1].

ولكن هل يطبق على الجلسة في الحوانيت والأرحية ما يطبق نفسه على الحمامات؟ يجيبنا على ذلك : النازلة التي وقعت سنة 1025 هجرية وملخصها أن رجلا اكترى حماما للوقف من أحد النظار، وأحدث في الحمام مواعين، وبنى بموضع البرمة برجا لطبخ الصابون وسنة بعد ذلك ولى العقدة التي بيده لرجل آخر وباع له المواعين المذكورة وسماها في رسم التبايع. مات هذا المشتري فأكرى ورثته الحمام لغيرهم وادعوا أن جلسته ملك لهم ورثوها عن موروثهم الذي اشترى المواعين، الشيء الذي جعل الناظر يستفتي أئمة الوقت فافتوه بفتوى طويلة نجتزئ منها هذا المقطع : "... وعليه فما أحدثه المكتري من تولية العقدة في التاريخ المذكور وبيع الماعون ابتياتا على الأحباس وجهله الموثقين.... ولا حجة فيما مضى من السنين كانت بلفظ اكترى فإنه عليه لا له... وقد أفتى جماعة من المحققين أن الجلس بدعة باطلة وبلية متى أمكن التنصل عنها أزيلت.."[2].

ومما يستفاد من الفتوى السابقة أن المكتري لا حق له في الاعتقاد بأنه أصبح مالكا للجلسة من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن هذه الجلس بدعة باطلة، ولكن الناس يخوضون فيها بيعا وشراء. الشيء الذي يفهم منه أن المفتي يرجو هؤلاء الخائضين التنحي عن فكرة الجلسة ومحوها من أذهانهم.

غير أنه يلاحظ ومن جهة أخرى عن سؤال " بما أن العرف بفاس مقرر بالجلسة في الحوانيت والأرحية والأفران، هل يجرى به في الحمامات ؟

إن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي في جوابه عن جلسة في

---

(1)– سجل قرارات محكمة استئناف الرباط. ج : 7. ص : 299 . قرار المحكمة : 1933/5/17.

(2)– الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 433 لم تحمل الوثيقة أي توقيع ، ولكنها ذيلت بتاريخ أواسط شهر شعبان عام 1109 هـ انظر الفتوى. كاملة في الملاحق (الملحق الخاص بالفتاوى).

يد رجل وله رسم شراء لها، ورسمان أخران قبل شرائه تضمن كل واحد منهما نصف الجلسة المذكورة لإدعاء ناظر الأحباس أن المالك بالرسم إنما يملك الأقباب وما بيده، ولا جلسة له، قال :"إن الجلسة المذكورة ثابتة للمشتري بحوزه وتصرفه مع رسوم الأشرية التي بيده ولا معاوض أقوى يدفع عنها وينتزع ما بيده.... وإنما الأقباب ماعون، والجلسة معبر عنها بالماعون لعدم دقة الموثقين في التعبير.. ولا فرق في ذلك بين الفرانين والأرحية والحوانيت والحمامات إذ كل منها عقد الكراء كما جاء بذلك الإمام شقرون التلمساني، والقاعدة أن من ملك المنفعة فله التصرف فيها بنفسه، أو يولي غيره، بخلاف تمليك الانتفاع كما قرر ذلك القرافي[1]. وغيره"[2].

كذلك يتبادر إلى الذهن التساؤل الآتي : هل يحل للمكتري الذي ولى العقد بعد سنة واحدة أن يقول بحقه في الجلسة، وذلك عملا بمقتضى ما يشاع على ألسنة بعض التجار من أن القوانين الحديثة تعطي هذا الحق لكل من أدى سنتين من ضريبة الأرباح ؟ أو أن المفتي في الفتوى ما قبل الأخيرة لم يقصد أداء ضريبة الأرباح التجارية وإنما منع هو هذا الحق على إطلاقه، خاصة وأن الخوض في هذه الأمور كان سنة 1025هـ، كما هو مثبت بالنص المذكور أعلاه والتجارة لا تكاد تذكر بالنظر إلى ما هي عليه اليوم من تقدم وازدهار ورواج....

وعلى كل، وأياما كان الجواب فالذي يثير الانتباه فعلا هو مضمون العبارة الأخيرة في الفتوى (جلس بدعة باطلة وبلية، ومعلوم أنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن كل بدعة ضلالة وأن كل ضلالة في النار (أي صاحبها في النار). ترى هل كان هذا الجزم من طرف الجماعة من المحققين مستندا على أصل شرعي من الكتاب أو السنة أم كان مستندا على شيء آخر ؟ . الجواب على هذا هو ما يشكل الفصل الثالث من هذا الباب.

---

(1)- القرافي (ت : 867) إمام عمدة فهامة حافظ، كان يملي في وقت واحد على سبعة أنفس من إنشائه(شجرة ص : 256) .

(2)- مخطوط "إزالة الدلسة عن وجه الجلسة / محمد بن أحمد التماق. تحقيق المخطوط ص : 64.

الفصل الثالث :

آراء حول كنه الجلسة ومفهومها

إن الواقع الذي لا مفر منه، وينبغي أن لا يغيب عن ذهن أي كان، أن الناس تخوض في هذه الجلس خوضا غريبا، بل إننا نجد في مدينة فاس على الخصوص، وفي بعض الحوانيت أن جلسها تساوي أربع أو خمس مرات ثمن أصلها[1].

فما الأصل في إباحة تمليك حق الجلسة لمكتريها ؟

إن جماعة كبيرة من الفقهاء ومفكري عصرنا يفتون بمشروعية الجلسة، ومن بينهم : الشيخ محمد الغزالي، والداعية الفقيه أحمد المحلاوي، والدكتور عبد الله شحاته، وفضيلة الشيخ السيد سابق الذي ذكر في كتابه (فقه السنة) ما يلي : "يجوز للمستأجر أن يؤجر العين المستأجرة، إذا قبضها بمثل ما أجرها به، أو أزيد، أو أقل... وله أن يأخذ ما يسمى ب (الخلو)"[2].

ومن بينهم كذلك الأستاذ مشهور حسن محمود سليمان الذي اعترف أن الموضوع شغل بال كثير من الباحثين فقال : "ولا شك أن مسألة الخلو[3] من القضايا والحوادث التي لفتت أنظار الباحثين وشغلت بالهم، وليس ذلك حديثا فحسب وإنما منذ القرن التاسع الهجري"[4]. وإلى مشروعية (الخلو) ذهب الدكتور وهبة الزحيلي في موسوعته[5]، والدكتور عبد العزيز الخياط[6]. وغيرهما.

أما من وجهة نظر القانون :

فإن الفصل الأول من الظهير الشريف بتاريخ 19 رجب 1333/2 يونيو 1915 يشير

---

(1)- لقد وقفت بنفسي على عينة من هذه الحوانيت برأس الشراطين بفاس المدينة، وهو شارع يكثر به المارة ويؤدي إلى ضريح المولى إدريس.

(2)- انظر : جريدة الشرق الأوسط/ مقال للدكتور عبد الحليم اعويس، تحت عنوان : قواعد أساسية في فقه المعاملات (الخلوات من وجهة نظر المبيحين). وقد استعرض أسماء مجموعة الفقهاء والمفكرين الذين يفتون بمشروعية الخلو.

(3)- خلو الرجل : هو المصطلح المتعارف عليه في مصر وبلاد الشام، أو (المفتاح ، أو الزينة، أو الجلسة، كما هو معروف عند أهل المغرب) أو (القفلية، أو السرقضلية، كما يطلق عليها العراقيون)، أو (الفروغية، كما هو معروف عند بعض أهل الشام)، أو (أو نقل القدم ، أو خلو اليد، كما ورد في بعض كتب الفقه.

(4)- مشهور حسن محمود سليمان / الوعي الإسلامي، عدد 281 ص : 83 ، سنة 1408 هـ

(5)- الدكتور وهبة الزحيلي / الفقه الإسلامي وأدلته ج : 4/ ص : 752.

(6)- الدكتور عبد العزيز الخياط/ نظرية العرف ص : 102.

إلى أن منفعة الجزاء والجلسة وما ذكر أعلاه (يقصد الاستئجار والزينة وشبهها مما يسمى بالمفتاح والغبطة والعرف والحلاوة، ونحو ذلك) باقية ثابتة على ما كانت عليه سابقا على مقتضى ما تضمنه فصول الظهير.

وينص الفصل الثاني على أنه يسوغ لمن بيده ذلك أن يتصرف فيه بالبيع ونحوه على مقتضى ما تضمنه فصول الظهير.

وينص الفصل الثالث وما بعده على كيفية تقسيم كراء الأملاك التي فيها الجلسة وما عليها من الأحباس وبين أصحاب هذه الجلسة.

وقد أشار المشرع إلى حق الجزاء والزينة ونحوه في ظهير ثاني يونيو 1915 المطبق على العقارات المحفظة إذ نص في الفصل الثامن منه على ما يلي : تعتبر عقارات بحسب المحل الذي تنسحب عليه الحقوق العينية الآتية :

ملكية العقارات والانتفاع بهذه العقارات، الأحباس، حق الاستعمال، والسكنى، والكراء الطويل الأمد، حق السطحية، الرهن الحيازي، الامتيازات والرهون الرسمية، الحقوق العرفية الإسلامية كالجزاء، والاستئجار، والجلسة والزينة والهواء ".

وقد اعتبر المشرع حقوق الجلسة ونحوها من الحقوق العينية العقارية، كما نص في الفصل 197 من نفس الظهير على أن الحقوق العرفية الإسلامية المشار إليها في الفصل الثامن من هذا الظهير تبقى خاضعة للعادات والأعراف التي تحكمها.

وهكذا فإن عقود الكراء المبرمة مع الأحباس بشأن عقاراتها لا تخضع لظهير 24 مايو 1955, ولا لقانون الالتزامات والعقود (12 غشت 1913) وإلى هذا يشير قرار المجلس الصادر بتاريخ 1-10-1980[1].

هذا، وإذا كان صاحب حق الجلسة يؤدي ثمنها في جميع الحالات ربح أو خسر، فمن العدل أن لا يحرم منها، ذلك أن إبطال هذا الحق، لا يخلو من إضاعته مال الشخص الذي عقد على العين التي بها هاته الجلسة.

(1)– قرار المجلس – ملف مدنيّ رقم 78336 الذي جاء فيه : أن قواعد قانون التزامات والعقود لا تطبق على عقود الكراء المبرمة مع الأحباس، وإنما تطبق القوانين الخاصة

وفي مناقشة هذا الحق يسوق الفقيه محمد بن أحمد التماق مثالا تعرض فيه للشرور والفتن التي وقعت بفاس والزمت كثيرا من الحوانيت في الأسواق بالإغلاق فقال :"كانت الأسواق تسد، والحوانبت تغلق كثيرا، وربما سد سوق القيسارية[1] ونحوها من الأسواق الكبار بدروبه على الحوانيت، ومنع من يعتمرها من الدخول رأس الشهر ونحوه من أوله إلى آخره بأمر من له أمر، وطال ذلك أشهرا، فكان من جملة من يتنازع حينئذ في الكراء أهل الأصول من حبس وغيره مع أرباب الجلس بلزوم الكراء إذ ذاك بعد مشاورة العلماء مثل ابن عاشر[2] ومحمد بن محمد بن حمدون[3] بناني مستحضر أحكام الشيوخ كعبد الرحمان الفاسي[4] ومحمد ميارة[5] ومحمد بن عبد السلام[6] بناني والعربي[7] بردلة "[8].

غير أنه ويتتبع هذه الأحكام، لم تكن كلها ملزمة للمكتري بالأداء وفي جميع الأحوال كالتي سبقت في الحوانيت، وفي هذا الصدد أورد الفقيه التماق كذلك مثالا لصاحب أرحى انقطع ماؤها، فحكم بإسقاط الكراء عن مكتريها، وقال في هذا الصدد: "ومن جملة نوازل هذا الوقت[9].

... رحى أصلها حبس، وفيها الجلسة، وانقطع الماء لأجل الشر عن عدوة فاس القرويين كلها شهورا، والرحى هنالك، فحين أقبلت العافية، جاء من يقبض الكراء الواجب للأصل من ذي الجلسة في مدة العطلة الماضية، فترافعا لمجلس الحكم، (ونقل هنا التماق جواب محمد بن عبد السلام بناني) وهو : إن الأرحى حيث انقطع

---

(1)– يشير إلى الفتنة التي وقعت بفاس أواسط ربيع النبوي عام 1140هـ

(2)– ابن عاشر أحمد بن عمر (ت : 765) : أحد العلماء معروف بالكرامات، أخذ عنه ابن عباد. له تحفة الزائر (شجرة : ص 233–234).

(3)– محمد بن محمد بن حمدون بناني (ت : 1140) : العدل العلامة المفتي، أحد مستشاري المولى إسماعيل في تخطيط قبلة الحرم الإدريسي . انظر جامع القرويين 1/292 نقلا عن حوالة 1115.

(4)– عبد الرحمان الفاسي (ت : 1096) الإمام العمدة المحقق له "نظم العمل الفاسي" أزهار البستان... (شجرة : 315–316).

(5)– محمد ميارة (ت : 1144) : له تحقيق في العلوم العقلية ودراية تامة في العلوم النقلية، إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي (شجرة : 333).

(6)– محمد بن عبد السلام بناني : سبقت الإشارة إلى التعريف به شيخ الجماعة وصاحب شرح لامية الزقاق.

(7)– العربي بردلة : محقق سبقت الإشارة إليه، شجرة 353.

(8)– انظر : تحقيق مخطوط "إزالة الدلسة عن وجه الجلسة" ص : 119–122.

(9)– المقصود به السنة التي كانت فيها الفتنة على أشدها (1440 هـ).

ماؤها، وتعذرت منفعتها، فإنه تسقط عن مكتريها بقدر ذلك، ولا فرق بين كون المكتري على التبقية أو الوجيبة"[1].

ويستنتج الفقيه التماق أن الجلسة ليست بدعة مستعرضا القواعد الأصولية في المذهب المالكي والتي ينبني عليها تحليله للجلسة مجيبا من يحرمها :

"ومن المعلوم المقرر، عند الأئمة أن كل ما يرجع إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو استصحاب أو استحسان، أو ما يشبه ذلك، ويقام عليه وجه من وجوه تلك المسالك فهو من الشرع وله فيه أصل أصيل، وإن لم يقع نظيره في عهد الصحابة، رضي الله عنهم، انظر ذلك ونحوه في كلام سعد الدين[2] وغيره، وإن عنوا لا أصل لها أي لا قاعدة تدخل تحتها وترجع إليها في الجوان، أي وإنما ترجع إلى قاعدة تقتضي التحريم فغير متجه لما تقدم تقريرا ونصوصا كنص التوضيح[3] في الجزاء وغيره ممن بعده، وتوجيه ذلك بما فيه كفاية في الجواز وعدم وجود ما يكون مانعا لها، فإذا قلت مثلا اتخاذ الفانيد مركبا من السكر وغيره لا أصل له شرعا وهو عندنا بفاس شائع ذائع، سئلت ما معنى قولك لا أصل له فإن عنيت لا يجوز احتيجت إلى دليله، والجواب عن قوله : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم...[4] ودخلت مع من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، أنه لم يأكل مطلق السكر إلا مرة واحدة، أي حين كان بالشام كما علق بذهني منصوصا عليه. وأقرب ما يستنكر منها التبقية زيادة على العقود المعتادة بين الناس في أول الزمان من المنافع وقد عرفت وجهها وسبق في الأرض أنها تسمى الزينة، فاتل على من يحرمها على فاعلها (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده)[5] أيضا. والجلس مقيسة على ذلك كما تقدم من واد واحد، فلا أشكال(والله أعلم).

---

(1)–سعد الدين التفتازاني : هو مسعود بن عمر، عالم مشارك في النحو والصرف والمعاني والبيان، والفقه والأصليين والمنطق. أخذ عن العضد. توفي بسمر قند سنة 791 هـ من مصنفاته الكثيرة : تلخيص المفتاح في البيان – المقاصد في علم الكلام... انظر معجم المؤلفين ج : 3 ص : 849.

(2)– التوضيح / الشيخ خليل بن إسحاق المالكي. مخطوط بخزانة القرويين بفاس. به أربعة أجزاء.

(3)– سورة البقرة . آية 172.

(4)– نفس السورة ونفس الآية.

(5)– الجولالي محمد تقي الدين : فقيه أصولي متكلم، ولد في قرية بخراسان. من آثاره : رسالتان لعلم المقلدين كبرى وصغرى – رسالة في علم الكلام توفي سنة 1182 هـ انظر: معجم المؤلفين ج : 3 ص : 179.

وهناك فقهاء استبشعوها وثقلت عليهم، فإن كان ذلك لعوارضها التي تستقبح كادعاء حل أربابها، أنهم أحق من أهل الأصول وإنهم متبعون ومقصدون في ملكيتها، فمن طغى منهم يحق على هؤلاء الأشياخ أن يردعوهم ويعرفوهم أحوالهم. ويختم التماق هذه النقطة بقوله : "وإن زاد صاحب الجلسة في الظلم وعدم النصف مع الأحباس وأهل الأصول، جاء الحكم بما جزم به في فتوى الجولالي[1]. السابقة العلماء الفحول وتعين حلها عن الأصل ويدل الوصل بالفصل، ورجع في الاستعمال والتصرف إلى الأصل، ووجب رفع ما أوقع في النزاع، والحق أحق بالاتباع".

ويذكر التماق بما آلت إليه حقوق الأوقاف من تدهور وضياع، فتوعد الظالمين بالويلات مستحضرا قوله تعالى :(وإن ربك لبالمرصاد[2]، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[3][4].

وخلاصة القول، وبالنظر إلى الفتاوي السابقة وإلى القوانين المنظمة لحق الجلسة، وبالنظر كذلك إلى الواقع المعيش، وإلى المعاملات التجارية التي تطلعنا دائما على التصرفات اليومية في هذه الجلس، وما يكسبه صاحبها منها، وما تدر عليه من أموال طائلة يتضح - بما لا يدع مجالا للشك - إن الخوض فيها بيعا وشراء على أشده يساهم بطريق أو بآخر في تشجيع الاستثمارات، وبالتالي في تدعيم وإنعاش الاقتصاد، ما دام أن هذه العلميات لا يرجى منها إلا الخير نظرا لما تنطوي عليه من مصالح الناس هم في أمس الحاجة إليها لاسيما مع متطلبات الحياة الكثيرة والمتنوعة. ولكن حبذا لو أن صاحب حق الجلسة خص صاحب الأصل بقدر مما يدره عليه هذا الحق عندما يتخلى عنه لغيره، لا شك بارك هذه العملية وانمحى الحقد والكراهية التي ربما يكنها أحدهما للآخر، وكان ذلك حلا وسطا يثني المنادين بإبطال حق الجلسة عن عزمهم هذا. لأن أبطالها يلحق بصاحبها ضررا ماليا ربما يجعله مفلسا. وعما ينتج من خسائر وقلاقل واضطراب اقتصادي في

(1)- الجولالي محمد تقي الدين : فقيه أصولي متكلم، ولد في قرية بخراسان. ومن آثاره : رسالتان لعمل المقلدين كبرى وصغرى - رسالة في علم الكلام توفي سنة 1182 هـ انظر : معجم المؤلفين ج : 3 ص 179.

(2)- سورة الفجر. آية 14.

(3)- سورة الشعراء . آية 277.

(4)- انظر : (ازالة الدلسة عن وجه الجلسة) رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا الإسلامية. الجزء الأول الخاص بالدراسة ص : 137-138. محمد ابن المجذوب الحسني.

حالة أبطالها يقول الدكتور عمر الجيدي :"إن مسألة الجلسة من المسائل الشائكة، دار حولها الجدل قديما وحديثا بين الفقهاء، ولم يستطيعوا إعطاء رأي فاصل فيها. ولا نزال نعيش مشاكلها وحوادثها حتى الآن، كما أن الجدل ما انفك يحتدم فيها بين أصحاب الملك والمكترين ... لنصل بعد ذلك إلى العمل بشراء المفتاح اليوم، ومقارنته بين الصورة التي استقر عليها عمل الناس اليوم، وبين الجلسة في شكلها ومفهومها القديم..."[1]. وقد لخص آراء الفقهاء فيها فقال :"أما الفقهاء فوقفوا من الجلسة مواقف مختلفة فمنهم من منعها جملة وشدد النكير على عاقديها، وصرح زيادة على ذلك أن لا أصل لها شرعا[2]... وبأنها حرام : مثل الشيخ ميارة، والشيخ محمد بن عاشر، والجيلالي المسناوي وابن القاضي[3]، وعبد القادر الفاسي. ومنهم من اعتبرها محدثة، إلا أنه لم يقطع بحرمتها على الرغم من اعترافه أنها لا أصل لها في الشريعة ومنهم من أجازها مطلقا[4]. ومن جملتها الفقيه التماق الذي أبلى في الموضوع البلاء الحسن، ورد على من قال بالتحريم جازما بأن ما ذهب إليه هو الصواب الذي لا يعدل عنه إلى غيره واعتبره عرفا مصطلحا عليه - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وفي معرض شرح وجهة نظره ودفاعه عن المصلحة التي روعيت في أحداث الجلسة" أن في المغرب أوقافا من أراض ودكاكين وأرحية وأفران وحمامات ونحو ذلك معدة للكراء دائما لأنها غالبا حبست على من ينتفع بخراجها ولا يعمرها بنفسه... فرأى النظار أن الأولى في الحبس أن يكون كراؤه بعقدة.. ويعمر (المكتري) المدة كلها في وقت الرواج والكساد ورأى المكتري أنه يطمئن على نفسه ولايتعرض للخروج إن غلا السوق وارتفعت الأكرية في تلك المدة"[5].

ويتضح من أفكار المناصرين لجواز الجلسة أن هذه الأخيرة صارت عرفا شائعا بين الناس، وهو شيوع أدى إلى حفظ مصالح كثيرة عامة وخاصة.

---

(1)- الدكتور عمر بن عبد الكريم الجيدي / العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب ص : 468

(2)- كما مر معنا في النصوص المأخوذة من الحوالة الإسماعيلية على الخصوص.

(3)- ابن القاضي (960-1025) : المكناسي الزناتي، مؤرخ رياضي، تولى القضاء في سلا، له 15 كتابا منها : جدوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس. ط - درة الحجال في أسماء الرجال . ط - المدخل في الهندسة.... وتوفي بفاس. انظر عنه : الأعلام 1/136 - فهرس الفهارس 1/77 - الأتحاف 1/326 .

(4)- الدكتور عمر الجيدي / العرف والعمل.. ص 468.

(5)- إزالة الدلسة / مخطوط بخزانة سيدي محمد بن حماد الصقلي. ونقل النص مطولا الدكتور عمرالجيدي في كتابه (العرف... ص : 472-473.

ولم يفت - في هذا الصدد - الدكتور شكري أحمد السباعي من المعاصرين أن أوضح أن المغاربة كانوا سباقين منذ القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلى الاعتناء بحقوق التجار ومصلحة تجارتهم وفقا للمذهب المالكي، مع العلم أن هؤلاء التجار لم يحظوا بهذا الاهتمام في أوربا إلا مع قانون نابليون في مطلع القرن التاسع عشر(1804م) .

وفي القرن العشرين مع أزمة عام 1929 العالمية التي ظهرت إثرها الليبرالية والاشتراكية الاقتصادية:"[1].

ولئن كانت تلكم مواقف الفقهاء قديما وحديثا، فإن الواقع المعيش يطلعنا بين الفينة والأخرى على سلوكات تعسفية اتجاه المكتري الجديد الذي آلت إليه الجلسة عن طريق الشراء، ذلك أن صاحب الرقبة لا يرغب في تغيير عقدة الكراء لهذا الخلف، ولئن كان المبدأ – كما يرى ذلك الدكتور عمر الجيدي – هو أنه "بمجرد ما ينعقد الكراء يصبح للمكتري الحق في التصرف فيه كيف شاء[2]. فإن الكثير من أصحاب الرقبة ينتظرون زيادة هامة في الوجيبة الكرائية عند التولية، بل ويودون مشاركة صاحب الجلسة السابق في ثمن تخليه عنها لئلا تكون الزيادة في الكراء مفرطة. وهذا بالفعل ما أكده لي بعض المكترين برأس الشراطين، وما تخبط فيه آخر بالرصيف منذ بضع سنين، فالمحل بيده ولا يتوفر على توصيل للكراء بسبب عناد مالك الرقبة.

ومن الحديث عن آراء الفقهاء قديمهم وحديثهم في مسألة الجلسة وقضية تمليكها، وموقف كل من القضاء والقانون منها، إلى الحديث عن بعض علماء وفقهاء الحقبة التاريخية التي نحن بصدد دراستها، وخاصة أولئك الذين اشتهروا بالتدريس أو التحقيق أو التأليف. وذلك ما يشكل الفصل الرابع والأخير من هذا الباب.

---

(1)– انظر: الدكتور شكري أحمد السباعي / الوجيز في القانون التجاري المغربي والمقارن.

(2)– الدكتور عمر الجيدي / العرف والعمل... ص 475.

الفصل الرابع :

تراجم فقهاء وعلماء القرن الثاني عشر الهجري

إن الحديث عن فقهاء وعلماء القرن الثاني عشر الهجري يمكن أن يستوعب مجلدات، غير أنني سأقتصر على أولئك الذين أبلوا البلاء الحسن في اجتهاداتهم في القضايا الفقهية الشائكة فساهموا بفتوى أو دراسة أو مؤلف، لم تكن خيرا على فاس لوحدها، وإنما عم خيرها بقية مدن المغرب، وتعدت الاستفادة منها حدوده إلى بلدان أخرى كثيرة. على أن الفترة المومإ إليها شهدت كذلك ظاهرة بروز سيدات عرفن بورع وتقوى وصلاح، واشتهرن بكرامات قل نظيرها، كما اشتهرت أخريات بغزارة في العلم وتضلع في الآداب فكن محط اعتبار ووقار وتقدير.

الطيب الفاسي (1103هـ)

الأستاذ الكبير أبو عبد الله محمد الطيب الفاسي، تلقى دروسه وأخذ عنه جماعة بالقرويين، اختاره السلطان المولى إسماعيل ليصحب الأمير مولاي عبد الله نجل السلطان لعقد صلح مع الجزائر في حدود ثلاث ومائة وألف، لعلمه وفصاحته وبنيته، وقد صحبتهم بعثه مهمة كان منه أبو عبد الله بن عبد الوهاب الغساني المدعو الوزير[1].

ومنهم، أبو علي اليوسي (1104) :

الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، له عدد من المؤلفات منها : المحاضرات، القانون، وشرح جمع الجوامع، كان الإقبال على مجالسه عظيما في القرويين لتضلعه في العلوم العقلية، من شيوخه محمد بن سعيد السوسي الرغيثي صاحب المقنع، ومن تلامذته السلطان المولى الرشيد[2].

ومنهم، القاضي المجاصي (1103) :

الخطيب القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي. زاول التدريس بجامع القرويين مدة طويلة، وكان السلطان المولى إسماعيل يستدعيه لختم تفسير القرآن في قصره بمحضر علماء القرويين، وينصب له كرسيا في إحدى القبات[3].

---

(1)- الاستقصا. 7/79.

(2)- الصفوة. 205-210 - الاستقصا 7/108 - الزاوية الدلائية ص : 97.

(3)-النشر 11/152 - مجلة المغرب ص : 43 سنة 1963.

ومنهم، العربي الدكالي (1106).

الخطيب الفقيه الأديب العربي بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالي، تولى الخطبة بعد أبي عبد الله محمد (فتحا) البوعناني[1].

ومنهم، عبد الواحد البوعناني (1106).

الخطيب الفقيه الأديب عبد الواحد بن محمد البوعناني، خطب بالقرويين بعد الفقيه العربي الدكالي، مدح السلطان المولى اسماعيل بقصيدة رائية طويلة عند استرجاع مدينة العرائش[2].

ومنهم، العربي القادري(1106) :

فقيه ومؤرخ عاش بفاس ومات فيها اسمه العربي بن الطيب القادري[3].

ومنهم، أحمد بن العربي بلحاج (1109) :

أبو العباس أحمد بن العربي بن الحاج، كان يقرئ في مدرسة الخصة، ومدرسة العطارين، بالإضافة إلى تدريس صحيح البخاري بكرسي ظهر خصة العين من جامع القرويين[4].

ومنهم عبد السلام القادري(1110) :

عبد السلام القادري، من مشايخ فاس ومؤرخيها وأعلامها، له مؤلفات نفيسة في تاريخها وأنساب أهلها ورجالها[5].

ومنهم، أحمد الفاسي (1110).

القاضي أبو العباس أحمد بن العربي الفاسي، قاضي الجماعة بفاس، دفن

---

(1)- النشر 2/80 - النزهة ص : 261.
(2)- النشر 2/80 - النزهة ص : 261 - السلوة 1/200.
(3)- النشر 2/158 - السلوة 2/345.
(4)- السلوة 1 ص : 153 - الكتاب الذهبي ص : 223.
(5) النشر 2/162 - السلوة 2/348.

بروضة سيدي عزيز بالدرب الطويل[1].

ومنهم، الهوزيوي(1141)

الشيخ أبو العباس أحمد الهوزيوي، شيخ تارودانت وإمامها أخذ في فاس عن أبي حفص الفاسي وبناني وطبقتهما[2].

ومنهم، ابن عبد القادر الفاسي(1116) :

الإمام أبو عبد الله محمد (فتحا) بن عبد القادر الفاسي، كان من أهل الرسوخ في العلم، غواصا في الدقائق، له تآليف جيدة، منها : شرح حصن ابن الجزري، والشواهد، وله رسائل للسلطان المولى إسماعيل[3].

ومنهم، ابن الكماد (1116) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد القسطنطيني، قدم فاسا، وجلس للتدريس بالقرويين وبجامع الابارين، كان من العلماء الذي يقرئون في فصل الشتاء، ويتفرغون في الصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء، وقد نعت في كتب التاريخ بأنه أحفظ علماء عصره. ومن تلامذته الشيخ محمد بن عبد السلام بناني[4].

ومنهم، السلاسي (1118) :

القاضي أبو الحسن علي بن أحمد السلاسي، قاضي الجماعة ومفتي المدينة[5].

ومنهم، العكاري (1118) :

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني، العلامة المشارك النفاعة، التحق بمدينة فاس بعد ترك الزاوية الدلائية، فاشتغل بالتعليم فيها بجامع القرويين،

(1)- السلوة 2/324.
(2)- علماء من سوس في القرويين - الكتاب الذهبي ص : 116.
(3)- الصفوة ص : 215 - مجلة تطوان : العدد الخاص بذكرى السلطان اسماعيل ص : 22.
(4)- السلوة 2/30 - تعريف الخلف برجال السلف 2/346.
(5)- النشر 2/204 - أتحاف المطالع لابن سودة.

فكان يدرس كبرى الإمام السنوسي على كبار أعيان الطلبة العلماء بصوت فصيح جهير، وشاسية مائلة إلى أحد شقي رأسه، إشارة إلى تمكنه وعدم اكتراثه، وقد انتقل بعد إلى العدوتين سلا والرباط، حيث ترك عددا كبيرا من الطلاب، منهم الحاج أحمد مورينو الأندلسي، والزبدي والغربي، وأدركته الوفاة بالرباط[1].

ومنهم، جموع (1119) :

الشيخ الإمام العلامة أبو سرحان مسعود جموع، من علماء فاس، انتقل إلى مدينة سلا حيث تفرغ لنشر العلم، وله تصانيف مفيدة في كل فن[2].

ومنهم، أبو عبد الوهاب الوزير (1119) :

المؤرخ السفير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي الفاسي، كان من أعيان علماء فاس. استوزره السلطان المولى إسماعيل، وبعثه سفير إلى ملك إسبانيا كارلوس الثاني في مهمة تخليص الأسرى وإنقاذا لمخطوطات العربية، وقد ضمن ذلك كتابه (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) كما كان ضمن السفارة المغربية إلى الجزائر عام 1103هـ[3].

ومنهم أبو الغالب (1120) :

الفقيه العدل أبو عبد الله محمد أبو الغالب من عيون العدول بالسماط، ممن احتفظت بذكرهم الحوالة الإسماعيلية في هذا التاريخ، من أمثال عبد الرحمان الفشتالي، والخياط بن ابراهيم، وعبد السلام بن زيان، والطالب الجواري، ومحمد بن الحاج والمهدي الحسني وعبد العزير الداعي، والمرابط الزموري، وعبد الرحمان السلاوي، ومحمد بن سودة، وأحمد الشامي، والعالم الشامي، والطالب الشفشاوني.... وميارة الأصغر، وعلال بن نعيم، والعربي الرندة، وأحمد أجانا، وعبد السلام الزكوري.

---

(1)– الزاوية الدلائية ص : 118 – البدور الضأوية ص : 562 .

(2)– الاستقصا . 7/110.

(3)–الاستقصا . 7/97. مجلة المجمع العلمي العربي 16 ص : 269 – الأعلام 7/131 – الأتحاف 2/63 – الأتحاف 4/61 – تاريخ المغرب الدبلوماسي ص : 23.

ومنهم، ابن زاكور (1120) :

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور، العلامة الطبيب، من كتبه : المغرب المبين بما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين، وعنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة، والروض الأبيض، وشرح قلائد العقيان.... الخ[1].

ومنهم الحلبي (1120) :

أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي. كانت له مجالس علمية بالقرويين مذكورة، وخوطب بولاية الكراسي والمنابر، كان ممن لقيهم بفاس محمد بن الطيب العلمي صاحب الأنيس المطرب، وهو مؤلف كتاب (الدر النفيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس) الذي نقل ندوة شعرية حول سيف منارة القرويين، وصاحب الحلل السندسية، ومقامات عارض بها مقامات الحريري[2].

ومنهم السليماني (1120) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن علي السليماني، قاضي فاس وفقيهها[3]

ومنهم، عبد السلام جسوس (1121) :

أبو محمد عبد السلام بن أحمد جسوس، كانت له معرفة فائقة بالنحو واللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان وعلم الكلام وغير ذلك، أخذ عن جماعة من رجال العلم بفاس وأهل المشرق[4].

ومنهم، ابن ناجي (1122) :

القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن ناجي الخطيب، والمفتي بجامع القرويين، وكان يشرف على أوقاف القرويين وتجريد حوالاتها التي يصادق عليها

---

(1)- الأنيس المطرب ص : 24-28 - السلوة 3/180 - مشاهير رجال المغرب العدد 13 النشر 2/186.

(2)- محمد بن الطيب العلمي / الأنيس المطرب ص : 10.

(3)- السلوة 3/288.

(4)- السلوة 3/14 - التقاط الدر للقادري بالخزانة العامة 183 ص 676 .

أبو علي الروسي حاكم المدينة الذي نسب إليه (دار أبو علي) التي أصبحت نظارة للأوقاف قبل أن يصبح لها المقر الجديد بالبطحاء[1].

ومنهم الجرندي (1125) :

القاضي أبو العباس أحمد بن علي الجرندي، من قضاة فاس وعلمائها[2].

ومنهم ابن الحاج (1128) :

القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج، تولى جميع ما كان لوالده أبي العباس[3].

ومنهم، ابن عبد القادر القادري(1133) :

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري، الفقيه الأديب العلامة مؤلف : (سمة الاس في حجة سيدنا أبي العباس)، ومن شعره رجز فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة، وبحث في قاعدة ابن خلدون في تقدير الأجيال[4].

ومنهم، بردلة (1133) :

لقاضي السلفي العلامة المفتي أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي الفاسي. عمل ناظرا لأوقاف القرويين وكان مساعده فيها الفقيه عبد السلام بن أحمد الغمارشي بحسب جوالة 1127, وهو الذي أمر بإزالة سارية خلوة القرويين متحديا أساطير العامة[5].

ومنهم، ابن الطيب العلمي (1135) :

أبو عبد الله محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن أحمد الشريفي العلمي، صاحب كتاب (الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب)، وقد ذكر فيه

---

(1)- الأتحاف 14/100 - النبوغ المغربي 2/169, 332
(2)- النشر 2/189 - السلوة 2/16.
(3)-السلوة 1/53-154 - اتحاف المطلع لابن سودة.
(4)- نشر المثاني 2/121-122 - السلوة 2 / 353.
(5)- السلوة 3/138- الاستقصا 7 / 113 .

شيوخه في فاس، ومن بينهم : عبد الرحمان الرايس، وأبو عنان، وابن الحاج، والجرندي، والمشاط، وأدركته منيته بمصر(1).

ومنهم، أبو خريص (1188) :

أبو محمد عبد القادر بن العربي بن قاسم بن عبد العزيز بوخريص درس بالقرويين، وظل متوليا خطة القضاء بفاس بنحو أربع وثلاثين سنة... أخذ العلم عن سيبويه زمانه العراقي والمسناوي وبناني وأخذ عنه جماعة من الأعيان قبل ابن شقرون والبكري الدلائي.....(2).

ومنهم، بناني (1163) :

محمد بن عبد السلام بناني، شيخ الإسلام وعلامة الأعلام، إمام المحققين، كان متضلعا في فروع العلوم وأصلها، مشتهرا بها شهرة نار على علم، مرجوعا إليه في حل المشكلات .... من الملازمين لتدريس المختصر بالقرويين... يفتي في النوازل والأحكام، وله تحرير على النحو.... ويد في الترسل وصناعة الشعر والإنشاء، يتصرف في ذلك كيف يشاء، حضر مجلسه : المحشي بناني، والتاودي ابن سودة وقصارة وبوخريص، ومن تآليفه : شرح الاكتفا للكلاعي في ستة أسفار وشرح لامية الزقاق في الأحكام وفهرسة ذكر فيها شيوخه من أهل فاس وغيرها(3).

ومنهم ابن سودة (1136) :

القاضي الفقيه الكبير ابن الطالب بن سودة، كان بيده كرسي قراءة، العمدة بجامع الأندلس، وكان قيما على الخزانة العلمية بها(4).

ومنهم المسناوي (1136) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد الدلائي الشهير بالمسناوي، صاحب كتاب (الاستنابة في إمامة الصلاة) وهو إمام حجة ممن ازدانت بهم القرويين(5).

---

(1)- نشر المثاني 2/204.
(2)- السلوة 2/12 - شجرة النور ص : 356 فقرة 1423 / محمد مخلوف. ط : 1، بيروت 1349.
(3)-السلوة 1/146 - 147 - 148 .
(4)-النشر 2/108 - 207 - أتحاف المطالع لابن سودة.
(5)- السلوة 3/48 - الشجرة 333.

ومنهم القيسي (1138) :

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله القيسي الأندلسي الفاسي المكناسي المشهور بالكاتب، أسندت إليه في عهد السلطان المولى اسماعيل النظارة على أوقاف القرويين وبعده تولى النظارة الفقيه بالقاسم المسطاسي[1].

ومنهم، عبد القادر بن شقرون (1140) :

الطبيب الصيدلي الفقيه الأديب اللغوي عبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون المكناسي، أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ من بينهم : ابن الحاج المسناوي والقادري .... ورحل إلى المشرق، وكان له مشايخ في تلك الديار، وله نظريات في الأطعمة والأشربة وخواص الأعشاب، وهو مؤلف (الشقرونية) في الطب[2].

ومنهم، ابن حمدون بناني (1140) :

العدل العلامة المفتي محمد (فتحا) بن حمدون بناني ممن استشارهم المولى اسماعيل في تخطيط قبلة الحرم الإدريسي[3].

ومنهم، البادسي (1140) :

أبو فارس بن عبد العزيز البادسي الفقيه الناظر، كان من الذين يشرفون على ميزانية المدارس السبع[4].

ومنهم، الشدادي (1141) :

القاضي أبو الحسن علي بن الخطيب المفتي أحمد الشدادي، من قضاة فاس وعلماء القرويين[5].

ومنهم الجامعي (1141) :

---

(1)- الأتحاف 4/60 - مجلة تطوان 1962 عدد خاص بمولاي اسماعيل ص : 31.

(2)- الأنيس المطرب ص : 193 - الأتحاف 5/320.

(3)- حوالة عام 1115 هـ - الدكتور عبد الهادي التازي ج : 1. ص : 392.

(4)- حوالة عام 1140 - الدكتور عبد الهادي التازي ج : 1 ص : 392.

(5)- السلوة 3/198.

أحد الجسور المهتمة التي ربطت بين جامعة القرويين وجامعة الزيتونة، الشيخ عبد الرحمان الجامعي، أديب علامة ممن رحلوا من فاس إلى تونس في الثلث الأول للقرن الثاني عشر وكان من أبرز أعماله في تونس علاوة على تدريسه في الزيتونة إحياؤه للمدرسة (الشنتمرية)، وله شاعرية نوه بها صاحب (ذيل بشائر أهل الإيمان)[1].

ومنهم، ابن زكري (1144) :

العلامة المشارك، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري، ممن دخلوا مصر، وناقشوا فقهاءها، عقد له مجلس حضره علماء الأزهر الشريف الذين ناصروه واحدا واحدا[2].

ومنهم، الحريشي(1145) :

أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله الخياط الحريشي الفاسي دفين المدينة المنورة، من مؤلفاته : الشرح على الموطا وشرح الشفا.... وكان له كرسي في مستودع باب الحفاة، كان القائد عبد الله الروسي نفذ له جامع درب القاضي في زقاق البغل[3].

وقبل الاستمرار في جرد آخر بعلماء فاس وفقهائها في القرن الثاني عشر الهجري، لم لا نقف مع المولى سليمان[4] رحمه الله في حديثه المسهب عن طائفة من علماء العصر نفسه وخاصة تلك الطائفة التي انحدرت من أسرة واحدة، ويتعلق الأمر بالشعبة الفاسية من بني الجد الفهريين القادم على حضرة فاس من الأندلس وهو أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر محمد بن عبد المالك بن أبي بكر محمد بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الله بن فرج الجد الفهري المتوفى بفاس الإدريسية، وقد بارك الله له عقبه، فتكثر، وكان منه العلماء والفقهاء والأدباء... ومن هؤلاء :

---

(1)- مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس، الكتاب الذهبي ص : 222-223.

(2)- السلوة 1/158-161 - الاستقصا 8/83 - دعوة الحق يناير 1961.

(3)- الكتاب الذهبي ص : 171.

(4)- انظر كتاب "عناية أولي المجد بذكر ال الفاسي ابن الجد" المولى سليمان ط : 347 / 3 . صفحات من : 53 إلى 77.

- أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بوعسرية بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف... رحل إلى فاس من مسقط رأسه القصر، قرأ القرآن... وأخذ ما شاء الله من أعلام فاس، ولقي من أشياخ الطريقة بها الشيخين الوليين الأحمد بين اليمني وابن عبد الله معا فنال من بركتهما، وكان عالما مباركا يقصد للتبرك به في الأزمات ونيل الحاجات توفي سنة 1145هـ[1].

ومنهم، أبو محمد عبد الله بن عمر بن يوسف بن الشيخ أبي المحاسن (1146):

ولد بحضرة فاس، وبها نشأ... اتصل بشيخ الجماعة محمد بن شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي وتلامذته كالشيخ قاضي الجماعة العربي بردلة... فظهر في سماء التحصيل نوره، وتحصن بسر المعرفة سوره... فكان بدرا يستضاء به في المدلهمات، وحصنا يسند إليه في المهمات، مجتهدا في العبادة، ممتطيا متن السيادة، صالحا مكينا، ناصحا أمينا، توفي شهيدا بالطاعون...[2].

ومنهم، أبو عسرية محمد بن أحمد بن يوسف (1150) :

... أخذ عن شيخ الجماعة محمد بن عبد القادر الفاسي وتلامذته كالشيخ العربي بردلة... مع سلامة القريحة ونزاهة الساحة والاجتهاد وكمال الاعتناء مطالعة ومباحثة وتقييدا حتى تمكن من الملكة القارة في أكثر الفنون عربية وبيانا وأصولا وفقها وحديثا وتصوفا...[3].

ومنهم، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عسرية....(1151) :

قرأ ما تيسر من العلوم على أبيه وعلى ابن الحاج يوسف بن بوعسرية... ثم ارتحل من القصر إلى فاس فقرأ بها على مشيخة الوقت محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف وعلى الشيخ أبي عبد الله محمد المسناوي وغيرهم، فنال أصولا وفروعا، وحاز أفرادا وجموعا، ثم رجع إلى القصر متوليا به خطة القضاء

---

(1)- انظر "عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي الجد" المولى سليمان. ص : 53. ط. فاس 1347.
(2)- المرجع السابق ص : 53-54/شجرة النور الزكية ص 335 فقرة 1320.
(3)- المرجع السابق ص : 54.

والإمامة بزاوية جده[1].

ومنهم، أبو العباس أحمد بن محمد (فتحا) بن شيخ الإسلام عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف....(1164) .

ولد بفاس سنة ثلاث وتسعين وألف، ونشا بها في حجر أبيه شيخ الجماعة... أخذ العلم عن جلة من علماء عصره، وبالجملة فهو ميمون الطلعة لم يرتفع أحد بين الناس رفعه، يخضع له العظماء، وتتبرك به من أثر أبائه العلماء... توفي راجعا من زيارة القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش فحمل إلى فاس ودفن بزاوية جده....[2].

ومنهم، ابنه أبو القاسم (1164) :

ولد بفاس سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وبها نشا مرضي الحال، نعيم البال، فقرأ القرآن وجوده تجويد أولي الإتقان، وأخذ في قراءة العلم على الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد التماق والشيخ الوجاري والشيخ محمد بن عبد السلام بناني... وغيرهم فحصل على علم جم... وأفاد وأجاد، وقيد وألف، واقتفى في خصال الحمد آثر السلف[3] ومنهم، أبو عبد الله محمد (بالفتح) ابن طاهر بن يوسف بن أبي عسرية(1177).

... أكثر العناية بالعلوم العربية على شيوخها في وقته كالشيخ النحوي محمد بن إدريس العراقي الحسيني والشيخ الجنذور المصمودي... وشيخ الجماعة محمد بن عبد السلام بناني، والشيخ محمد بن قاسم جسوس حتى برع في العربية وانفرد بالمشاركة في غيرها من الفنون بيانا وأصولا ومنطقا آخذا بطرف من التحصيل في الفقه والحديث والتفسير وكان مجلسه في العربية غاصا بنجباء الوقت، كثير الحفظ والضبط، حسن العبارة والخط، سالم الإدراك، عالي الهمة، كريم النفس... ينقل في مجالسه ما يبهر العقول وتقف دون منتهاها الفحول. أخذ عنه جماعة وافرة من

---

(1)- عناية أولي المجد... ص : 54-55/ شجرة النور الزكية ص : 351 فقرة 1402.

(2)- عناية أولي المجد... ص : 56.

(3)- عناية أولي المجد ... ص : 56-57 / شجرة النور الزكية ص : 354 فقرة 1414.

علماء الوقت كالشيخ المحقق محمد بن عبد السلام. وزين العابدين الحسني....(1).

ومنهم أخوه أبو عيسى المهدي بن طاهر (1178) :

ولد بالقصر وبه نشا... رحل إلى فاس وقرأ على أكثر من قرأ عليه أخوه المذكور قبله وعلى غيرهم كالشيخ قاضي الجماعة أحمد الشدادي والشيخ الحافظ أبي علي الحسن بن رجال المعداني، وتفنن في العلوم.... واستوطن مدينة تطوان واشتغل بخدمة العلم فيها قراءة وقراء وتقييدا وإفتاء مؤتما به في زاوية جده الشيخ أبي المحاسن إلى أن توفي هناك(2).

ومنهم، أبو عبد الله محمد (بالفتح) بن أحمد بن محمد (بالفتح) (1179) :

نشأ في حجر أبيه، فقرأ القرآن، وأخذ العلم عمن أدركه من الأشياخ الأعيان كابن عم أبيه الشيخ المؤرخ محمد بن عبد الرحمان والشيخ محمد بن أحمد التماق الأندلسي... وغيرهم حتى تمت مشاركته في الفنون واتصل بحبل من الإتقان والضبط غير ممنون منفردافي الحساب والتاريخ والفرائض مقدما في صناعة التوثيق ومعرفة أحكامه.. ولي الشهادة في أوقاف القرويين لسنين والخطابة بجامع الأندلس العتيق، فكان مثلا مطروبا في البلاغة وانتقاء الموعظة النافعة، ودرس وأجاد وقيد وأفاد، وألف كتبا مفيدة كشرح المقدمة الفقهية لجد أبيه شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي، وشرح درة التيجان لشيخه العلامة الدلائي .. وكان صالحا متواضعا خاشعا محبا في آل البيت الكريم، زوارا للصالحين، عارفا بتراجم الأعيان وضرائحهم..(3).

ومنهم، أبو السعيد عبد المجيد بن الجيلالي بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن أبي المحاسن (1180) :

ولد بفاس وبها نشا... انتصب لتحمل الشهادة بسماط القرويين .. موصوفا

---

(1)- عناية أولي المجد.... ص : 57-58.

(2)- عناية أولي المجد.... ص : 58/ شجرة النور الزكية ص : 254 فقرة 1416.

(3)- عناية أولي المجد.... ص : 58-59.

بالتحري والصدق والنصح والقناعة[1].

ومنهم، أبو مدين بن أحمد بن محمد... (1181) :

ولد بحضرة فاس... واشتغل بالعلم مجتهدا في تحصيله على ابن عم أبيه الشيخ محمد (بالفتح) بن عبد الرحمان... فسلك على يده المسالك الصعبة في التعليم ثم لزم غيره من أكابر المشايخ كقاضي الجماعة الشيخ العربي بردلة... وكان له مشاركة في الفقه والحديث والتفسير والتصوف فضلا عن الأدب شعرا ونثرا. ولي الخطبة بالقرويين والتدريس به .. ألف تآليف شريفة الوضع بديعة الصنع كالمحكم في الأمثال، وتحفة الأريب، وشرح النصيحة الكافية، واختصار النصيحة، وشرح سيرة ابن فارس، وشرح توحيد الرسالة...[2].

ومنهم، حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي أبي المحاسن يوسف(1188) :

ولد بحضرة فاس وكان لا يذكر تاريخ ولادته اقتداء بالسلف الصالح كمالك والشافعي.. اعتمد في العربية أحمد الوجاني ومحمد العراقي الحسيني، وفي الفقه والحديث والتفسير محمد بن عبد السلام بناني وجسوس، كما اعتمد في رواية الحديث بأقرب أسانيده الشيخ المحدث المسن أبا الحسن علي بن أحمد الحريشي سمع عليه أوائل الكتب الستة وأجازه فيها وفي غيرها... كما كتب إليه أيضا بالإجازة المطلقة محقق الشافعية في الديار المصرية وغيره ... إلى أن صار علامة الدنيا، ويده في المشكلات هي العليا، بحرا زاخرا... يرد على أئمة المذاهب بالدليل الواضح والاعتبار المناسب....[3].

ومنهم، أبو العباس أحمد بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد (1194) :

ولد بفاس سنة 1165, وبها نشأ في حجر أبيه وقرأ كتاب الله... وقرأ دروسا في

---

(1)- المرجع السابق ص : 59/ شجرة النور الزكية ص : 35 فصوة : 1417.

(2)-المرجع السابق ص : 60 / شجرة ص : 356 فقرة : 1424.

(3)-عناية أولي المجد ص 60-66.

العلم في العربية والأصول والمنطق والكلام والفقه وغيرها على الشيخ الحافظ محمد بن الطيب القادري الحسني والشيخ الإمام أبي حفص عمر بن عبد الله وعلى الشيخ محمد بن الحسن بناني وغيرهم فحصل في الزمن اليسير على العلم الكثير، وأخذ في التدريس باجتهاد فأقبل إليه العباد قائما على قدم الاستقامة، ناشرا في مجال العبادة أعلامه سمحا وقورا، حييا صبورا، قانعا شكورا، بعيدا عن التصنع والرياء رصينا نظيفا[1].

ومنهم، أبو العباس أحمد بن أبي حفص عمر بن عبد الله (1197) :

ولد بفاس ونشأ في حجر أبيه، وقرأ كتاب الله حفظا وأحكمه رسما وضبطا... جميل المحاسن، بديع الشمائل، أشم الأنف... درس على الشيخ عبد الله الهواري، ومحمد بن عبد القادر بن شقرون وغيرها كثير... فحصل على علم كثير نحوا وبيانا ومنطقا وكلاما وفقها وحديثا إلى ملكة في قرض الشعر... جلس بعد وفاة والده للتدريس في العربية بجامع القرويين، طالعا في سماء الإجادة كالهلال.....[2].

ومنهم، أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد بن الجيلالي (1213) :

ولد بحضرة فاس... وأخذ العلم عن قريبه الشيخ النحوي محمد بن طاهر بن يوسف وعن العلامة الورع عبد الكبير الغزواني السرغيني وغيرهما... فنفع الله بعلمه كثيرا وأفتى أحيانا من نوازل الأحكام الشرعية بين الخصوم، وتولى النظر في الأوقاف فحمدت عاقبته، وكان خيرا دينيا حييا فخما سريا بدرا سنيا جاريا على سنن أسلافه من الوقار والمبرة والأمانة والعفة والصون والفضل والمروءة وغيرها من مكارم الأخلاق...[3].

ومنهم، أبو مالك عبد الواحد بن محمد (فتحا) ابن أحمد بن محمد (1213) :

ولد بفاس سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف، وبها نشأ في حجر أبيه وقرأ القرآن مشتغلا بما يعانيه في السر والإعلان ثم حفظ المتون واجتهد في تحصيل الفنون

(1)– عناية أولي المجد ... ص : 66–67 / الشجرة ص : 358 ف : 1429.
(2)– المرجع السابق ص : 67 / الشجرة ص : 318 ف: 1430.
(3)– المرجع السابق ص : 68

فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام بناني وزين العابدين العراقي والحسيني وغيرهما بقريحة نافذة ووجهة صادقة وهمة عالية ورتبة سامية فحصل على علم نافع في قلب خاشع... يحاضر في الأدب وينضم الشعر وينثر الرسائل والخطب، يقول عنه المولى سليمان :"كان أول من وقع عليه اختيارنا للخطبة بالجامع الذي شيدنا مباينة في عقبة المكودي بين سوق الرصيف ورحبة الزبيب"، كان يطبع الأشجاع بجوهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه[1].

ولد بحضرة فاس سنة 1171، وبها نشأ وقرأ القرآن... لزم آخر عمره الشيخ العالم الصالح أبا عبد الله محمد الهادي بن زين العابدين العراقي الحسيني... وانقطع إليه كل الانقطاع إلى أن توفي شهيدا بالطاعون[2].

ومنهم، أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف (1213) :

ولد بفاس سنة 1151، وبها نشأ فقرأ كتاب الله وحفظه وجوده رسما وأداء وقرأ من العلم ما قدر له على أشياخ الوقت... وكانت له اليد الطولى في علم التوقيت وأحكام آلاته لا يقاومه في إتقان صنعها أحد مع الدين المتين والاغتراف من عين اليقين، كثير الصيام والقيام ذاكراً لله تعالى على الدوام... معرضا عن الدنيا وأهلها، نافرا عن الخلق، قانعا من العيش بما يسد الرمق، يفعل الخير ويدل عليه... ثم رحل إلى المشرق فحج وزار ولقي جماعة من العلماء الأخيار والأولياء الأبرار فلاحت عليه أنوار هديهم....[3].

ومنهم، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد (بالفتح) بن عبد السلام... (1214):

ولد بحضرة فاس، وبها نشأ في حجر أبيه، أخذ العلم عن جم غفير من الشيوخ من بينهم الزيادي الحسني والجنذور والمصمودي وأبو حفص عمر بن عبد الله، وكان له القدم الراسخ في العبادة من صلاة وصيام وتعليم ومطالعة وتلاوة متخلقا

---

(1)– المرجع السابق ص : 69/ الشجرة ص : 374 فقرة 1492.

(2)– المرجع السابق ص : 69–70/ الشجرة ص : 373 فقرة 1491.

(3)– عناية أولي مجد ص : 70.

بالصبر، ابتلي بذهاب إحدى عينيه فصبر وعد ذلك من جملة نعم الله عليه... وتوالت عليه الأمراض إلى أن توفي بمرض الاستسقاء[1] وهو آخر من توفي من أعلام هذه الشجرة وأعيانها الكرام البررة.

ونتابع – بعد التعريف بالأعلام المنحدرين من هذه الشجرة – جردنا لعلماء القرن الثاني عشر الهجري، ومنهم :

– المشاط (1148) :

الخطيب الفقيه الموقت أبو جيدة المشاط، كان عدلا بالسماط، يعتمر الحانوت الرابع عن يمين الخارج من باب الموثقين[2].

ومنهم، محمد التماق (1151) :

الشيخ محمد بن أحمد التماق الغرناطي أصلا، الفاسي منشا ودارا، يلقب أهله قديما تاولاد السراج، وبيتهم بالأندلس من أشهر البيوتات في العلم والرئاسة، علامة فهامة يتقد ذكاء وفطنة، محقق، مالك أزمة التعبير عما يريد، واعية محرر، جامع لأشتات العلوم، لا يأكل إلا من عمل قلمه....[3] وهو الشيخ الفقيه الصوفي المفتي النوازلي القاضي العدل... كان رحمه الله، فقيها مفتيا نوازليا يبحث البحث الذي لا يدرك، ويجيب عنه الجواب المحكم، ولا يقيس على المشهور... له حاشية على شرح الحصن الحصين... وله بحوث على التحفة ولامية الزقاق... كان يدرس الأنظام الثلاث والمرشد والرسالة وغير ذلك....[4]

ومنهم، ابن الرغاي (1151) :

ابن الرغاي القاضي الخطيب محمد أبو البقاء يعيش بن الرغاي[5].

(1)– المرجع السابق ص : 70 إلى 77 / الشجرة ص : 374 فقرة 1496.
(2)–السلوة 2/26.
(3)–الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي / محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي. ص : 288–289 ط. 1396 هـ
(4)– النشر 4/213 ط. 1407 – السلوة . 2/125.
(5)– 2/143 – السلوة 2/125.

ومنهم، علي البوعناني (1153) :

الخطيب القاضي المفتي أبو الحسن علي بن عبد الواحد البوعناني، ولاه السلطان المولى اسماعيل بعد صرف ابن منصور، إثر رد الكتب وإصدار رسالة بعث بها علماء فاس إلى المولى اسماعيل يشكرونه على هذا التعيين[1].

ومنهم، ابن أحمد امبارك السجلماسي (1155) :

من تلامذة الشيخ أحمد المكودي، التحق بتونس مدرسا، وتوجه إجازة للكمودي بخط السجلماسي، وهو صاحب متاب الابريز[2].

ومنهم، الزيادي (1157) :

عبد المجيد المنالي الزيادي، من علماء القرويين الأعلام، رحل إلى المشرق برفقة العلامة القطب سيدي عبد الوهاب التازي (المتوفى سنة 1206) وأتم دراسته هناك على عدد من المشايخ، وله رحلة ممتازة[3].

ومنهم، عبد الله بن يخلف (1162) :

الفقيه المؤدب... الصالح البركة... أبو محمد عبد الله بن محمد المدعو ابن يخلف الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا الفاسي دارا ومنشأ، كان رحمه الله من الأئمة المعتمدين في فن القراءات مرجوعا إليه في المقاري السبعة فما فوقها إلى العشر وأخذها عند خلائق من فاس وغيرها وصدر لذلك بمسجد القرويين وكان كثير. الصمت حسن السمت كريم الأخلاق ... تعتريه الأحوال الربانية... ويؤم الناس في صلاة التراويح بمسجد المولى إدريس ويورق كتب الوعظ عند الفجر به أيضا والتفسير بعد صلاة الصبح عند محراب القرويين والحلية بظهر صومعتها عند العصر، وكان لقراءته حلاوة وعليها طلاوة[4].

ومنهم، ابن عبد السلام بناني (1163) :

---

(1)- السلوة 1/.102

(2)- السلوة 2/203 مجلة المغرب سنة 1965 .ص : .13

(3)- السلوة 1/134 - السلوة 2/184-185 - مجلة المجمع العلمي العراقي 1970 ص . .334

(4)-السلوة/ الكتاني. 1 ص : 298-299 مطبعة حجرية.

الفقيه العلامة محمد بن عبد السلام بناني، شارح الشفاء والاكتفاء، كان يدرس الفقه في الصف الأول من جامع القرويين ضحوة، والحديث قبل ذلك في مسجد عياض، وله مجلس ثالث تصحيح البخاري بين العشاءين في المدرسة المصباحية[1].

ومنهم، العراقي (1163) :

الفقيه الهادي العراقي من مدرسي القرويين الممتازين[2].

ومنهم، الورديغي (1164) :

من علماء القرويين الذين عنوا بتدريس مختصر الشيخ خليل[3].

ومنهم، أحمد المكودي (1170) :

أبو العباس أحمد المكودي أحد الجسور بين القرويين والزيتونة، وهو مدار أسانيد علماء تونس ومشايخها، تلقى العلوم بالقرويين، وتلمذ له العلامة التونسي صاحب المؤلفات الذائعة الصيت الشيخ محمد بيرم التونسي صاحب الكتب المفيدة[4].

ومنهم، ابن الطيب الشرقي (1170) :

أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الصميلي العلامة اللغوي المحدث، نشأة فاس، دفين المدينة المنورة، وخطيب المسجد النبوي، صاحب المستدرك على القاموس في أربع مجلدات، والمزهر وصاحب الفهرستين والمسلسلات، وهو عمدة تلميذه المرتضى[5].

---

(1)- المرجع السابق 1/ 147.
(2)- المرجع السابق 1/ 174.
(3)- المرجع السابق 1/ 250.
(4)- الأتحاف 14/ 337 – 443 – 450.
(5)- مساهمة القرويين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس الكتاب الذهبي ص : 223.

ومنهم، البكري (1174) :

القاضي المفتي أبو عبد الله محمد البكري، من أكبر علماء المغرب، وقد تصدر للقضاء بفاس مدة من الزمن[1].

ومنهم، ابن عبد الصادق الدكالي (1175) :

المفتي أبو عبد الله محمد بن الصادق الدكالي، ممن ازدانت بهم مجالس القرويين[2].

ومنهم، الغربي (1177) :

أبو عبد الله الغربي الرباطي، من أعضاء المجلس العلمي الذي كان يجتمع به الملك العالم سيدي محمد بن عبد الله[3].

ومنهم، عبد الرحمان المنجرة (1179) :

الفقيه العلامة عبد الرحمان بن إدريس المنجرة، كان له مجلس بعنزة القرويين، تولى الخطبة بجامع الشرفاء بعد أبي عبد الله محمد الكبير السرغيني(ت: 1166)[4].

ومنهم أبو مدين (1179) :

الخطيب أبو عبد الله محمد (فتحا) بن أحمد محمد المكنى (أبو مدين)، كان مضرب المثل في البلاغة، مشاركا، ضابطا متقنا)[5].

ومنهم، بناني (1180) :

الفقيه محمد (فتحا) بن الحسن بناني، أخو الأستاذ بناني حاشية على الزرقاني.

---

(1)– الأعلام 7/47 – الكتاب الذهبي ص : 172.
(2)– كناشة ابن سودة.
(3)– السلوة 1/273 .
(4)– مقدمة مسانيد الأئمة.
(5)– السلوة 2/270 – الدرر الفاخرة ص 48.

كان مدرسا بجامع القرويين[1].

ومنهم، العراقي الحافظ (1183) :

إدريس العراقي الحسيني الفاسي[2]، اشتهر هو وأسرته بالنسبة إلى العراق لقدوم سلفهم منه[3]، عرفت أسرته بالعلم والفضل[4]. كان رحمه الله سلطان المحدثين في عصره ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثة، قل نظيره في وقته، بل عدم أو كاد، في الحديث والرواية والإسناد، والضبط والتخريج والأنساب وغيرها[5] وحتى لقب ب (سيوطي زمانه)[6]، وقيل عنه أنه أحفظ من ابن حجر العسقلاني، ولد العراقي بفاس سنة 1120[7]، لازم الشيوخ ورحل إلى العلماء من أجل علو السند وكثرة الرواية، ومن أشهر شيوخه والده محمد العراقي وميارة الصغير[8]، ومحمد الصغير الفاسي[9] ومن أشهر تلاميذه في علم الحديث والداه عبد الله وعبد الرحمان العالمان المحدثان وابن عمه زيان.

ومنهم، ابن الونان (1187) :

أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي الونان، صاحب المنظومة المشهورة باسم "الشمقمقية" وقد شرحها عدد من العلماء والأدباء المغاربة[10].

ومنهم، العلوي (1187) :

أبو محمد القاضي العدل بن محمد بن عبد الملك بن العربي ممن درسوا بالقرويين، وتولوا قضاء مدينة مكناس، فكان يدعى قاضي القضاة، من تآليفه شرح

(1)- السلوة 1/321 - أتحاف المطالع لابن سودة.
(2)- السلوة 1/141-143 - فهرس الفهارس 2/818-825 - مؤرخو الشرفاء 341.
(3)- النبوغ. 292.
(4)- السلوة 2/28-29 - السلوة 3/17.
(5)- السلوة 1/141.
(6)- فهرس الفهارس 2/819.
(7)- فهرس الفهارس 2/818.
(8)- مؤرخو الشرفاء . 318.
(9)- انظر عند "عناية أولي المجد" ص : 85.
(10)- الأتحاف 3/344.

على الهمزية في أربع مجلدات[1].

ومنهم، يوسف البوعناني : (1188) :

القاضي أبو الحجاج يوسف بن القاضي بن عبد الله البوعناني، خطب بمنبر القرويين وهو ابن عشرين سنة أيام السلطان المولى عبد الله[2].

ومنهم، بوخريص : (1188) :

عبد القادر بوخريص الجعفري الفيلالي ثم الفاسي وكان محدثا مشاركا في عدة علوم كالتفسير والنحو ولد سنة 1118[3]، تلقى العلوم عن جماعة من الشيوخ من بينهم : محمد العراقي[4] ومحمد بن عبد السلام بناني[5] وغيرهما وتتلمذ عليه طائفة من الأعيان، منهم عبد الله ابن شقرون الفاسي[6] وسليمان الحوات[7] وغيرهما كثير. ولما تولى المولى محمد بن عبد الله أقره على منصبه القضائي بفاس الذي كان فيه على عهد المولى اسماعيل. وأضاف له مزية أخرى وهي أنه اختاره ليكون من الفئة التي يكلفها بالتأليف الحديثي[8]. وقد حضر عبد القادر بوخريص تسلم الساعة التي أهداها المولى محمد الثالث إلى غريفة القرويين سنة 1177هـ[9].

ومنهم، حمدون الطاهري (1191) :

الخطيب أبو العباس الملقب بحمدون الطاهري، فقيه، محدث بالقرويين[10].

ومنهم، بناني (1194) :

---

(1)- الأتحاف 5/332.

(2)- السلوة 1/201.

(4)- انظر عند السلوة 2/12-14 - شجرة النور 356، مؤرخو الشرفاء 146.

(5)- فهرس الفهارس 1/224-227.

(6)- سبقت ترجمته.

(7)- مؤرخو الشرفاء ص : 242 ط : الرباط.

(8)- وقد عده كل من الدكتورين عبد الهادي التازي "جامع القرويين 3/804، ويوسف الكتاني مدرسة الإمام البخاري 2/465" من أعضاء مجالس سيدي محمد بن عبد الله، والحقيقة أن الذي كان من أعضائها هو ابنه عبد الرحمان بن عبد القادر، انظر عنه : الاستقصا 8/56 والأعلام 5/116، والأتحاف 3/184.

(9)- جامع القرويين، 1/201.

(10)- السلوة 2/72.

العلامة الفقيه محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني المعروف بأبحاثه الدقيقة وتعقيباته على فطاحل العلماء، كان أمام مسجد الشرفاء وخطيبه ومدرسه يدرس فيه بعد الصبح التفسير وصحيح البخاري، وضحوة مختصر خليل، وبعد الظهر الألفية، وبين العشاءين الرسالة وغيرها[1].

ومنهم، اليازغي (1199) :

عبد الكريم بن علي اليازغي من علماء فاس وفقهاء القرويين[2].

ومنهم، ابن سودة (1209) :

أبو عبد الله التأودي بن سودة القرشي الأندلسي الفاسي، ينتمي إلى أسرة أندلسية عريقة مشهورة في العلوم، هاجرت منذ عصور إلى المغرب وسكنت بفاس[3]. في عهد السلطان أبي عنان المريني، وهو علامة يحدث أمام فقهاء المغرب، كان مقدما في العلوم ولا سيما الحديث والتفسير والفقيه وعلم الكلام والأصول والمنطق والتصوف حتى لقب بشيخ الجماعة[4]. ولد بفاس، ودرس بها على جلة علماء عصره، وهم كثيرون جمعهم في فهرسته، منهم، محمد بن أحمد بن جلون[5]، و محمد بن الحسن الكندوز المصمودي الفاسي[6] ومحمد بن أحمد التماق[7]، ومحمد بن قاسم جسوس[8]، ومحمد بن عبد السلام بناني[9] والمعطي بن صالح الشرقي[10] وغيرهم.

قرأ على التأودي ابن سودة عدد كبير من الطلبة حتى قال تلميذه محمد الرهوني : "فلا أعلم الآن أحدا ممن ينتمي إلى العلم بالمغرب إلا وله عليه منة

---

(1)- السلوة 1/161 - الدرر الفاخرة ص : 48 - الكتاب الذهبي ص : 172.

(2)- السلوة 2/115.

(3)- مؤرخو الشرفاء ص : 238 ط. الرباط.

(4)- الفكر السامي 4/127.

(5)- انظر عنه مؤرخو الشرفاء 332.

(6)- انظر عنه مؤرخو الشرفاء 225-227.

(7)- انظر عنه "مورخو الشرفاء" ص : 318.

(8)- انظر عنه فهرس الفهارس 1/224-227.

(9)- الحياة الأدبية . 253-256.

(10)- النشر 2/277 - السلوة 1/193 - الأعلام 4/328.

التعليم"[1] وقد حج التأودي عام 1191[2] واجتمع بأعلام العلماء والمحدثين بالمشرق، فسمع واسمع، وروى وأخذ، وأجاز واستجار وتدبج ومكث هناك مدة ألقى خلالها دروسا بالحرمين الشريفين والقاهرة، واقرا الموطأ بالأزهر، فحضر دروسه أعيان المذاهب الأربعة وكبار شيوخ مصر[3].

ومنهم، عبد الله العراقي (1234) :

ولد بفاس ودرس على جماعة من علمائها[4]، وعمدته منهم والده إدريس[5]. وسمع بعض صحيح البخاري على محمد جسوس[6] وغيرها، وقرأ عليه تلاميذ عديدون من بينهم ابنه محمد[7].

ومن السيدات المميزات في هذه الحقبة التاريخية نجد :

السيدة عائشة بنت شقرون الفخار :

السيدة الفاضلة الزكية الكاملة الطيبة المطهرة، الخيرة المنورة، ذات البركة الواضحة، والأنوار اللائحة، والأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة والأخلاق الكريمة.. أم أحمد السيدة عائشة بنت السيد... ذي البركة الغزيرة، سيدي شقرون الفخار... كانت رحمها الله تعالى من الصالحات القانتات القائمات، الحازمات، المطيعات لله، المتابعات لسنة رسول الله، معتنية بأمر الدين، ماسكة بحبله المتين... لها من الصلاح مكانة علية، ومرتبة سنية. فكانت رحمها الله كثيرة البرور والارتضاء لوالدها سيدي شقرون الفخار، بالغة في ذلك الغاية... قائمة بشؤون بعلها الشيخ سيدي محمد – رضي الله عنه – مطيعه لأمره وكلامه، ممتثلة له منقادة، تجل قدره، وتراعي فيه حق مولاه... كثيرة الصدقة من عمل يدها على الفقراء والمساكين والضعفاء من أصحاب بعلها المنتسبين إلى الله... تواسي مديانهم، وتعين

---

(1)– أوضح المسالك 1/13.

(2)– مؤرخو الشرفاء 238 – مدرسة الإمام البخاري 1/256.

(3)– فهرس الفهارس 1/258–260 نقلا عن الفهرسة الصغرى للتأودي ابن سودة.

(4)– السلوة 3/13 – فهرس الفهارس 2/824–825 – النبوغ 1/293–300.

(5)– سبقت ترجمتها.

(6)– سبقت ترجمتها.

(7)– السلوة 3/14.

محتاجهم.. قوالة للحق، ناصحة للخلق، تحض على الدين، وسنن المتقين.. كثيرة الأذكار، والصلاة على النبي المختار، مواظبة على ذلك أناء الليل وأطراف النهار.. كان ولدها سيدي أبو العباس(رض) يقول : كانت لها برمة صغرى تطبخ بها دائما، ويأكل منها أهل الدار والأضياف إن أتوا، لا تزيد على مقدارها. ولا تبدلها بغيرها، وتتناول ذلك بيدها ولا تدع من يتناوله معها، فيكفيهم ذلك كائنين من كانوا توفيت(رض) في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وألف ودفنت وراء بعلها الشيخ سيدي محمد داخل القبة[1].

ومنهن، رقية السبعية (عهد المولى اسماعيل) :

السيدة الصالحة ذات الأنوار اللائحة، والكرامات الواضحة وأسرارا الولاية والفتوحات الغيبية، كانت رضي الله عنها خرساء لا تنطق بلسانها، ولكن تشير بما يفهم عنها. وكلما تخبر به يقع لا محالة، كان محل استقرارها بدار أهلها بالبليدة، ودفنت بجوار سيدي رضوان خارج باب الفتوح[2].

ومنهن، عائشة بنت محمد بن عبد الله معن :

السيدة الفاضلة الجليلة الكاملة الولية المجذوبة القوية أم عبد الله عائشة بنت سيدي محمد بن عبد الله معن... نزل بها جذب عظيم، ووارد جسيم، ... أذنت لزوجها أن يتزوج، وخيرته بين ذلك أو يصبر على حالها وطلبت منه المعذرة، وخرجت مالها كله وأنفقته في سبيل الله وفرقته في أقاربها، وذوي رحمها... كانت تميل إلى العزلة، وإذا جلست مع النساء يلقي الله عليها النعاس حتى لا تدري مايتحدثن به... توفيت بوجع النفاس ولم تلد حينئذ، وكانت وفاتها وقت صلاة الجمعة سابع رجب عام سبعين وألف، ودفنت من ذلك اليوم بقبة أبيها[3].

ومنهن، آمنة السايح :

سيدة زاهدة، وقبرها عند رجلي أخيها سيدي أحمد، وهي أخت الولي الصالح

---

(1)- النشر 2/ 38.

(2)- النشر 4/ 394 لم يذكر تاريخ ولادتها ولا تاريخ وفاتها.

(3)- النشر 2/ 105.

سيدي أحمد السايح دفين القليعة عدوة فاس الأندلس، وأخت الولي الصالح سيدي محمد وهذا الأخير من أصحاب سيدي عبد الله بن حسون[1].

ومنهن، آمنة البستيونية :

السيدة البهلولة المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الانام... من رهط بفاس يعرفون بأولاد البستيون. كانت ساقطة التكليف تنطق بإشارات، وتلهج بعبارات، يستفاد منها أخبار بمغيبات. وجل كلامها لمن يقصدها أين كنت ؟ وأين أنت ؟ فكانت من أهل البركة بمغيبات تصدق في إشارتها، مقبولة عند العامة والخاصة والعلماء والرؤساء، توفيت بدار سكناها، ودفنت بدار تقابل ميضة مسجد السمارين من فاس القرويين[2].

ومنهن، رقية بنت ابن عبد الله :

زاهدة ورعة ناصحة متبعة، شقيقة سيدنا أحمد بن عبد الله معن الأندلسي رضي الله عنها، كانت مقاسمة أخيها في خدمة شيخها سيدي قاسم فيما يرجع إلى الدار أثناء الليل وأطراف النهار، آية من آيات الله في رفع الهمة والزهر والحزم في الطريق والجد، في غاية الإخمال والإهمال والتقشف والإقلال، لا تبالي بقلة ولا بمسكنة وعلية، ومع ذلك لا تقبل من أحد شيئا، وإذا أعطاها أخوها شيئا ردته بملاطفة فتقول : أعطوه من هو أحوج مني... قال أخوها : كنت أتوسل بها إلى الله، كانت تخبرني بأمور لا يحبها المنتصبون للمشيخة، ويحكي عنها مكاشفات، فحكى عنها أنها رأت قطعة من نور قدر جزه الصوف نزلت من السماء بالزاوية على الناس وهم يقرأون الحزب بالغداة.... وأخبرت بمغيبات منها أخبارها بالشيخ أبي العباس اليمني قبل قدومه باثنتي عشرة سنة، وذكرت أنها كانت تراه بالزاوية ووصفته، ثم أتى من بلاده، وكان بالزاوية كما أخبرت، وكان تزوجها الرجل الصالح أبو الحسن علي بن محمد المكني الأندلسي المريني من أجلة أصحاب والدها. وكانت في المرض الذي توفيت فيه مبرورة بلقاء الله، جميلة الرجاء فيه، ولما قربت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأخبرت بدخوله فصلت وماتت... سنة سبع وثمانين وألف، ودفنت بقبة أبيها خارج باب الفتوح[3].

---

(1)- النشر 2/ 157-158.

(2)- النشر 4/ 98.

(3)- النشر 2/ 220 .

ومنهن، آمنة الساكمة (1150) :

في اليوم الحادي عشر من محرم الحرام فاتح الخمسين ومائة وألف توفيت المرأة الصالحة آمنة الساكمة، ودفنت بمأواها الذي كانت تأوي إليه بالبرج الجديد من فاس العليا، وكانت لها جنازة حافلة حضرها الجم الغفير من الناس[1].

ومنهن، خناثة بنت بكار (1159) :[2].

إحدى النساء المغربيات المتميزات بتربيتهن وثقافتهن، لكنها أكثر من الأخريات شهرة، باعتبارها كانت زوجا للسلطان المولى اسماعيل، وأما للسلطان مولاي عبد الله. عربية الأصل، يتصل نسب أبيها بالقحطانيين عرب العرب العاربة، متضلعة في الأدب والعلوم الشرعية، ونظرا لفكرها الوقاد، ورأيها الصائب، وديانتها المتينة، كانت تقوم بدور المستشار الحكيم لزوجها الملك.

وبعد مرور أربع سنوات من تولي ابنها مولاي عبد الله الملك قامت بأداء فريضة الحج صحبة حفيدها سيدي محمد بن عبد الله، حاملة معها مائة ألف دينار هدية للحرمين الشريفين. ولما وصلت خناثة إلى ينبوع من أرض الحجاز، زارها شرفاء هذه الناحية فأوسعتهم عطاء وهبات، وأخيرا دخلت مكة المكرمة صبيحة سابع ذي الحجة 1143، فاشترت عقارات وقفتها في سبيل الله، ومنها دار بباب العمرة، أحد أبواب البيت الحرام، أوقفتها على الطلبة خاصة، وبقيت في مكة عشرة أيام، سارت بعدها إلى المدينة المنورة، ومكثت فيها ثلاثة أيام قبل أن تأخذ طريق العودة إلى المغرب.

وقد خلد ذكرى هذه الرحلة الفخمة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الحسني الشافعي الطبري[3] أمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، في قصيدة مؤثرة امتدح بها السيدة الشهيرة ومطلعها :

غنى على عود السعود هزارى وشذا على الأوتار بالأوطار

---

(1)– النشر 3 / 402

(2)– انظر : أتحاق 3 / 16 – 23 – النبوغ 1 / 281 – الاستقصا 7 في مواشيع متفرقة .

(3)– انظر : ع. الكتاني، فهرس الفهارس 2. 291 – 292 .

وماتت خناة بنت بكار بفاس في شهر جمادى الأولى 1159, ودفنت بضريح الأشراف في فاس الجديد.

ومن آثار قلم خناتة بنت بكار :

1- رسالة تحمل طابعها موجهة إلى سكان وجدة، تنصحهم وتطمئنهم بشأن المخاوف التي كانت تواردهم من قبل جيرانهم أتراك الجزائر.

2- شرح الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني.

وقرأت خناتة على الشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدكالي من حفاظ القرآن الكريم المشهورين، كانت تكتب الآيات الكريمة في لوح تبعث إليه ليسلكه لها، إلى أن استظهرت القرآن الكريم كله.

الخلاصة :

لقد تمت الإشارة في هذا الباب إلى الحديث عن موقع مدينة فاس ومميزاتها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية، وكذا الأعراف التي تنظم العلاقات بين التجار وزبنائهم من جهة، وتلك التي تحكم الحرفيين فيها بينهم من جهة أخرى.

ومن خلال الحديث عن جوانب الحياة الثقافية بالمدينة تم التطرق إلى نشاط العلوم الإسلامية وازدهار الفقه منها، وقد تجلى ذلك على الخصوص في كثرة الفتاوي التي نقلت عن الحوالة الإسماعيلية.

وكان الخوض في مسألة الجلسة وقضية تمليكها من أهم الموضوعات التي شغلت بال الفقهاء في ذلك الزمان، وكانت محط عناية الكثير منهم، فأدلى كل منهم بدلوه في هذا المجال الخصب.

وببسط مختلف آرائهم وفتاويهم اتضحت معالم هذه الجلسة وضوابطها، خاصة بعد عقد مقارنة في الموضوع بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية.

وقد تعزز هذا الباب – في فصله الأخير – بتقديم جرد بعدد لا يستهان به من فقهاء هذه الحقبة التاريخية ومن ضمنهم أولئك الذين لهم اليد الطولى في الميدان الثقافي عامة والفقهي خاصة، وقد وجد من بينهم نساء صالحات كان لبعضهن فضل في الميدان نفسه.

على أن الحالة الثقافية لا يمكن أن تنحصر في الاجتهادات حول موضوع الجلسة فحسب، أو تقتصر على فتاوي في موضوعها، بل هناك موضوعات أخرى – لا تقل أهمية عن سابقاتها وترتبط أيما ارتباط بالمجال الثقافي بصفة عامة، ويتجلى ذلك خاصة في الآثار العلمية التي تنعكس على المجتمع الفاسي في القرن الثاني عشر الهجري، ويدخل في هذا الإطار – على سبيل المثال لا الحصر – وقف الكتب العلمية على الخزانات وما صاحبه من إشعاع لنورها على المثقفين عامة وذرية الواقفين خاصة، وعن قيمة الحبس بالنسبة للعلم وفضله في نشره وتحسين ظروفه، والكلام على الحوالة من حيث حجتيها وتقديمها على سواها من الحجج الأخرى أثناء المرافعات، وضرورة احترام لفظ المحبس وعدم تجاوزه ... وكلها من الموضوعات التي تمت إلى الميدان الثقافي بصلة وثيقة. وهكذا فإن الباب الثاني من هذا القسم يشتمل على فصلين وأربعة مباحث.

الباب الثاني

الأثر الثقافي للنهضة العلمية

كنموذج ثانٍ

الفصل الأول :

تجليات هذه الآثار

المبحث الأول :

وقف الكتب على الخزانات العلمية والذرية

لم يكن اهتمام المغاربة بالعلم وليد الصدفة أو رهين حدث معين ولا شيئا دخيلا أو جديدا عليهم، بل هو قديم قدم التاريخ، يعتبرون الخوض فيه والتمسك به من ضرورات الحياة كالماء والهواء بالنسبة لحياة الإنسان، ولذلك لم تخل أية فترة، من هذا الاهتمام البين الذي كان يرعاه قاداتهم وإن لم يكونوا مشاركين فيه كما هو الحال - على سبيل المثال لا الحصر - بالنسبة لعلي بن يوسف بن تاشفين وسيدي محمد بن عبد الله والمولى سليمان وغيرهم.

وما اكتظاظ المجالس الحديثية في عهد الملوك العلويين ومن سبقهم من ملوك المرابطين والموحدين، والمرينيين، واشتمالها على محدثين أكفاء من مختلف المناطق المغربية قصد العطاء والاستفادة، وما تحبيس الكتب العلمية على الخزانات والذرية، وتحبيس الساعات والأسطرلابات قصد الاستعانة بها على ضبط التوقيت، وما نتج عن ذلك من فتاوى واجتهادات قيمة، لم يكن كل ذلك إلا دليلا على التشبث بالدين الحنيف والمحبة في إثراء الحضارة المغربية وإبراز النهضة الثقافية.

لقد سبقت الإشارة إلى أن اهتمام الملوك العلويين لم يكن منصبا على جامع القرويين فحسب - باعتباره أم الجوامع والمساجد - بل أضافوا إلى اهتمامهم هذا اهتماما متزايدا بالخزانات العلمية وذلك عن طريق الاعتناء بها والعمل على تنظيمها، ويكفي شغفا بالعلم، أن يستغل المولى إسماعيل وقوع بعض الرهائن الأجانب تحت يده ليطلب من دول تلك الرهائن أن تعطيه في مقابل (الخمسين أسيرا نصرانيا) من المائة التي كانت عنده خمسة آلاف كتاب بشرط أن يكون الكتاب من كتب الإسلام الصحيحة[1]، وذلك تقديرا منه لمكنونات هذه الكتب وأهميتها، حتى قيل : "إن الخزانة الإسماعيلية جمعت من التصانيف وأنواع الدفاتر وأسماء التآليف ما لم تحوه خزانة بغداد ولا علق بحفظ الأستاذ[2]. الكلام والمنطق والأصول

---

(1)- انظر الأتحاف 2/64, عبد الهادي التازي 3/ 668.

(2)- انظر دعوة الحق مارس 1969 ، عبد الهادي التازي 3/ 668 وقد آل أمرها إلى جامع القرويين - كما سيأتي - وذلك على يد ولده السلطان المولى عبد الله.

والتوقيت والحساب والطب[1].

وقد اقتفى المولى عبد الله أثر والده في هذا الصدد، فشحن رفوف الخزانة في تاريخ 22 رجب عام 1156هـ بعدد كبير من الكتب العلمية كان منها كتاب الطب لسيدي محمد الصنهاجي[2].

أما أيام سيدي محمد بن عبد الله، فقد شهدت علاوة على عنايته بالكتب وفرة النساخين الذين كانوا ينسخون النادر منها ليحبسه العاهل على خزائن مصر القاهرة والأسكندرية كما فعل بنسخ من تاريخ ابن خلدون، ووفيات الأعيان، وقلائد العقيان، والأغاني، ونفح الطيب وغيرها[3].

ولقد كان رحمه الله يجلب بدوره المزيد من المخطوطات الفريدة والنادرة من المشرق[4]، وعندما استخلف السلطان ابن عمه المولى إدريس بن المنتصر بفاس وولاه على قبائل الجبل كلها، أمر بتحبيس الكتب الإسماعيلية التي كانت بدويرة الكتب بمكناسة، وعددها اثنا عشر ألف مجلد وزيادة فحبسها على مساجد المغرب كله ولازالت خزائنها مشحونة بها إلى الآن مكتوبا عليها رسم التحبيس باسم السلطان المذكور[5].

ونفس الرغبة كانت تحذو سائر الملوك العلويين بعده، وبهذا "نفسر بادرة مولاي علي بن محمد الثالث في ذي القعدة سنة 1183هـ، وبادرة أخيه المولى اليزيد أوائل شوال 1204هـ"[6].

كما تم الالتفات إلى (الغريفة) غريفة الموقتين، فازدانت بمختلف أنواع الساعات الأوربية والات الحساب التي استوردت خصيصا من الدول الصديقة[7]. كما شع نور كرتي العلم على هذه الغريفة فساعدت الموقتين على إنجاز عملهم في أحسن

---

(1)- انظر الدكتور عبد الهادي التازي 3/668.
(2)- الحوالات الحبسية، وسيأتي الحديث عن ذلك بشيء من التفصيل.
(3)- الأتحاف 3/251 - دعوة الحق، دسمبر 1960.
(4)- الاستقصا 8/66.
(5)- الاستقصا 8/17 ، وكان ذلك سنة 1175 هـ
(6)- الاستقصا 8/66.
(7)- الدكتور عبد الهادي التازي 3/654.

الظروف[1]. وكثيرات هي الساعات التي ازدانت بها (الغريفة)، "فإلى جانب الساعة الهولاندية توجد ساعة فرنسية أيضا هدية من السلطان المولى إسماعيل وهي محمولة على عمادين رخاميين صغيرين[2]. يقومان على قاعدة رخامية أيضا، وقد حبسها في منتصف شهر رجب عام 1125هـ، وهناك ساعة إنجليزية صنعت في لندن، وقد حبسها على غريفة الموقتيين المولى عبد الله سنة 1168هـ في مملكته الرابعة على مدينة فاس[3].

وهناك الساعة اللندنية التي أهداها سيدي محمد بن عبد الله إلى منار القرويين سنة 1177هـ، وتوجد كذلك بالغريفة (مكانة) من صنع إنجليزي صنعت بلندن، وقد حبسها المولى اليزيد على جامع القرويين، وإن لم تتجاوز أيام ولايته السنتين وذلك سنة 1205هـ[4].

هذا وقد سجل التاريخ عن السلطان المولى سليمان شغفه بالحصول على مخطوطة فريدة كانت تنقص المكتبة المغربية وأدى في سبيل ذلك المبالغ الهامة[5].

وكان التفقه في الدين ميزة تأخذ بلب الناس أجمعين لما له من دور في إصلاح المجتمع المسلم خاصة، وكان الناس يتشبثون أكثر بمن يحمل علما، ويولونه تسيير البلاد، ولذلك فقد "كان من أبرز الحيثيات التي رجحت ترشيح المولى سليمان لكرسي الإدارة أنه علاوة على الشرط الأساسي الذي كان يتوفر عليه باعتباره من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، كان من العاكفين على العلم السابقين، وقد

---

(1)- انظر الكلام عليهما بتفصيل في نهاية هذا الفصل.

(2)- كتب الموقت الحبابي رحمه الله على السارية الرخامية اليمنى بما يلي : "وضعنا هذه الساعة على عادة المشارقة الذين يكون في مواكينهم 12 دائما وقت آذان الظهر، لأن هذه العمل لم يستعمله أحد بمغربنا، وله وجه في علم التوقيت ولا يعرفه إلا من له باع طويل فيه، ولم يسبقني أحد بها، والحمد لله"

(3)- تولى المولى عبد الله أربع مرات على البلاد أولا من سنة 1141 إلى 1147 ثم من سنة 1149 إلى 1150 ثم من سنة 1152 إلى 1153 وأخير من سنة 1154 إلى 1171هـ (انظر عبد الهادي التازي 3/656).

(4)- سيتم الحديث بشيء من التفصيل عن محتويات (الغريفة) مأخوذا من الحوالات الحبسية، وكذا عن الكرتين اللتين يرجع تاريخها إلى عهد سيدي محمد بن عبد الله مما يدل على مواكبة القرويين للسير الحضاري والإشعاع الثقافي.

(5)- ويتعلق الأمر بنسخة من صحيح البخاري بخط الإمام الصدفي، كانت بطرابلس، وحال دون وصولها – بعد شرائها من صاحبها – اضطابات وقعت بالجزائر. انظر بحثا في مجلة المجمع العلمي العراقي 1972.

أثر اسمه في الأناشيد الشعبية على أنه من ملازمي سواري القرويين"[1]. وقد وقع بيعته منذ اللحظات الأولى أعيان علماء القرويين ومشايخها[2]، وقد أثر عنه أنه كان يتميز بمشاركته شخصيا في تسيير الدروس والإشراف على الامتحانات، وكان ولوعا بجمع المخطوطات من سائر الجهات ومن الأقطار المشرقية[3].

هذا وإذا كان تحبيس الكتب – وبأعداد هائلة – على الخزانات والذرية، مقياسا للاهتمام البالغ الذي شهده العصر، فإن التعمق في الدين والتفقه فيه أدى إلى وقف أجهزة نادرة لا تقل أهمية عن الكتب، ومنها : آلات التوقيت، والمواجن، والاسطرلابات، والكرات الفلكية التي لم يكن اقتناؤها والعمل بها إلا مزية المسلمين الصادقين الذين يعتنون بأمور دينهم، ويهتمون بضبطها لما في ذلك من رضى الله تعالى، وهي مزية جبل عليها المغاربة في كل زمان.

وأما تحبيس العدد الهائل من الكتب العلمية فيظهر جليا الوعي الذي وصله المغاربة في هذا المجال وولعهم بالعلوم الدينية خاصة، وكانت الغاية من ذلك كله التوسع في آفاق المعرفة، ولذلك ما فتئ الملوك العلويون يسهلون هذه المأمورية لإيجاد المناخ الملائم والظروف المواتية فكانوا يشيدون الصروح ويبنون المقرات، ويجودون بالكتب القيمة ويحضرون الأدوات والأجهزة المسعفة، وكذا الاهتمام بعلماء العصر وفقهائه أنفسهم حتى إن جل الملوك لا يقدم على أمر من الأمور الهامة إلا بعد مشورتهم الشيء الذي يؤكد أنهم يجلون العلم ويقدرون أهله تقديرا كبيرا، وفي هذا الإطار جاءت مبادرة سيدي محمد بن عبد الله في السعي في فك أسرى المسلمين، ومطالبة الإسبان بمعاملة ذوي العلم معاملة خاصة ذلك أن "جماعة من أسرى المسلمين كتبوا إلى السلطان رحمه الله يعلمونه بما هم فيه من ضيق الأسر وثقل الأصر، وما نالهم من الكفار من الامتهان والصغار، وكان فيهم من ينتمي للعلم ومن يقرأ القرآن وغير ذلك، فلما وصلت كتبهم إلى السلطان وقرئت عليه تأثر لذلك ووقعت منه موقعا كبيرا وأمر في الحين بالكتب إلى طاغية الاصبنيول يقول له : (إنه لا يسعنا في ديننا إهمال الأسارى وتركهم في قيد الأسر،

---

(1)- السلوة 2/10 – راجع تفصيل ذلك في صك إنشاء الحوالة السليمانية.

(2)- انظر الاستقصا 8/89 – 90.

(3)- عبد الهادي التازي 3/724.

ولا حجة في التغافل عنهم لمن ولاه الله الأمر، وفيما نظن أنه لا يسعكم ذلك في دينكم أيضا)[1]. وأوصاه أن يعتني بخواص المسلمين الذين هنالك من أهل العلم وحملة القرآن، وأن يسلك بهم مسلك غيرهم من عامة الأسارى.... ولما وصل هذا الكتاب إلى الطاغية أعظمه وكاد يطير سرورا به، وللحين أمر بإطلاق الأسارى الذي بحضرته وبعث بهم إلى السلطان ووعده أن يلحق بهم غيرهم من الذين بقوا في إيالته"[2].

إن كان رحمه الله محبا للعلماء وأهل الخير، مقربا لهم، لا يغيبون عن مجلسه في أكثر الأوقات، وكان يحضر عنده جماعة من أعلام الوقت وأئمته.... كانوا يسردون له كتب الحديث ويخوضون في معانيها ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى إشارته، وكانت له عناية كبيرة بذلك، وجلب من بلاد المشرق كتبا نفيسه من كتب الحديث لم تكن بالمغرب مثل مسند الإمام أحمد، ومسند أبي حنيفة وغيرهما، وألف في الحديث تآليف بإعانة الفقهاء، منها : كتاب مساند الأئمة الأربعة[3]... ومن عجيب سيرته أنه كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في فن الفقه وغيره، وإعراضهم عن الأمهات تضييع للأعمار في غير طائل، ولا يترك من يقرأ مختصر خليل، ومختصر ابن عرفة وأمثالهما[4].

ولما أفضي الأمر إلى المولى سليمان رحمه الله صار يحض الناس على التمسك بالمختصر، ويبذل على حفظه وتعاطيه الأموال الطائلة...[5] كما تقدم.

ولم يكن ذلك إلا مظهرا من مظاهر شغف الملوك بالعلم، وعطفهم على أهله، ورغبتهم الأكيدة في إشعاع نوره، والإغراء للارتواء من حياضه ومعينه، وهكذا تطلعنا الحوالات الحبسية على وقف الأعداد الهائلة من الكتب المتنوعة المضامين على الخزانات العلمية، والزوايا، والمساجد، والأضرحة، وكذا على الذرية حيث رجوعها بعد انقراض هذه الذرية إلى إحدى المؤسسات الدينية، ومن الصنف الأول

---

(1)-الاستقصا 8/ 23-24.
(2)- نفس المرجع ص : 224.
(3)- انظر الاستقصا 8/ 66.
(4) - نفس المرجع.
(5)- انظر / الاستقصا 8/ 66.

الكتب العديدة الموجودة بخزانة زاوية العارف الكبير سيدي أحمد بن عبد الله، وذلك بتاريخ صفر عام 1158هـ، وكذا ما بيد الطلبة قصد الانتفاع[1].

ولقد نهج المولى عبد الله نهج والده فحبس ما يقرب من ستمائة كتاب على خزانة جامع القرويين آملا أن يجد ثواب ذلك عند الله تعالى، ومن جملة ما جاء في نص التحبيس :"... إلى أن عين ستمائة كتاب تنقص أربعة من خزانة كتبه ومما عنى هو أيده الله بجلبه وكسبه وحبس خلد الله ملكه جميع ذلك على خزانة جامع القرويين عمرها الله تعالى بدوام ذكره... وهذه الأسفار تشتمل على كتب غالية الأثمان، عالية القدر والشأن... تقبل الله من سيدنا المنصور هذه القربة السنية وجعلها من الأعمال الصالحة الموصلة عند الله إلى نيل كل أمنية وأدامه لحماية بيضة الإسلام وأعلى مقامه فوق كل مقام...."[2].

وكان قصدهم كذلك تثبيت دعائم الإسلام والتفقه في الدين ورضى الله تعالى، وتلك الغاية المستنبطة من وثيقة إنشاء الحوالة الإسماعيلية رقم 47 والتي تتحدث عن منشئها فتقول وجمع الجوامع ورفع المنارات، وشيد المآذن والصوامع، وزخرف بيوت العبادة والمساجد، وعمر المنازل والمعاهد، ونور الضرائح والمزارات للقاصد، وسبل السبايل، وأعذب المناهل، وأدرك ما لم يدركه الملوك الأوايل حماية لبيضة الإسلام، ونكاية لعبادة الأصنام، وحياطة لأمة النبي عليه السلام، ورهبة لأعداء الدين الكفرة الذين أكبادهم مفطورة من هيبة هذه الدولة... ولما بنى نصره الله

---

(1)- انظر الحوالة العبد الرحمانية من ص : 310 إلى 313, وقد وصل عدد هذه المؤلفات إلى 221 مجلدا من بينها: نسخة البخاري بخط سيدي عبد القادر الفاسي في أربعة أسفار : المكودي وابن هشام في سفر واحد، الاستيعاب لابن عبد البر في سفرين، الثابت من المواهب اللدنية، شرح التحفة لابن ناظمها ، سفر من ابن خلكان، شرح دلائل الخيرات، العلقمي في أربعة أسفار، سفران من النووي.

(2)- الحوالة ا لإسماعيلية رقم 46. ص : 66, أرخت الوثيقة يوم 22 رجب عام 1156هـ، ولم تحمل أي توقيع، وقد ذيلت بجرد لهذه الكتب القيمة، اقتطفت منها : 19 من المصاحف في مقدمة هذا الحبس، وكتب التفسير ومن بينها: (النيسابوري، الجواهر، الكشاف، الوجيز، الجلالين.....) وكتب الحديث من بينها : (صحيح البخاري، كتاب الشفا، ابن حجر، إحياء الميت، حاشية الإمام السنوسي....) وكتب السير ومن جملتها :(الصلاة على النبي، التصوف، الوعظ، الفقه، والأصول ....) وكتب اللغة والنحو والمنطق والبيان والتعبير والأدب، وفي صفحة 69 من الحوالة نفسها جرد بكتب التاريخ والأخبار، وكذا بالكتب التي يبعث به السلطان لانتفاع الطلبة بها.

وغرس، وقعد وأسس وسبل ووقف وحبس وأعطى ووهب وحاد بما وجب...."[1].

وحيث كان الملوك قدوة للمواطنين، خاصة لأولئك الذين يقدرون العلم حق قدره أدلى كل بدلوه في الميدان، إذ ما زالت الكتب والمصاحف القرآنية ترد على كثير من المساجد والخزانات بفاس، وقد تبرع بها المتبرعون الذين يلح بعضهم على إخفاء اسمه وعدم ذكره، ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة. وطالما يقتصر الحديث عن هذه المبرة في القرن الثاني عشر الهجري فبالحوالة السليمانية تحبيس يحمل تاريخ عام 11401هـ، ونصه :"الحمد لله ذكر الكتب المحبسة التي حبسها الإمام العلامة الهمام شيخ الجماعة القدوة البركة سيدي محمد بن الفقيه العالم الأفضل المرحوم بكرم الله عز وجل سيدي الحاج عبد السلام بناني على من ذكر بالوثيقة أسفل الكتب المذكورة، وكان ابتداء تحبيسها عام أربعين بعد مائة وألف"[2].

وكان تحبيس الوسائل المسعفة والكفيلة بتنشيط هذا المجال مواكبا لتحبيس الكتب، من ذلك ما عثرت عليه بالحوالة الإسماعيلية حيث سيدي محمد بن عبد الله يحبس (مجانة) استعانة لموقت القرويين على عمله، ومما جاء في وثيقة التحبيس: "الحمد لله حبس مولانا الإمام... أيد الله نصره، وخلد في الصالحات ذكره، جميع المجانة على جامع القرويين... وبسط يد الموقت بالجامع المذكور على حوز المجانة فحازها معاينة وجعلت بصومعة الجامع المذكور حبسا مؤبدا... وشهد على الموقت

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص :2-3.

(2)- انظر الحوالة الإسماعيلية ص : 425 . وقد وقفت على نفس النص بلفظ مغاير في الحوالة العبد الرحمانية. ص : 307 إلى 309, وقمت بعد هذه الكتب فإذا هي 106 : ولكنه يحمل تاريخ أوائل محرم 1249هـ، وتضيف هذه الوثيقة الأخيرة أن هذه الكتب هي الموجودة بزاوية الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام بناني بحومة الديوان بحي الصاغة. وقدذيلت باعتراف حفيد المحبس السيد التهامي بأن هذه الكتب هي المذكورة أعلاه وهي التي حبسها جده. أما بالحوالة السليمانية فقد ذيل النص السابق بجرد طويل جدا استوعب عددا من صفحات الحوالة على كبر حجمها، ومن أبرز هذه الكتب :"نسخة ا لبخاري بخط والد المحبس في ثمانية أسفارا، البيضاوي في سفر واحد، السيرة النبوية للشامي في أربعة أسفار، النصف الأول من الكشاف في سفر واحد، شرح ابن عباد على الحكم، تخريج أحاديث الأحيا للعراقي، حاشية المحلى على السيرة في ثلاثة أسفار، الأحيا للغزالي في سفرين، الإصابة لابن حجر في سفرين، مجموع شرح السبكي على عقيدة ابن الحاجب وما معه، تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي في سفرين، طبقات الإمام الشعراني في سفر واحد، مفتاح الشفا في ثلاثة أجزاء، جزء مختصر ابن عرفة، ثلاثة أرباع الخرشي الصغير في سفرين، المعيار في ستة أسفار، شرح الزقاقية، حاشية العبادي، مجمع شراح الخزرجية، الأزرقفي سفر، شرح مناسك الشيخ خليل للحطاب، المرادي على الألفية... وتحت هذا الجرد إشهاد على الحفيد بتسلمه الرسم الذي يجمع هذه الكتب مع تراجمها، يحمل الإشهاد تاريخ جمادى الثانية 1246 هـ

بالحوز في سادس المحرم الحرام عام سبعة وسبعين ومائة وألف..."[1].

كما وقفت على وثيقة أخرى بالحوالة توضح الأسباب التي دعت سيدي محمد بن عبد الله إلى تحبيس المجانة على غريفة التوقيت بالقرويين، ومما جاء فيها:"... ومن شيم مولانا وسجاياه ومناقبه الهاشمية ومزاياه شدة الاعتناء بأمور الدين وما فيه رضى رب العالمين... ما بغرفة المعدل بجامع القرويين المطلة على صحنه من المجانات قد اندثر جلها وكاد يستولي بمرور الليالي والأيام على كلها اقتضى نظره السديد ورأيه الموفق الرشيد أن بعث لها بمجانة سارية جيدة العمل والإتقان من عمل الإنجليز... يستعين بها المعدل على القيام بشرائع الإسلام... حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، تقبل الله من مولانا عمله وجعله من صالح المدخر له... وجازها الفقيه العدل الفرضي... سيدي إدريس الحبابي بمحضر الناظر في حينه التاجر... السيد بلقاسم جنون...."[2].

ومن جملة ما شد به عضد التوقيت وعزز طرائقه كرتا العلم[3] السماوية والأرضية اللتان سبقت الإشارة إليهما، وأومأ إليهما الدكتور عبد الهادي التازي، فلقد وقفت على وثيقة في الحوالة السابقة تتحدث عن هذا الكسب الجديد، ومما جاء فيها:"... وأوردهما بنيس من ثغر طنجة ووضعهما بغريفة التوقيت... إعانة على التوقيت. تقبل الله من مولانا المنصور بالله عمله ووفاه مراده وأمله حضر بنيس المذكور وأحضر الكرتين المذكورتين ودفعتا بمحضر من ذكر[4]، للمؤقت الحاج محمد الحبابي بالغريفة معينة بالقصد المذكور، فمن حضر ما ذكر، وشهد على من ذكر...."[5].

ونظرا لندرة هذه النفائس من مجانات متعددة واسطرلابات وكرات علمية،

---

(1)- الحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 435، وقد ذيل النص بإمضاءين في شكلهما المعقد، وبعدهما توجد هذه العبارة :"(الحمد لله أدوا فقبلوا واعلم به عبد الله تعالى) ، ويليها إمضاء في شكله المعقد أيضا.

(2)- الحوالة السليمانية. وسط صفحة 403.

(3)- يرجع الدكتور عبد الهادي التازي جلبهما من اسبانيا سنة 1183هـ على عهد سيدي محمد بن عبد الله أنظر في الموضوع : جامع القرويين 3/664.

(4)- يقصد القاضي محمد بن ابراهيم، وناظر أوقاف القرويين المحدث عبد الرحمان بن مخلوف الأندلسي والفقيه إدريس بن الطالب الشاوي المشاط المنافي.

(5)- انظر الحوالة السليمانية، أسفل صفحة 410.

ونظرا كذلك ما تكتسي من قيمة عظيمة في الحياة العلمية على الخصوص فقد كانت محط عناية وتقدير، لذلك دأب المهتمون بالمجال العلمي والديني على حفظها وتفقدها في كل وقت وحين، مستعملين كل الوسائل لئلا تمتد إليها يد العابثين فتمسها بسوء أو تعطلها أو تختلسها، وكان الحرص عليها أشبه ما يكون بحرص البخيل على ممتلكاته النادرة لصعوبة الحصول عليها وقلة نظيرها.

وكان على رأس هؤلاء المسؤولين الملوك الذين لم يتركوا فرصة تمر دون مراجعة ما تحتفظ به "الغريفة" وغيرها، والتأكد من عدد القطع النفيسة بها. وفي هذا الصدد، اطلعت في الحوالة السليمانية على أمر السلطان المولى الحسن الأول لناظر أوقاف القرويين بإحصاء ما يوجد بالغريفة من الآت التوقيت والمواجن والاسطرلابات والكتب والكرات الفلكية، وتقييد عدده بالعدول، والإشهاد على الموقت الذي يتحمل مسؤولية ضياع أي شيء منها، ومما جاء في هذه الوثيقة:"الحمد لله لما ورد أمر مولانا أمير المؤمنين ناصر الملة والدين ونعمة الله العظمى على المسلمين، المجبول على كل وصف حسن سيدنا ومولانا الحسن أيد الله نصره وأدام في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدده على ناظر القرويين في حينه الطالب الأرضى الحازم الأحظى السيد عمر الشامي الخزرجي بأن يحصي ما هو لجانب الأحباس المذكورة من الآت التوقيت والمواجن والاصطرلابات والكتب والكرات الفلكية ويقيد عدده بالعدول ويشهد على الفقيه الميقاتي سيدي عبد السلام العلمي بحيث يكون في ذمته، وإن وقع ضياع في شيء منه يكون دركه عليه وهو يدفعه لنائبه هناك في التوقيت الطالب محمد بن عبد القادر الحبابي ويشهد عليه بالعدول كذلك لئلا يضيع منه شيء توجه شهيداه أمنهما الله بمنه صحبة من ناب عن الناظر المذكور لمرضه ويجب عما هو محبس بغريفة الجامع المذكور مما ذكر فألفى بها أربع وعشرون آلة المقيدة بالطرة يمنته، وبعد أن حضر الشريف الفقيه الميقاتي سيدي عبد السلام، المذكور وأدخل جميعها في ذمته حضر نائبه في الخطة المذكورة نائبه الطالب الأبر سيدي محمد الحبابي وحاز منه جميع الآت التوقيت المقيدة حيث أشير حوزا تاما عيانا، فمن توجه لما ذكر للأمر المذكور قيده شاهدا به عليهما بأتمه عارفين قدره وعرفهما... "[1]، وبالهامش الأيمن للنص تم جرد ما يلي :

---

(1)- انظر الحوالة السليمانية ص : 403، ذيل النص بتاريخ ثالث رمضان 1301هـ وباسم كل من عبد العزيز بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن محمد الفاطمي الإدريسي الحسني، أعقبها إمضاءان في شكلين معقدين.

1- مجانة سارية نجليز من مآثر سيدنا المقدس.

2- جلاسية صغرى فرانسيس من مآثر مولانا سليمان.

3- ساريتان نجليزيتان من مآثر مولانا سليمان.

4- جلاسية صغرى مرصف من مآثره أيضا.

5- مجانة سارية نجليز من حبس مولاي إدريس بن عبد الهادي.

6- ساريتان فرانسيس بشراء الناظر الحاج عبد القادر بناني.

7- جلاسية صغرى نجليز بالزكراير من شرائه أيضا.

8- جلاسية صغرى رخامية بشراء الناظر السيد بلقاسم جنون.

9- مجانة راغونة.

10- مجانة مربعة شطاية

11- مجانة بطوطية شطاية

12- جلاليس عن ثلاث شطايات.

13- كوارة من صفر

14- كورتان ماركا غير إحداهما شطاية.

15- أسطرلاب شطاية ملصق بالخزانة.

16- رخامات 3 إحداها من عمل الحبابي واثنان من عمل اللخمي[1].

ولما كان السيد الحاج محمد الحبابي الموقت[2] بجامع القرويين أحد حفدة السيد الحبابي المذكور بالوثيقة أعلاه، فقد هرعت إليه من فوري علني أجد لديه ما يشفى

---

(1)-كان النقل بأمانة ولذلك فهناك كلمات مبهمة أو لا معنى لها أو معربة كتبتها كما هي.

(2)- كان اتصالي بالموقت الحبابي رحمه الله قبل وفاته بستة أشهر تقريبا.

غليلي، ويستجيب لحب استطلاعي، خاصة وأن موضوع كرتي العلم أجهل عنه كل شيء.

وبالفعل اتصلت به، فوجدته الرجل الأمين والمسؤول الرصين، والإنسان المعتمد عليه فيما يخص التوضيح والاستفادة، ونقل الأخبار بكل أمانة، وقد جاء في جوابه بعد استفساري له عن كنه كرتي العلم ودورهما في التوقيت، ما يلي : إن كرتي العلم موجودتان. وحتى تكون على بينة من أمرهما، فإني أفضل أن تصاحبني إلى غريفة التوقيت[1] فعلا صاحبته إليها، فإذا الغريفة عبارة عن بيت متوسط المساحة أنيق يطل على صحن الجامع، قد زين بمصابيح كهربائية، أحيطت جدرانه بساعات حائطية نفيسة عتيقة، يعود تاريخها إلى عهد المولى الحسن الأول وما قبله، ولقد شاهدت على إحداها هذه العبارة :"من طرف السلطان مولاي الحسن سنة 1308هـ"، وهذه الأخيرة ما زالت تعمل بانتظام إلى الآن، وتضبط الوقت ضبطا تاما شأنها في ذلك شأن بعض مثيلاتها، بينما هناك ساعات أخر قد عطلت لسبب أو لآخر، كما تضم "الغريفة" آثارا نفيسة كألواح خشبية ومفاتيح حديدية يقل نظيرها... وقد كنت مشدودا لما يدهش حقا، ويتعلق الأمر بما ثبت على طول الجدار الأيمن "للغريفة" وهو ما يسمى بالساعة المائية والتي بها أربعة وعشرون ثقبا، يأخذ كل منها شكل محراب، ذكر السيد الحبابي – رحمه الله – أن كل ثقب يعبر عن ساعة من الزمان، هذا الثقب كان فيما مضى من الزمان يحمل جرة مائية مليئة بالماء.. وبنفاذ آخر قطرة منه تنتهي آخر ثانية من الساعة.. ومازلت أندهش لما أرى من هذه العجائب حتى أخرج لي كرتي العلم، الأرضية منهما عبارة عن خريطة للكرة الأرضية تحتوي على جميع القارات والدول وأشهر المدن، والكتابة التي عليها ليست واضحة، وفي مجموعها شبيهة إلى حد بعيد بالكرة الأرضية التي كان المعلم بالمدرسة الابتدائية يحضرها إلى الفصل ضمن وسائل الإيضاح ليشرح لتلامذته درسه في مادة الجغرافية، ووجه الاختلاف بينهما أن التي بالغريفة أكبر حجما، وقد وضعت في إطار خشبي تحمله أربعة أرجل، وقد صار لونها بنيا لضربها في القدم.

بينما الكرة السماوية، فلها نفس شكل الأولى إلا أنها تتميز عنها بكسر في أعلاها، وقد لمستها بيدي فإذا هي ناعمة ربما صنعت من ورق مقوى خاص مر عليه زمن طويل قبلي، ومن حيث مضمونها فتحتوي على الكواكب والأجرام السماوية الثابتة منها والمتحركة.

---

(1)– غريفة التوقيت هي الموجودة على يسار الداخل إلى جامع القرويين من باب الشماعين.

وقد عطلتا معا لقدمهما والاستغناء عنهما، وقد ذكر السيد الموقت في الأخير أن التوقيت أصبح اليوم معتمدا في كليته على حساب من نوع خاص[1].

يلاحظ بما لايدع مجالا للشك أن هذه الكتب المحبسة، وكذا الوسائل العلمية والتقنية من آلات التوقيت ومجانات وغيرها ساهمت مساهمة فعالة في تنشيط الحركة العلمية عامة والفقهية خاصة. فكانت الاجتهادات، وكانت الفتاوى التي تحل المشكلات، وتفرج المعضلات، وتجعل الناس مطمئنين لإدراكهم كنه الدين وحلاوة الإيمان، وخاصة عندما يعرض لهم عارض، فيجدون الحل الملائم الذي يسير مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعن طريق ما يسمى بالعمل الفاسي الذي سار في الناس مصدرا شائعا وذاع صيته في كل من الجزائر والمغرب على السواء، وقد علق الدكتور عمر الجيدي على هذا العمل ومكانة المناصرين له بقوله:"إلا أن العمل الذي كانت له شهرة أكثر من غيره... بعد عمل قرطبة هو عمل فاس والقيروان لشهرة المدينة العلمية، ولاحتوائهما كبار العلماء الذين يعول عليهم في الاستنباط والتخريج وتعليل الأحكام ولتوافرهما على جامعة علمية كل واحدة منهما كانت معقل الفقه المالكي والفقهاء، مما جعل عملهما يطبق في مجموع البلاد التونسية بالنسبة لعمل القيروان والمغربين الأقصى والأوسط بالنسبة لعمل فاس"[2].

ونشطت هذه الحركة العلمية أيما نشاط، حتى قيل إن الرجل الأمي في فاس أصبح معلما في بيته لأهله وأبنائه لكونه مدركا لحقائق الدين، عاملا بها متقنا لأدق القواعد لتردده المستمر والمنتظم على جامع القرويين وبعض ما يدور في فلكه من مدارس حيث تنصب الحلقات المتعددة وفي مختلف الأوقات وحيث تدرس الفنون والعلوم، فهناك فن القراءات، وهناك تدريس الفقه والأصول والتفسير والحديث، وهناك تلقين الآداب الإسلامية، وهناك تعليم اللغة على اختلاف ما يتفرع عنها من مواد[3]، فضلا عن تدريس الجبر والهندسة وعلم التنجيم وغيرها. فكانت القرويين حقيقة المسجد والجامع - ويطول بنا الحديث لو أطلقنا العنان للكلام على هذا الجانب الذي لا تخفى أهميته على أحد - ولكن يكفي في هذا المجال الرجوع إلى

(1)- الخوض في موضوع "التوقيت" وبعض ما يدور في فلكه من مدارس. يحتاج إلى بحث خاص.

(2)- العرف... ص: 376-377.

(3)- لقد سبقت الإشارة إلى عدد الكراسي العلمية وتنوع المواد التي يلقيها الجالسون عليها.

العلامة الدكتور عبد الهادي التازي[1] فقد أعطى للموضوع ما يستحقه.

هذا وإذا كان المغاربة – وفي مقدمتهم ملوكهم – يقفون الكتب النفيسة المفيدة وغيرها من الآلات القيمة والرباع المتعددة على العلم قصد نشره وتحسين ظروفه، فما قيمة هذا الوقف بالنسبة للعلم ؟ وما فضله في نشره وتحسين ظروفه ؟ ذلك ما نخصص له المبحث الموالي.

المبحث الثاني :

قيمة الحبس بالنسبة للعلم، وفضله في نشره وتحسين ظروفه.

لا جرم أن الإسلام رفع من قدر العلم، وبوأ أهله المكانة الرفيعة، ويكفي دليلا على ذلك أن أول ما نزل من القرآن سار في هذا الاتجاه قال الله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"[2]. ولم ينزل الله هذه الآيات الكريمة إلا رحمة منه سبحانه وتعالى بعباده، وتشريفا وتكريما لهم بالعلم والمعرفة، وتنبيها إلى تنامي الإنسان وتدرجه نحو الكمال، فقد ابتدأ خلقه من علقة ضعيفة ثم بوأه المكانة الرفيعة في الأرض بفضل القراءة وفصاحة اللسان، والتعليم بالقلم والكتابة بالبيان. كما قال سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم :"وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما"[3].

بنظرة متأنية يجد الباحث أن الإسلام هو الدين الذي مجد العلم وقام على أساسه، فقال تعالى :"قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولو الألباب"[4] وروى أبو إمامة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد، فقال :"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا". وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل المسجد فإذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون كلا المجلسين على خير، وأحدهما

---

(1)– انظر المجلدات الثلاث / جامع القرويين "المسجد والجامع بمدينة فاس" هنا وهناك.

(2)– سورة العلق، الآية : 1.

(3)– سورة النساء الآية : 133.

(4)– سورة الزمر الآية : 9.

أحب إلي من صاحبه، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألون فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما. وجلس إلى أهل الفقه. فالعلم هو أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، وهو السبيل إلى الجنة، وعن طريقه الفوز بالحسنى في الدارين. ذلك أن به وبسببه تكتسب العلوم الشرعية والعلوم الكونية على حد سواء.

ومن هذا المنطلق فإن أي شيء يجعل العلم مستمرا وقويا لا بالنسبة لصاحب العلم ولمن ينشره يقبلها الله، ويضاعف الأجر فيها، ولا يوجد شيء من أعمال البر التي تقوي طلب العلم باستمرار دون انقطاع رغم مرور الزمان سوى الحبس.

فالحبس على طلب العلم أو على الحاملين له هو من أجل القربات وأعظم أعمال البر، وقوله صلى الله عليه وسلم :"وعلم بثه في صدور الناس" يشعر بمزية الحبس على العلم وذويه، لأن التحبيس ولو كان المحبس لا يحمل وصف المهارة في العلم يجعل المحبس دالا على الخير، وعاملا له باستمرار، والعمل بالعلم هو أيضا علم يدل عليه ما روي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما يرفعانه قائلا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا .وفيه : "ومن تعلم العلم، وتواضع في العلم، وعلمه عباد الله يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة أفضل ثوابا ولا أعظم منزلة منه ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة إلا وله فيها أوفر نصيب، وأوفر المنازل، ألا وإن العلم أفضل العبادة، وملاك الدين والورع، إنما العلم من عمل به، وإن كان قليل العلم"[1].

فقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث (إنما العلم من عمل به ولو كان قليلا) مشعر بأن أي بر يتصل ببث العلم في الناس ونشره بينهم يجعل صاحبه في زمرة المنتسبين إلى العلم، لاسيما إن كان بواسطة التحبيس الذي لايجعل ثواب العمل منقطعا ولو توالت الدهور، وتعاقبت الأزمان، فإذا ضم إلى هذا قوله عليه السلام (وصدقة جارية) كان المحبس على العلم ظافرا بالثواب من جهتين اثنتين، من جهة نشره للعلم، ومن جهة كون علمه صدقة متواصلة، وكل ذلك ابتغاء مرضاة الله، لأن الوقف على العلم يدخل في إطار الإنفاق العام الذي حث عليه سبحانه وتعالى في كثير من الآيات، ومن

(1)- كتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر 124/3. فقرة 3052 تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي.

ذلك قوله تعالى : "يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم"[1]، وقوله أيضا: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"[2]. وأي شيء أحب للعالم من عمله ؟ ولذلك كان المسلمون سباقين إلى الإنفاق في سبيل الله منذ أمد بعيد، وما الإنفاق على العلم وأهله إلا ضرب من ضروبه إن لم يكن أهمها وأعظمها ثوابا، وما الحالة المرضية التي وصل إليها التعليم في وقت من الأوقات إلا ثمرة من ثمرات الحبس على العلم وأهله، وكمثال على ذلك : فقبل "بيت الحكمة" كان التعليم يجري في أمكنة غير مخصصة له، كان يلتقي العلماء بالطلاب في المساجد كما كان الراغبون في العلم يسعون إلى دور الشيوخ للسماع منهم فيها من أجل هذا لم تكن هناك نفقات معينة تبذل في سبيل نشر العلم ونشر الثقافة، ظهرت في الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هذا المعهد وقف يغل إيرادا يكفي للإنفاق على شؤون القائمين بالعمل فيه، وكان المأمون أول من أبرز هذه الفكرة للوجود، فإنه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة" متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء، بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا، سواء أكان الخليفة كريما أو شحيحا، فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه على التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية[3].

وانتشرت فكرة المأمون هذه بين من خلفه من الخلفاء والعظماء فأصبح من ضروريات إنشاء معهد ثقافي أو مدرسة أن يعين لها وقف ثابت، تتلقى منه ما يفي بنفقاتها، وما يمدها بما تحتاج إليه من مصروفات، ثم تطور هذا الاتجاه فظهرت الأوقاف أيضا على الذين يشغلون أنفسهم بخدمة العلم بالمساجد، بل إن بعض الأركان أو الأعمدة في المساجد، كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف على من يجلس بها للتدريس والتعليم[4].

ونورد هنا وقفية هامة لأخت السلطان صلاح الدين على المدرسة الشامية الوانية وذلك في سنة 628 وقد وضع الإنفاق على هذه المدرسة على النسق التالي :

---

(1)- سورة البقرة، الآية : 215.

(2)- سورة البقرة الآية 273.

(3)- انظر تاريخ التربية الإسلامية / د. أحمد شلبي 359-360.

(4)- انظر الحوالة الحبسية.

أولا : يبدأ في الإنفاق بعمارة المدرسة ومن ثمن زيت ومصابيح، وحصر وبسط وقناديل، وشمع وما تدعو الحاجة إليه.

ثانيا : يدفع للمدرسة غراره من الحنطة وغراره من الشعير ومائة وثلاثون درهما فضة ناصرية.

ثالثا : عشر الباقي يصرف إلى الناظر وخدمته ومشارفته للأملاك الموقوفة وتردده عليها.

رابعا : إخراج ثلاثمائة درهم فضة ناصرية في كل سنة تصرف في ثمن بطيخ ومشمش وحلوى في ليلة النصف من شعبان على من يراه الناظر.

خامسا : الباقي يصرف إلى الفقهاء والمتفقهة والمؤذن وقيم المعهد، لكنس المدرسة ورشها وفرشها وتنظيفها وإيقاد مصابيحها، ويعطى هؤلاء على قدر استحقاقهم على ما يراه الناظر في أمر هذا الوقف من تسوية وتفضيل وزيادة ونقصان وعطاء وحرمان(1).

وقد ذكرت الواقفة أن من شرط الفقهاء والمتفقهة والمدرس والمؤذن والقيم أن يكونوا من أهل الخير والدين والصلاح، والعفاف وحسن الطريقة وسلامة الاعتقاد والسنة والجماعة، كما شرطت رغبة منها في أن يظل الملتحقون بالمدرسة في مستوى مالي لائق، فألا يزيد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلا، من جملتهم المعيد بها والإمام(2).

ولما كان غرض الواقفين هو تحقيق مضمون الحديث الشريف :"إذا مات بن آدم ... الحديث" يرى بعض المهتمين أن مهمة الأوقاف محصورة في أمرين هامين هما :

- صيانة أملاك الوقف والعمل على تنمية مواردها.

- العناية ببيوت الله ونشر الدين والثقافة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم، وإقامة المؤسسات الخيرية.

ولهذا كان كبار المسلمين يتسابقون إلى وقف أموالهم الطائلة على طلبة العلم،

---

(1)– انظر : تاريخ التربية الإسلامية / الدكتور أحمد شلبي ص : 359 إلى 368.

(2)– نفس المرجع ص : 368.

وعلى العلماء المنقطعين للبحث والتحصيل، كما كانوا يقفون أموالا كثيرة في إنشاء المكتبات وعلى تزويدها بمختلف المصنفات العلمية تيسيرا للبحث والفائدة"[1]، ولم تكد تمر فترة من فترات التاريخ المغربي ولو قصيرة إلا ورصعت بهذا العمل الجليل سواء كان ذلك على يد ملوك الدولة، أو على يد بعض المواطنين، والملاحظ أن البداية كانت كثيفة وخاصة في عصر المرينيين، غير أن هذا الكلام لا يعني أن الانطلاقة الأولى كانت في عهد بني مرين، بل كانت قبل ذلك بكثير – وقبل عهد سحنون، جاء في كتاب الأعلام: "... ومتى ذكر علماؤنا فليس إلا التسليم ولم أر في القيروان ما يؤرخ سوى جامعها ومقبرتها، ودخل المؤلف بيت الكتب بالجامع وأخرجت له مصاحف كثيرة منها ما كتب كله بالذهب، وفيها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله منها الموطأ برواية إبن قاسم وغيره، قال : ورأيت مصحفا كاملا مضمونا بين لوحتين مجلدتين غير منقوط ولا مشكول وخطه مشرقي بين (فراغ) جدا مليح وطوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف، وذكر أنه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه إلى المغرب وأنه بخط عبد الله بن عمر رضي الله عنهما"[2].

وعلى امتداد التاريخ كان الاهتمام بالدين الإسلامي متزايدا إذ اقتنى المهتمون الكتب القيمة في أصول الدين وفروعه وفي اللغة والآداب ومختلف العلوم الإسلامية وحبسوها على المدارس اعتناء بالطلبة وتسهيلا لمأموريتهم في تحصيل العلم والمعرفة، بل وبذل بعضهم الغالي والنفيس في سبيل الحصول على أجودها وأنفعها لتكون ذخيرة في هذه المدارس، جاء في الاستقصا : "وسأل منه السلطان أن يبعث إليه بكتب العلم التي بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الإسلام فبعث إليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كابن عطية والثعلبي، ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار، ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها إلى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم"[3].

وبصفة عامة فإن الطابع الغالب على دولة بني مرين يتجلى في إقدامهم كلية على

(1)– انظر زهدي يكن / الوقف في الشريعة والقانون نقلا عن نيل الأوطار 1/ 18 حصات ص : 8.
(2)– الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 3/ 209–210.
(3)– الاستقصا 3/ 63–64.

أعمال الخير والإنفاق والبناء والتشييد والاعتناء بالعلم وطلبته وتحسين وضعية المعوزين، وتحبيس الرباع الكثيرة على مختلف فئات المواطنين وخصوصا قراء القرآن وأئمة المساجد والساهرين على مرافقها وعلى المرستانات والمستشفيات وعلى الدواء وعلى المرضى وعلاجهم تخفيفا من آلامهم وطمعا في رضوان ربهم.

وهكذا يطلعنا التاريخ على أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها إليه الطاغية "سانجة" عند عقد الصلح معه ووقف عليها عبر ذلك، واقتفى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعد فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجريات الكافية فأمسكوا بسبب ذلك من رمق العلم وأحيوا مراسمه[1] ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن، والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر، وحبس عليها الرباع والضياع ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده[2].

وفي سنة إحدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الأمير أبو الحسن المدرسة التي بغربي جامع الأندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيآت وأعجبها وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء إلى ذلك كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك كله أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها رباعا كثيرة، ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الإنفاق والكسوة نفعه الله بقصده[3].

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، في فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بإزاء جامع القرويين بفاس وهي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين...

وأجرى بها ماء معينا من بعض العيون هنالك وشحنها بالطلبة ورتب فيها الفقهاء

---

(1)- انظر الاستقصا 3/111-112 فقرات تحت عنوان / "بناء مدارس العلم بحضرة فاس... "

(2)- نفس المرجع السابق.

(3)- انظر الاستقصا 3/111 -112 فقرات تحت عنوان "بناء مدارس العلم بحضرة فاس "

لتدريس العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية، واشترى عدة أملاك، ووقفها عليها...[1]" ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم. ووقفها على القراء بالمدينة ويعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس..."[2].

ولم يكن الاهتمام منصبا على بلد دون آخر أو على مدينة دون أخرى بل شمل جميع المدن والبلدان فقد ورد في كتاب (آسفي وما إليه قديما وحديثا) : "فأنشأ أبو الحسن المدارس بجميع بلاد المغرب كفاس وتازا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة والدار البيضاء وأزمور وآسفي ومراكش وأغمات والقصر الكبير وتلمسان والجزائر وغيرها، وكلها مشتملة على المباني العجيبة والصنائع الغريبة، وحبس عليها أعلاق الكتب، وأجرى عليها المرتبات على الطلبة والقومة والإمام والمؤذن والناظر والشهود والخدام، وأرصد لها الأوقاف التي تحفظ أودها وغير ذلك، كما نبه عليه بن مرزوق في المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن"[3].

وهكذا فلم يكن الاعتناء بالعلم وأهله من قبيل الصدفة أو جاء اعتباطا وإنما كان يحسب له حسابه ويدخل ضمن المشاريع التي تسهر عليها الدولة وتجعلها من أولى الأوليات حتى إن السلطان سيدي محمد بن عبد الله – وقد تحدثنا سابقا عن مبراته في هذا المجال – عندما كان رحمه الله يشعر باضطراب أو قلة في ما يرد على الميدان العلمي من مال، ينفذ للمجال إعانة من أهم مدن المغرب، يقول الكانوني في هذا الصدد: "ومن مفاخر الإسلام وأهله : الأموال الموفرة والمرصدة لتأسيس المعاهد الدينية والمدارس الإسلامية وإصلاحها وترميمها والتي يرزق منها الموظفون الدينيون والمدرسون وغيرهم ممن يقوم بمصلحة دينية أو اجتماعية، وقد كان لهذا البلد من ذلك الحظ الأوفر... ولما انصرفوا عنه (يقصد البرتغال) ابتدأت الآثار الوقفية تنتعش شيئا فشيئا وقد ظلت على ضعفها قائمة بقسط من الواجب حتي إنها لضآلتها اضطر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي أن يرد عليها أوقاف السور وأن ينفذ لها إعانة سنوية من أوقاف مراكش – 12 قنطارا من الزيت – وأصدر بذلك كتابا مؤرخا بن 1177هـ"[4].

---

(1)– انظر الاستقصا 3/112 فقرات تحت عنوان (بناء مدارس العلم بحضرة فاس...9

(2)– نفس المرجع السابق 3/131.

(3)– اسفي وما إليه قديما وحديثا / الكانوني ص : 141.

(4)– آسفي وما إليه / ص : 107 في فقرة معنونة ب (أوقاف المساجد والمدارس).

وهو بذلك س ر على نهج والده وجده في تقديرهم للعلم وأهله وفي تشجيع العلماء على القيام برسا تهم على أحسن ما يرام، وفي هذا الصدد عثرت على ظهير مؤرخ بسنة 1171هـ اقتطف منه ما يلي : "يستقر هذا الظهير الكريم المبارك الجسيم... أننا جددنا له ولبنيه[1] وأهله وذويه ما بأيديهم من الظهائر السلطانية والأوامر الأمامية الصادرة عن أسلافنا الكرام الموالي العظام.... كما جددنا له أيضا على الخطابة بمنبر القرويين والإمامة بها عمرها الله بدوام ذكره وعلى جميع ما بيده ويد إخوانه من الأوقاف الماضية والصدقات الجارية إعانة لهم عما هم بصدده من تدريس العلم وبثه ونشره وتحصيل ثوابه وأجره..."[2].

وباختصار فلقد غمر رجال القرويين بشتى أنواع التكريم بما نالهم من الأوقاف : مؤذنوها وموقتوها، أئمتها وخطباؤها علماؤها وقضاتها، طلبتها وقومتها، الكل يتوفر على عيش رغد كريم. وبالرغم من أن هذه الأجور المغرية أثارت جدلا بين الفقهاء باعتدادها أمرا غير لائق بالدعاة الهداة، فإن المبدأ ما لبث أن قبل من أغلبية العلماء بحجة أن الاعتماد على أموال الأوقاف يضمن للعلماء حماية كاملة من أي تأثيرات قد تفرضها تقلبات سياسية طارئة، ولهذا كان هناك نوع من الاستقلال للعلماء فيما إليه يذهبون"[3].

تلك، كانت إشارات إلى قيمة الوقف في مجال نشر العلم وتحسين ظروفه، ذلك الوقف الذي تزخر به الحوالات الحبسية، هذه التي ينبغي أن تحترم محتوياتها ومضامين نصوصها. فما حجية هذه الحوالات ؟

ذلك ما نستعرضه من خلال الفصل الثاني.

---

(1)- المقصود سيدي أبي مدين بن أحمد بن سيدي عبد القادر الفاسي وأهله.

(2)- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام/ المراكشي 5/117 إلى 120.

(3)- جامع القرويين / الدكتور عبد الهادي التازي / 1/133-134.

الفصل الثاني

حجية الحوالة وضرورة عدم تجاوز مضامينها

لما كانت الحوالة أهم مرجع لكل ما تضمنته من معلومات، والوعاء الذي يحوي هذه المواد، والسجل الذي يضم بين ثناياه وثائق التحبيس وغيرها، كان لزاما على من كلف بحمايتها من نظار الأوقاف أن يعملوا جادين على صيانتها، وكيف لا ؟ وهي تحتفظ بالظهائر السلطانية والفتاوي القيمة والعادت العريقة، فضلا عما تشتمل عليه من وثائق غاية في الأهمية تتحدث عن الحبس وأهداف المحبسين منه، مع تعزيز ذلك بشهادة الشهود وتوقيع العدول وتثبت القضاة وإمضاءاتهم، وهي تعكس من ناحية أخرى، الجو السائد للمجتمع.

ونظرا لما تكتسيه هذه الحوالات من قيمة بالغة، كان طبيعيا أن تكون لها حجية، تقضى بها الحقوق، وبالتالي، لا مناص من احترام ما جاء فيها والعمل على تنفيذه، وفي هذا الإطار استوقفتني آراء واجتهادات مختلفة في الموضوع، إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اتساع النشاط الثقافي واهتمام الفقهاء المتزايد بالميدان.

فحول ما إذا كانت لهذه الحوالة حجية، وما إذا كانت مضامينها واجبة الاحترام والتطبيق، وقف المهتمون – بالميدان – مواقف مؤيدة وأخرى معارضة.

وللكلام على النقطتين معا، يقسم هذا الفصل إلى مبحثين، يتم الحديث في أولهما عن مدى حجية الحوالة، وثانيهما عن احترام ألفاظ المحبسين، تتقدمها توطئة عن ضرورة العمل على صيانة هذه الحوالات من كل تلف أو ضياع.

توطئة :

تقدم أثناء الحديث عن الحوالات الموجودة بنظارة أوقاف القرويين بفاس[1] ذلك الاعتناء الكبير بهذه السجلات والمتجلي خصوصا في ترميمها ووضعها في صندوق ضخم حديدي مقفل موجود في مكان آمن، غالبا ما يكون داخل خزانة ثابتة في مكتب السيد الناظر، وهو الشيء الذي لمسته، وأكده لي بعض الموظفين في نظارات

(1)– تم الحديث عن ذلك بتفصيل في بداية الباب الثاني من القسم الأول من هذا البحث.

أخرى بمدن مختلفة في المغرب، مما يدل على أن هذه الحوالات تشكل ذخيرة نفيسة وثروة عظيمة وآثارا تاريخية قل نظيرها في العالم، ولذلك لم يكن يسمح لأحد أن يقريها أو يشتغل بها إلا في مكتب الناظر وتحت مراقبته المباشرة[1] كما هو الشأن بالنسبة للخزانة العامة بالرباط، في قسمها الخاص بالمخطوطات والذي يشتمل في جملة ما يشتمل عليه : حوالات حبسية وأعداد هائلة من "الميكرو فيلم"، ومما لفت نظري في هذه الخزانة – فضلا عن نظامها البديع – تحت إدارة السيد المحافظ – أنه لا يسمح لأي كان بالإطلاع على هذه الحوالات إلا إذا قدم ما يثبت هوية الباحث واهتمامه بالبحث في الموضوع من ناحية، ويراقب أثناء تصفحه لها أو مشاهدته لشريط من أشرطتها من طرف أحد العاملين بالخزانة الذي يساعده في الوقت نفسه على تقنية الاستفادة من هذه الأشرطة : ولا يسمح بطبيعة الحال لأحد بإخراج أية وثيقة من مقرها، إذن، فما حجية هذه الحوالات ؟

المبحث الأول :

مدى حجية الحوالة

إن الميزة الأولى والأخيرة التي ميزت الحوالة عن غيرها من كثير من الوثائق هي الدقة في العبارة، والضبط التام في تسجيل المعلومات، ذلك أن المتخصص لنص من نصوصها يدرك ذلك التحري في الوصف وتلك الدقة المتناهية في نقل المعلومات الشيء الذي يسهل عليه معرفة ما يتضمنه النص بسهولة تامة ويعطيه فكرة واضحة عن التوثيق المحكم الذي تميز به أجدادنا في التعامل مع هذه الحوالة. وعن مقابلة نصوص الحوالة بعضها ببعض أثناء نقلها والتحقق من صحتها، وضبط المحاسبة في الأحباس، أكد الونشريسي رحمه الله : على التقنيات الدقيقة، والتحريات الكبيرة التي كانت ملزمة لكل من يخوض في علم الحوالات، سواء تعلق الأمر بالمحاسبة أو نقل المعلومات، وكيفية ضبط وتثبيت الحقائق في هذه

(1)– ولذلك دام ترددي على هذه النظارة ما يقرب من ثلاث سنوات أترقب الفرصة السانحة والظرف المواتي حتى لا أعطل السيد الناظر عن أعماله والذي لابد من وجوده بالمكتب عند تصفحي لهذه الحوالات واكتشاف مضامينها وفك رموزها وفهم بعض الخطوط الدقيقة بها والتي يلزم الوقوف عندها طويلا.....

الحوالات، حتى يكون المكلفون جديرين بتحمل المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقهم والتي تتطلب فيما تتطلبه الصدق والأمانة والتي يتوخى المسؤول من ورائها ثواب الآخرة[1]، وهو مضمون كلامه هذا يريد أن يجعل كل واحد مسؤولا عن عمله فيما يخص كل ما يتعلق بالحوالة لكونه رحمه الله يدرك إلى أي حد تعتبر هذه الحوالة حجة تجاه الجميع، حيث إنها وبالإضافة إلى هذه المزية تنفرد ببعض الحقائق التي تنفرد بها دون سواها، هذه الحقائق التي تصون رغبة الواقفين بغية تطبيقها، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد السلام بن سودة في العلاقة التي تربط بين أوقاف الزوايا والناظر" وقد كان لهذه الزوايا عدة أوقاف وناظر خاص وحسابات خاصة تصرف على مستحقيها ومصارفها الشرعية أيام كان الناظر ناظرا والدين متمكنا راسخا في القلوب، فأين تجد الحديث عن هذه الزوايا لولا هذه الحوالات القديمة التي تشرح لنا كثيرا من حقائقها والغاية التي وضعت من أجلها"[2].

هذا وقد استخلص الدكتور عمر الجيدي هذه الدقة المتناهية في إثبات المعلومات في الحوالات فقال في معرض حديثه عن الحوالة الشفشاونية التي خطاها يراع القاضي ابن عرضون :"ولنا أن نتصور مدى الدقة والضبط في عمل ابن عرضون في تدوينه لهذه الكنانيش، فهو يتبث من الوثيقة ويتحرى في وصفها بشكل شمولي مطلق[3]، فعندما ينتهي من كتابة الوثيقة يعقب على ذلك بقوله :

(الحبس أعلاه صحيح لا يجوز بيعه وقد حضر صاحبه)[3]. واصفا الموقوف رباعا كان أو عقارا أو ثيابا، وإن كانت الكتب يحدد اسم الكتاب وأجزاءه وخطه، بدايته ونهايته، ومؤلفه، ونوع المادة التي احتواها[4]... إلى غير ذلك من الأوصاف الكاشفة التي تضبط النوع الموقوف وتزيده تعريفا، وتلك هي شده عنايته رحمه الله بتحديد الأشياء، وبفضل عمله هذا حفظت الأوقاف الشفشاونية[5].

---

(1)- انظر المعيار المعرب والجامع المغرب/ الونشريسي 7/302.

(2)- دليل مؤرخ المغرب الأقصى / عبد السلام بن سودة ص : 14.

(3)- دعوة الحق نونبر 1985 العدد 242 ص : 51.

(4)- يلاحظ أن هذه العبارة لا تكاد تخلو من غالبية النصوص التي تشتمل عليها الحوالة ويضاف في بعضها (وهو محترم بحرمة الحبس).

(5)- تلك هي الطريقة المتبعة خاصة أثناء تحبيس الكتب على الخزانات العلمية والذرية وقد تم الحديث عن ذلك. انظر في الموضوع الحوالة العبد الرحمانية ص : 307 إلى 309. والحوالة الإسماعيلية رقم 46. ص : 66. والحوالة السليمانية ص : 426.

يستخلص مما تقدم أن للحوالة وظيفة حماية الممتلكات وصيانتها وتعتبر نتيجة لذلك المرجع الوحيد الذي تؤخذ نصوصه بعين الاعتبار عندما يراد إثبات حق في كل الأحوال نظرا لقيمتها ولاعتبارات كثيرة سبقت الإشارة إليها، ومع ذلك يبقى السؤال المطروح هو :

إلى أي حد استطاعت الحوالات أن تحقق الغاية التي وضعت من أجلها والمتمثلة على الخصوص في حفظ الممتلكات ؟ وبمعنى آخر، هل للحوالة نفس القيمة التي للتحفيظ أو يمكن أن تغني هي عنه ؟

بعد التردد على بعض السادة نظار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وبسط التساؤل، لم يكن أحد منهم ليشك طرفة عين في أن الحوالة تغني عن التحفيظ أو تحل محله وتقوم مقامه، بل ويعتبر بالتالي مضمون نصوصها ومحتوى رسومها ووثائقها شيئا مسلما به صحيحا لا يناقش. بيد أن بعضهم كان يستغرب لكون المحكمة – وفي بعض الأحيان – لم تعاضد محتوى الحوالة، وتحكم لغير صالحها، وأن بعض السادة قضاة المحاكم الابتدائية وفي حيثياتهم التي ترتكز عليها أحكامهم يعتبرون ما سجل بالحوالة هو من صنع المدعي تجاه المدعى عليه.

وحتى تتضح معالم هذه الحوالة ارتأيت أن أعقد مقارنة للتعرف من خلالها على الملامح العامة لكل من التحفيظ العقاري والحوالة الحبسية وبالتالي معرفة وجه تطابقهما واختلافهما.

يعتبر التحفيظ العقاري بحق وثبة هامة تقدمية في التشريعات المدنية الحديثة وفي البلاد الزراعية والنامية يضبط الملكية العقارية ويطهرها من جميع ما كانت الملكية مثقلة به من حقوق قبل تحفيظها.

وعمليات التحفيظ (أو التحديد والتحرير) تؤدي إقامة وثيقة رسمية لتلك الحقوق معترف بها من قبل الدولة وكافة أجهزتها، وتسجل في كناش عقاري يسمى بالسجل العقاري.

إن أهم مميزات الملكية العقارية والحقوق العينية العقارية أنها تخول صاحبها صلاحية دفع تعرض أي من الناس عن حقه، كما أنها تفرض على كل الناس واجب عدم التعرض لصاحب الحق وتركه يمارس حقه على الشيء العقاري بهدوء

واطمئنان، إنها تفرض عليهم نوعا من الالتزام.

– يشترك كل من التحفيظ العقاري والحوالة في كون الراغب في التحفيظ هو المالك أو صاحب حق من الحقوق العينية، والراغب في إثبات وقفه في الحوالة هو الواقف، ويختلفان في كون الأول يحمي حقه لنفسه بينما الثاني يحميه لتستفيد منه الذرية أو المحتاجون أو مؤسسة ثقافية دينية أو اجتماعية.

– إن كلا من سجل التحفيظ والحوالة وثيقة رسمية للحقوق التي تشتمل عليها معترف بها من قبل الدولة وكافة أجهزتها.

– إذا كان صاحب الحق المحفظ ينعم بممارسة حقه هذا بكل هدوء واطمئنان، فإن الواقف لعلى يقين من أن وقفه سينفذ استجابة لرغبته وطبقا لمشيئته، وكفى أغلب الواقفين أن يذكروا في وصاياهم : (ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله غدا) مذيلين ذلك بقول الله تعالى "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[1].

– وإذا كان التحفيظ العقاري يهتم بوصف العقار وصفا دقيقا وذلك بذكر موقعه وحدوده ومساحته وكل مشتملاته أيا كانت قيمتها، فإن الحوالة على العكس من ذلك تكتفي بذكر موقع العقار وجيرانه دون النص على محتوياته ورقمه – في غالب الأحيان – فضلا عن عدم تحديد مساحته.

– وإذا كان التخفيف من النزاعات العقارية وما تجره من خلافات حول الحدود والحقوق لتوفير الجهد والوقت والمال المهدور من أجل ذلك، هو من أهم الفوائد التي جلبها التحفيظ العقاري، فإن النزاعات والخلافات حول الحدود والحقوق ما زال قائما بين النظارات والخواص الذي يجحدون في حق من الحقوق المسجلة بالحوالة، ويدعون خلاف مضمونها علما أن الحبس محروس بحرمة الأحباس ومسجل من طرف عدول وقضاة كانوا في عناية التثبت والعدل والورع ومخافة الله.

ونظرا لهذه المواصفات فإن المهتمين بالميدان القانوني والقضائي يعيرون الحوالات اهتماما خاصا، ويعتبرونها حجة أمام المحاكم وفي مختلف النزاعات

(1)– دعوة الحق. نونبر 1985. العدد 242 ص : 51–52.

تقضى بها الحقوق، ويحصل بها المطلوب، ذلك أن الكثيرين من المهتمين بهذا الميدان يرون أنه في حالة تعارض المعلومات المثبتة في الرسوم العرفية - ولو كانت مسجلة - مع تلك التي تشتمل عليها نصوص الحوالة، تقدم هذه الأخيرة، ويعمل بها ولا يلتفت لما يفيد عكسها.

وقد أوضحت الممارسات اليومية أمام المحاكم عندما يثار نزاع بين الحبس والغير، أن الحكم يكون لصالح الحبس إذا وجد ما يفيد تمتعه بهذا الحق طالما أنه مثبت في الحوالة[1]

وقد أكد لي بعض المهتمين بالموضوع أن الحوالة حجة ثابتة وبينة مقبولة لدى المحاكم المغربية يقضى بمقتضاها لفائدة الحبس، أما الطريقة المتبعة أخيرا في إطلاع قاضي الموضوع على الحجة المثبتة في الحوالة تكمن في كون الناظر يستدعي كاتبا أمينا معروفا بخبرته في مجال استنساخ الرسوم وضبطها إلى نظارة الأحباس فينقل بخطه نص الرسم أو الوثيقة لأن الحوالة - كما تمت الإشارة إلى ذلك - لا يسمح بإخراجها من مقرها حفاظا عليها ومخافة أن يضيع منها شيء.

وتتعزز حجية الحوالة بفتاوي الفقهاء، فمن بين الإفتاءات التي وردت في الموضوع ما ذكره سيدي المهدي الوزاني مجيبا عن أهمية التقادم بالنسبة للمكتري في حانوت، وما يمكنه أن يستفيده من الحبس، ونصه : "وسئلت عن حانوت لأناس محبسة عليهم من قديم الزمان أكروها لشخص وبقي بها نحو الثلاثين سنة، فادعى المكتري المذكور ملكية زينتها، وأقر لهم بأصلها وجلستها وأقام بينتين بذلك، إحداهما لفيف والأخرى عدلية، وشهد لهم أيضا جماعة كبيرة من العدول بما ادعوا، فأجبت والحمد لله كان ملك أولاد فلان لمنفعة الحانوت المشار إليها ثابتا بالعدد الكثير من العدول المبرزين وغيرهم وكان ذلك معروفا عند الكبير والصغير، التجار وغيرهم، كانت شهادة الذين شهدوا بزينتها لغيرهم مستبعدة جدا، وقد قال بعض المتأخرين، من مبطلات الشهادة الاستبعاد والاستغراب والشذوذ ومخالفة العادة"[2].

---

(1)- وحرصا على أن تبقى لحوالات هذه الحجية، وزيادة في الاحتياط والتثبت، فقد شرعت النظارات في فاس منذ شهر يونيو 1994 في الإجراءات الأولية لحصر بعض العقارات الحبسية قصد تحفيظها وذلك بعدما توصلت بمراسلة في الموضوع من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. وقد أكد لي القيام بنفس العملية بعض نظار المدن الأخرى، مما يدل على شيوعها في المغرب .

(2)- نوازل سيدي المهدي الوزاني العمراني ج : 4 ص : 16.

فهو - رحمه الله - قد استبعد البينة التي شهدت للمكتري رغم مكثه في الدكان ثلاثين سنة، وحكم للأحباس بما شهد به العدول، بأن الدكان كله ملك للأحباس.

هذا، وقد استنتج الدكتور عمر الجيدي صحة الاحتجاج بالحوالة، وجعل استمرار العمل بحجتيها على عهد القضاة الذين جاءوا بعد ابن عرضون على مر العصور والأجيال[1].

كما يلاحظ أن المسألة لها جذور عميقة في تاريخ الحوالات، وشغلت بال معظم الخائضين في أمور الأوقاف خاصة منهم القانونيون، واهتمامهم هذا لم يكن طارئا ولا وليد الصدفة، وإنما لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وفي هذا الصدد فقد (سئل العلامة النوازلي سيدي عبد الرحمان الحايك عن رسم حبس قديم ينيف على المائتي عام فيه ما يريبه، تعارضت فيه الأنظار، أفتى غير واحد بصحته صحيح لا غبار عليه، ولا يلتفت لما عارضه من القوادح لأنه وقع كلام في شكيله من شيوخنا الفاسيين وغيرهم.... وإن كانت الأملاك المذكورة محوزة على وجه الحبس ومحترمة بحرمته لا تباع ولا تورث منذ تاريخ الرسم أعلاه هذه مائتا سنة وعشرون سنة وأريد إبطال تحبيسها لخلل الرسم المذكور فهذا مما لا ينبغي أن يلتفت إليه بعض الشيوخ فيما هو أقل من هذه المدة. ا هـ. وهو كلام حق وافقه عليه من وافقه من شيوخنا ولا يخالفه ما في أجوبة ابن رشد[2]. ونصه لا يجب القضاء بالحبس إلا بعد أن يثبت التحبيس وملك المحبس لما حبس يوم التحبيس وبعد أن تعاين الأملاك المحبسة بالحيازة على ما تصح به الحيازة فإذا ثبت ذلك كله على وجهه، وأعذر للمقوم عليه فالقضاء بالحبس واجب"[3].

. وما ذلك التحري وهذا التروي في إصدار الأحكام إلا لإرجاع الحقوق إلى ذويها، مما يبرهن إذا كان الأمر يحتاج إلى برهان أن المهتمين بهذا المجال كانوا - رحمهم

---

(1)- انظر مجلة "دعوة الحق" ربيع الأول 1405، العدد 242. ص : 52-53. جاء ذلك في فقرة تحت عنوان (حجية هذه الحوالات في الفقه) والذي تضمن سؤال القاضي أبي عبد الله مخشان حول مدى صحة الاحتجاج بهذه الدواوين الوقفية التي دونها القاضي ابن عرضون بخط يده بعد أن اختلطت أوقاف المسجد الأعظم بمسجد أبي خنشة بمدينة شفشاون وتعذر التفريق بينهما مما أدى إلى خصام بين ناظري المسجدين.

(2)- ابن رشد (ت : 520) : الإمام العالم المحقق، الف (البيان) و (التحصيل) واختصر الكتب المبسوطة من تأليف يحيى بن إسحاق. انظر عنه : شجرة النور الزكية ص : 129.

(3)- نوازل الشريف الوزاني : ج 4 ص : 56-57.

الله – ذوي عناية شديدة بالتدقيق في ما يعرض عليهم من أمور، والتأكد من كل خطوة يخطونها قبل إصدار الحكم، فضلا عن التأكد من صحة الحجج والاطلاع على ملابسات القضية جملة وتفصيلا، لتكون أحكامهم في المستوى المرجو، عادلة مصادفة للصواب، بعيدة عن كل غي وتعسف وهوى مخافة أن يلحقهم عقاب الله المعد للظالمين.

إن الهدف الأول والأخير من هذا الضبط والعدل في إصدار الأحكام هو الرغبة الأكيدة التي كانت تحذو المسؤولين في تطبيق رغبة الواقفين. فإلى أي حد تحترم مشيئة الواقفين وأهدافهم ؟ ذلك ما يشكل المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني :

احترام ألفاظ المحبسين وضرورة التمسك بها.

بادئ ذي بدء ينبغي الإشارة إلى أن الأصل في مشروعية الوقف يرجع إلى عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وإلى آثار السابقين من الصحابة والتابعين، ومن ذلك قول الله تعالى "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون"[1]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[2].

وعملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واقتداء بالسلف الصالح، انطلق المسلمون يحبسون ويتصدقون، فلم يتركوا وجها من وجوه البر إلا حبسوا عليه، من أنواع الوقف ولم يتركوا مجالا ينالون به رضى الله إلا وقفوا عليه، فكان الحبس على الأهل والذرية وعلى المساكين وذوي الحاجة، وعلى المساجد والمقابر والعلم والعلماء والأسرى وغير ذلك كثير.

وكان المحبسون – رحمهم الله – يخضعون أوقافهم هذه لمشيئتهم إذ يحددون

---

(1)– سورة يونس . الآية 26.

(2)– رواه مسلم في صحيحه، والجماعة إلا البخاري وابن ماجة – أبو داود، وصايا / 14– النسائي، الوصايا/ 8 الترمذي، أحكام / 36– الإمام أحمد 316/2, 350 و 372 بألفاظ أخرى.

الإطار التي تنفذ فيه، والكيفية الواجب اتباعها، ونصيب الموقوف عليهم، ومدى التفاضل في الاستفادة بين الذكر والأنثى، أو عدم التفاضل، ثم هل يختص ذلك بالذكور دون الإناث أو بهما معا، أو بأولاد صنف دون آخر، أو ينتهي عند طبقة معينة، أو يظل ساري المفعول على أعقاب الأعقاب ما تناسلوا وامتدت فروعهم، وعند انقراضهم يرجع إلى جهة من الجهات، كما يلاحظ ضرورة احترام إرادة الواقف، وتطبيق رغبته تطبيقا يكاد يكون حرفيا، وهي شروط ترد في أغلب النصوص التي تكثر في الحوالات الحبسية قديمها وحديثها، يستثنى من ذلك بعض الأوقاف التي يتعذر التطبيق الحرفي لرغبة المحبس فيها، كما هو الشأن – على سبيل المثال لا الحصر – في قضية شراء خبز كل ليلة جمعة وتفريقه على المساكين والفقراء بباب ضريح المولى إدريس، والصعوبات التي تحول دون ذلك، كما هو الشأن كذلك بالنسبة لما سمي بخبز الخميس بتطوان.

وهكذا فلا نجد رسما من رسوم التحبيس خاليا مما يفيد مطالبة المسؤولين عن الوقف بتطبيق هدف الواقفين واحترام رأيهم.

وحتى تكون الرؤى واضحة، ارتأيت تعزيز ما تقدم بفقرات لنماذج من الحبس، ونوايا المحبسين، وحرصهم على تطبيق إرادتهم واحترامها، رغم اختلاف أساليبهم والتي تعكس نوعا من ثقافة ذلك العصر، وسأقتصر على إدراج ما يهم العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه.

من ذلك ما جاء في تحبيس (كرنة) بتطوان عام 1104 هـ ويذكر :

"... حبسها على الفقراء والمساكين، بحيث يشتري بخراجها خبز وتفرق عليهم بحسب الاجتهاد وإن احتاج أحد أقاربه وذوي رحمه إلى الصدقة فهو أولى بها دون البعيد، قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم... وقفا مخلدا لا يبدل عن حالة ولا يغير عن سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين..."[1].

ومن ذلك أيضا، تحبيس عام 1135هـ، اقتطفت منه هذه العبارات :

"... تكون حبسا على جميع بنات صلبه مع زوجة معتقتة الحاجة عافية من

---

(1)– انظر، أتحاف أعلام الناس، ص : 153.

تايمت منهن، واحتاجت للسكنى تسكن برأسها من غير زوج ولا أولاد... فإن انقرضن عن آخرهن رجعت الدار المذكورة حبسا على أولاد السيد.... فإن انقرضن عن آخرهن رجعت الدار المذكورة حبسا على أولاد السيد ... ذكورا وإناثا للأنثى شطر ما للذكر في منفعة السكنى... ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله وولي الانتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، إشهادا صحيحا طوعيا قصد به وجه الله العظيم والدار الآخرة....[1].

ومنه أيضا تحبيس عام 1142هـ، هذه بعض العبارات منه :

"... وتملك الناظر المذكور لجانب الحبس المذكور جميع ربع الدار المذكور، وصار بذلك الربع المذكور حبسا على المسجد المذكور يحترم بحرمة الأحباس ويحاز بحيازتها على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى كما يجب..."[2].

ومن ذلك أيضا، وصية لحفيد ومسجد وخبز الخميس عام 1155هـ ومن بعض ما جاء فيها :

"... يصرف في مصالح للمسجد الجامع المنسوب للولي الصالح... سيدي علي بن مسعود الجعيدي.... من زيت وحصور وإصلاح وغير ذلك مما لا غنى عنه، والنصف الآخر يصرف في خبز يفرق على الفقراء والمساكين كل يوم خميس.... قصدت بذلك كله وجه الله وثوابه الجسيم والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا...."[3].

ومن ذلك أيضا : تحبيس دار على إمام المسجد وقارئ القرآن عام 1156هـ، ومنه هذه العبارات :

".. يخرج من جميع الثلث الواحد من متخلفها من قليل الأشياء وكثيرها، جليلها وحقيرها، ... النصف الواحد لمن يلازم قراءة حزب القرآن صباحا ومساء بإزاء محراب الجامع الأعظم... والنصف الآخر يعطى لمن يؤم بمحراب روضة الولي

---

(1)- انظر المرجع السابق ج : 1 ص : 100-101.

(2)- انظر محمد داود / تاريخ تطوان 2/321.

(3)- انظر . محمد داود / تاريخ تطوان 2/325.

الصالح سيدي الصعيدي... "[1].

ومن ذلك، وصية لمكة المشرفة عام 1163هـ، وبعض ما جاء فيها :

"... يقسم الخراج .... على نصفين النصف الواحد يبعث لبيت الله الحرام الأعظم الذي بمكة شرفها الله. والنصف الآخر يصرف في مصالح ضريح سيدي علي بن مسعود الجعيدي في شراء الزيت والبساط وأجرة المؤذن الذي يقيم فيه الصلاة ويشعل ويشطب وأجرة الإمام الذي يصلي فيه... ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله غدا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..."[2].

ومن ذلك أيضا تحبيس الثلث من مختلف السيد عبد الوهاب بوهلال على طلبة القرآن بمسجد درب البواق وسيدي تميم عام 1201هـ.

ومن ذلك أيضا حبس بين تطوان وأبراجها وجامع القرويين عام 1196هـ، ومما جاء فيه :

"الحمد لله عهد التاجر.. الحاج أحمد الحلوي الفاسي التطواني عهده للقاء الله تعالى ورجاء مغفرته واستعدادا للموت وخوف مجيئه واتباعا لحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوصية.... والنصف الواحد يوقف ويصرف خراجه على طلبة تقرأ حزب القرآن العظيم بجامع القرويين... والنصف الآخر يقسم نصفين أيضا أحد منهما يصرف خراجه على المرابطين ببرج الطرف... والنصف الآخر... على جامع القصبة من محروسة تطوان ... وقفا مخلدا وحبسا مؤبدا ومن بدل أو غير فالله حسيبه..."[3].

وغير ذلك كثير جدا، والذي يهمنا من هذه العينات المسطرة أعلاه هو اختلاف أساليب هذه الوثائق، والتشبث بضرورة تطبيق إرادة الواقفين واحترام آرائهم، ولكن ما حكم الشرع وفقهائه ممن حول لفظ التحبيس عن المراد منه، ووجه بغية الواقف وجهة غير التي يرجوها ؟ وبالتالي كيف يعتبر عمل هؤلاء / وبم يحكم عليهم ؟

---

(1)- انظر المرجع السابق 327-328.

(2)- انظر المرجع السابق 346-347.

(3)- انظر، محمد داود / تاريخ تطوان 2/357-358.

هذه التساؤلات وغيرها، كانت مثار اهتمام الفقهاء وموضوع نقاش حاد بينهم انعكس أثره الإيجابي على الحقبة التي أثيرت فيها هذه التساؤلات.

من المعلوم أن تغيير وصية الموصي من طرف الغير وتوجيهها وجهة غير التي يرومها صاحبها، يعتبر اعتداء على هذا الحق وبالتالي يشكل خرقا لحرية الإنسان في الإيصاء وتدخلا في تصرفاته الخاصة.

ومن هذا المنطلق يعتبر تغيير الهدف تحديا لحرمة الملكية وصفاتها. فهذا العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني - وهو من أبرز علماء القرن الثاني عشر - يذكر ذلك في إحدى وصاياه بأسلوب صريح لا يدع مجالا للتأويل، ولا شك أنه استمد ضرورة احترام لفظ المجلس من الشريعة الإسلامية[1].

وهذا الشيخ العلامة في معرض جوابه عن مدى صحة بيع بيوت المدارس لاتخاذها متجرا، وتغييرها عما قصد المحبسون مع سكوت الأئمة عن ذلك وهم له مشاهدون، وهل لذلك وجه شرعي يعذر به فاعله والساكت عنه مع القدرة على التغيير أولا، وهل يكون سكوت الأئمة عن ذلك دليلا على جوازه إذ لا يسكتون عنه وهو عندهم ممنوع مع علمهم بما ورد في الحديث أنه إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله، وقد قال الإمام العلامة أبو عبد الله بن مرزوق[2] في النص الخالص ما نصه : ومن أضر الأمور على الدين ترك علماء الوقت الإنكار على المبتدعين وأضر منه مساعدتهم أياهم والتحلي بأفعالهم وحلاهم، فأي مسألة مع ذلك من الدين للعامي تبقى وأي صلاح لهم من غير العلماء يتلقى ولا بدعة أعظم من أن ينسب إلى الدين من يشار إليه به ما ليس منه أو يتوهم جوازه من فتوى ابن محسود بجواز بيع حبس المساكين عند المخمصة بجامع الضرورة، إذ الطالب في

---

(1)- انظر إيصاءه بوقف الكتب ودفنه بزاويته بصفحة 426 من الحوالة السليمانية .

(2)- ابن مرزوق (ت : 842) محقق علامة مفسر، له رجزان في علوم الحديث وأراجيز في فنون شتى (شجرة : 252-253).

هذه المسألة اليوم لا يتأتى له السكنى بالمدرسة بغير شراء أو مما قاله البرزلي[1] في نوازله، ونقله غير واحد ولم يتعقبوه، فذكر قائلا : "فأجبت مستعينا بالله ومتوكلا ومبتدئا من الحول والقوة إليه لا أعلم وجها شرعيا لذلك على الوجه المتعارف اليوم، وليس في سكوت الأئمة عن ذلك دليل على جوازه أم لا فلا نسلم أنهم سكتوا فإن شيوخنا الذين أدركنا رحمة الله ورضوانه عليهم كانوا ينكرونه ويظهرون إنكاره إذا سئلوا عنه وعند درسهم في الموضع الذي يناسبه وكان كثير مما أدركنا يدفع الدراهم أولا ليتوصل إلى غرضه الصحيح... وسئل القاضي أبو الحسن علي بن محسود رحمه الله عن أرض المساكين المحبسة عليهم هل يجوز بيعها في مثل هذه السنة لعيشهم وحياة نفوسهم أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم...

وعن المعيار من فتوى ابن محسود بنحو نصف ورقة ما نصه : وسئل الفقيه الصريني[2] عن أقوام باعوا حبسا مؤبدا وفرقوا أثمانه على المساكين وربما باعوه بما يساوي من الثمن أو بأقل منه وزعموا أن الفقيه ابن محسود أباحه لهم وأمرهم به والذي كنا نعرفه نحن من قوله وفتياه في ذلك إنما هو في بيع أموال المساكين حبسا كان أو صدقة فهل ينفذ بيعهم لذلك أم ينقض وكيف يفعل بالثمن الذي فرق على المساكين ؟

فأجاب لا تباع الأحباس على حال سواء كانت لجميع الناس أو للمساكين وقلتم إن الشيخ ابن محسود رحمه الله كان أفتاهم بذلك فما علمت ذلك لأحد من أهل العلم إلا أن أبا يحيا[3] ذكر لي عند قراءة كتابكم هذا أنه أفتى بما ذكرتموه عنده ثم رجع على ذلك إلى إبطال بيع الحبس المؤبد فإن بيع شيء منها فانقض البيع ويقتضي المشتري الثمن مما وجب للمساكين من صدقة أو وصية أوصى بها ميت وإن لم توجد فمن غلة هذا الحبس ولا يباع الحبس إلا أن يدخل في مسجد جامع...

---

(1)– البرزلي أبو القاسم بن أحمد القيرواني فقيه مفت واعظ، رحل إلى القاهرة وعاد إماما إلى الزيتونة من آثاره الديوان الكبير في الفقه، النوازل. انظر معجم المؤلفين 377.

(2)– الصويني علي بن زيد الشظبي، ت 282، من آثاره : التذكرة في فروع الفقه المالكي وشرح على التكملة للزركلي انظر معجم المؤلفين 2 / 444.

(3)– ابن جزري ص : 319 دار الفكر.

وإن بيع في غير مسجد ووقع عند من لا ينتصف منه أخذ الثمن فجعل في حبس مثله، ولا يوكل الثمن على حال[1].

هذا وقد فصل ابن جزري في كتابه[2] (القوانين الفقهية) أن بيع الأحباس يكون على ثلاثة أقسام أحدها المساجد "فلا يحل بيعها أصلا بإجماع (الثاني) العقار لايجوز بيعه إلا أن يكون مسجدا تحيط به دور محبسة فلا بأس أن يشترى منها ليوسع به والطريق كالمسجد في ذلك. وقيل إن ذلك في مساجد الأمصار لا في مساجد القبائل، وأجاز ربيعه[3] بيع الربع المحبس إذا خرب ليعوض به آخر خلافا لمالك[4] وأصحابه. (الثالث) العروض والحيوان قال ابن القاسم : إذا ذهبت منفعتها كالفرس يهرم والثوب يخلق بحيث لا ينتفع بهما جاز بيعه وصرف ثمنه في مثله وقال ابن الماجشون[5] : لا يباع أصلا".[6].

كما جاء في كتاب (لباب اللباب) فصل في بيع الحبس وأنقاضه وقسمته والتعدي عليه وما يفضل من أحباس المساجد ما يلي :

"وإذا كان الحبس باقيا على حاله لم يجز بيعه وفي بيعه ليزاد في المحاج العظام التي هي ممر الجيوش وليوسع به مساجد للجماعات التي تضيق بأهلها وليوسع بها المقابر. ففي المتيطية الجواز في جميع ذلك. وقاله ابن الماجشون، وقيل لا يجوز ذلك إلا في مسجد الرسول عليه السلام. وقال ابن زرب لايجوز ذلك إلا في المسجد، وقال أبو عمران إذا ضاق الجامع وحوله حبس للمساكين فلا يباع ليوسع به ولكن يكرى بمال الجامع فيكون النفع للجامع والملك لغيره، وإن كان قد تغير

---

(1)– أبو يحيى (ت : 818) قاضي الجماعة بفاس، فقيه مفسر عالم، له شرح على شفاء القاضي عياض، وتأليف الأدعية، انظر شجرة النور الزكية ص : 251.

(2)– انظر مخطوط للشيخ الرهوني / الصفحة الأولى والثانية وجزء من الثالثة.

(3)– ربيعة (ت 136) : مفتي المدينة، أخذ عن الصحابة وعن مالك الذي قال عنه وعن وفاته (ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة. انظر شجرة... ص : 46.

(4)– مالك (ت : 179) إمام دار الهجرة صاحب الموطأ، الذي قال عنه الشافعي. اصح كتاب بعد كتاب الله) انظر شجرة... ص : 27.

(5)– ابن الماجشون عبد المالك بن عبد العزيز توفي سنة 212 هـ فقيه مالكي، من أثاره : كتاب كبير في الفقه. انظر معجم المؤلفين 2 / 318.

(6)– ابن جزي / القوانين الفقهية نفس الصفحة 319.

وانقطعت منفعته، فأما الدواب فقال مالك : تباع ويجعل ثمنها في غيره أو يعان بثمنه في مثله. وقال في الثياب : تباع ويشترى بها ثياب، فإن لم يكن في الثمن ما يشترى به فرق في السبيل، وقال أيضا لا يباع ما حبس من عمد أو ثوب. وأما الرباع إذا خربت، فالمشهور فيها المنع، وروى أبو الفراج[1] الجواز. ابن الماجشون : ولا يباع زيت المسجد وإن كثر ليبتاع به حصير وغيرها. ابن عبد الغفور : ولا يجوز بيع قاعة المسجد الخرب ولا بأس ببيع نقضه إذا خيف عليها الفساد للضرورة ويوقف ثمنها إن رجيت عمارته وإلا أعين به في غيره أو تصرف النقض نفسها في غيره.

وإذا أراد المحبس عليهم قسمة الوقف، لم يكن لهم ذلك، وإن أرادوا قسمة الاغتلال ففي الجواز والكراهة قولان، وبالجواز جرى العمل، أما في الإشاعة من التعطيل والضرر، ومن تعدى على حبس بقطع نخل أو هدم جدر غرم قيمة ما أفسد ثم إن كان الحبس في السبيل أو في الفقراء جعلت تلك القيمة في مثل ما أفسد، وعلى قول أشهب[2]. تصرف فيما هو أفضل، وإن كان على معين ففي سقوط حقه في الهالك أو يعود عنه في تلك القيمة خلاف :

قال محمد[3] في من أوصى له بغلة دار أو سكناها فهدمها رجل في حياة الموصي وهي تخرج من الثلث أن الهادم يغرم ما بين القيمتين فيورث عنه وتبقى العرصة للموصى له ولو هدمها بعد موته بنيت بتلك القيمة مثله، واختلف في الفاضل. من غلة أحباس المساجد. فقال بعض أهل الشورى بقرطبة تصرف في بقية سائر المساجد التي لا غلات لها بعد أن يعلم أنها لا تحتاج إلى ذلك. وقال غيره قول ابن قاسم[4] أنها لا تصرف لها، وإنما يشترى بها أصول فتوقف عليها، ويوسع من ذلك إليها في جميع ما يحتاج إليها في وقودها وحصرها وجميع آلاتها وقومتها

---

(1)– أبو الفراج (ت : 231) عمر بن محمد الليثي، الإمام الحافظ العمدة، ألف "الحاوي" في مذهب مالك و"اللمع في أصول الفقه. انظر (شجرة... ص : 79).

(2)– أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي المصري الفقيه الثتب العالم، انتهت إليه رئاسة مصر بعد ابن القاسم روى عن مالك والليث وعهد سحنون توفي بمصر سنة 204. انظر الشجر.

(3)– محمد بن المواز الأسكندري، الفقيه الحافظ. ألف الموازنة. ولد بالشام عام 180 وتوفي بها عام 269 أو 281 .انظر الشجرة ص : 68 عدد 72.

(4)– ابن القاسم (ت : 355) محمد بن شعبان. إليه انتهت رئاسة المالكية بمصر، ألف في الفقه "الزاهي" وكتاب السنن. انظر : شجرة ... ص : 80.

وغير ذلك من ضروريتها، وعليه أكثر الرواة، وقال ابن الماجشون في العتبية : الأحباس كلها إذا كانت الله، انتفع ببعضها في بعض"[1].

وإذا كانت تلك مختلف آراء الفقهاء فيما يخص بيع الحبس وأنقاضه وقسمته والتعدي عليه، فقد جعل القانون الوضعي عقوبة لكل من اعتدى على ملكية غيره جزاء له على عمله، وعبرة لكل من يريد أن يسلك مسلكه، وإذا كانت هذه العقوبات خاصة بالمعتدين على أملاك الخواص فمن باب أولى أن تلحق بالمعتدين على الأملاك المحبسة.

قد لفت نظري - في هذا الصدد - وأنا أتصفح الحوالة العبد الرحمانية[2] فحوى فتوى تتحدث عن الاعتداء على الحبس ببيعه فأوضحت أن البائع يستحق التأديب والسجن إذا لم يكن في بيعه عذر، وملخص المسألة أن (المرأة فاطمة المدعوة طيمة الزريفي الأندلسي أوصت بأن يخرج من جميع متخلفها من قليل الأشياء وكثيرها وجليلها وحقيرها، العقار وغيره، الثلث الواحد يكون حبسا على من يتزايد عن ابنتها عائشة ذكورا وإناثا ما تناسلوا وامتدت فروعهم، فإذا انقرضوا عن آخرهم أو لم تلد البنت المذكورة فإنه يرجع إلى زاوية سيدي عبد القادر الفاسي الكائنة بحومة القلقليين حبسا مؤبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن يحط جميع الثلث المذكور من واجبها في عرصة ابن مسافر، وكان ذلك بتاريخ 1174هـ).

غير أن السيد القاضي وبعد إطلاعه على الوصية وإثبات صحتها، وجدها فوتت عن طريق البيع، فبادر إلى التساؤل عن رأي علماء الحقبة الزمانية وفقهائها خاصة المنتصبين منهم للفتوى في مثل هذه المسائل. وهذا نص تساؤله ومطلوبه :

الحمد لله، المطلوب من سادتنا الأعلام أيدكم الله وأكرمكم، الجواب عن الوصية بالحبس، فإن الموصى لأولادها ولدت بنتا لا غير فباع ولد البنت الوصية بمحوله تعديا على الحبس ولم يطلع على ذلك إلى أن ألفيت هذا الرسم الآن فهل البيع المذكور غير نافذ ولا ماض ويرد الواجب من العرصة حبسا على حاله ويتبع ورثة المشتري ورثة البائع... بينوا لنا ما لديكم في ذلك ولكم الأجر والثواب.

---

(1)- ابن راشد البكري القفصي / لباب اللباب، الفصل الرابع من كتاب الحبس ص 243242 العدد 12.
(2)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 130 المذيلة بظهير شريف مسجل بعدد 2376.

فكان الجواب أن البيع المذكور يرد وينقض لأن الحبس لا يجوز بيعه... وما يبيع من عليه حبسا... يروى مطلقا ومع علم أننا قال - في المجموعة ويعاقب بالأدب والسجن إذا لم يكن له في بيعه عذر ويعذر به هم والمشتري. إذا كانا علما وإلا فلا والله أعلم"[1].

إذ يستنتج مما تقدم من جواب السادة العلماء أن بيع الحبس لا يجوز، بل ويعتبر اعتداء عليه، حتى في حالة وقوعه من طرف الورثة، بل وحتى لو كان هؤلاء الورثة لا علم لهم بأنه حبس، فالبيع يلغى، ويعود المتعاقدان إلى حالتهما الأولى قبل الإقدام على عملية البيع والشراء، وكأن العملية منعدمة فإذا صاحب العملية اليقين بأن ما يباع حبس جوزي البائع بالسجن بعد الفسخ عقابا له على فعله الشنيع.

استنتاجات : وهذه الحالة الأخيرة لا يمكن أن تتصور إلا نادرا وخاصة عندما تشهد البلاد اضطرابات أو فوضى، وفي هذا الصدد فما زالت حوالة أحباس القرويين تحتفظ بوثيقة تتحدث عن أيام الفتنة وما صاحبها من اعتداءات على الحبس سجلت هذه الحوالة واحدة منها[2] وهذا نصها :

"الحمد لله الواضع شكله إثر تاريخه يعرف جميع الحانوت أصلا وجلسة الكائنة بسوق الصباط من هذه الحضرة الإدريسية صانها الله وهي الخامسة يمنة المنعطف لها من ناحية العطارين المعروف الآن بالمركطان صاعدا للقيسارية وتقابل سوق حراري الجعبة المعروف قديما بسوق الحولي، وتقابل الزنقة الأولى منه معرفة تامة كافية شرعا بها ومعها يشهد بأنها حبس على تدريس الشامل للشيخ بهرام[3] بالقرويين ويعرفها بما تحازيه الأحباس وتحترم بحرمتها مدة تزيد على الأربع عشرة سنة واتصل ذلك في علمه ومعاينته لذلك إلى أن عمد إليها زمن الفتنة الحادثة سنة ست وثلاثين.

---

(1)- انظر نفس الحوالة ونفس الصفحة.

(2)- حوالة أحباس القرويين رقم 23. ص : 288.

(3)- قاضي القضاة تاج الدين أبو البقاء بهرام بن عبدالعزيز الدميري الفقيه الإمام العلامة الحافظ المحقق المطلع الفهامة حامل لواء المذهب المالكي بمصر، إليه يرجع هناك. كان محمود السيرة، طيب السريرة... أخذ عن الشيخ خليل تآليفه وبه تفقة وانتفع بالشرف الرهوني وغيرهما، وعنه أئمة منهم الأقفهسي وعبد الرحمان البكري والشمس البساطي وغيرهم، ألف التآليف المفيدة منها : ثلاثة شروح على مختصر شيخه خليل... وله شامل حاذى به مختصر شيخه في غاية التحقيق والإجادة وشرح مختصر ابن الحاجب الأصلي، وله الدرة الثمينة نحوا من ثلاثة آلاف بيت وشرحها، مولده سنة 724 ووفاته سنة 805. انظر عنه : شجرة النور الزكية/ مخلوف ص : 239 فقرة 859. هدية العارفين/ البغدادي. المجلد الأول.

من هذا القرن رئيس الفتنة المذكورة وباعها لمن اشتراها منه كل ذلك في علمه ومعاينته لما ذكر وصحة يقينه وقيد بذلك شهادته في سادس رمضان عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف (إمضاءان في شكلين معقدين) وتحته : الحمد لله أعلم بثبوته عبد ربه تعالى (إمضاء في شكله المعقد).

لا شك أن الاعتداء على الحانوت كان زمن الفتنة. فما المقصود بهذه الفتنة ؟ ومتى اندلعت ؟ وفي أية مدينة أضرمت نارها ؟ وما أسبابها ومخلفاتها ؟... كلها أسئلة أحاول الإجابة عنها باختصار من خلال ما يلي :

بعد أن غادر السلطان المولى سليمان مدينة فاس متوجها إلى مدينة مراكش "امتنع عمال الغرب وبني حسن من دفع الزكوات والأعشار، وطردوا جباة السلطان، وعمد الودايا بفاس إلى حارة اليهود التي بين أظهرهم بفاس الجديد فانتهبوها واستصفوا موجودها وأخذوا ما كان تحت يد اليهود من كتان وحرير وفضة، وذهب تجار أهل فاس إذ كانوا يخيطون لهم ويصنعون ما تدعو الحاجة إلى خياطته وصنعته، فضاعت في ذلك أموال لا يحصيها قلم حاسب، ثم جردوهم رجالا ونساء وسبوا نساءهم، وافتضوا أبكارهم، وسفكوا دماءهم، وشربوا الخمور في نهار رمضان، وقتلوا الأطفال ازدحاما على النهب، ثم تجاوزوا هذا كله إلى حفر البيوت على الدفائن، فوقعوا بذلك على أموال طائلة، ولما رأوا ذلك قبضوا على أعيانهم وتجارهم وصادروهم بالضرب والنكال ليدلوهم على ما دفنوه من المال، ومن عنده يهودية حسناء حالوا بينه وبينها حتى يفتديها بالمال، وكان هذا الحادث العظيم في الثالث عشر من رمضان سنة خمسين وثلاثين ومائتين وألف، ولما فرغوا من اليهود التفتوا إلى أهل فاس فاستاقوا السرح وبهائم الحرث والجنات، ومنعوا الداخل والخارج، فقام بفاس هرج عظيم وغلقوا الأبواب ومالوا على من وجدوه من الودايا داخل البلد فأوقعوا بهم ونهبوهم، وحمل ا لناس السلاح، ونقلت البضائع والسلع من الأسواق إلى الدور خوفا عليها واجتمع أهل الحل والعقد منهم فعينوا من يقوم بأمرهم"[1].

الشيء الذي جعل الظروف مواتية لاقتراف الجرائم والتي كان من بينها سطو رئيس الفتنة على عقار محبس ممثلا في حانوت والاعتداء عليه بالبيع، وكأنه ملك

---

(1)- انظر الاستقصا / الناصري 8 / 143 - 144

من أملاكه، ولا غرابة في ذلك - قبح الله الفتن - فقد يبيح المرء نفسه ما يستطيعه بغير وجه حق. وقامت فتن أخرى بعد هذا الوقت بمدينة فاس لا حاجة إلى ذكرها[1]، الأمر الذي جعل السلطان يكتب إلى أهل فاس كتابا شحنه بالوعظ والعتب وكلف ابنه المولى عليا أن يقرأه عليهم، ومن جملة ما جاء فيه : "... وأما بيت مال الله والأحباس، فالله حسيب من بدل، قد كنتم تتكلمون على المكس والحرير والقشينية وغير ذلك، فأرى حكم الله من ذلك وانظروا لمن تعرفونه من العمال، وأما الفسق فهو عادة وديدن كل من قام في الفتنة، وكم مرة رمت قطعه فلم أجد إليه سبيلا، لأن جل كبائرهم بالمصاري والعرصات، وإنما أولي عليكم البراني لأنكم لا تحسدونه وإن أكل وحده، والحاسد يريد زوال النعمة عن محسوده..."[2].

والرسالة تشير بوضوح إلى انشغال السلطان بالأحباس وتخوفه من أن تمتد إليه الأيدي الآثمة، وفعلا وقع ما كان يخشى وقوعه كما هو مسطر بالرسم موضوع الدراسة والذي يذكر بصريح العبارة :"إلى أن عمد إليها زمن الفتنة الحادثة سنة ست وثلاين من هذا القرن رئيس الفتنة وباعها لمن اشتراها منه" وهي إشارة إلى العقار المحبس المعتدى عليه. وقبل ذلك وبالضبط في سنة 1124هـ وقعت سرقة زيت المسجد الأعظم بفاس الجديد - انظر تفصيل ذلك في الملاحق المعززة بصور للحادث.

نعم قد تطرأ ظروف تحول دون تطبيق إرادة المحبسين، وقد توجد حالات يتعذر معها هذا التطبيق، وقد تتغير الظروف والأحوال ويبيت ما كان يرمي إليه المحبسون من حبسهم لا يفي بالحاجة التي كانت تخامرهم.

في مثل هذه الحالات التي تعتبر استثناء من الأصل يتم التفكير في طريقة يستفاد عن طريقها من الحبس، على أن تظل الغاية رغبة المحبس عن طريق مخالف لما كان يود أن يسلك.

غني عن البيان أن الواقفين - رحمهم الله - يرجون من عملهم هذا تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، والتي من بينها صلة الرحم والتكافل الاجتماعي

---

(1)- انظر المرجع السابق 8 / 146 – 147 – 148.

(2)- الاستقصا 8 / 139. رسالة السلطان كانت جوابا على كتاب أهل فاس في شأن عاملهم الصفار، اعتذارا منهم لخروجهم عليه معللين ذلك باشتغاله بما لا يرضي الله من الفسق ومداليد إلى الحريم.

والأسري خاصة والذي يعتبر الوقف الذري أو المعقب[1] ركيزته الأساسية، فهي تارة ذات قيمة رفيعة، وتارة متوسطة، وتارة متواضعة حسب مكانة المحبس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويخضعون أحباسهم هاته لمشيئتهم إذ يحددون الإطار الذي تنفذ فيه، والكيفية الواجب اتباعها[2]. اللهم إلا ما كان من بعض الأوقاف التي يتعذر التطبيق الحرفي لرغبة الواقف فيها كما هو الشأن - على سبيل المثال - في قضية شراء الخبز كل ليلة جمعة وتفريقه على المساكين والفقراء بباب ضريح المولى إدريس، والصعوبات التي تحول دون ذلك، كذلك الأمر بالنسبة لما سمي بخبز الخميس بتطوان وقد سبقت الإشارة إلى الحالتين معا.

فكان التفكير بجد في حل مسعف يهدف إلى إفادة المحبس عليهم ولو عن طريقة تصفيته إذا توفرت أسباب ذلك.

يكاد يجمع المهتمون بقضايا الحبس الخيري بصفة عامة والحبس المعقب أو الذري بصفة خاصة أن الأسباب الداعية إلى تصفية هذا الأخير وإلغائه متعددة أبرزها:

- ضآلة مردوده.
- تعرض كثير منه إلى الخراب والاندثار
- سوء النظارة
- جمود الثروة وركودها وعدم تداولها واستثمارها.
- عدم تحقيق هدف المحبس
- منفعة الحبس الضئيلة أو العديمة النفع بالمرة.
- عدم وجود غلة يصلح به.
- الافتقار إلى من يتطوع لإصلاحه.
- عدم الاطمئنان إلى عودته إلى حاله بعد إصلاحه.

---

(1)- هذا الحبس غالبا ما يذكر مرجعه عند انقراض المستفيدين منه.
(2)- انظر مختلف صيغ التحبيس في بداية هذا المبحث.

لاشك أن هدف المحبسين يكمن في إنقاذ الذرية من الفاقة والتسول وذلك عن طريق الاستفادة من ريع ما حبس عليها واستغلالها له الاستغلال الذي يغطي حاجتها ويقضي مآربها، فإذا أصبح هذا الحبس في حالة لا يتأتى معها تحقيق هذا الغرض إما لكونه لا يحترم لفظ المحبس ومرماه، أو لا يفي بحاجة المحبس عليهم - فلابد من البحث عن وسيلة للاستفادة - كما هو الحال بالنسبة لعدد لا يستهان به من العقارات في مدينة فاس، ولا إخال ذلك إلا في كثير من مدن المغرب وقراه[1]. إذ نلاحظ فرقا شاسعا بين مداخيل العقارات الخاصة والعقارات المحبس بها، فبينما نجد عقارات في الملكية الخاصة تدر دخلا محترما نلاحظ بالمقابل عقارات محبسة ولها نفس مواصفات العقارات السابقة، غير أن دخلها لا يتعدى ثلث أو ربع دخل العقارات الخاصة. سواء كانت هذه العقارات دورا أو حوانيت أو مصاري أو أطرزة أو غيرها.

وإني لأعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى نظرة الناس والمكترين على الخصوص إلى كل من العقارين، وكأنهم يعتبرون العقار الحبسي لا مالك له، في حين يحسبون ألف حساب لصاحب الملك الخاص الذي يواظب على مراقبة ملكه، وتعهده بالصيانة، وطلب المراجعة الكرائية كلما سمح له القانون بذلك.

بل ويلاحظ في بعض الأحيان تصدع العقار الحبسي أو اندثاره بالمرة، ولا يوجد في الحالة الأولى من يرممه ويعيده إلى سابق عهده وفي الحالة الثانية لا يوجد من يعيد بناءه، فيصبح عديم النفع بالمرة، أو تصبح منفعته ضئيلة جدا، الشيء الذي يفضي إلى الإضرار بالمحبس عليهم لسبب أو لآخر، إما لعدم وجود مداخيل تمكن من القيام بذلك العمل، وإما لعدم وجود متطوع يقوم بالعمل على أحسن ما يرام ويقصد بذلك الناظر الخاص الذي لا تتوفر فيه الشروط، وإني لأعتقد أن الشرط الأساسي الذي يجب أن يتوفر في الناظر يتجلى في رعاية الأماكن التي هي تحت نظره والسهر على سلامتها وإصلاحها فضلا عن الأمانة، فكيف بامرئ يتولى هذا المنصب، وهو عاجز عن القيام بما أنيط به، إما لكبر سنه، وإما لمشاغله الكثيرة التي لا يجد معها وقتا يتفرغ فيه للقيام بالواجب الذي هو على عاتقه،

---

(1)- انظر في الموضوع : رسالتي لنيل دبلوم دراسات العليا "الحوالات الحبسية ودورها في حفظ الممتلكات الوقفية في المغرب" صفحة : 50.

حيث ا لحديث عن كثرة المستفيدين من أحباس الغرديس وضآلة مردوده الشيء الذي اعتمدته الوزارة في تصفيته

وإني مازلت أتذكر أن طرازا محبسا ظل مهدما لأكثر من عشرين سنة في حي بالمدينة القديمة، بفاس بحومة سيدي مغيث.

ولذلك عندما سئل عن ناظر الأحباس هل يجب عليه تفقدها - الموقوفات - أم لا ؟ أجاب : "تطوف ناظر الحبس وشهوده وكتابه وقباضه على ريع الأحباس أكيد ضروري لا بد منه، وهو واجب على الناظر فيها، لا يحل تركه إذ لا يتبين مقدار غلاتها ولا تأمرها ولا غامرها إلا بذلك، وما ضاع كثير من الأحباس إلا بإهمال ذلك، فيأخذ الناظر وفقكم الله بالكد والجد والاجتهاد"(1) هذا وللمذاهب الإسلامية آراء مختلفة بخصوص شروط صحة النظر وطريقة تعيين الناظر.

وأهم ما يقوم به يتجلى في الإشراف على الوقف ورعاية مصالحه والقيام بتعميره وتنمية وتدبير أموره ومراقبة موظفيه، وتحصيل إيراده، وصرفه حسب شروط الواقف.

ونظرا لصعوبة تطبيق رغبة المحبس من جهة، وضآلة المردود وإهمال العقار من جهة أخرى فضلا عن جمود الثروة وركودها، وتفاديا لضياع المستفيدين بسبب ضآلة الدخل أو انعدامه، قررت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تصفية هذا النوع من الحبس وإلغائه، واعتمدت في ذلك على فتاوى المجالس العلمية والأمانة العامة لرابطة علماء المغرب بطنجة(2).

واعتمادا على هذه الفتاوي ألغى المشرع المغربي الحبس المعقب مراعاة للأوقاف المهدمة والتي لا تجد من يقوم بإصلاحها، وأخذا بيد المحبس عليهم حتى يخرجهم من بؤسهم وذلك بظهير شريف بمثابة قانون رقم 83 . 77 . 1 بتاريخ 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977م) في شأن الأحباس المعقبة والمشتركة.

وقد اشتمل هذا الظهير على ثمانية فصول تناولت في مجموعها تعريف الحبس

---

(1)– الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار / حسن الباشا 3 /.1215.

(2)– فتاوي مطولة لكل من المجالس الآتية : فاس، مكناس، مراكش، تارودانت، تطوان، طنجة. (قسم التشريع بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط)

المعقب وإمكان الرجوع فيه وتصفيته من طرف الوزارة المعنية إذا تبينت لها المصلحة مع أخذ الأحباس العامة للثلث في حالة التصفية كما تمت الإشارة إلى الفرق في المعاملة بين ورثة المحبس والمستفيدين وكذا إلى مسطرة التصفية وكيفية تشكيل اللجنة(1).

وهذا الحل كما ينص على ذلك قد أفاد الأحباس العامة بالثلث من هذا الحبس المعقب، وأطلق يد الذرية والعقب في الثلثين الباقيين ليستفيدوا منها استفادة تختلف باختلاف ما إذا كان المستفيدون ورثة أو ليسوا بورثة. على كل فقد أعطى لهؤلاء وأولئك الحق في التصرف في نصيبهم تصرف المالكين في ملكهم.

الخلاصة :

وهكذا فقد تم التطرق - في الباب الثاني من هذا القسم - إلى الحديث عن الميدان الثقافي وازدهاره بسبب الاهتمام البالغ بالعلم وأهله عن طريق تحبيس عن الميدان الثقافي وازدهاره بسبب الاهتمام البالغ بالعلم وأهله عن طريق تحبيس الكتب على الخزانات العلمية والذرية وكذا الوسائل العلمية كآلات التوقيت والمجانات وغيرها مما يساعد الموقتين على تسهيل مأمورياتهم، وما نتج عن ذلك من إيجابيات انعكس أثرها على النشاط الفكري فكانت الأبحاث وكثرت الفتاوي وتمت الإشارة في هذا الصدد إلى قيمة الحبس بالنسبة للعلم وفضله في نشره وتحسين ظروفه، وما واكبه من تكريم وتمجيد لرجال القرويين الذين غمرتهم السعادة، ولما كانت معظم المعلومات تستقى من الحوالات الحبسية كان من اللازم التطرق إلى حجية هذه الحوالات ومعرفة قيمة وثائقها وذلك من خلال عقد مقارنة بينها وبين التحفيظ العقاري، وعند الحديث عن مدى احترام الغير لأ ٤اظ المحبسين.

واحترام إرادتهم تم استعراض مجموعة عوائق تحول دون تطبيقها الشيء الذي أدى إلى ميلاد الظهير الشريف الداعي إلى تصفية الأحباس المعقبة والمشتركة بعد استشارة المجالس العلمية في الموضوع، كما تمت الإشارة إلى اجتهادات بعض

(1)- انظر الجريدة الرسمية عدد 3388 مكرر تاريخ 26 شوال 1397 (10 أكتوبر 1977).

الفقهاء في مسألة الاعتداء على الحبس بالبيع.

ومن ثم فقد كانت موضوعات هذا الباب تعكس في مجملها بعض جوانب الحياة الثقافية والعلمية لمدينة فاس التي تحتضن جامعة القرويين والمنتسبين إليها هذه الحياة التي كانت مستمدة من معاهد فاس ومؤسساتها الدينية التعليمية ونتاج جامعة القرويين وما يدور في فلكها من مدارس وزوايا.

والحديث عن هذه المؤسسات ودورها في العلم والمعرفة هو ما يشكل الباب الثالث من هذا القسم.

الباب الثالث :

المؤسسات الدينية والمعاهد التعليمية

توطئة:

لا يختلف اثنان في كون فاس أصبحت منذ أن تأسست على يد المولى إدريس أهم معقل ديني وأدبي، ليس في المغرب فحسب بل وفي كثير من بلاد المعمور، ويكاد إشعاعها الديني والعلمي ينحصر أساسا في الجامع الأم - جامع القرويين - والمساجد التابعة له، وكذا المدارس التي تدور في فلكه، والكتاتيب القرآنية فضلا عن المبادرات الخاصة التي كان يستأثر بها أثرياء المجتمع الفاسي والقادة السياسيون ووجهاء المدينة الذين يؤثرون أبناءهم بفقيه خاص يحضر منزلهم بانتظام[1]. ولم تكن استفادة الإناث من هذه العملية الخاصة لتقل عن استفادة الذكور، فقد كن يشاركن إخوانهن في التحصيل تحت إشراف فقيه خاص، أو يرسل بهن والدهن إلى (دار الفقيهة)[2] حيث يتم تعليمهن على يد سيدات فضليات حفظ كتاب الله وفرائض الإسلام.

وحتى نقف عن كثب على النشاط التعليمي بفاس وازدهاره، ينبغي استعراض أهم المؤسسات المتخصصة من جوامع ومساجد ومدارس وكتاتيب قرآنية وما اشتملت عليه من كراسي ومجالس علمية....

وهكذا سيتم الحديث في الفصل الأول من هذا الباب عن مصادر هذا الإشعاع الديني والتعليمي ممثلا فيما ذكر من المراكز، ثم استعراض دور الزوايا والطرق الصوفية في الفصل الثاني مذيلا بالكلام على بعض الطوائف الصوفية.

---

(1)- حيث يجعل رب الأسرة مكانا خاصا (غالبا ما كان يدعى مصرية) يصعد إليه من درج بسطوان المنزل الكبير، ويتصل مباشرة بالباب الرئيسي للمنزل، وكان الفقيه الخاص يتعهد الأطفال ببعض المبادئ الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم. وما زالت كثير من الدور في المدينة العتيقة بفاس تحتفظ بهذه المصاري على شكلها القديم.

(2)- سيأتي الحديث عنها بتفصيل عند الكلام على استفادة النساء من التعليم.

الفصل الأول

الإشعاع الديني والتعليمي من خلال المؤسسات التالية

وتشتمل على أربعة مباحث : جامع القرويين - المدارس - الكراسي العلمية - الكتاتيب القرآنية.

المبحث الأول :

جامع القرويين

ليس بمقدورنا أن نستوفي أو نحيط بكل ما احتفظ به التاريخ من مكانة سامية "لجامع القرويين"، ولو على المستوى الديني والتعليمي، ذلك أنه مهما تحدثنا عنه، فسيظل حديثا قاصرا لا يعدو أن يكون نقطة في بحر، لأن مزايا هذا الجامع أكبر من أن يحاط بها في هذا البحث. ولكن وعملا بالقولة السائدة :"ما لا يدرك كله لا يترك جله" فإننا نرى كما يرى آخرون - أن القرويين فعلا كانت تمثل المنطقة الرئيسية للعطاء الفكري بالمغرب، وعليها كانت تدور 'الحياة العقلية[1]. وهكذا فلا يمكن الحديث عن الحياة الفكرية في فاس دون الوقوف طويلا عند هذا الجامع الذي أثر تأثيرا بليغا في الحياة الفكرية والثقافية لسكان فاس والوافدين عليها منذ قرون "فلما أقيمت الحماية كانت قد مضت إذن ثلاثة قرون على الأقل منذ أن احتل علماء جامع القرويين الصف الأول في الحاضرة وشكلوا شبه طائفة هي طائفة الفقهاء"[2]. لقد تحدث الشيخ محمد المنوني[3] عن فاس وأهم مراكزها الثقافية "القرويين" وما يلحق بها، وعن المواد التي تدرس بها وعن فقهائها فقال :"أما فاس فكانت موطنا للعلوم الشرعية واللسانية وبعض فروع الفلسفة، غير أنها يغلب عليها الطابع الفقهي أكثر واستشهد على ذلك بقول ابن دراج من أن فقهاءها هم المتميزون بمعرفة الفقه في المغرب[4]، وبوصف أبي القاسم التجيبي بكونها "دار فقه المغرب"[5] كما أكد ذلك ابن أبي زرع في قوله : "وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب"[6] ولم يفت المستشرق الفرنسي (ليفي بروفنصال) الحديث بفضل جامعة

---

(1)- التقاط الدرر / تحقيق هاشم العلوي ص : 111.

(2)- روجي لوطورنو / فاس قبل الحماية ج : 2. ص : 654.

(3)- محمد المنوني / ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين – منشورات كلية الآداب... الرباط ص:210.

(4)- نقلا عن : (الامتناع والانتفاع في مسألة سماع السماع) مصر – خ ع د 3663 لوحة 89.

(5)- نقلا عن : (برنامج التجبيس) مصورة محمد ابراهيم الكتاني عن مخطوطة الاسكوريال رقم 1756, ورقة 121 ب.

(6)- روض القرطاس . ص : 20.

القرويين ونعتها بالجامعة العريقة فقال في هذا الصدد :"وقد وجهت الأنظار إلى فاس بعد أن.... وقعت شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا والبرتغال) في أحضان المسيحية من جديد، وذلك - تقريبا - في القرن الرابع عشر، فأضفى على فاس ثوبا علميا يرجع التفضل فيه إلى تلك **الجامعة العريقة** : *جامعة القرويين* "[1]

وفي تفصيل القول عن المقصود "بجامعة القرويين" يرى الأستاذ المنوني[2] أنه يعني بها أربعة مراكز دراسية : الأول : جامع القرويين نفسه، وكان - في الغالب - مكان دروس كبار العلماء، وفي الوقت ذاته يتمتع بالصدارة على باقي مراكز التعليم في فاس، حيث كانت هذه الأخيرة بمثابة فروع ملحقة[3].

الثاني : المدارس، وتعتبر معاهد الفقه والنحو والقراءات[4]

الثالث : بقية جوامع نفس المدينة ومساجدها، وهي - في الأكثر - كمعهد للدروس الابتدائية والثانوية[5].

الرابع : الحلقات الخاصة التي يعقدها بعض الأساتذة في منازلهم مع خواص الطلاب. هذا فضلا عن الكتاتيب القرآنية كمدارس أولية للصغار فتعتني بتحفيظ القرآن الكريم وتلقين الخط - وتهتم إلى جانب ذلك - بتحفيظ بعض المصنفات الابتدائية وتحليلها للمتعلمين.

وقد كان للمدارس العلمية نظام خاص يستوعب المواد المدروسة والأساتذة والطلب، حتى تتميز عن التعليم في الجوامع والمدارس.

وهكذا صارت المواد التي تدرس بهذه المؤسسات هي الفقه والنحو، مع إضافة القراءات في بعضها.

---

(1)- الكتاب الذهبي لجامعة القرويين. ص : 58.

(2)- محمد المنوني / ورقات ... ص: 202.

(3)، (4)، (5) - سيظهر ذلك جليا عند الحديث عن كل منها بتفصيل استقبالا .

ويقوم بإلقاء الدروس أساتذة فيهم فقيه ونحوي، وحينا يزاد أستاذ للقراءات[1].

وكانت مصادر النفقات على هذه المؤسسات من ريع الأحباس الموقوفة عليها من جهة بناتها وغيرهن. وبالنسبة إلى مرتبات الموظفين بها، فإنها كانت منتظمة عند رأس كل شهر، فضلا عن إعانات سنوية[2].

ويؤخذ من الوزان (ليون الإفريقي) أن الالتزام بالكسوة صار عاما لمدارس فاس بالنسبة لطلابها، حيث يثبت أن هؤلاء قبل عصره كانوا يمتعون - في هذه المؤسسات - بالسكن والتموين والكسوة[3].

وإن الحوالات الحبسية وما تشتمل عليه من أوقاف لأم هذه المؤسسات التعليمية" جامع القرويين" لأكبر شاهد على اهتمام المغاربة ملوكا ومواطنين بمركز الإشعاع الديني والعلمي والذي استأثر بأوفر نصيب سخي إعلاء لكلمة الله ودفاعا عن مبادئ دينه، ما من شأنه أن يصلح أمر المسلمين ويعود عليهم بالخير العميم في دنياهم وأخراهم[4]. ولذلك فلا غرابة أن تظل عبر التاريخ مفخرة لرجال الفكر. ومن هذا المنطلق يعتقد الدكتور عبد الهادي التازي أن الحديث عن العالم الإسلامي وعن الحرف العربي بدون ذكر للمغرب يظل حديثا لا أثر فيه للحياة، والعناية بالمغرب دون الالتفات إلى فاس، عناية بالهيكل وغفلة عن السر، أما الكلام على فاس دون القصد إلى القرويين بالذات، فإن ذلك بمثابة الحديث عن كائن مجهول الهوية، ومن أجل ذلك كان الفضل في كل ما سمعناه عن فاس من مناقب ومحامد يرجع إلى هذا المركز الثقافي الإسلامي الذي أشع على هذه الجهات[5].

---

(1)– المعيار للونشريسي . ط – ف 701 و 542 مع الذخيرة السنية ص : 100.

(2)– محمد المنوني / ورقات... ص : 202.

(3)– نقلا عن : حياة الوزان الفاسي وآثاره" / محمد المهدي الحجوي ص : 67 المطبعة الاقتصادية بالرباط.

(4)– انظر تفصيل هذه الأوقاف – على اختلاف أنواعها – في المبحث الثاني من الفصل الرابع من الباب الثاني من القسم الأول من هذا البحث، وراجع هوامشه الغنية بالرباع المتعددة من دور وفنادق ومصاري وحمامات وحوانيت وأرضين وزيتون وبلادات.....

انظر كذلك " الحوالة المرينية ص : 369 و 370 ومن ص : 450 إلى 458 ومن 461 إلى 463.

انظر كذلك "الحوالة الإسماعيلية رقم 47 من ص : 6 إلى 96 ومن 134 إلى 142.

انظر كذلك "الحوالة السليمانية من ص : 4 إلى 373 و 407 و 408, وبها أيضا أحباس على الذرية مرجعها بعد انقراض الذرية إلى القرويين ص : 391 – 394–398–399 ومن 378 إلى 383, ومن 516 إلى 535.

(5)– عبد الهادي التازي/ جامع القرويين ج 2 ص : 367

هذا المركز الثقافي الإسلامي ذو المستوى الرفيع لم يكن ليلتحق به إلا من استأنس من نفسه أنه أهل لأن يتلقى العلم من شيوخ القرويين بعد تدرجه في المساجد الصغرى لأن مستوى الدراسة فيها ليس مستوى المبتدئين. ذكر أبو سالم الكلاني في مذكراته أنه لايسمح بالانخراط في سلك المنتسبين إلى القرويين إلا الذين بلغوا سن المراهقة(1) وحصل على نصيب مهم من العلوم وأراد البحث بجدية عن طريق لإصلاح لسانه ولغته وتحسين معرفته في الفقه والتوحيد.

ولم تكن سنوات الدراسة بها محصورة في عدد ثابت فثمة حالات يلازم فيها الطلبة معاهدهم الدراسية نحوا من ست عشرة سنة(2).

غير أن الدكتور عبد الهادي التازي ذكر أن معدل أمد الدراسة في القرويين بين سبع وثمان سنوات، وقد يقصر عن هذه المدة أو يزيد بحسب استعداد الطالب ورغبته في التعمق والتوسع(3).

وخلال حديثه عن المواد الدراسية بها، استعرض الدكتور التازي عددا من المواد، جعل في مقدمتها، الفقه والنحو كما يشير إليها التعبير السائد (سيدي خليل والألفية)(4)، ثم الأدب : شعرا ونثرا وعروضا، والعلوم الكونية، وفنون البلاغة بعلومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع، وعلم التاريخ، وعلم التصوف الذي عرفت مادته في القرويين ملامح نظيفة ومعالم ثرية، حتى كانت الأسئلة في المادة ترد من علماء الأندلس على علماء فاس حيث بحار العلم والدين تزخر، على حد تعبير ابن خلدون(5).

ومن جملة المواد المدروسة : علوم التفسير، والقراءات السبع، وتوابعها من التجويد والرسم والتلاوات المأثورة والغريبة وتوجيهاتها(6). كذلك علم الكلام أو

---

(1)– يلاحظ "مارتي" أن متوسط السن في الطلبة الذين يدخلون جامعة القرويين يتراوح ما بين 16 و 18 سنة فيما يتعلق بأهل فاس، ومن 22 إلى 25 فيما يخص الافاقيين. انظر. ص : 465 من "جامع القرويين".

(2)– ابن خلدون / المقدمة ص : 361.

(3)– عبد الهادي التازي / جامع القرويين ج : 2. ص : 420.

(4)– الإشارة إلى مختصر الشيخ خليل في فقه الإمام مالك، وإلى أرجوزة الألفية في ا لنحو لابن مالك.

(5)– المقدمة . ص : .361

(6)– وصلت علوم القراءات إلى أوجها عند السعديين، ويكفي أن نعرف أن وقف القرآن الذي جرى العمل عليه في المغرب إنما وضع في هذا العصر، وضعه الإمام الهبطي (ت : 930).

التوحيد وما يتبعه من علوم المنطق، ثم علم التوقيت والتعديل والهيئة بسائر فروعها، وذلك للحاجة إليها في الصلاة والصيام. ومن المواد علوم الحديث وكتبه، وعلوم الحساب بفرعيه الجبر والمقابلة، ومن المواد المتناولة بفاس مادة الطب الذي يعد من فروع الطبيعيات.

وفيما يخص الهندسة ضربت فاس بسهم وافر مما يدل الدلالة الكافية على ازدهار فن الهندسة، ولعل في الفنون الرائعة التي تتحلى بها المدارس – مدارس الطلبة – التي يسكنها الطلاب خير شاهد على لياقة الذوق الذي كان وليد استعداد وإعداد[1].

تلكم كانت نظرة موجزة عن مكانة القرويين وإشعاعها العلمي والثقافي، وعن المواد التي يتلقاها طلاب العلم الوافدون عليها من كل حدب وصوب بغية التفقه في أمور الدين والدنيا، فهل كان للمرأة نصيب من التعليم بالقرويين؟

سبق أن أشرنا إلى أن اهتمام بعض الأسر بتعليم أبنائها لم يكن ليقل عن اهتمامها بتعليم بناتها، والدليل على ذلك شيويع مدارس (دار فقهية) في معظم أحياء مدينة فاس. فقد تظافرت ومنذ مئات السنين جهود الملوك والخلفاء والعلماء وغيرهم من أجل تثقيف المرأة التي تعتبر أم الإنسان ومدرسته الأولى التي تربى في أحضانها، فكان ضروريا أن تكون هذه الأحضان طيبة نقية واردة من حياض المعرفة حتى تكون في مستوى تربية النشء المعول عليه في السير بالوطن إلى ما ينشده من آمال.

فالقرويين التي كانت من تأسيس سيدة من فضليات فاس، كانت ذات فضل كبير على تلقين السيدات المتطلعات، فقد ظلت بيوت العلماء والفقهاء بما فيها من بنات وأمهات مراكز علم يتلقين فيها ما ينفعهن في دينهن ودنياهن، علاوة على دور الخلفاء والملوك التي كانت تعنى بتثقيف المرأة وإعدادها إعدادا لمشورة الرجل في أوقاته الصعبة.

---

(1)– انظر عبد الهادي التازي / جامع القرويين ج .2 ، الصفحات : 421-422-423-424.

يرى الدكتور التازي أن كل واحد في المغرب وفي فاس على الخصوص يعرف عن العدد الكثير من مدارس البنات التي كانت تعرف باسم "دار الفقيهة"، فإن كل حي من أحياء المدينة وكل منعرج، كان يتوفر على طائفة من هذه الدور التي تديرها عادة سيدات أخذن عن أعلام لهم صلة وثيقة بمجالس القرويين(1).

ومع أن هؤلاء السيدات كن يزاولن دراستهن في (الدور) المخصصة لهن، فإن هناك في القرويين أماكن كانت تساعد من حيث موقعها على حضور المرأة للاستماع مباشرة من كبار المشايخ مثل ما يسمعه الطلاب. وأن في مبنى الأسبوع الأعلى، أو مصرية المفتي، دليلا على ذلك، فقد كان لها مطلع خاص من جامع الجنائز.. وكانت تشرف على أهم كرسي علمي عرفته القرويين في تاريخها الفكري. كما أن مستودع ابن عباد الخاص بالنساء الذي كان يشرف علي كرسي ظهر الخصة ما يؤكد مشاركة المرأة للرجل في الأخذ بجوانب المعرفة، وهي الظاهرة التي لم يخل منها عصر من عصور فاس منذ تأسيسها إلى يومنا هذا(2).

ففاس وبكلمة مختصرة - ونظرا لشيوخها وعلمائها ومستوى الدراسة في مؤسساتها وبالنظر إلى المواد التي تدرسها - تعتبر بحق : "خزانة للتراث المغربي بجميع جوانبه، في رجالها وأسرها وعلمائها ومساجدها ومدارسها وجامعتها (القرويين) أم الفكر المغربي على الإطلاق وصانعة رجاله...(3).

المبحث الثاني :

المدارس.

إن جولة متأنية في مدينة فاس العتيقة، ونظرة متبصرة لعمرانها ومعالمها الدينية الخالدة لتجعل المهتم يقف على تلك الروائع التي أبدعتها يد الصناع في المجال الهندسي والزخرفي، حتى ليعتقد أنه ليس أمام مدرسة من المدارس وإنما

---

(1)- عبد الهادي التازي / جامع القرويين ج .2, ص : 443.

(2)- عبد الهادي التازي / جامع القرويين ج 2. ص : 444.

(3)- التقاط الدرر / تحقيق : هاشم العلوي ص : 135. ذكر ذلك عندما كان بصدد الحديث عن القادري وبيئته وتأثيره بمحيطه الذي أشاد به على مستويات مختلفة قال "... وبين أحضان تلك النفائس نشأ، ومن منه لها شرب، وفي جوها تربى..." وكلامه هذا لم يخرج عن فاس في القرن الثاني عشر الذي يهمنا في بحثنا هذا.

أمام متحف رائع في كل شيء.

ونظرا لأهمية هذه المدارس التاريخية وقيمتها العلمية فلم يبخل عليها المغاربة وعبر الحقب التاريخية ملوكا ومواطنين، بل وفروا لها كل ما هي في حاجة إليه وذلك من خلال المداخيل الوافرة لما حبس عليها، والحوالات الحبسية زاخرة بهذه الأحباس[1].

ذلك أن مدارس القرويين بفاس تعد بحق أصدق تعبير عن الظروف الحسنة التي كان يعيش فيها طلابنا أيام كان يعاني فيها طلبة أوربا المتاعب والمحن من أجل الحصول على راحة البال[2].

وقد كان للطلبة الحق في سكنى البيوت متى برهنوا على أنهم أهل لذلك، بما يحصلون عليه من مبادئ ضرورية في مختلف العلوم والفنون، فضلا عن استفادتهم يوميا بخبز جاهز، وفي ذلك يقول صاحب كتاب "فاس قبل الحماية : "وأما الطلبة فكانت الأحباس تقدم لهم الماء الصالح للشرب ورغيفا كل يوم، يوزعه المقدم ولو خلال العطلة"[3].

وقد كان الطلبة والأساتذة وأعوان المدارس ينعمون حقا بما يغدق عليهم من أموال الأوقاف ولا سيما عندما يرتفع كراء الدور والأرضين[4].

إن الحوالة الإسماعيلية شأنها في ذلك شأن الكثير من الحوالات التي قدر لي

---

(1)- انظر مضامين الحوالات في الباب الأول من القسم الأول من هذا البحث.

(2)- عبد الهادي التازي/ جامع القرويين ج : 2. ص : 669-670.

(3)- روجي لوطورنو / فاس... ج 2. ص 669-670.

وكان للتزويد بالخبز يؤمنه حبس الخبز، فكانت إدارة الأحباس تتفق مع طحان ليزود يوميا الفرن المعنى بالكمية المطلوبة من الدقيق، وكان مقدم كل مدرسة يسهر على توزيعه على طلبة مدرسته.

– انظر تفصيل شراء الخبز هذا في :"حوالة إحصاء رباع المدارس رقم 115 وخصوصا ماكانت تستفيد منه المدرسة الرشيدية. وحصرت هذه الرباع في 32 ما بين مصاري وخزائن بدار الدبغ. وبالحوالة الجديدة ص: 86-87.

(4)- انظر تفصيل الرباع الموقوفة على المدارس المختلفة في الحوالات المتقدمة بصفة عامة، وفي المبحث الثاني من الفصل الثامن من الباب الأول من القسم الأول من هذا البحث بصفة خاصة، فتجد من جملة هذه الأوقاف: حوانيت، مصاري، أرضون، زيتون، فيوضات ماء، أرحية، عرصات... هذه الأنواع المختلفة تغطي صفحات كثيرة من الحوالات.

تصفحها ودراستها لتتحدث عن كثير من الأوقاف التي تخدم مصالح هذه المدارس أساتذة وطلبة وقائمين بأمرها، بل إن المولى اسماعيل اهتم بها اهتماما بالغا الشيء الذي أدى إلى ذكرها في صك إنشاء حوالته[1]. جاء في هذا الصدد :"... زخرف بيوت العبادة والمساجد، وعمر المنازل والمعاهد، ... وسبل السبايل... فمنها[2].. ماهو لإعانة الفقهاء المدرسين... وما هو لإصلاح المساجد... وما - هو لأئمتنا والمؤذنين...".

ولقد أعطى الدكتور عبد الهادي التازي جردا بهذه المؤسسات التعليمية (المدارس) وزمن بنائها وتشييدها فقال :"وهكذا أسست مدرسة الحلفاويين (670هـ)، ومدرسة دار المخزن(721)، ومدرسة الصهريج(721)[3]، ومدرسة السبعين (721)، ومدرسة الوادي[4] (721) ومدرسة العطارين (723)، والمدرسة المصباحية (745)، والمدرسة العنانية)[5] (755).

ثم أضاف : ثلاث من هذه المدارس يحيط بالقرويين مباشرة هي : مدرسة الحلفاويين ومدرسة العطارين، والمدرسة المصباحية، والأربع الباقية وزعت على بعض فروع القرويين، فشيدت بجوار جامع الأندلس ثلاث مدارس، هي مدرسة الصهريج ويلصقها مدرسة السبعين ومدرسة الوادي، وشيدت أخرى في فاس الجديدة على مقربة من قصور بني مرين هي مدرسة السلطان أبي سعيد، وشيدت الثانية وسطا في الطريق الذي يربط فاس العتيقة بفاس الجديدة، وكانت هي مدرسة السلطان أبي عنان[6].

ولم تكن مدارس فاس مخصصة لإيواء الطلاب فحسب، ولكنها أيضا كانت محل درس كما يعطي ذلك اسمها : (مدارس)، واستدل الدكتور عبد الهادي التازي على صحة قوله بدلائل منها : تزويد المدارس بقاعة أو قاعتين خاصتين مزودة في الغالب بخزانة تضم عشرات المخطوطات مع العلم أن جل المدارس لا تحتوي على

---

(1)- انظر الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 5.

(2)- الضمير يعود على الأوقاف في فاس، وذلك بعد الحديث عن اختلاف أصنافها وتعدد أنواعها.

(3)- انظر حوالة القرويين رقم 23, الصفحات 96-97-98 بها جرد بالموقوفات عليها.

(4)- انظر حوالة رباع المدارس : وحوالة المدارس ص : 53-58. ص : 52 تتضمن جردا بما تستفيده من أوقاف.

(5)- انظر حوالة رباع المدارس : من ص 29 إلى 38 جرد طويل بما عليها من أوقاف.

(6)- عبد الهادي التازي / جامع القرويين . ج : 2 ص : 356.

صومعة، الأمر الذي يشير إلى أن تلك الأمكنة مهيأة للدرس أكثر مما هي مهيأة للسكنى، فضلا عن أن الوثائق المغربية تتضافر جميعها على نقل العديد من النصوص التي تؤكد أن هذا العالم أو ذاك يعطي دروسه في قاعة مدرسة الصهريج أو مدرسة العطارين أو المدرسة المصباحية أو العنانية[1].

- مدرسة الحلفاويين[2] : كانت أول المدارس، وتعرف اليوم باسم مدرسة الصفارين، كانت تتوفر على خزانة كتب علمية مهمة.

ومنذ أسست خصصت لها أوقاف كثيرة لسد حاجاتها ومتطلبات نفقة طلابها ومجالسها العلمية[3].

- مدرسة العطارين[4] : خصص لها بانيها (أبو سعيد) الفقهاء لتدريس العلم وحبس عليها عدة أملاك، كما يؤخذ من رخامة التحبيس المغرزة في الجدار، ونظرا لأناقتها وروعتها سماها رجال الفن :(بأعجوبة فاس)، والحوالة الحبسية تتضمن جردا طويلا بهذه الأوقاف.

- المدرسة المصباحية[5] : وتسمى مدرسة الخصة في حجج الوقف، وقد عرف في التاريخ جم غفير من العلماء والطلبة الذين كانوا يأوون هذه المدرسة، ويدرسون

---

(1)- انظر نفس المصدر ونفس الصفحة.

(2)- انظر أحباسها المتعددة في الحوالة الإسماعيلية رقم 47, ص : 162.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة القرويين ، ص : 93-94.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة المدارس ، ص : 50-51.
انظر أحباسها المتعددة في حوال المدارس. ص : 89-90.

(3)- احتفظت الحوالات الحبسية بلائحة تحتوي على 25 بقعة من البلايغيين وفي البراطليين وخزائن دار الدبغ من شوارة حومة البليدة.

(4)- انظر أحباسها المتعددة في الحوالة الإسماعيلية رقم 47, ص : 160.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة القرويين ، ص : 92-93.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة رباع المدارس ، ص : 47, إلى 50.
انظر أحباسها المتعددة في حوال الجديدة . ص : 87 إلى 89.

(5)- انظر أحباسها المتعددة في الحوالة القرويين ، ص : 86-91.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة رباع المدارس ، ص : 35 إلى 44.
انظر أحباسها المتعددة في حوالة المدارس. ص : 82 إلى 85.

بها النحو والفقه[1]، من أمثال الكلالي، والشيخ عبد القادر الفاسي والسلطان المولى الرشيد[2].

– وهناك مدارس أخرى غاية في الإبداع والرونق، وعلى سبيل المثال : المدرسة البوعنانية[3] بطالعة فاس والتي يعدها زائرها متحفا رائعا، على حد تعبير الدكتور عبد الهادي التازي[4] والذي نقل عن ليون الإفريقي الأموال الباهضة التي أنفقت عليها قصد التشييد، وقد أصلحت المدرسة على مر الأعوام إصلاحات متوالية نذكر منها على الخصوص ما قام به المولى سليمان رحمه الله[5].

وثمة مدارس أخرى كمدرسة الوادي[6] والصهريج[7] وعجيسة[8]... فإنها لا تقل أهمية عن سابقاتها، وقد نالت هي بدورها حظها من الأوقاف إعانة لها على القيام بالدور المنوط بها في الميدان الثقافي فكانت المثال الذي يضرب في توفير الظروف الملائمة لطلبتها وأساتذتها والقائمين عليها. والحوالات الحبسية خير شاهد على ذلك.

المبحث الثالث :

الكراسي العلمية

تضافرت جهود ملوك المغرب والفئة الواعية من المواطنين على الاهتمام بالميدان العلمي عموما وبكراسيه وممتطيها والمتحلقين حولها خصوصا، بغية تنوير عقول الناس وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، ذلك أن السلطة العليا حرصت

---

(1)– كان للنوشريسي فيها كرسي لتدريس المدونة. انظر : نزهة الحادي ، ص : 30.

(2)– انظر : القادري / نشر المثاني 2/5 – والسلوة 1/110.

(3)– حوالة المدارس : ص 29 إلى 38 وهي أوقاف كثيرة ومختلفة، لم تحمل أي تاريخ، وقد استهل الجرد الطويل بالبسملة والتصلية.

(4)– الدكتور عبد الهادي التازي/ جامع القرويين 2/357.

(5)– الناصري / الاستقصا 2/174–175.

(6)– انظر أحباسها المتعددة في الحوالة الإسماعيلية رقم 47 ص : 163, وفي حوالة القرويين ص : 94–95 وفي حوالة المدارس ص : 52–53 وفي الحوالة الجديدة، ص : 90 إلى 92.

(7)– انظر أحباسها المتعددة في حوالة المدارس ص : 53 و 58 وفي الحوالة الجديدة، ص : 92 إلى 95 . وفي حوالة القرويين ص : 96 إلى 98, وفي الحوالة الإسماعيلية رقم 47 ص : 164.

(8)– انظر أحباسها في حوالة رباع المدارس ص : 64 وفي الحوالة الجديدة، ص : 97.

على الإمساك بزمام القيادة الدينية وتوجيه الأمة في نطاق الإسلام حسب مفهومها الذي قد يختلف شكلا وجوهرا من ظروف إلى أخرى، يقول صاحب كتاب "المغرب عبر التاريخ" :غير أن شخص العاهل وسلوكه واهتماماته الدينية. تمثل دورا رئيسيا في هذا التوجيه الذي ارتكز على المسجد كأداة تبليغ وتكييف(1).

الأكثر من ذلك أن بعض الملوك أعطوا من أنفسهم المثال الذي يقتدي به الطالب المجد والفقيه المجتهد والعالم المتضلع الباحث، وفي هذا الإطار نجد سيدي محمد بن عبد الله يجلب من بلاد المشرق كتبا نفيسة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلاد المشرق نظرا لندرتها، ويجالس العلماء، ويحض على الاشتغال بأمهات الكتب كالرسالة والتهذيب عوض دراسة المختصرات ويرغب الناس على مذهب السلف، وهذا المولى سليمان العالم الجليل يحث الناس على التمسك بالمختصر، ولكل من الأب والإبن وجهة نظر خاصة معززة بالدليل والحجة(2). الشيء الذي ساهم – بشكل ملفت للنظر – في الإقبال على هذه المجالس، فنشطت الحركة العلمية. وإن الجرد الآتي لهذه المجالس العلمية وكراسيها وبأعدادها الهائلة ليقوم دليلا على أن مدينة فاس بأحيائها وأزقتها ودروبها الضيقة كانت تشكل حقيقة جامعة علمية كبيرة.

هذا وإن نظرة فاحصة لمضامين الحوالات الحبسية لتعطي فكرة عن الأعداد الهائلة من الأوقاف التي كانت مرصودة على هذه الكراسي رجاء أن يكون عطاؤها أكبر وفائدتها أكثر(3) .وقد تنوعت هذه الأوقاف وتعددت مشاربها فلم تنحصر في الرباع الموقوفة عليها وإنما تعدتها إلى الكثير من المخطوطات النفيسة والكتب القيمة ما جعل القرن الثاني عشر يعتبر من أزهى العصور، ولا غرابة في ذلك فقد افتقى المولى إسماعيل أثر أخيه المولى الرشيد وسلك الملوك من بعدهما مسالكهما فكانوا خير خلف لخير سلف مما شجع المواطنين على أن ينهجوا نهج ملوكهم فكان وقف الأعداد الوافرة من الكتب الخاصة القيمة على بعض هذه الكراسي مما ضاقت

---

(1)- ابراهيم حركات / المغرب عبر التاريخ 3/538.
(2)- انظر. الناصري / الاستقصا . 8/67-68-69. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.
(3) – انظر مجمل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الأول من القسم الثاني من هذا البحث، وتفصيله في الحوالة الإسماعيلية رقم 46 و 47 والحوالة العبد الرحمانية وحوالة القرويين هنا وهناك.

به رفوف خزانات المساجد والمدارس الشيء الذي أدى إلى تنشيط أكثر للحركة العلمية والفقهية[1]. ونظرا كذلك لكون الاهتمام بهذا المجال كان في الصدارة فقد أثبته صك إنشاء الحوالة الإسماعيلية الذي يذكر بصريح العبارة : ".. فمنها[2]... وما هو إعانة للفقهاء المدرسين... وما هو لإصلاح المساجد و .... ما هو على الخطباء والواعظين ... "[3].

إن أهمية الكراسي العلمية تكمن في أهمية المواد التي تدرسها وفي قيمة المترددين عليها وأعداد المتحلقين حولها.

وإذا علمنا كثرة هذه الكراسي العلمية، وتضلع ممتطيها، وكثرة الوافدين عليها، اتضح إلي أي حد شاع نور المعرفة وأضاء ربوع المدينة وأنار سبيل غيرها من المدن ليتعدى بعد ذلك هذه الحدود إلى بلدان أخرى كثيرة شرقية وغربية.

تحدث الدكتور عبد الهادي التازي عن عدد الكراسي ومكانها وعن المتحلقين حولها فقال : "كانت المجالس العلمية تعني وجود كرسي يصعد عليه الأستاذ ليتمكن من تبليغ رسالته وخاصة منها المجالس التي يناهز عدد الحضور فيها المائتين والثلاث مائة من الطلبة"[4]، وعن أهميتها وقيمتها قال : "لقد كانت ولاية الكرسي بالقرويين أمرا ذا بال وبالغ الأهمية، لأنه كان بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة، لذلك كان الحصول عليه يستدعي عدة مؤهلات"[5]، هذا ولقد أوصل عدد هذه الكراسي إلى ثلاث مائة وثلاثة وثلاثين فضلا عن كراسي الوعظ والإرشاد، وكذا تلك التي كانت خاصة بالطلاب الذين كانوا يتهيأون للمناصب التي تحتاج إليها أطر الدولة، ولم يفته أن ذكر مواقع هذه الكراسي بالجامع الأم[6].

---

(1)–أنظر أهم هذه الكتب وأسماءها بحوالة القرويين ص : 36 والحوالة السليمانية ص : 445 والحوالة العبد الرحمانية . من ص : 237 إلى 252.

(2)– هاء الغائبة تعود على الأوقاف .

(3)– الحوالة الإسماعيلية رقم 47. ص : 4 – 5

(4)– عبد الهادي التازي / جامع القرويين 2/370.

(5)– نفس المصدر ص : 371

(6)– المرجع السابق ص : 371.

وهذا جرد بالكراسي التي كانت بالقرويين، دونما حاجة إلى ذكر أهميتها وأقدميتها وتاريخ إنشائها وما يتحلق حولها من مئات المهتمين إن لم نقل الآلاف منهم.

- كرسي المحراب.
- كرسي الإمام الورياكلي.
- كرسي النحو
- كرسي باب الصالحين الأيمن.
- كرسي باب الصالحين الأيسر.
- كرسي باب الشماعين.
- كرسي ظهر الصومعة.
- كرسي مستودع باب الحفاة.
- كرسي مستودع ابن عباد.
- كرسي ظهر الخصة.
- كرسي الونشريسي.
- كرسي الركن الشمالي الشرقي.
- كرسي الثريا الكبرى.
- كرسي باب العنزة.

وغير ذلك كثير وكثير جدا.

إن المتتبع لكتب النوازل والتاريخ والحوالات الحبسية سيقف على تلك الأمكنة الموصوفة، وسيقف على عدد من السواري الخاصة التي كان يقصدها الطلاب للتحليق حول أساتذتهم، ومنها : مجلس السارية التي كانت بيد أبي العلاء إدريس المنجرة الحسني الإدريسي (ت 1137). ثم بيد ابنه أبي زيد عبد الرحمان، وبقي من

أوقافها المعروفة أربع بقاع كما في الحوالة الإسماعيلية.

ومنها مجلس كان في صدر جامع القرويين، كان من أساتذته أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن يخلف الأنصاري الأندلسي (ت 1162) ومما كان يقرر فيه التجويد(1).

ومنها مجلس بظهر الصومعة، وممن كان يشرف عليه أبو العلاء إدريس الودغيري الملقب بالبدراوي (ت 1257).

وعن المجالس الأرضية، مجلس على يسار الداخل إلى القرويين من باب الكتبيين، وممن تصدر للتدريس فيه أبو عبد الله محمد بن حمدون الشديد الأندلسي (ت 1110) وولده أبو العباس وحفيده (ت 1199) وهي مجالس كثيرة(2).

لقد اعتمد الدكتور عبد الهادي التازي في تتبع الكراسي العلمية في المعاهد الأخرى التابعة للقرويين على بعض الوثائق وفي مقدمتها : الحوالة العبد الرحمانية في سنة 1245هـ(3) وقد وضع لها ترتيبا بالحروف لا بحسب اشتهارها أو ظهور مشايخها.

- كرسيا مدرسة الحلفاويين (الصفارين) للفقه والنحو.
- كرسيا مدرسة الخصة (المصباحية) للفقه والنحو.
- كرسيا المدرسة المتوكلية للتفسير والحديث والفقه والحديث.
- كرسيا مدرسة الصهريج للفقه والنحو.
- كرسيا مدرسة الوادي للفقه والنحو.
- كرسيا مدرسة العطارين للفقه والنحو.

---

(1)– نشر المثاني/ نسخة المكتبة الأحمدية ورقم 317 ب راجع ص : 289–293.

(2)– انظر د. عبد الهادي التازي / المرجع السابق. ص 383.

(3)– انظر ملخص ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول من القسم الأول من هذا البحث وتفصيله في الحوالة ا لعبد الرحمانية. ص : 67 إلى 70 ومن 166 إلى 176. ومن 307 إلى 313 ... و 202.

– ثم الطائفة الناصرية وتنتسب للشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي السجلماسي (ت : 1080).

– ثم الطائفة الحمدوشية وتنتسب للشيخ المجذوب أبي الحسن علي بن حمدوش المتوفى في العشرة الرابعة من القرن 12هـ[1].

– ثم الطائفة القاسمية وتنتسب للشيخ أبي الحسن علي بن القاسم المعروف بأبي سجدة المتوفى في العشرة الخامسة من القرن العاشر.

– ثم الطائفة الغازية وتنتسب للشيخ الغزي بن العربي السجلماسي المتوفى في العشرة الرابعة من القرن الثالث عشر.

– ثم الطائفة الطالبية وتنتسب للشيخ أبي العباس أحمد بن الطالب السجلماسي المتوفى في العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر.

– ثم الطائفة الوزانية وتنتسب للشيخ أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحسني الإدريسي المتوفى سنة 1089هـ.

– ثم الطائفة التيجانية وتنتسب للشيخ أبي العباس التيجاني المتوفى سنة 1230هـ.

هذا وقد استفاد الكثير من هذه الزوايا من أوقاف مختلفة تحتفظ بها الحوالات الحبسية، فضلا عما استفادته زاوية سيدي عبد القادر الفاسي السابقة الذكر. وهكذا تطلعنا الحوالة المرينية على بعض الأوقاف لفائدة عدة زوايا بفاس[2]، كما تحتفظ الحوالة العبد الرحمانية بالأوقاف التي تستفيد منها تسع وعشرون زاوية، ومن أبرزها الزاوية الحراقية الكائنة ببورجوع من حومة المخفية[3].

---

(1)– علي بن حمدوش : مجذوب ساقط التكليف، كان في ابتداء أمره بفاس يجلس بباب القرويين ثم انتقل لزرهون وبها توفي سنة 1135هـ، وإليه تنتسب طائفة حمادشة التي سنتحدث بعد قليل عما وقعت فيه من بدع. انظر : النشر 2/204 – السلوة 1/354 – أتحاف أعلام الناس5/459–475. انظر الحديث بتفصيل عن هذه الطرق والزوايا وعاداتها وما يحدث في مواسمها من بدع بكتاب الرحلة المراكشية ج 1. ص : 140 إلى 154 ط. مصر عام 1351هـ.

(2)– الحوالة المرينية ص : 116 ومن 126 إلى 132 (وقيد مدخولها بأواقي النقرة وكسورها أواخر 995هـ.

(3)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 20–52–53 (وصل عدد الرباع الموقوفة إلى 25 عقارا).

وتعد هذه الأخيرة من أهم الزوايا من حيث نشاطها وكثرة تابعيها، في المنسوبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن محمد الحراق الموسيري الذي ينتهي نسبه إلى موسى بن مشيش، أخذ عن المولى العربي الدرقاوي سنة 1228 وهو ابن الأربعين سنة، ثم بنى بأقصى حومة المخفية زاوية كان يعمرها بالتدريس والأذكار بالحلق، وكان كثير الأتباع، ثم انتقل لتطوان وأسس بها زاوية وأتباعا، وتوفي بها في شعبان سنة 1261، وقبره بزاويته هناك وعقبه بفاس[1]، كما تحدثت نفس الحوالة عن كل من زاوية سيدي أبي مدين بأسفل الرميلة[2]، وزاويتي سيدي محمد بن عطية وسيدي علي الحارثي بنفس الحي[3].

وعن زاويتي سيدي محمد بن يوسف وشيبونة[4] وزاوية سيدي يوسف الفاسي بالمخفية[5] وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله.

واحتفظت الحوالة العبد الرحمانية أيضا بالأوقاف التي على زاوية القادريين وسيدي امحمد بالفقيه في صفحاتها من 140 إلى 146، وزاوية سيدي التاودي بن سودة بزقاق البغل في صفحتها رقم 166، وأوقاف زاوية الغازين برأس الشراطين وسيدي مساء الخير في صفحتها رقم 179، وذكرت أوقاف زاوية سيدي الحسن السفياني بالشرابليين وسيدي عبد السلام الركال، والشرشور في صفحاتها من 202 إلى 210، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الزاوية الأخيرة هي التي بها قبر سيدي الحاج الخياط الرقعي. وأوقاف زاوية سيدي قاسم برحمون المتوفى عام 1149 وقد أدرجت أوقافها بصفحتها رقم 219، وتوجد هذه الزاوية بزقاق الحجر من فاس القرويين، والتي يحكي صاحب "النشر" حكايات عن تابعي الشيخ وعن الدراسة بها، وعما يعانيه أصحابه وأتباعه وخاصته والمؤسسون لها من شطط من طرف أحد أقرباء الشيخ الذي تولى بيع المقابر بها والتي بلغت أثمانا خيالية. راجع في ذلك: "نشر المثاني" 3/391هـ.

---

(1)- محمد داود/ تاريخ تطوان ص : 96 ط. تطوان 1390 القسم الثالث من المجلد السادس نقلا عن (روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية) ص : 340.

(2)- الحوالة العبد الرحمانية . ص : 78-79 عدد الأوقاف 18 وهي عبارة عن واجبات في دور وحوانيت.

(3)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 79 وتذكر الوثيقة تحبيس دارير صد ريعها على إصلاح الزاويتين.

(4)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 83 وتحمل الصفحة جردا بهذه الأوقاف وصل إلي 14 ما بين دور وحوانيت.

(5)- الحوالة العبد الرحمانية ص : 116 إلى 124 وعدد هذه الأوقاف وصل إلى 131 يستفيد منه أئمة ومؤذنو الزاويتين، وما يصرف على شراء الزيت لوقدهما.

كما اشتملت نفس الحوالة على أوقاف زاوية مولاي عبد القادر الجيلاني التي برأس التيالين[1]، وزاوية الصادقيين التي بباب النقبة[2]، وزاوية مولاي أحمد الصقلي التي بأقصى درب سبع لويات[3]، وزاوية ضريح العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني[4]، وزاوية سيدي أحمد بن يحيى[5]، وزاوية عيساوة بفندق اليهودي[6]، وأوقاف الزاوية التيجانية[7]، وزاوية ضريح العلامة سيدي محمد ميارة، وزاوية الفقيه سيدي محمد بناني وسيدي عزوز التي بأقصى الدرب الطويل[8]، والزاوية الناصرية الكائنة بالزريطانة[9].

وتجدر الإشارة إلى أن الحوالة العبد الرحمانية هاته تضمنت فضلا عن الجرود الطويلة بالأوقاف على هذه الزوايا خزائن قيمة من الكتب النفيسة[10]، لتستفيد منها الزوايا الآتية :

زاوية سيد أحمد بن عبد الله، وزاوية محمد بن عبد السلام بناني، وزاوية سيدي أحمد بن يحيى ، وزاوية سيدي الحسن السفياني، وزاوية سيدي قاسم بن رحمون، وزاوية سيدي عبد القادر الجيلاني وغيرها... ثم ذكرت الحوالة زاوية سيدي رضوان الكائنة بزنقة الجياد[11]. أما ملحقها فقد خص زاوية سيدي عبد القادر الفاسي – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – بأوقاف هامة وصل عددها إلى 138 عقارا أغلبها حوانيت ودور ومصاري وأطرزة وأجنة وأفران وخزائن بدار الدبغ وغابات زيتون[12].

---

(1)– الحوالة العبد الرحمانية ص :240
(2)– الحوالة العبد الرحمانية . ص : 251–252
(3)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 253–254
(4)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 262–263
(5)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 270.
(6)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 274.
(7)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 282.
(8)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 892 إلى 293.
(9)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 15.
(10)– الحوالة العبد الرحمانية ص : 202 إلى 210, 237 إلى 251, 270 إلى 271 انظر الصفحات على سبيل المثال لا الحصر ، وإلا فهناك صفحات أخرى كثيرة.
(11)– الحوالة العبد الرحمانية ص :17
(12)– الحوالة العبد الرحمانية . من ص : 130 إلى 135 وعددها 66 إذا لبعض من هذه الأوقاف تحدث عن كذلك ملحق الحوالة نفسها فانظره.

كما تعرضت الحوالة الإسماعيلية الفاسية لمجموعة أخرى من الزوايا وأوقافها، وهكذا ذكرت : زاوية الحجاج[1]، وزاوية سيدي أحمد ابن يحيى[2]، وزاوية سيدي أحمد الشاوي وزاوية أحمد الصقلي[3]، وزاوية سيد الحسن السفياني وزاوية النارنجة وزاوية ابن بكار[4]، وأعادت الحوالة ذكر عدد آخر من الزوايا التي سبقت الإشارة إليها في الحوالة العبد الرحمانية.

إن المتصفح للحوالات ليدرك أن هذه الزوايا كانت محط عناية المواطنين وملوكهم على السواء، الشيء الذي جعلهم يغدقون عليها الأموال، ويلبون رغباتها ومتطلبات رجالها والوافدين عليها، آملين أن تكون عطاءاتها إيجابية تنعكس على المواطنين بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وذلك من خلال تحفيظ كتاب الله وسنة رسوله(ص)، وما ترغب فيه السلطة الحاكمة من مؤازرة ودفاع إذا تعرضت البلاد إلى مؤامرة أو خطر[5]. كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

فإلى أي حد كانت الزوايا محافظة على مبادئها، مستجيبة لكل طموحات وآمال المواطنين عامة والوافدين عليها خاصة ؟

تدفعنا هذه التساؤلات إلى التعريف بالطريقة وشيخها وتابعيها، وتأثيرها في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية، وكذا الحديث عن بدايات التصوف، وعادات المتصوفين، وآراء المهتمين فيهم وفي سلوكهم، فضلا عن ذكر ما وقع فيه بعض تابعي هذه الطرق من بدع تدارك خطورتها ملوك الدولة العلوية فبادروا إلى إنذارهم

---

(1)- الحوالة العبد الرحمانية رقم 47 ص : 353.

(2)- الحوالة العبد الرحمانية رقم 47 ص : 360 إلى 365

(3)- الحوالة العبد الرحمانية رقم 47 ص : 272

(4)- الحوالة العبد الرحمانية رقم 47 ص : 286 إلى 288

(5)- الحوالة العبد الرحمانية رقم 46 (هنا وهناك) هذا وتجدر الإشارة أن الحوالة الإسماعيلية رقم 49 تكاد تكون خالية من الحديث عن الزوايا ذلك أن معظم موضوعاتها انصبت أساسا علي أوقاف الجامع الأعظم بفاس الجديد، وعلي كثرة المناقلات والمعاوضات والاستئجارات، انظر تفصيل ذلك عن المبحث الثاني من الفصل الثالث من الباب الثاني من القسم الثاني من هذا البحث . هذا وبقدر ما كان الحديث باقتضاب عن الزوايا في الحوالة رقم 46. قدر ما كان مسهبا فيما يخص وقف الأعداد الهائلة من الكتب العلمية المفيدة على الزويا. انظر تفصيل ذلك في صفحاتها رقم 415 إلى 418 و 422 إلى 433.

وحملهم على التخلي عن هذه البدع[1].

المبحث الثاني :

التصوف والطرق الصوفية.

التعريف بالطرق والطريقة :

جاء في كتاب "التعريفات" أن الطريق : هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب، وعند اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق"[2].

أما الطريقة : فهي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات[3].

وأما التصوف فقد اختلف الباحثون عن تعريفه كما اختلفوا في بدايات وقت ظهوره اختلافهم في مصادره، فقيل إن اللفظ أطلق على الصوفية إما لصفاء أسرار هذه الطائفة أو أن الصوفي من صفا قلبه، أو من صفت لله معاملته[4]، أو أنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء[5].

ويعرفه الداراني (ت : 215) بقوله : "أن تجري على الصوفي أعمال لا يعملها إلا الحق، وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يلعمها إلا هو "[6].

وجاء في "تذكرة الأولياء" أن التصوف قلة الطعام، والسكون إلي الله والفرار من الناس"[7].

---

(1)- انظر ذلك مفصلا عند الحديث عن المناسبات والأعياد في فاس.

(2)- السيد علي الجرجاني / كتاب التعريفات ص : 172 المطبعة الخيرية بمصر عام 1309هـ.

(3)- السيد علي الجرجاني / كتاب التعريفات ص : 172 المطبعة الخيرية مصر عام 1306هـ.

(4)- الكلاباذي أبو بكر محمد (ت : 380) / التعرف لمذهب أهل التصوف ص : 25 تحقيق : د. عبد الحليم محمود وطه سرور. القاهرة 1960.

(5)- السراج الطوسي أبو النصر (ت : 481) / اللمع ص : 36 تحقيق نيكلسون.

(6)- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن/ الرسالة القشيرية ص : 126 بيروت 1975.

(7)- فريد الدين العطار / تذكرة الأولياء ج 1 – ص : 264.

وقيل إنه :"ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع"(1) وسئل النووي (ت : 295) عن التصوف فقال : "نشر مقام، واتصال بقوام، قيل له : فما أخلاقهم ؟ قال: ادخال السرور على غيرهم، والإعراض عن أذاهم(2).

وقال آخرون :"التصوف ضبط حواسك، ومرعاة أنفاسك"(3) و"التصوف التآلف والتعاطف"(4).

وعن بدايات التصوف، ذهب ابن الجوزي إلى أنه بدأ أولا في شكل زهد وعبادة، وكان عند الصدر الأول منه في شكل مجاهدة النفس للاستقامة، وتقويمها لها، وحملها على الصراط المستقيم حتى يصير تهذيبها خلقا جبلية(5)، ثم ظهر أقوام من الصوفية تكلموا في الجوع والفقر والوسواس ... وأضيف إلى مذاهبهم صفات تميزوا بها وأفعال اختصوا بها كلبس المرقعات، والحرص على السماع والرقص والتصفيق لزيادة الوجد(6).

ويرى ابن تيمية كذلك أن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأن أول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وهو من أصحاب الحسن البصري(7).

وعرف الجيلاني التصوف بأنه "ليس أخذ عن القيل والقال، ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات(8) ثم عرض للفرق بين المتصوف والصوفي، وجعل الأول هو المبتدئ بينما الثاني فهو المنتهى(9).

---

(1)- القشيري /الرسالة ص : 127.

(2)- د. علي زيعور/ العقلية الصوفية ونفسانية ص 199 ط. بيروت 1979.

(3)- التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث/ مصطفى حلمي ص : 11 دار الدعوة القاهرة .

(4)- ابن الجوزي / تلبيس إبليس ص : 158.

(5)- نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة

(6)- ابن تميمة / الصوفية والفقراء . ص : 9

(7)- الجيلاني / الغنية ج 2. ص : 16.

(8)-الجيلاني/ فتوح الغيب ج 1. ص : 66.

(9)- الجيلاني / الغنية ج 2. ص : 16.

أما في المغرب وفي فاس على الخصوص فقد كانت الطرق الصوفية سواد بفاس أو بغيرها من المدن المغربية منتشرة جدا، وكانت أهدافها كثيرة، وفي مقدمتها : حفظ كتاب الله ، والدفاع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدافها كانت تتنوع بمدى اقترابها أو ابتعادها عن مظاهر الغلو، وكانت في بعض الأحيان تخفي توجهاتها والتي تروم من ورائها خدمة مصلحة سياسية.

وهذه الطريقة غالبا ما تكون نتاج الجو الديني والروحي العام الذي يسوده المجتمع في فترة من فتراته التاريخية، وتتأثر ببعض الأفكار الإصلاحية الدخيلة، وكذا بالمناخ السياسي العام الذي ينهج لحكم المجتمع في الفترة نفسها.

أما المعالم الأولى لهذه الطرق فبدأت تتشكل في العهد الموحدي[1] ليكتمل هذا التشكيل مع أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الذي كان أول من أسس طريقة[2]، نتيجة التحولات التي طرأت على بنية المجتمع ابتداء من القرن الرابع عشر[3].

ويمكن القول بأن (الطريقة) ابتداء من القرن الخامس عشر إلى حدود سنة 1912 أضحت هي المؤهلة لتزويد البلاد بنظام حكم قائم على تنفيذ الشرع، وتظل هي (الوصية) على حماية هذا الشرع في حالة خرقه من قبل (الحاكم)، وربما تطمح لتعويض هذا الأخير إذا ما أدركت أنه أضحى غير قادر على القيام بواجباته السياسية الدينية[4].

ويجسد المولى عبد السلام بن مشيش[5] مرحلة مغربة التصوف، فرغم أنه درس على يد أئمة الصوفية (التابعين)[6]، فإنه لم يسلك مسلكهم، بل حاول (التميز) عنهم،

---

(1)– ابراهيم حركات/ المغرب عبر لتاريخ ج 1 ص : 195.

(2)– المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي السنة 1, العدد 1, دجنبر 1986.

(3)– نفس المجلة ص : 30.

(4)– المجلة السابقة ص : 31.

(5)– مولاي عبد السلام بن مشيش الشريف الإدريسي من بني عروس بجبل العلم وقد توفي مغتالا سنة 1228 ولم يشتهر صيته إلا في القرن الخامس عشر G. DRAGUE/ esquisse... p 42

(6)– كأبي مدين الغوث وعلي بن حرزهم. انظر : ابراهيم حركات / المغرب عبر التاريخ 1/323.

لدرجة أن M. BELLAIRE اعتبر ما قيل عن هذا (الولي) بمثابة محاولة ناجحة من المغاربة في التحرر من التأثيرات الشرقية في المجال الصوفي[1].

ويشكل تلميذه (أبو الحسن الشاذلي)[2] مرحلة (مغربة) التصوف، لتصل ذورتها مع محمد بن سليمان الجزولي[3].

وهكذا تعتبر الطريقة الجزولية أول طريقة ذات أصول مغربية، باعتبارها أداة لإقامة حكم (الشرفاء)، ووسيلة لخلخلة النظام القبلي، واختراق المجتمع في كل مستوياته، ستصبح هي المؤهلة لتزويد البلاد بنظام حكم جديد.

فالجزولية هي التي رشحت (السعديين) لاستلام السلطة، تصبح الطريقة في هاته الحالة مؤسسة لاختيار (الحاكم)، أو بتعبير أوضح تصبح بمثابة هيأة (أهل الحل والعقد) بمفهوم أشمل[4].

وهكذا فقد كانت الطريقة كهيأة حامية للشرع، وقد أعطى صاحب المجلة "نموذجين يتمثلان في " الطريقة الناصرية و "الطريقة الدرقاوية".

يقول عن الناصرية : في بداية القرن السابع عشر، كانت الناصرية مقادة من قبل صوفيين هماعبد الله بن حسين القباب وأحمد بن ابراهيم الأنصاري، ولم تبدأ في الاشتهار إلا مع مجيء محمد بن ناصر حوالي 1645م ثم تقوت بشكل ملحوظ في

---

(1)- G. DRAGUE/ esquisse.d'histoire relegieuse du maroc /op cit p 242

(2)- هو أبو الحسن بن عبد الله بن جيار الشاذلي ولد سنة 1175هـ وتوفي سنة 1258.

(3)- هو الإمام أبو عبد لله محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان، ولد في أقصى السوس في سملالة، قبيلة جزولة، توفي في (تانكورت) حوالي 1465م، دفن في (تاسورت) ثم في (أفوغال) وعبد مرور ستين سنة على وفاته ثم نقل جثمانه إلى مراكش بأمر من السلطان السعدي أبي العباس أحمد الأعرج . انظر المجلة السابقة ص : 21-22.

(4)- أي عوض أن تختار (حاكما) عوض(آخر) ستختار شكلا من الحكم الشرفاوي) دون شكل اخر من الحكم (الحكم العصبوي) انظر نفس المجلة ص 32.

عهد ابنه أحمد الخليفة المتوفى سنة 1717م[1].

أما الطريقة الدرقاوية فتأسست من قبل أحمد حسن الفاسي (ت: 1785)، ولكنها لم تشتهر إلا في عهد مولاي العربي (ت: 1823) الذي استطاع تجميع أكثر من أربعين ألفا من الأتباع في ظرف وجيز حيث امتد نفوذه إلى الأقاليم الجزائرية.

وهذه الطريقة تستمد أصولها من الشاذلية، وعن تأثيرها في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية يذكر صاحب مجلة "الزوايا"[2]. أنه منذ أزيد من قرن (1790-1910) كانت الدرقاوية من أكثر الطرق أهمية ونشاطا بالمغرب... فلقد حظيت بعطف العامة وأهل الجاه في المدن، وسكان البوادي خاصة لدى قبائل البربر.

ولم يكن إشعاع العقيدة الدرقاوية على المستوى الديني أقل من الدور الذي لعبته على المستوى السياسي. فقد كانت كثير من (الطرق) تستوحي تعاليمها منها. فعنها أخذت الطريقة الكتانية وكذلك الطريقة البوعزاوية. وتنشط الزاوية في حالتين : -1- حالة الإحساس بغياب السلطة المركزية : وهذا ما عرفه المغرب بالفعل خلال القرن السابع عشر، حيث لم تنشأ قط (زوايا) جديدة، بل نشطت زوايا كانت قبل ذلك خامدة. -2- حالة الإحساس بضعف السلطة ا لمركزية : في هذه الحالة تنشط (الزاوية)(محاولة تقليص الهيمنة المخزنية لحساب القبيلة، ولكن هذا لا يعني أنه في غياب هاتين الحالتين ، تنكمش الزاوية على نفسها، بل تظل فاعلة وحريصة على توفير وسائل البقاء المادي للقبيلة[3].

تلك كانت بعض تأثيراتها في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، فلقد أظهرت وضعية المغرب أواخر الدولة المرينية (9هـ) مدى الفراغ الذي يمكنه أن ينشأ عن غياب سلطة مركزية قوية، وما يترتب عن ذلك من مخاطر، سيما وأن هذا حدث في وقت كانت فيه أوربا في مستهل وثبتها العلمية. والاستعمارية وبالطبع سيكون المغرب بموقعه القريب من أوربا جغرافيا وتاريخيا هدفا مباشرا لهذا التوسع... وهذا

---

(1)- مجلة "الزوايا" المجلة المغربي لعلم الاجتماع السياسي ص : 33.

(2)- نفس المجلة ص ملك 34- 43-46-47.

(3)- الزوايا المجلة المغربية لعلم الاجتماع. انظر الصفحات : 47-50-51.

ما تبلور من خلال مسلسل احتلال الشواطئ والجيوب المغربية شمالا وغربا في محاولة لخنق أنفاس البلاد حتى يتسنى الإجهاز الكلي عليها... إذ أنه بقدر جسامة الأخطار المحدقة تتكشف الأمم العظيمة عن حوية خارقة لإثبات ذاتها والدفاع عن هويتها، وهذا فعلا ما تجسد من خلال الحركة المرابطية المتمثلة في المواقف العملية لرجالات التصوف والصلاح وأشياخ الزوايا وعدد من العلماء... إذا أظهروا فعلا مدى أهميتهم ودورهم في تعبئة الأمة لصد هذه المخاطر... بل كان لهم فضل تجديد هيكل البلاد السياسي... بيد أن دور هؤلاء الصلحاء لم يقتصر على بعث وشحذ مقدورات الأمة، بل ما كان لها أن تنجح في ذلك لولا تجذرها في المجتمع المغربي منذ أمد بعيد، في إطار علاقات دينية واجتماعية جد متشبعة تربط الطرفين معا(1).

ويرى صاحب "المجلة المغربية" أن التعاون الحاصل بين "الزاوية" و"المخزن" لا يجب اعتباره نوعا من المخزنة، بقدر ما أن المخزن لا يحاول أبدا أن ينال من تلك القبائل، بل يعتبرها جبهة أمامية تحميه دون التوغل الأجنبي، لذلك فهو يوفر لها شروط بقائها المادي والرمزي، وهكذا وعلى سبيل المثال يذكر الأستاذ "ابراهيم حركات" أن المولى محمد بن عبد الله حبس على زاوية تازروت" خمسة عشر مثقالا من مستفاد مرسى طنجة مدى الدهر، واتخذ المولى سليمان أقطاب هذه الزاوية مستشارين له(2). كما استفادت الزاوية الوزانية من مجموعة من الامتيازات تمنحها إياها السلطة المركزية نتيجة الدور الذي كانت تؤديه لفائدتها(3).

وعن بدايات هذا التصوف ودور القرويين فيه يرى صاحب تحقيق كتاب "التقاط الدرر" أنه مرتبط بجامعة القرويين بفاس وجامعة الأزهر بمصر، وذكر بصريح العبارة أن القرويين فعلا كانت تمثل المنطقة الرئسية للعطاء الفكري بالمغرب، وعليها كانت تدور الحياة العقلية...(4).

---

(1)- أحمد بوكاري/ الزاوية الشرقاوية ص : 11-12 رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا.

(2)- ابراهيم حركات/ المغرب غبر التاريخ 3/560-561.

(3)- انظر المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي ص : 65.

(4)- كان ذلك في حديثه عن الإنتاج الصوفي والفقهي من الناحية المكانية في عصر القادري.
انظر : هاشم العلوي القاسمي/ تحقيق كتاب التقاط الدرر ص : 111.

وإذا كان التصوف – على حد تعبير صاحب كتاب –"اليتمة" هو "علم شريف لمن أكرمه الله بمعرفته، وحال منيف لمن تفضل الله عليه بكمال أوصافه وحسن سيرته، وليس هو كما يزعمون... بلبس المرقعات والمشي حافيا في الطرقات، وتعرية الرأس، وانزعاج النفس، وتقشف الثياب، وتغيير الحالات والشطح والرقص والتصفيق والتغاشي في الطرقات، بل التصوف كما قال أبو علي سيدي الحسن اليوسي : هو صفاء القلوب من الأكدار..."(1).

فإن صاحب كتاب "المدارج " يسلك مسلكا آخر يخالف ما ذهب إليه العبدوني فيما يخص المرقعات وغيرها، ويقول في هذا الصدد : "إن المرقعات التي ظهر بها أهل طريقتنا هي من أجل ما يتقرب به إلى الله سبحانه ولا محذور في لبسها... وأهل العلم بالله لما كان مشربهم من التجلي الذاتي الذي هو ينبوع الجلاليات خربوا ظواهرهم بلبس المرقعات وخشن الثياب صونا لحال العبودية لأنهم قد تحققوا أن فتنة الجمال أكبر من فتنة الجلال"(2).

ثم انتقل إلى الحالة التي يجب أن يكون عليها العلماء فقال :"... و جب على العلماء الميل إلي البذاذة والخشونة نصحا للأمة ورحمة بالوجود كما كان عليه السلف الصالح ..."(3) ويعارض هذا الوصف ما نقله صاحب كتاب "تاريخ تطوان" عن الشيخ الحراق الذي كان "في شبابه من المحافظين على المظاهر الحسنة، من اتخاذ الملابس الرفيعة وتناول المآكل الشهية وما يناسب ذلك"(4) ولكن ما لبث – بعدما تشبع بالروح الصوفية الحقيقية – أن أفرغ قلبه من حب زغارف الدنيا ولعبها ولهوها، واتجه إلى الله يملأ قلبه بحبه، ويشغل لسانه بذكره، وجوارحه بطاعته وبما ينفع المجتمع الإسلامي(5). لقد أوضح الشيخ الحراق الطريقة والدخول فيها في رسالة إلي الوزير محمد بن إدريس بفاس، ومما جاء فيها : "إن الدخول في هذه الطريقة وتعاطيها، كالدخول في الإسلام ... فكلما أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يكون

---

(1)– العبدوني / اليتيمة ص : 92–93. نقله عنه أحمد بوكاري/ الزاوية ص : 129.

(2)– أبو بكر بن محمد بناني (ت : 1284) مدارج السلوك إلى مالك الملوك بتصحيح أحمد الرباطي ط : 1. ص : 8.

(3)– المرجع السابق ص : 9.

(4)– محمد داود/ تاريخ تطوان القسم الثالث من المجلد السادس ص ؟: 329.

(5)–انظر المرجع السابق ص : 351.

الله ورسوله أحب إليه مما سواهما يلاحظ في معرض حديثه عن الأصناف البشرية" أن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم ثلاث فرق : فرقة طالبة للدنيا عاكفة على الحرص علي حظوظها النفسية وشهواتها الجسمانية... وهذه الطائفة هي التي عميت وهي تنظر، وأهلكت نفسها وهي لا تشعر ، وفرقة أخرى طالبة للآخرة تريد التنعم بالحور، والجنات والقصور، وهي أرفع همة من هذه الأولى وأشد نظرا لكونها طلبت ما يبقى، وزهدت فيما يفتى، ولها عند الله مقام عظيم... وفرقة طالبة لله تعالى ليس لها غرض فيما سواه ولا طلب لغيره، رفعت همتها عن الكونين، وهذه الطائفة هي التي تخرج من القبور للقصور، وقصورها ليست كقصور غيرها، لأن قصورها رفع الحجاب، ودوام النظر إلى الملك الوهاب"[1]

هذا وقد أوضح الشيخ الحراق الفرق الشاسع بين الأخوة في الله وأخوة النسب، وجعل أولاهما تفضل ثانيتهما لكون هذه الأخيرة تفنى والأولى تبقى، ومما جاء في هذا الصدد في رسالة بعث بها إلى أصحابه بالرباط :"إن الأخ في الله، انفع للمرء من أخ النسب، وأن حقوق أخوة النسب وإن كانت واجبة فحقوق الأخوة في الله أوجب، لأن الاتصال بأخوة النسب هو في العالم الفائي يزول يوم القيامة يتفاقم الحال وكثرة الأهوال. بخلاف الأخوة في الله، فهي في العالم الباقي مالها من زوال لثبوتها بثبوت سببها وهو الله سبحانه الدائم الباقي الذي لا يحول، فضلا عن كونه لايزول ...[2].

أما أصحاب كتاب "المدارج" فقد علق على التصوف بقوله "التصوف هو المحافظة على الشرائع ، لأنه كلما قوي القرب من الحضرة إلا وقد اشتد أدبها كما قال ترجمان الحضرة "أنا أعلمكم بالله وأشدكم خوفا منه "فإنه (صلى الله عليه وسلم) لما جمع الله له علم الأولين والآخرين عظم خوفه من الله تعالى على قدر علمه بمعلومه، فالحقيقة النورانية أوجبت تعظيم الشريعة كماأن الشريعة أوجبت تعظيم الحقيقة"[3] غير أنه وفي معرض حديثه عن الدنيا والآخرة أمعن في ضرورة

(1)– محمد داود/ تاريخ تطوان ص :.365

(2)– المرجع السابق ص : 366.

(3)– أبو بكر محمد بناني/ مدارج السلوك.. ص : 55.

إعراض المريد عن الأولى وأسبابها والتعلق بالثانية وأصولها، وقال في هذا الصدد – ردا على استفسار حول ما أصاب أحد أولاد الفقيه ابن إدريس من مصائب من جراء مضايقات على يد العامل : "فتفطن يا أخي لنعمة الله الكامنة في نقمته، وتأمل قوله تعالى :"وعسى أن تكرهوا شيئا" تعلم سر ما قلت لك وإياك يا أخي أن تقول : القائد أهاننا، بل قل : الله أكرمنا، كرامة أوليائه حيث حمانا كما حماهم، إذ قد علمت أن الله إذا أحب عبدا أحماه من الدنيا وأهلها، وأوجه الحماية غير معروفة كما أنه سبحانه إذا أهان عبدا أرزقه محبة الدنيا ومحبة أهلها والأكل في مائدتهم، إذ لا كرامة أكبر من كرامة التقوى والاستقامة، ولا مصيبة أعظم من حب الدنيا وحب أهلها والركون إليهم...[1].

ثم انتقل إلى الحديث عن أساس طريقة التصوف فقال :"إن أساس طريقتنا هذه التي هي طريق الرسول (صلى الله عليه وسلم) الجامعة لطرق من قبله أصلا وفرعا هو الصدق مع الله في جميع ما تعبدنا به سبحانه من أنواع التكاليف الحسية والمعنوية الظاهرة والباطنة فإنه المطية التي لا تكبو والسيف الذي لا ينبو ، وما ربح أحد إلا به ومنه، وما خسر أحد قصد الله إلا لقلة صدقه"[2].

وهكذا عندما تحدث عن حقيقة طريقته وكنهها أكد أن نتاجها هو ما تنافس من أجله الأكابر من أنبياء ورسل، وفي ذلك قال : "إن طريقتنا هذه طريقة الآكابر الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد عاهدناه سبحانه على القيام بوظائف العبودية والانسلاخ من أوصاف الربوبية، فهذا هو العهد، وهذا هو الميثاق، وفي الوفاء به تنافس الأكابر من الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين والمحققين والمحبين والزاهدين...[3]، ويفهم من تحليله الدعوة إلى الصدق والإخلاص لأنهما عمدة المريد الصادق، قال في هذا الصدد :"فإن أردتم – إخواني – أن تصفوا أحوالكم وتزكوا أعمالكم، وتشرق أنواركم فاعملوا على الصدق والإخلاص، تكونوا والله من الخواص، ... والعمل الصالح هو الذي قصد به وجه الله تعالى الذي هو عبارة عن بارق توحيده أو تقول هو الذي استولى ظاهره وباطنه نعني في تحرير القصد وهو

(1)– أبو بكر محمد بناني/ مدارج السلوك. ص : 99.
(2)– المرجع السابق ص : 103. 7
(3)– المرجع السابق ص : 24.

الذي قارنه سر الإخلاص، فإذا وجد الإخلاص ووجده سره الذي هو الصدق فيه كان العمل مفتاحا للربح وسببا في النجاة وإلا هلك صاحبه إذ رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قارئ للقرآن وهو يلعنه، فأخلصوا أعمالكم لله يكفكم القليل منها."[1].

وتكاد تجمع كل الطرق على ضرورة اجتماع المريدين بشيخ الطريقة والامتثال لأوامره والإذعان لأرائه واحترامه احتراما فاق ما يكنه الأبناء لآبائهم والعبيد لأسيادهم، وجعل أهل الطرق تلك الآداب من أولى الأولويات ينبغي للمريد الاتصاف بها، والا فلا حاجة له بالدخول في زمرتهم، وفضلا عن هذه الآداب هناك أوراد وأذكار يتخذونها سلاحا لهم، وفي كل وقت من اليوم والليلة، ووظائف متعددة كوظيفة العشي ووظيفة ما بعد المغرب[2].

(فالأدب) مع الشيخ :"هوعنوان الفلاح للمريد ومتى عدمه عطبت راحلته وكلت مطيته، ولا يعدمه إلا إذا خالف شيخه في القول أو الفعل أو الحال معترضا عليه إما ظاهرا وإما باطنا... على أن الشيخ إذا شم رائحة المخالفة من المريد وعلم سقوط الآداب منه يجب عليه أن يطرده لأنه صار من أكابر الأعداء[3] .

هذا في شرط المريد الإطراق وعدم الالتفات وفضول النظر وفضول الكلام، يقول الشيخ بناني في وصف أحد المريدين : "حتى لو سئل فإن المريدين ينبغي لهم أن يكونوا بين يدي شيوخهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم للعقوبة خائفون[4].

ولقد رتب صاحب "مرآة المحاسن" لأصحابه أورادا وقراءة "أحزاب تعتبر من أولى الأولويات في جمعهم – مأخوذة عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي – وكانت أوقات الأذكار ثلاثة : الأول بعد صلاة الصبح، والثاني في العشي، والثالث بعد المغرب، وهذه الأذكار تقرأ جماعة على لسان واحد جهرا، وكانوا يجتمعون لذلك في الزاوية

---

(1)– أبو بكر محمد بناني / مدارج السلوك.. ص : 41– 42.

(2)– كما سيأتي بيانه بعد قليل .

(3)– أبو بكر محمد بناني / مدارج السلوك ... ص : 84.

(4)– أبو بكر محمد بناني / مدارج السلوك ... ص 86–87.

لا في المسجد إلا لأمر عارض(1).

وقد دافع صاحب الكتاب(2) "مدارج السلوك" عن هذه الاجتماعات للذكر بطريقة جماعية وأكد على أهميتها واستدل علي صحة قوله بكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وقال في هذا الصدد : "الاجتماع للذكر بالكيفية المعروفة عند الفقراء من التحلق والاهتزاز وغير ذلك هو أمر مقرر بلغ فعله حد التواتر شرقا وغربا بحيث لو كان الإجماع يطلق على غير إجماع من مضى من الصحابة لقلنا وقع الإجماع عليه على أنه لا داعي إلى الإجماع في هذه النازلة لوجود النصوص الشرعية إذ السنة مشحونة بذلك ... وسيطرد قائلا(3) إن الاجتماع لذكر الله مرغب فيه شرعا ولا ينكره إلاجاهل مغمور وما نقل عن إمامنا مالك رضي الله عنه من الكراهة وأنه قال يذكر كل واحد على حدته سرا فجدواه غير ظاهر، وإن كان جهرا وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لايسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله"(4).

وفي مقارنة بين الزاوية الفاسية والزاوية الدلائية ومدى تمكن الوافدين على الأولى من الأذكار المختلفة وتضلعهم فيها، يرى المتحدث عن الزاوية الثانية، أنه رغم اتحاد الزاويتين في سلوك نهج الشاذلية" فإن أذكار الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير على ما يناسب موقعها في وسط البادية ومريدها من أعراب تادلا،

---

(1)- انظر مرآة المحاس ص : 45-55.

(2)- المرجع السابق ص : 12

(3)- المرجع السابق ص : 13

ومن جملة الأحاديث التي استشهد بها : "لا يجتمع قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده " البخاري عن أبي هريرة وأبي سعيدالخدري.

(4)- أبو المحاسن سيدي يوسف/ مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسين ط : حجرية انظر صفحات 54-55-58-59-60-61-63، وإليكم بعض المقتطفات من الفصل السابع من الأوراد التي رتبها لأصحاب: "الوقت الأول وحزبه الفلاح، وهو :: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم "الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، الحمد لله الذين هدانا لهذا وما كنا لنهتدي ولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عليه أفضل ماهو أهله (ثلاثا)، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (ثلاث)، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا)، بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) سبحان ربي العظيم وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا -إلا بالله العلي العظيم (ثلاثا) ، أستغفر الله العظيم الذي لا إلاه إلا هو بديع السموات والأرض

وبرابرة زيان، إذ لا يعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلي والجزولي ووظيفة الشيخ زروق وغيرها من الأذكار المعقدة الطويلة، بعكس الحال، في زاوية فاس التي كانت تستقبل مريدين متحضرين يمتلك جلهم مبادئ علمية تؤهلهم لإدراك الأحزاب السابقة وغيرها من المسبعات والمعشرات ولعل هذا مما تمتاز به الطريقة الشاذلية

وما بينهما من جميع جرمي وظلمي، وما جنيته على نفسي وأتوب إليه (ثلاثا)، لا إلاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسعا) ، لا إلاه إلا الله محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم (مرة واحد). ثبتنا يارب بقولها، وانفعنا يارب بفضلها، واجعلنا يارب بفضلها، واجعلنا من أخيار أهلها، واحشرنا في زمرة قومها (ثلاثا)، أمين (أربع مرات) يارب العالمين (مرة واحدة).

فالمسبحات العشر وهي :" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، ثم قراءة الفاتحة سبع مرات بتكرار البسملة وأما التعوذ ففي الأولى فقط. ثم سورة الناس سبعا وسورة الفلق سبعا، سورة الإخلاص سبعا، ثم سورة الكافرون، سبعا بالبسملة في الجميع مكررة مع كل واحدة، ثم آية الكرسي سبعا سبحان الله والحمد لله ولا إلاه الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (سبعا)، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، (سبعا) اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت أهله ولا تفعل بنايا مولانا ما نحن أهله، إنك غفور رحيم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم، فالمعشرات التسع وهي : أشهد أن لا إلاه الله محمد رسول الله (عشرا)... الخ. فالحزب الكبير للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وهو بسم الله الرحمان الرحيم وإذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، أمة من عمل منكم سودا بجهالة ثم تاب بعده وأصلح فإنه غفور رحيم بديع السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا إلاه الله هو الخالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الرك هيعص حم عس رب أحم بالحق وربنالرحمان المستعان علي ما يصفون طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوت العلى الرحمان على العرش استوى له مافي السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إلاه الله إلا الله هو له الأسماء الحسنى (ثلاثا) اللهم تعلم أني بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك... اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فهنيئا لمن عرفك فرضي بقضائك والويل لمن لم يعرفك كل الويل ثم الويل لمن أقر وحدانيتك ولم يرض بأحكامك... يا الله يا علي يا عظيم يا حليم، يا حكيم، يا كريم يا سميع يا قريب، يا مجيب، يا ودود حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء والغفلة والشهود وظلم العباد وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ونجنا من الغم، واجعل السماوات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلي رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك ، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التي ختمت به لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقاءك...

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة والمغفرة الشاملة والمحبة الجامعة والخلة الصافية ،والمعرفة الواسعة والأنوار الساطعة والشفاعة القائمة والحجة البالغة والدرجة العالية وفك وثاقنا من المعصية، اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، يا من هو هو في علوة قريب يا ذا الجلال والإكرام يا محيطا بالليالي والأيام ، أشكو إليك من غم الحجاب وسوء الحساب، وشدة ا لعذاب، وإن ذلك لواقع ماله من دافع إن لم ترحمني لا إلاه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (ثلاثا) . إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الدين زمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

التي لا تعين أذكارا لمريدها في كل مكان ولا تقيدهم حتى بقراءة الأحزاب التي وضعها الشاذلي نفسه تاركة للشيوخ مجال الاختيار لما يناسب الحال، فتعددت بذلك مظاهر هذه الطريقة واختلفت صيغ أذكار مريديها لا تجمعهم إلا سنة الرسول الكريم التي هي المبدأ الإسلامي الذي لا يمكن المحيد عنه في هذه الطريق"[1].

هذا ولم يكتف بعض أصحاب هذه الطرق الصوفية بهذه الآداب الواجب توافرها في المريدين، وكثرة الأذكار والأحزاب، بل جعل الزهد شعاره، والجوع وقطع المألوف مما تبارك به خطواته وينال به مراده، ومن ذلك ليس المرقعات والميل إلي الخشونة - كما تقدم - والسير على الأقدام حافية، ومن مناصري هذه الظواهر الشيخ بناني الذي دافع عنها[2] وجعلها من مقتضيات الشريعة الإسلامية، قال في هذا الصدد : "وينسبون[3] إلى البدعة من حيث ما هم عليه من لبس المرقعة وتعرية الرأس والمشي بالحفا واتخاذ السبحة الغليظة في العنق والسؤال في الأسواق والصمت عن العالم وغير ذلك مما تقتضيه الشريعة الغراء النقية البيضاء من خرق العوائد"[4]

كما استشهد على جعل السبحة في العنق والمشي بالحفا بثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابي وغيرهما وقول السيوطي في الجامع الصغير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تسارعتم فامشوا حفاة فإن الله يضاعف أجره على المنتعل، قال المناوي في شرحه أي بقصد التواضع والمسكنة وكسر النفس الأمارة"[5]، وقال بعضهم "دخلت على سحنون وفي عنقه تسبيح يسبح به"[6] ومن هذا الخبر جعل "بناني" التقليد في الفروع مأمورا به شرعا، ثم بين فقه سحنون وورعه وأنه لن يقدم على مثل هذا الفعل إلا بدليل يستند إليه.

=حزب الشيخ سيدي امحمد الجزولي علي العادة في قراءته عند الطائفة الجزولية بأن ينقسموا فريقين فيقول فريق قريته منه ثم يسكت به

هذا وقد تحدث صاحب "المرآة " بعد ذلك عن وظائف العشي ووظائف ما بعد المغرب، واستغرق يستعرض هذه الوظائف الطويلة علي نحو ما تقدم، انظر تفصيل ذلك، في مرآة المحاسن، من ص : 63 إلى 76 (وأثناء استعراض صاحب الكتاب لهذه الوظائف والأذكار كان يذكر بعض الفوائد)

(1)- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي/ محمد حجي ط : 1409-1988 ص : 68.

(2)- انظر مدارج السلوك. ص : 8

(3)- واو الجماعة يعود علي أصحاب الطريقة الذين يعبر عنهم بالفقراء.

(4)- المرجع السابق ص : 4

(5) و (6) - انظر المرجع السابق : ص 11.

وقارن بعد ذلك بين طعن ابن الحوزي في هذا الحديث ورأي العلماء الذين قالوا إن السيوطي حجة على ابن الجوزي سيما وقد صرح "هو بنفسه أنه كان يصحح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة في اليقظة سيما وهو يقول في قوله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ أحدكم فليغسل أسفل رجليه بيده اليمنى ما نصه بل اليسرى تكريما لليمنى لأنهم كانوا يمشون حفاة فقد يعلق نجس بأسفلها فلا يباشر ذلك بيمناه تكريما لها "[1].

ومن هذه الظواهر وغيرها استخلص صاحب كتاب "العقلية الصوفية" أن التصوف نظام ترهي وجد قبل الإسلام بكثير من الزمن في قريش، وفي اليمن، وكان ذلك تحت نفس الاسم والرسوم والغاية، وبطرائق تعبد تقوم على التزهد، والتنسك، والنذر، والتضحية، وتقديم القرابين، وخدمة الكعبة (بيت العبادة) والأصنام، والزوار والمتعبدين ...[2]"

ويستنتج بالتالي بعد مناقشة بعض الفرضيات أن التصوف هو "مجمل معقتدات وطقوس تضحوية توضحها حادثة (صوفة) (الغوث ابن مر)[3].

ويكرر ابن تيمية (ت. 728 هـ - 1328) المثالب التي رآها ابن الجوزي في الصوفية[4].

وهكذا يهاجم ابن تيمية الوجد[5] والسماع والطرب والرقص والجذب[6].

---

(1)- أبو بكر محمد بناني/ مدارج السلوك. ص : 11-12

(2)- د .علي زيعور/ العقلية المتصوفة ونفسانية التصوفة ص : 12.

(3)-وقد سمي "الغوث" صوفة لأنه ماكان لا يعيش لأمة ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعله سبيط الكعبة، ففعلت فقيل له : صوفة ولولده من بعده، انظر المرجع السابق ص : 13

(4)- ابن تيمية /.مختصر الفتاوي المصرية ص : 571 وما بعد : القاهرة 1949.

(5)- الوجد : ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل : هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا، انظر علي الجرحاني /. كتاب التعريفات ص : 181

(6)- الجذب : صفة للمجذوب وهو من اصطفاه الحق لنفسه واصطفاه بحضرة أنسه وأطلعه بغياب قدسه ففاز بجميع المقامات : انطر : علي الجرجاني / كاتب التعريفات ص : 177.

وهو ثانيا يرفض الكرامات لهم[1]... وينكر عليهم القول بالحضر والغوث والقطب وإن هاجم فإنه يبقى مقتنعا بالكرامة وبالولي[2].

وبأفكار صوفية أخرى ليراها موجودة عند صوفية الحقائق، وفي هذا الصدد يقول : "وكرامات الأولياء حق باتفاق أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن... والأحاديث.. والآثار[3].

وكا ذلك أيضا، موقف ابن خلدون في "المقدمة" يقبل التصوف، ويقبل مبدأ الكرامة للولي غير أنه رفض بعض الممارسات ومبالغات الشاطحين وطموحات آخرين، أو النقاط التي تظل على الإباحية والفجور[4].

وإذا كان هذه جولة مع الصوفية والمتصوفين في أذكارهم وأورادهم ومعتقداتهم، ونظرتهم المقدسة إلي شيخ طريقتهم، وكذا دور الزوايا، وبعض الأراء حولها، وما استفادته بسخاء من أوقاف ، فإن القسم الرابع من هذا البحث يظهر بجلاء الحالة العامة بفاس على مستويات عدة.

---

(1)– الكرامة : هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، انظر على الجرجاني / كتاب التعريفات ص . 176.

(2)– الولي هو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان "انظر " كتاب التعريفات تص : 182.

(3)– ابن تيمية / مختصر الفتاوي المصرية ص : 600.

(4)– انظر تفصيله في كتاب "العقلية الصوفية ... ص : 114.

Bibliotheca Alexandrina
11132075